

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة

جهود علماء غربي إفريقية في تقرير العقيدة
(عرضاً ونقداً)

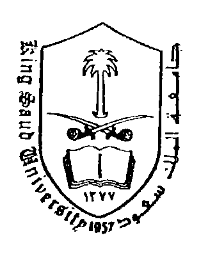
رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الدكتوراه في العقيدة و المذاهب المعاصرة

إعداد الطالب / عبد الله باميا
الرقم الجامعي : ٤٢٦١٢١٦١٦

إشراف
الأستاذ الدكتور / سليمان بن قاسم العيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

للعام الجامعي
١٤٣٣/١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة



جهود علماء غربي إفريقية في تقرير العقيدة
(عرضاً ونقداً)

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الدكتوراه في العقيدة و المذاهب المعاصرة

إعداد الطالب / عبد الله باميا
الرقم الجامعي : ٤٢٦١٢١٦١٦

إشراف
الأستاذ الدكتور / سليمان بن قاسم العيا
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

للعام الجامعي
١٤٣٤/١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

شعبة (العقيدة)

إجازة رسالة دراسات عليا

عنوان الرسالة

جهود علماء غربي إفريقية في تقرير العقيدة – عرضاً ونقداً

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

(تخصص العقيدة)

إعداد الطالب / عبدالله بامبا

نوقشت هذه الرسالة في يوم الأربعاء الموافق ٢٠/١٢/١٤٣٣هـ

وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة :	صفة العضوية	التوقيع
١- أ.د/ سليمان بن قاسم العيد	مقرراً	
٢- أ.د/ حسن بن حسن كامل	عضواً	
٣- أ.د/ عبدالله بن إبراهيم اللحيدان	عضواً	

كلية التربية College of Education قسم الثقافة الإسلامية Islamic Culture Dept. الدراسات العليا Graduate Studies

العام الجامعي ١٤٣٣/١٤٣٤هـ

الفصل الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... **أما بعد** :

فقد كان اتصال الباحث بموضوع هذه الدراسة في زيارتي الأخيرة لبعض مناطق غربي إفريقية، حيث كانت تقع عين الباحث على نماذج من النشاط الدعوي الذي يمارس في تلك الدول من خلال بعض الأفراد والجماعات الدعوية التي حملت لواء الدعوة ونشر العقيدة الإسلامية، كما وقعت عينه كذلك على نماذج من النشاط التنصيري المكثف الذي يجري هناك على قدم وساق، وتحدُثُ محاورات ولقاءات وندوات يشترك فيها بعض ذوي الاتجاهات الفكرية المريضة[1] والتي وفدت إلى تلك الديار في نطاق مؤامرات تحاك ضد الأمة الإسلامية لنشر سموم الانحراف العقدي في أوساطها.

وقد تعمق الإحساس لدى الباحث بموضوع هذا البحث أثناء اتصاله المباشر ببعض الدعاة والعلماء قادة بعض الجماعات المؤثرة على الساحة الدعوية في المنطقة، مثل: جماعة عباد الرحمن في السنغال، وجماعة أنصار الدين في مالي، وجماعة التوبة في غانا و.. إلخ، حيث اتضحت له بعد عدة لقاءات مع هؤلاء الدعاة أمران مهمَّان، مفادُهما :

الأمر الأول:

أن الدعوة الإسلامية قد قطعت شوطاً لا بأس به من الطريق، وحققت الكثير من النتائج، ولكنها في واقع الأمر تحتاج إلى التأصيل الشرعي للمناهج والخطط، لتكون حجتها أقوى، وبيانها أنصع بلغة عصرية واضحة، كما أنها بحاجة أيضاً إلى منهج نقدي إسلامي يتبنى الحوار، ويملك الشجاعة للاعتراف بالخطأ، والقدرة على التصحيح، ليكون التأصيل وهذا المنهج مرجعاً للدعاة يُرَبون عليه شباب الدعوة من الجيل الجديد، وليكون ذكرى للعاملين في الحقل الإسلامي على مختلف مشاربهم ومدارسهم؛ ورُبَّ كلمة مخلصة من جندي مجهول، يفتح الله لها القلوب، ويُعدِّل بها النفوس، ويصحِّح بها النيات.

---

(1) مثل الشيعة الإمامية والقاديانيين والصوفية وغيرهم من أصحاب الطرق الهدامة.

الأمر الثاني :

أن محاولة رسم منهج محدد المعالم لجهود العاملين ــ قديماً وحديثاً ــ في مجال الدعوة ونشر العقيدة الإسلامية في غربي إفريقية أمر في غاية الأهمية، إذ إن هناك من يرى أن الجهود التي بُذلت لنشر الإسلام والعقيدة الإسلامية في غربي إفريقية قديماً، لم تكن في غالبيتها تستند إلى الأصول التي اعتمدها سلف هذه الأمة، وإنما كانت تستند إلى ما يملي عليهم مشايخ الطرق الصوفية[1] بغية تسخير العوَّام واستخدامهم لمصالحهم الخاصة، بدعوى أنهم أهل الله وخاصته، فيجب على الناس جميعاً أن يخضعوا لهم، ويكونوا طوع أمرهم مهما كلفهم الأمر، كما تقول القاعدة المعروفة: «يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ، كالميِّت بين يدي الغاسل»، وإن لم يكونوا كذلك فهم مهددون بسلب الإيمان وسوء الخاتمة. يضاف إلى ذلك قيام بعض الجماعات تنسب نفسها إلى الإسلام، بنشاطات واسعة النطاق لبعث عقابيل الجهل والوثنية من مراقدها، تحت شعار "إحياء التقاليد الوطنية". فليس كل التقاليد الوطنية بنـزيهة، يُرحِّب الإسلام بها، كما أنه ليس جميعها بقبيح يحذِّر منها الإسلام. فأصبح من واجب الداعية أن يبيِّن للناس ما أُحل لهم وما حُرم عليهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة[2].

ورغبة من الباحث في الكشف عن الواقع العقدي في المنطقة، وبيان حجم الانحرافات العقدية التي تُعيق عملَ الدعاة والمصلحين في تلك البلاد ــ مع نقد الآراء والمواقف التي تحتاج إلى النقد في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رحمهم الله ــ فقد جاء عنوان هذه الدراسة: «**جهود علماء غربي إفريقية في تقرير العقيدة**" [عرضاً ونقداً]»، واضعاً نصب عيني الحيدة المطلقة، وعدم التعصب لفئة دون أخرى، ونصرة الحق أينما كان، دون تحامل أو تطاول[3]، بغية

---

(١) يقصد الباحث هنا بالصوفية تلك الفرق التي خرجت عن مدرسة الزهد التي كان عليها الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، وقد أخذت الصوفية تعاليمها عن المدارس الفلسفية اليونانية القديمة،حيث الالتفات إلى الكشف والمعرفة والحلول والاتحاد،وتكوين مدارس صوفية منها صارت لها أفكار ومفاهيم ومصطلحات وتعبيرات ومعتقدات غريبة عن الدين الصحيح، بعيدة عن الفكر الإسلامي المعتدل، مثل: عقيدة وحدة الوجود التي نادى بها محيي الدين ابن عربي، ومقولة الحلاج المقتول في الاتحاد، وآراء البسطامي في مقامات الأولياء وغيرها من الأفكار والاتجاهات الغريبة التي كان يروِّج لها الضالون المضلون. انظر: هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، د. علي بن إبراهيم النملة، (١٣٩)، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، آدم عبد الله الألوري، (ص ٢٣)، ط٢. مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٩م.

(٣) مما يفقد النقاش قدرته على التأثير والوصول إلى بسط الموضوع بسطاً علمياً مقبولاً.

تقريب وجهات النظر المتباينة قدر المستطاع؛ وذلك بياناً للحق، وتحذيراً من الانخراط أو التمادي في الباطل، ودعوةً لأصحاب الاتجاه الخاطئ ــ منها ــ بالعودة إلى الأصول الصحيحة للعقيدة الإسلامية، وصيانة للأمة من مسالك الانحراف؛ وذلك بالعرض الدقيق، والدراسة الهادفة من خلال نصوص الكتاب والسنة بإذن الله تعالى.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

أما عن أهمية هذا الموضوع، والأسباب التي دفعتني لاختياره، فيمكن حصرها فيما يلي:

١ ــ أن هذا البحث يكشف عن جهود العلماء والدعاة والحركات الإسلامية في غربي إفريقية في تقرير العقيدة، ومواجهة كافة أشكال الانحرافات العقدية في المنطقة.

٢ ــ أن هذا البحث يكشف عن التوجهات العقدية المنحرفة التي تواجه الدعاة في غربي إفريقية، ويساعد الدارسين والباحثين والعاملين في الحقل الإسلامي، على فهم الوضع العقدي فيها.

٣ ــ أن لهذا الموضوع أهمية كبرى في التعرف على جهاد العلماء الأفارقة ضد الانحرافات العقدية، إضافة إلى التعرف على الوسائل والأساليب التي استعملها هؤلاء العلماء في جهادهم ذلك، وهي وسائل تنفعنا حين نخوض التجربة مع أهل البدع.

٤ ــ أن غربي إفريقية والجهود المبذولة فيها لتقرير العقيدة، لم تحظ ــ حسب علم الباحث ــ بدراسة علمية معمقة، ويزيد اهتمامي بها أنني من سكان تلك الديار.

٥ ــ أن البحث في مثل هذا الموضوع والوقوف على دقائقه، سوف يُعين الباحث ــ إن شاء الله ــ على القيام بواجبه في تحمل أعباء الدعوة إلى الله، ونشر العقيدة الإسلامية الصافية بالحكمة والموعظة الحسنة في ربوع البلاد.

مشكلة البحث :

بالرغم من أن المؤرخين المسلمين أمثال:ابن خلدون[١]،والسعدي[٢]، والبكري[٣]،وابن بطوطة[٤]،والقاضي الفع محمود كعت[٥]،والإدريسي[٦]، والتونسي[٧]،وغيرهم[٨]،قد تناولوا في مؤلفاتهم قدراً كبيراً من أخبار العلماء وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام في غربي إفريقية، فإن كماً كبيراً من حقيقة تلك الجهود لا يزال مجهولاً في عمومه وتفاصيله لدى كثير من الدارسين والباحثين في العالم الإسلامي. إذ يرى البعض[٩] أن الدعاة من أصحاب الطرق الصوفية كان لهم دور بارز في ميدان الدعوة إلى الإسلام، وأن الإسلام لم ينتشر في غربي إفريقية إلا بجهودهم فقط [١٠]. بينما يرى الآخر[١١] أن هؤلاء الدعاة إنما كانوا ــ في الغالب ــ يدعون الناس إلى عبادة مشايخهم وأقطابهم، وصرفوا الناس عن المفهوم الصحيح للإسلام[١٢]. الأمر الذي يحتم على الدارسين من أبناء المنطقة في الجامعات الإسلامية وغيرها أن يعنوا بإبراز الواقع العقدي في غربي إفريقية بين عقيدة السلف والانحرافات العقدية، مع تقويم ما يحتاج إلى تقويم من أقوال هؤلاء الدعاة وآرائهم ــ أفراداً وجماعات ــ في ضوء عقيدة السلف رحمهم الله.

---

(١) انظر: التعريف بابن خلدون، تحقيق محمد الطنجي، لجنة التأليف والترجمة، (ص ٧٤)، القاهرة،١٩٥١م.

(٢) انظر: تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، (ص ٢١٣ــ٢١٤)، مطبعة بردين أنجــي (فرنسا)، ١٤٠١هــ/١٩٨٠م.

(٣) انظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، راندوم، (ص ١١٢) الجزائر، ١٨٥٧م.

(٤) انظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعـــروف بـــابن بطوطة، (ص ١٤٢ــ١٤٣)، ط٣، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٧هــ.

(٥) انظر: تاريخ الفتاش، نشر هوداس ودلافوس، (ص ٤٤١)، مطبعة بردين، باريس، ١٩١٣م.

(٦) انظر: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (ص ٢٤٥)، ليدن، ١٨٩٤م.

(٧) انظر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان، تحقيق خليل عساكر وآخرون، (ص ٤٤)، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٨) مثل: ديفدسون بازل، في كتابه: إفريقية القديمة تكتشف من جديد، ترجمة: نبيل بدر وسعد زغلول، (ص ١٤١)، دار القومية للطباعة والنشر، والديانات في إفريقية السوداء، هوبير ديشان،(ص ٤٤)، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م، والحضارات الإفريقية، دنير بولم، (ص ١٤١)، ط. عويدات، ١٩٧٤م... إلخ.

(٩) وهم الدعاة من أصحاب الاتجاهات المنتمية إلى الطرقية من علماء الأشاعرة والماتريديين وغيرهم.

(١٠) انظر: أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، محمد أمان الجامي، (ص ٢٣٢)، المكتب الإسلامي، د.ت.

(١١) وهم الدعاة من أصحاب الاتجاهات السلفية (الإصلاحية) في المنطقة.

(١٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٢٣٢ــ٢٣٣).

أهداف البحث :

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز النقاط التالية:

١ ـــ بيان الجهود التي يبذلها العلماء والدعاة والجماعات الدعوية في غربي إفريقية في تقرير العقيدة الإسلامية.

٢ ـــ بيان حجم الانحرافات العقدية التي تواجه العلماء والدعاة والجماعات الدعوية في غربي إفريقية، وجهودهم في محاربتها على ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح رحمهم الله.

٤ ـــ كشف جوانب من الفرق المبتدعة في غربي إفريقية، وبيان ماهية الوسائل والأساليب التي يستخدمها العلماء والدعاة في التعامل معهم على ضوء الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله .

أسئلة البحث :

سوف يجيب البحث عن مجموعة من التساؤلات التالية:

١ ـــ ما الجهود التي يبذلها العلماء والدعاة والجماعات الدعوية في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية؟ وما أهمية ذلك في نشر المعتقد الصحيح؟

٢ ـــ ما حجم الانحرافات العقدية التي تواجه الدعاة والعلماء والجماعات الدعوية في غربي إفريقية؟ وما جهود العلماء والجماعات الدعوية في محاربتها على ضوء الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله؟

٣ ـــ ما أشهر الفرق المبتدعة في غربي إفريقية؟ وكيف يتم التعامل معهم على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رحمهم الله؟ ما وضع العلماء والدعاة والجماعات الدعوية في ميزان الكتاب والسنة؟.

حدود البحث :

سيكون هذا البحث ــ بإذن الله ــ محدوداً في المناطق التي انتشر فيها الإسلام في غربي إفريقية والتي تمثل إقليماً واحداً فيما قبل وصول الاستعمار الأوروبي(١)، وهي البلدان الواقعة بين المحيط الأطلسي غرباً، ونهاية الغابات الاستوائية جنوباً، وهي المنطقة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية المنحصرة حالياً بين مالي، والسنغال، ونيجيريا، وغانا، وساحل العاج وغيرها؛ وكلها بلاد إسلامية معروفة الآن بهذه الأسماء(٢)، بعد أن فصل الاستعمار بين أجزائها بحدود سياسية وهمية، كان لها كبير الأثر في إضعاف قوة المسلمين، وتوهين شوكتهم(٣).

ومن الناحية الزمنية: سيكون البحث محدوداً خلال الفترة من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وحتى الآن، لكونها أكثر ملامسة للفترات التي برزت فيها جهود العلماء والدعاة ــ سواء كانوا أفراداً أو جماعات ــ في نشر الإسلام والدعوة إليه في ربوع المنطقة بصورة أوسع.

منهج البحث :

سيسلك الباحث ــ بعون الله وتوفيقه ــ المنهج الوصفي التحليلي(٤)، حيث سيصف مع التحليل الواقع العقدي في المنطقة، بين عقيدة السلف والانحرافات العقدية المنتشرة فيها؛ مع نقد ما يحتاج إلى ذلك نقداً علمياً موضوعياً.

---

(١) قد لا يُرضي بعض الباحثين مصطلحُ الاستعمار، ويفضل المصطلح البديل: الاحتلال أو الاستخراب أو الاستدمار، أو الاستغراب وهو نقيض الاستعمار؛ لأنه يعبر عن الحال التي جثم فيها أوروبا على إفريقية، فلم يعمرها ولم يتركها لتقرر مصيرها بنفسها. وإنما سعى ــ ولا يزال ــ إلى هدمها وخرابها بل والقضاء عليها ثقافياً وسياسياً واقتصاديا ... إلخ. انظر: الشرق والغرب: منطلقات العلاقة ومحدداتها،د. علي بن إبراهيم النملة(ص ١١٥)ط٣، مؤسسة بيسان،بيروت،١٤٣١هـ.

(٢) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، آدم عبد الله الألوري، (ص ٧)، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

(٣) انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية، أبوبكر محمد عبد الله المعافري، (ص ١٤)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٤) انظر: بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، سمير حسين، (ص ١١٠)، ط١. عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

الدراسات السابقة:

بعد التحري والبحث في قوائم الرسائل الجامعية، والبحوث العلمية المسَّجلة في جامعات المملكة وغيرها، والمواقع الإلكترونية، إضافة إلى المراجعة المتكررة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، لم أجد رسالة علمية، أو بحثاً مختصاً عن جهود علماء غربي إفريقية ــ أفراداً أو جماعات ــ إذ كان أغلب ما وجدته، عبارة عن مقالات متناثرة هنا وهناك، وليس لها تعلق بفكرة هذا البحث بصورة مباشرة.

فقد اطلعت على استطلاع لمجلة "الأمة" القطرية، تتحدث عن دور حركة الفلاح السلفية في نشر العقيدة الإسلامية واللغة العربية في السنغال، و لم يتطرق هذا الاستطلاع إلى أماكن أخرى في غربي إفريقية.

كذلك اطلعت على دراسة غير منشورة، بعنوان "الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا" للباحث: محمد إبراهيم محمد، وهي رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١٥هـ. تعرض فيها الباحث بتعريف مختصر لدور العلماء والدعاة وبعض الجماعات الدعوية في نشر الإسلام في المنطقة، مثل: جماعة أهل التوبة، وجماعة أهل السنة وغيرهم، و لم يتطرق بالحديث عن دورهم ووسائلهم في نشر العقيدة بصورة مفصلة، وكذلك الاتجاهات العقدية التي ينطلقون منها للرد على المخالفين.

أما هذه الدراسة التي نحن بصددها، فسوف تتناول بالوصف والتحليل جهود العلماء والدعاة والجماعات الدعوية في غربي إفريقية، في دعوة الناس إلى الكتاب والسنة، ونشر العقيدة الإسلامية الصافية، و عرض الآراء والاتجاهات العقدية التي ينطلقون منها في محاربة الانحرافات العقدية، ونقد ما يحتاج إلى ذلك نقداً علمياً موضوعياً في ضوء الكتاب والسنة، ووفق فهم السلف رحمهم الله.

إجراءات البحث:

سيقوم هذا البحث ــ بعون الله ــ على جملة من الإجراءات التي تضبط مساره، وتتمثل في الآتي:

ــ قراءة ما ييسره الله تعالى من كتب ومقالات تُبين اتجاه علماء غربي إفريقية في مسائل الاعتقاد، وذلك لاستخراج ما يتعلق بمنهجهم ومواقفهم تجاه تلك المسائل، مع مقارنة ذلك بأقوال أهل السنة والجماعة لتقويم ما خالف فيه، وإثبات ما وافق الحق به.

ــ دراسة دور علماء غربي إفريقية في ميدان نشر العقيدة الإسلامية، ومحاربة الانحرافات العقدية، وتقويم ما يحتاج إلى تقويم من أقوالهم وآرائهم وكتاباتهم في ضوء معتقد السلف. وقد يتطلب إنجاز ذلك القيام ببعض رحلات علمية إلى مناطق مختلفة في غربي إفريقية لجمع المادة العلمية، والحصول على مصادر ومراجع ضرورية للبحث.

ــ دراسة دور الجماعات الدعوية في غربي إفريقية في مجال نشر العقيدة، ومحاربة الانحرافات العقدية، وتقويم ما يحتاج إلى تقويم من آرائهم واتجاهاتهم في ضوء معتقد السلف.

ــ الاعتماد على المواقع الالكترونية لبعض الجماعات الدعوية، مثل جماعة عباد الرحمن، وحركة الفلاح وغيرهم، وذلك لدراسة مواقفهم تجاه مسائل العقيدة، وردودهم على المخالفين.

ــ تقسيم المادة العلمية المتوفرة على أبواب، وفصول، ومباحث للدراسة.

ــ ذكر بعض الأمثلة التطبيقية لبيان موقف العلماء من المخالف، والرد على مواطن الخلل في ذلك على ضوء الكتاب والسنة.

ــ اعتماد الطرق العلمية المعروفة في البحث العلمي من عزوٍ للآيات، وتخريج للأحاديث والآثار، والحكم على أسانيدها من قبل جهابذة هذا الفنِّ؛ وتوثيق للنصوص المنقولة، ونحو ذلك.

تقسيم الدراسة:

قسمتُ هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة: فقد احتوت على ما يلي:

١ ـــ أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢ ـــ التعريف بمشكلة البحث.

٣ ـــ أهداف البحث.

٤ ـــ أسئلة البحث.

٥ ـــ حدودَ البحث.

٦ ـــ منهج البحث.

٧ ـــ الدراسات السابقة.

٨ ـــ إجراءات البحث.

٩ ـــ تقسيم البحث.

١٠ ـــ شكر وتقدير.

وأما التمهيد : **فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: مدلول "غربي إفريقية" وشعوبها.

المبحث الثاني : لمحة تاريخية عن الإسلام وانتشاره في غربي إفريقية.

المبحث الثالث: الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في غربي إفريقية، وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية.

وأما الباب الأول :

فقد خصصته بـــ "الواقع العقدي في غربي إفريقية بين عقيدة السلف والانحرافات العقدية"، وتحته فصلان:

الفصل الأول : مجمل عقيدة السلف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج السلف في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: عقيدة السلف إجمالاً في سائر أبواب العقيدة.

المبحث الثالث: جهود السلف في حماية جناب العقيدة.

المبحث الرابع: ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومصنفاتهم في بيان العقيدة وتقريرها.

الفصل الثاني : مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الأول: بداية ظهور الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الثاني: أسباب انتشار الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الثالث: مظاهر الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

وأما الباب الثاني :

فخصصته بـــ " جهود العلماء والجماعات الدعوية في تقرير المسائل العقدية" في غربي إفريقية، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: علماء غربي إفريقية وجهودهم في تقرير مسائل العقيدة، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة علماء غربي إفريقية.

المبحث الثاني: منهج علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثالث: جهود علماء غربي إفريقية في الدعوة لتقرير مسائل العقيدة.

المبحث الرابع: جهود علماء غربي إفريقية في التحذير من الشرك.

المبحث الخامس: جهود علماء غربي إفريقية في محاربة مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية.

الفصل الثاني: وسائل علماء غربي إفريقية وأساليبهم في تقرير مسائل العقيدة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : وسائل علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني : أساليب علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثالث: الجماعات الدعوية في غربي إفريقية وجهودهم في تقرير مسائل العقيدة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وجهودها في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني: حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية وجهودها في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الرابع: وسائل الجماعات الدعوية في غربي إفريقية وأساليبهم في تقرير مسائل العقيــــدة، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: وسائل جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني: وسائل حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة.

وأما الباب الثالث :

فخصصته بـــ "تقويم الجهود الدعوية المبذولة لتقرير المسائل العقديـــة في غـــربي إفريقية في ضوء عقيدة السلف"، وفيه فصلان:

الفصل الأول: تقويم جهود علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: تقويم جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله.

المبحث الثاني: تقويم جهود الشيخ آدمَ بن عبد الله الألوري رحمه الله.

الفصل الثاني: تقويم جهود الجماعات الدعوية في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: تقويم جهود جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة.

المبحث الثاني: تقويم جهود حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية.

وفي الخاتمة، عرضتُ بعضَ النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة، وضمنتها ببعض التوصيات والمقترحات التي ارتأيتُ أهميتها، وتمنياتي بتحقيق ما فيها، ثم زيلتُ البحث بفهارس، لتيسير الاستفادة منه، وهي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس محتويات الرسالة.

شكر وتقدير

وفي الختام، فإنني أشكر الله تعالى على تيسيره وتوفيقه لي على إتمام هذا العمل. كما أشكر جامعة الملك سعود ممثلة في قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية، وجميع المسؤولين، والعلماء والمشايخ فيها، على ما يقدمونه من خدمة ورعاية للعلم وأهله، وإحياءِ تراثِ سلفنا الصالح، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبد الله السحيم، الذي أُسند إليه الإشراف على هذه الرسالة، فسعدتُ بتوجيهاته السديدة خلال فترة إشرافه، التي انقطعت بسبب انشغاله في مهمّة إدارية خارج الجامعة، والشكر الجزيل، والدعاء الخالص، موصول لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سليمان بن قاسم العيد، الذي استقر إليه الإشراف على هذه الرسالة، فأشكره على ما أولاني به من رعاية ومودة، وقد أخذتُ من توجيهاته السديدة، وملاحظاته النافعة، واستدراكاته القيمة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على هذا العمل، فالشكر له موصول غير مقطوع، والتقدير له ممدود غير مجذوذ.

كما أتقدم بالشكر الجزيل، للشيخين الفاضلين: فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ حسن بن حسن كامل، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإعطاء الكثير من وقتهما وراحتهما لقراءة الرسالة، فجزاهما الله خير الجزاء.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان لمركز البحوث بكلية التربية، على دعمهم لي أثناء البحث، وكذلك أشكر كل من ساعدني في هذا العمل، سواء بإشارة أو عبارة أو مقابلة أو توفير كتاب، فجزى الله الجميع كل خير، وأجزل لهم الأجر والمثوبة.

وفي الختام، أحمد الله تعالى أن وفقني وأعانني على إنجاز هذا العمل، الذي أتقرب به إليه سبحانه وتعالى، رجاء ثوابه، وابتغاء مرضاته، على ما فيه من ضعف البشر، وقصر النظر، وقلة العلم، فما كان فيه من صواب وتسديد فهو من توفيق الله تعالى وفضله ومنته عليّ، وإن كان سوى ذلك فمن نفسي وأستعفيه من الخطأ والزلل، إنه ولي العصمة والتوفيق، وبيده الهداية والتسديد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

نبذة عن غربي إفريقية، وكيفية وصول الإسلام إليها

المبحث الأول: مدلول "غربي إفريقية" وشعوبها.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن الإسلام وانتشاره في غربي إفريقية.

المبحث الثالث: الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في غربي إفريقية، وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية.

المبحث الأول

مدلول "غربي إفريقية" وشعوبها

المطلب الأول: مدلول "غربي إفريقية" [Afrique Occidentale]

عُرفت غربي إفريقية في عهدها القديم بأنها أرض السود، أرض الذهب، أرض الرقيق. كما اشتهرت عند العرب ببلاد التّكرور[١]، ثم السّودان الغربي قبيل الاحتلال الأوروبي. من أهمّ ممالكها: مملكة التّكرور، ومملكة غانا القديمة والإسلامية، ثمّ مملكة مالي الإسلامية، فمملكة سنغي الإسلامية، ثم مملكة كانم (برنو)، والخلافة العثمانية في سوكوتو، والدولة العمرية في غينيا ومالي، وسلطات الطوارق والعرب في شمال مالي والنيجر، ومملكة أشانتي ويوروبا في الجنوب وغيرها[٢].

وقد قامت الدول الأوروبية الامبريالية في القرن التاسع عشر الميلادي ـــ بعد مؤتمر برلين الشهير عام (١٨٨٤ـــ١٨٨٥)م ـــ بتقسيم القارة الإفريقية على أساس نوع الإقليم الطبيعي[٣]، فظهر مصطلح (غربي إفريقية Afrique Occidentale) لأول مرة؛ حيث أطلقه المستعمرون الأوروبيون على سكان الإقليم الغربي من السودان. ثمّ فرقوا بين أجزائها، وحدّدوها تحديداً رسمياً، واخترعوا لكلّ منها اسماً خاصاً، وهي: السنغال، ومالي، وكوت ديفوار (ساحل العاج)، وغامبيا، وموريتانيا، وغينيا، وسيراليون، وليبريا، وغانا، وبوركينافاسو، وتوجو، وبنين، والنّيجر، ونيجيريا، والكامرون، وغابون، والنيجر، ونيجيريا، وتشاد ... إلخ[٤].

---

(١) يقول الشيخ محمد بللو : « ... هو عَلَمٌ على إقليم السودان الغربي، على ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ والنقول. وهـــذا الاسم (التكرور) هو الشائع في الحرمين ومصر والحبشة وغيرها. انظر: إنفاق الميسور في ذكر تاريخ بلاد التكرور، محمد بللو، (ص ٥)، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م.

(٢) انظر: Peuple d'Afrique Noire, Anthony Atmore, Edition Atlas, Paris, 1980, p. 7-8 .

(٣) للاستحواذ على الثروات الطبيعية التي تذخر بها هذه المنطقة،إضافة إلى الدوافع التنصيرية الاحتلالية التي سبقت أو (تلت) هذه الرحلات الاستكشافية. انظر: التنصير في المراجع العربية، د. علي بن إبراهيم النملة، (ص ٧٤)، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـــ.

(٤) انظر: جغرافية إفريقية، فتحي محمد أبو عيانة، (ص ٢١٩)، ط١، دار المعرفة الجامعية، بيروت، د.ت.

وتمتدُ غربي إفريقية اليوم من ساحل المحيط الأطلسي بموريتانيا والسنغال غرباً، حتى بحيرة تشاد وجبال الكامرون في الشرق، وهي موزّعة إلى أكثر من خمس عشرة دولة، بعضها ساحلية، وبعضها نصف صحراوية [1]. كما تضمُ جزر رأس الأخضر[2].

وتتسمُ منطقة غربي إفريقية بوجود الطّرق المتعدّدة الموصلة إليها منذ زمنٍ بعيدٍ، الشيء الّذي جعل النّاس يهاجرون إليها من كل حدب وصوب على حسب أصولهم العرقية « فقد ظهر التّجار العرب منذ النّصف الثّاني من القرن الثّامن الميلادي، وزاد نفوذهم بعد غزو المرابطين لمملكة غانا سنة (٤٧٩هـ/١٠٧٧م). وكانت تلك الفترة المعاصرة للعصور الوسطى في أوروبا، وهي فترة ازدهار طرق التّجارة الصّحراوية من منتصف القرن (٧هـ/١٣م) إلى نهاية القرن (١٠هـ/١٦م)، حيث شهدت هذه الفترة بالذات، طلباً مُلحاً على منتجات[3] غربي إفريقية من جانب أوروبا، وإفريقية الشّمالية»[4].

ونتيجة لهذه الصِّلات السِّلمية اتّسع نطاق التّجارة، وزادت الهجرة، فاتصل التّجار بالوطنيين وخالطوهم، وكثرت المصاهرة، وانتشر الإسلام بين شعوب المنطقة وقبائلها المعروفة، مثل: قبائل الولوف، والتّكرور، والسّوننكى، والدّيولا، والبمبارا، والسنغى، والماندي، والفلاتا، والهوسا، والساراكولي وغيرهم[5].

---

(١) انظر: Peuples d'Afrique Noire, op. cit, p.8.

(٢) انظر: Dictionnaire de l'Afrique , Histoire, Civilisation, Actualite, Bernard nantet, Larousse, Paris, 2006,P.12-13.

(٣) وكانت منتجات غربي إفريقية يومها تعتمد على الذهب، والعاج، والملح، والتوابل والبهارات.

(٤) الإسلام في غرب أفريقيا، عثمان عبد السّلام الثّقافي، (ص٢)، ط١، مطبعة مدرسة سراج العلوم الإسلامية أوودي بالورن،١٩٩٣م؛ وانظر: روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نبعت فيها من المملكات، مصطفى زغلول السّنوسي، (ص ١١٢)، ط١، مطابع الشّرق الأوسط، الرّياض،١٤١١هـ.

(٥) انظر: الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق (ص ١٥ـ١٦).

المطلب الثاني

شعوب غربي إفريقية ولغاهم

تشير بعض الدراسات التاريخية الحديثة، إلى أن الشعوب الأصلية الموجودة حالياً في مختلف مناطق غربي إفريقية، يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات أساسية، هي: مجموعة شعوب منطقة سفانا الغربية (Savane Occidentale)، ومجموعة شعوب سفانا الوسطى (Savane Centrale)، ومجموعة الشعوب التي تقطن منطقة الغابات الاستوائية [١].

وتستخدم هذه المجموعات عشرات اللغات تختلف عن بعضها، لذا فإنها تتخذ اللغة المادنكية (ديولا) ،أو الفولاتا، أو الهوسا أو غيرها[٢] لغة تخاطب فيما بينها، على الرغم من وجود لغة المستعمر التي فرضت قسراً على شعوب المنطقة بعد تقسيمها إلى مجموعتين: الأنجلوفونية[٣]، والفرنكوفونية[٤]، وجعلها لغة الثقافة والتعامل الإداري في دوائر الدولة الرسمية.

---

(١) انظر: Dictionnaire de l'Afrique, op. cit. P. 12.

(٢) من اللغات التجارية القديمة التي عمت كل أرجاء المنطقة ولا تزال، وقد صمدت أمام كل محاولات الاستعمار الرامية إلى طمسها ومحوها من ذاكرة شعوب المنطقة، ولكن دون جدوى. انظر: مجلة قراءات إفريقية (ص ١٩٤) عدد ١، رمضان، ١٤٢٥هـ.

(٣) هي مجموعة الدول التي كانت تحت الاستعمار الإنجليزي سابقاً، وتتعامل مع اللغة الإنجليزية ــ حالياً ــ كلغة رسمية، منها: غانا، ونيجيريا، وسيراليون، وغامبيا، وليبريا، وأجزاء من كامرون، وغيرها.

(٤) هي مجموعة الدول التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي سابقاً، وتتعامل مع اللغة الفرنسية ــ حالياً ــ كلغة رسمية، منها: ساحل العاج، ومالي، والسنغال، وتوجو،وبنين، وغينيا، وغابون، وموريتانيا،وإفريقيا الوسطى،وأجزاء من موريتانيا وغيرها.

المبحث الثاني

لمحة تاريخية عن الإسلام وانتشاره في غربي إفريقية

المطلب الأول

دخول الإسلام في غربي إفريقية

يُرجِّح المؤرخون على أن القارة الإفريقية، هي أولى قارات العالم التي حظيت بدخول الإسلام إليها بعد ظهوره في الجزيرة العربية، وذلك على عهد رسول الله ﷺ، حينما أرسل وفداً من المهاجرين في دفعتين[1] إلى ملك عادل في الحبشة[2] يقال له النجاشي[3]. ثم بدأت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، حيث فتحت مصر، ثم استمر الفتح الإسلامي ليشمل شمال إفريقية.

وبعد أن تمكن الإسلام في شمال إفريقية، بدأ ينطلق عبر الصحراء الكبرى، حتى وصل إلى منطقة السودان الغربي، المسمى اليوم بغربي إفريقية، وذلك في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، على يد عقبة بن نافع التابعي الجليل الذي فتح منطقة فزان، ثم واصل فتوحاته إلى كوار في شمال شرقي النيجر، المتاخمة مع مملكة غانا القديمة، يؤيِّد ذلك ما ذكره الشيخ أحمد بابا

---

(١) وكان عدد المهاجرين الأوائل إلى الحبشة حوالي اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ (رضي الله عنهما)، ثم تتابع المسلمون في الهجرة الثانية حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً، وتسع عشرة امرأة على أرجح الأقوال. انظر: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: نخبة من العلماء، (١/٣٤٣)، و(١/٣٥٨،و ٣٥٩، ٣٧٥)، دار الفكر، القاهرة، د.ت. وانظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (٢/٧٧)، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ومختصر السيرة النبوية، محمد ين سلمان التميمي، (ص ٨٠ـ٨١)، دار السلام، الرياض، د.ت.

(٢) كما في قوله ﷺ: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه** ...». انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد أبو عبد الله بن سعد بن منيع،(١/٢٠٤)، دار صادر، بيروت، و السيرة النبوية لابن هشام، المرجع السابق (١/٣٧٥).

(٣) واسمه هو: أصحمة بن أبجر، ويُعد من الصحابة رضي الله عنهم على أرجح الأقوال، توفي ﷺ في حياة الرسول ﷺ، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٢٨ـ٤٤٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

التنبكتي (ت:١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)[1] رحمه الله بأنه:«... لم يكد يمضي عام (٦٠هـ/٦٧٩م) حتى كان في كومبي صالح عاصمة مملكة "غانا" اثنا عشر مسجداً»[2]. وقبله ذكر البكري وجود هذا العدد في الجزء الذي يسكنه المسلمون من المدينة، ولهم فيها أئمة وفقهاء وطلبة العلم؛ كما أن في مدينة الملك مسجداً يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكمه[3].

ولما دخل الإسلام في غربي إفريقية، ودان به كثير من أقاليمها ومدنها، عمل أمراؤها وملوكها بالشريعة الإسلامية. وكان للعلماء والفقهاء دور عظيم في دعوة الناس إلى الإسلام، وفي بيان حكم اللّه ورسوله ﷺ فيما يصدر للناس في حياتهم اليومية. وكان على كلّ إقليم أو مدينة إسلامية ملك أو أمير، يحمل اسماً أو لقباً يُميزه عن غيره؛ مثل: الماي لأهالي (برنو)، ومنسا لأهالي (مالي)، و زا، وساني، وأسكيا لأهالي (سنغي)، وساركي لأهالي (هوسا) ... وهكذا.

كما تلقب بعضهم بأمير المؤمنين، وأول من تلقب بذلك في غربي إفريقية، هو: محمد أسكيا الكبير. وتلقب الشيخ عثمان بن فودي وخلفاؤه رحمهم الله بأمير المسلمين. وكان لهم أمراء في الأقاليم على نحو ما كان للخلفاء من الولاة والحكام في عهد الخلافة الراشدة في المشرق الإسلامي. ولكل أمير في إقليمه وزير للدولة، وقائد للجنود، والإمام للصلاة، وقاضي القضاة، وكبار العلماء، وكبار الجند، وعمال الولايات ... إلخ[4]؛ كل ذلك يُبين لنا بوضوح، أن الإسلام قديمٌ ومتأصِّلٌ في السودان الغربي[5].

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو: كيف انتشر الإسلام في المنطقة؟ وما هي أهم الأسباب التي ساعدت على اعتناق الكثير من الأفارقة لدين الإسلام؟ هذا ما سيتعرض له الباحث في السطور التالية.

---

(١) هو أحمد بابا بن الحاج بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، اجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، تتلمذ على يديه خلق كثير من أبناء إفريقية وغيرهم. له مؤلفات عدة تجاوزت الأربعين، أهمها: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، انظر: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، أبو العباس أحمد بابا التنبكتي،(١٤ـ١٦)، دار ابن حزيمة، ٢٠٠٥م.

(٢) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المرجع السابق (ص ١٧٤ـ١٧٥).

(٣) انظر: المرجع والصفحة نفسيهما.

(٤) انظر: انتشار الإسلام في أفريقيا، يوسف فضل، (ص ١٦ـ١٧)، دار جامعة الخرطوم للنّشر، ١٩٧٩م.

(٥) انظر: المرجع نفسه (ص ٥٨).

المطلب الثاني

انتشار الإسلام في غربي إفريقية

من المتفق عليه بين الباحثين، هو: أن العقيدة الإسلامية دخلت وانتشرت في إفريقية عامة عن طريق الفتح الإسلامي لشمال إفريقية، ولكنها تسربت من الشمال إلى الجنوب باتجاه غربي إفريقية تسرباً سلمياً في غالبه، ذلك لأن المعارك التي كانت تقودها سلاطين الممالك الإسلامية التي قامت في المنطقة[1]، لم تؤد إلى انتشار العقيدة الإسلامية بصورة مرضية، لأن أغلب هذه الحروب ـــ حسب رأي الباحث المتواضع ـــ لم تكن في غالبها تهدف إلى دعوة الوثنيين إلى الإسلام، بقدر ما كانت تهدف لأغراض توسعية بغية السيطرة، وتوسيع دائرة نفوذ المملكة سياسياً واقتصادياً. ويدل على ذلك بقاء مدن و قرى كثيرة على وثنيتها رغم سيطرة تلك الممالك الإسلامية عليها لفترات طويلة[2]، و لم تعتنق بعض رعاياها ـــ وهم قلة ـــ الإسلام إلا في وقت متأخر جداً على يد أفراد من التجار والدعاة والمهاجرين وغيرهم، ممن استقر بهم المقام في بلاد السودان الغربي، وذلك نظراً لما كان يتمتع به هؤلاء المسلمين من أخلاق إسلامية سامية، وصفات عالية، جعلت قلوب كثير من هؤلاء الأفارقة، تلين لقبول الحق، وتميل إلى العقيدة الإسلامية عن رضى واقتناع وطواعية[3]. و لعل من أبرز عوامل انتشار الإسلام وبقائه في غربي إفريقية، ما يلي:

---

(١) كما كان الحال في مملكة غانا، ومالي، وسنغي وغيرها من الممالك والسلطنات الإسلامية التي قامت في المنطقة.

(٢) ولا تزال بعض تلك الأسر الوثنية على دين أسلافها حتى يوم الناس هـــذا،مثل:بمبارة،وموسي،وغروسي،وســـرير،وبوشمان، وأشانتي،وباولي وغيرهم كثير ممن يفتخرون بتمسكهم بنهج الآباء والأجداد؛على الرغم من كون أغلبيـــة ســـكان المنطقـــة مسلمين.

(٣) وفي هذا رد صريح على بعض أولئك المستشرقين الذين يزعمون ـــ زوراً وبهتاناً ـــ أن الإسلام إنما انتشر في إفريقية جنوب الصحراء بالعنف والقوة وحدِّ السيف، وأن الفاتحين العرب أجبروا الأفارقة على اعتناقه، يقول في هذا الـــصدد المستـــشرق البريطاني بريفي (Brevie): «إن الإسلام قد فرض على السود، إذ لم يختاروه عن طواعية منهم، وإنما فرض عليهم بـــالقوة والبطش، سواء أكان ذلك بعد فتوحات البربر المسلمين في الصحراء، أم كان بين الملوك الذين كانوا يقهرونهم على اعتناقـــه ...». انظر: المسلمون في السنغال "معالم الحاضر وآفاق المستقبل"، عبد القادر سيلا، (ص ٨٦)، كتـــاب سلـــسلة الأمـــة، الدوحة، قطر ١٤٠٦هـــ، والاستشراق: تاريخه وأهدافه، أحمد شلبي، (ص ٢١٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

أ ـ القوافل التجارية:

قد لا يحتاج الباحث إلى أدلة كثيرة، ليثبت دور التجار في نشر العقيدة الإسلامية في غربي إفريقية، ذلك أن المنطقة كانت ترتبط بشمال إفريقية بروابط وثيقة اجتماعياً واقتصادياً وتجارياً قبل ظهور الإسلام. وهذه الوشائج لم تنقطع بتعاقب الأزمنة والعصور، بل توثقت بظهور الإسلام وانتشاره في المنطقة عبر الفتوحات، وعبر الطرق التجارية المعروفة.

وقد عمل التجار منذ أن توطّد عرى الإسلام في الشمال الإفريقي على نشره في غربي إفريقية، وقد كبر هذا الدور خلال الفترة التي شهدت قيام مملكتي مالي وسنغي الإسلاميتين،اللتين بسطتا نفوذهما على معظم الطرق التجارية الوافدة من الشمال الإفريقي، والمتجهة صوب الجنوب، يقول ابن حوقل:«عرف العرب التجارة مع إفريقية منذ أمد بعيد، ولما ظهر الإسلام وأصبح التاجر مسلماً، زاد النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها ...؛ فقد عني المسلمون بالطرق والأمن وحدود المكاييل والموازين والمقاييس، وأشاع التاجر المسلم حوله جواً من الثقة، فوجد ترحاباً أينما حلَّ، وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامي بما يحمله من مدنية وحضارة ... فهيأ ذلك للإسلام فرصة الانتشار مع التُّجار»[1].

وهكذا، كان التاجر المسلم يجمع بين مزاولة مهنة التجارة، والدعوة لنشر العقيدة الإسلامية [2]. فكان يجذب المدعوين بسلوكه الحسن، والتزامه بشعائر دينه، مما أثار إعجاب الناس حوله في كل مكان، كما أن طبيعة عمله جعلت اتصاله بالناس سهلاً وميسراً، ولا غرو في ذلك لأن التاجر المسلم مقيَّد في تعامله مع الناس في البيع والشراء، بتوجيهات ربانية سديدة، تقود خطاه إلى كل خير، وتبعده عن كل شر، كمثل قوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[4]، وقول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «**من غشنا فليس منا**»[5]، وهكذا.

---

(١) صورة الأرض، لابن حوقل أبو القاسم النصيب،(ص ٩٩)، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

(٢) انظر: الثقافة العربية الإسلامية، في السودان الغربي، عمر صالح،(ص ٥٠)، ط١، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٥.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/٢٩١)، رقم (٢٧٩).

ولما جاء القرن (٤هـ/١٠م)، كان النشاط التجاري لبلاد شمال إفريقية مع غربها قد بلغ الذروة، إذ هاجر كثير من المسلمين من وادي النيل، ومن بلاد المغرب والأندلس، إلى بلاد غربي إفريقية، واشتغل معظم هؤلاء بالتجارة، فأثروا ثراءً واسعاً، وتمكنوا من السيطرة على زمام الحركة الاقتصادية «فكانت أيامهم، أيام دعة، ورفاهية، وعافية، ورخاء، وأمن ...»(١)، وأصبحوا يحتكرون الاتصال التجاري بداخل إفريقية، وما وراء سواحل البحر الأبيض المتوسط (٢).

والجدير بالإشارة إلى أن دور التجار المحليين الذين اعتنقوا الإسلام من قبائل الهوسا، والفلاتا، والديولا، والماندي وغيرهم، لم يكن أقل شأناً عن دور التجار الوافدين في نشر الإسلام بين شعوب المنطقة، حيث كان يتعرف غير المسلم ــ مع تجار الديولا ــ على الإسلام عن طريق الحوار، وأثناء المساومات الطويلة في البيع والشراء(٣). ولا يزال الديولا ــ حتى يومنا هذا مع نشاطهم التجاري ــ يجوبون أرجاء غربي إفريقية، ويتصلون بشعوبها عن طريق تجارة ثمرة الكولا (غُورو)، والملح وغيرها (٤).

وهكذا، ارتبطت الدعوة الإسلامية في المنطقة ارتباطاً وثيقاً بالتجار، فقد انتشرت في كل مكان حلَّ فيه هؤلاء التجار المسلمون، حتى إن بعض الكتَّاب الغربيين قد أذهلتهم هذه الظاهرة، فوصفوها بالغرابة، لكن عندما يُعرف السبب، يُبطل العجب، «ذلك أن التاجر المسلم، كان لا يفارقه الداعية والفقيه المتجوِّل»(٥)، إنهما كانا يمثلان ــ حقاً ــ شخصاً واحداً، ويصعب التفريق بينهما بحال من الأحوال.

---

(١) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أبو الحسن علي بن عبد الله، المعروف بابن أبي زرع،(ص ١٦٧)، دون ذكر الناشر.

(٢) انظر: إفريقية تحت أضواء جديدة، باذل دافدسون، (ص ١٢٤)، دار الثقافة، ١٩٦١م.

(٣) انظر:المسلمون في السنغال، المرجع السابق، (ص ٦٢ــ ٦٣)، والمغرب في ذكر بلاد إفريقية، المرجع السابق، (ص ١٧٥).

(٤) انظر: L'Islam dans le Monde, Paul Balta, editions Paris, p. 90.

(٥) ثمانون عاماً من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة العربية،إدريس الكتاني،(ص ٧)، و(ص ١٩)،نادي الفكر الإسلامي،٢٠٠٠م.

ب ـــ الدعاة:

إن الدعوة الإسلامية في غربي إفريقية ما هي إلا حلقة متسلسلة من حلقات هذه الدعوة المباركة الممتدة عبر تاريخ الأمة الإسلامية. والتاريخ الإسلامي حافل بالجهود الجبارة المتلاحقة التي بذلها الدعاة إلى هذا الدين في كل بقعة من بقاع هذه الدنيا، وما دامت هناك طائفة من العلماء المخلصين تقوم بالدعوة إلى الله على بصيرة، وتعمل جاهدة لإعلاء كلمة الله، ونشر تعاليم كتابه، وسنة رسوله ﷺ، فإن هذه الأمة ستكون ـــ إن شاء الله ـــ بخير وعزة.

وإذا ما حاولنا البحث عن جهود الدعاة في نشر العقيدة الإسلامية في غربي إفريقية، نجدها تتخذ مسارين لا ثالث لهما. فبينما يتناول المسار الأول الدعاة الأجانب، ونقصد بهم الدعاة القادمين من شمال إفريقية[1]، يتناول المسار الثاني دور الدعاة المحليين أي أبناء المنطقة أنفسهم، وتفانيهم في نشر الدين الحنيف في أوساط المجتمع الوثني بأسلوب الموعظة والأسوة الحسنة.

والجدير بالذكر هو أن المصادر التاريخية المختلفة لم تؤرخ لنا حركة الدعوة والدعاة في هذه المنطقة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون الدعوة جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلم، فكل مسلم داعية للدين، لأن الدعوة واجب ديني لا يمكن إفرادها بخبر معين، أو حادثة معينة. ومن ناحية أخرى، فإن الدعوة في الغالب تكون بقناعة شخصية، واندفاع من الإنسان نفسه من دون تكليف من الدولة، أو تنظيم من قبلها[2]، وذلك إدراكاً منه للأمر الإلهي القائل:﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾[3]؛ وقوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾[4]، وقول النبي (ﷺ) لعلي(رضي الله عنه):«**فو الله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[5].

---

(١) سواء كانوا تجاراً أو مهاجرين أو نحو ذلك.

(٢) فالمستشرق البريطاني ترمنجهام، يتحدث هنا عن وجود العلماء والدعاة المسلمين الذين كانوا يقومون بالدعوة إلى دين الله تطوعاً من عند أنفسهم، ودون أن تضمهم هيئة أو دائرة رسمية معينة، وذلك لأن مسؤولية الدعوة في الإسلام تقع على عاتق كل فرد من الرجل أو المرأة على سواء؛ وذكر نماذج للدعاة والمعلمين وأثرهم في نشر الإسلام في إفريقية وآسيا، كما أنه لم يغفل عن ربط التاجر المسلم بقضية الدعوة إلى الإسلام. انظر: الدعوة إلى الإسلام، المرجع السابق (ص ٤٤٩ـــ٤٥٤)، والثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، المرجع السابق (ص ٣٩).

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٥) صحيح البخاري (١٥٤٢/٤)، رقم (٣٩٧٣)؛ وصحيح مسلم (١٧٣/١٥)، رقم (٦١٧٣).

لذا، فإنه من الصعوبة بمكان تتبع حركة الدعاة، وحصر أسمائهم، ومعرفة الأماكن التي كانوا يرتادونها. غير أن نتائج الدراسات التاريخية التي أجريت لمعرفة عوامل انتشار الإسلام في غربي إفريقية، تشير إلى قيام حركة فاعلة ومكثفة للدعوة الإسلامية بعد دخول الإسلام في المنطقة.

ولكن يا تُرى ما الأساليب الكفيلة التي اتخذها أولئك الدعاة، للتأثير في المجتمع الإفريقي الغربي، حتى تمكنوا من تحويل قرى ومدن وثنية إلى مركز إشعاع للدعوة والثقافة الإسلامية؟

إن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية في غربي إفريقية، ليجد أن الدعاة قد ركزوا اهتمامهم ـــ في أول الأمر ـــ على إقناع الملوك والوجهاء، لأن استقطاب القياديين، وذوي التأثير في المجتمع كفيل بأن يمهِّد الطريق للوصول إلى عامة الناس، ولهذا استخدم هؤلاء الدعاة هذا الأسلوب الحكيم، فكوَّنوا علاقات وطيدة مع ملوك غانا الوثنيين، حتى توصلوا إلى العمل عندهم كمستشارين سياسيين وإداريين ووزراء، الأمر الذي ساعدهم في إدخال بعض هؤلاء الملوك في الإسلام ثم رعاياهم[1].

كما امتد نشاط الدعاة إلى مملكة مالي، حيث أسلم أحد ملوكهم على يد أحد الدعاة المسلمين الذي وفد إلى البلاط الملكي، يقرئ القرآن، ويعلم السنة. وكانت أراضي المملكة قد أجدبت حتى كادت الحرث والنسل أن يهلكا. الأمر الذي اضطر الملك إلى طلب النجدة ممن حوله. فقال له الداعية: «أيها الملك: لو آمنت بالله، وأقررت بوحدانيته، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، واعتقدت بشرائع الإسلام كلها، لرجوتُ لك الفرج مما أنت فيه، وحلَّ بك وبأهل بلدتك»، ولم يزل به حتى أسلم وأخلص دينه لله، فأقرأه الداعية من كتاب الله ما تيسر له، وعلَّمه من الفرائض والسنن ما لا يسع المسلم جهله، ثم صلى به، وسأل الله له الفرج، فأغناهم الله تعالى، وأزال عنهم الخطب[2].

---

(١) انظر: الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، المرجع السابق، (ص ٤٨).

(٢) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى فضل الله العمري، تحقيق: مصطفى أبو صيف أحمد، (ص ٨٧٥ـــ٨٧٦)، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

وهكذا، عاش الدعاة في غربي إفريقية، حيث وجدت العقيدة الإسلامية تقبلاً واستجابة من القلوب الطاهرة، وبدأ السكان يقتدون بهؤلاء العلماء الأبرار في تصرفاتهم ومعاملاتهم، وحتى في سلوكهم اليومي، يرونهم يتوضؤون خمس مرات في اليوم، ويقيمون الصلاة في جماعات متراصة في سكينة ووقار واستغراق. كما يرونهم يحيون ليالي شهر رمضان المبارك بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر. وإذا دخل عليهم عيد الفطر احتفلوا به، وخرجوا لصلاته في أزهى وأجمل ملابسهم، وإذا أدركهم عيد الأضحى المبارك، نحروا أو ذبحوا أضحيتهم، ثم فرقوا لحومها على الفقراء والمساكين، وتزاوروا فيما بينهم، ودعا بعضهم لبعض بالعفو والغفران. يرونهم في تسامحهم وتوادِّهم وتعاطفهم، ودفعهم بالقول اللين، وتأليفهم القلوب، ومداواة المرضى، وإغاثة الملهوف، وإصلاح ذات البين، وغير ذلك من الأخلاق الإسلامية العالية التي كان لها أكبر أثر في تحويل معظم أهالي السودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام[1].

جـ ـ الحج إلى بيت الله الحرام:

لقد حرص مسلمو غربي إفريقية ـ منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام في المنطقة ـ على أداء فريضة الحج، رغم المشقة الكبيرة التي كانت تنالهم نتيجة السفر إلى البلاد المقدسة، فقد كانوا في غالبيتهم يأتون إلى مكة مشياً على الأقدام[2]، فيقضي بعضهم في الطريق قبل وصولهم إلى بيت الله الحرام أعواماً وسنين. كما كانوا يأتون إلى الحج في قوافل على الطرق التجارية المعروفة التي تتجه عبر السودان الحالي، أو عبر الطرق التجارية المتجهة إلى مصر عن طريق الشمال الإفريقي. وفي أثناء مرورهم يمكثون أوقاتاً طويلة في البلدان التي يمرون عليها، فمنهم من يكسب زاد بقية رحلته من عمل يده خلال هذا المكث، ومنهم من ينقطع به الطريق، فيقع مأسوراً بأيدي قُطاع الطرق من عرب البادية، أو البربر الملثمين، فيصبرون ويحتسبون حتى يخلصهم الله، ثم يواصلون طريقهم إلى مكة المكرمة[3].

---

(١) Loc. cit.

(٢) وذلك لعدم توفر وسائل النقل المريحة كما هي عليه الحال اليوم.

(٣) كما كان بعضهم يضل الطريق أثناء ذهابه للحج، فيتعرض للنهب والسلب من بدو الصحراء، وقد يموت بعضهم جوعاً وعطشاً، انظر: دولة مالي الإسلامية، إبراهيم علي طرخان، (ص ٨٤ ـ ٨٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م؛ عن قصة حج سلطان مالي، وما حصل له ولأصحابه أثناء عودتهم من مكة المكرمة بعد أدائهم لفريضة الحج.

وقد يكتسب الحاج عن طريق هذه الرحلة الشاقة بعض عادات الشعوب الإسلامية التي يحط رحاله فيها، ونتيجة لهذا الاحتكاك مع إخوانهم على طول الطريق من غربي إفريقية عبر الصحراء إلى مصر، ثم إلى مكة، اكتسب الأفارقة خبرة عن العالم الإسلامي، وبعض الأخلاق الإسلامية العالية[1]، ولم يخل موسم من المواسم من ورود أعداد غفيرة من حجاج غربي إفريقية إلى الأراضي المقدسة. وكان لهذا الاتصال السنوي مع المسلمين في بلاد الحرمين، ومرور الحجاج ببعض المناطق العربية والإسلامية التي تزخر بالعلماء وطلاب العلم، مثل مصر، والمغرب، والسودان وغيرها، أثر كبير على حجاج غربي إفريقية الذينَ يعودون بعد هذه الرحلة الدينية الممتعة، رغم المشقة والصعاب، يعودون وقد ازدادوا إيماناً وتمسكاً، ومعرفة بدين الإسلام، فيتحوَّلون بعد حجهم إلى دعاة نشيطين له[2].

وهكذا، فقد كان الحج ــ ولا يزال ــ فرصة للالتقاء والتأثير الحضاري الإسلامي، وقد تأثرت بلاد غربي إفريقية بحضارة العالم الإسلامي نتيجة لهذا الاتصال. كما تخلف عدد كبير من هؤلاء الحجاج في مكة والمدينة لطلب العلم، ثم عادوا إلى بلادهم ليقوم كل واحد منهم بالدعوة إلى الله، ونشر العقيدة الإسلامية بين بني جلدته. كما بقي ــ أثناء عودهم بعد أداء فريضة الحج ــ كثير منهم في مصر، لتلقي العلم والفقه في أزهرها، ومعاهدها العلمية المشهورة في ذلك الوقت، ثم عادوا ــ بعد ذلك ــ إلى بلادهم حاملين لواء الدعوة إلى دين الله، مما أدى إلى انتشار الإسلام، وترسيخ مبادئه بين شعوب المنطقة[3].

كذلك من تأثير الحج الإيجابي على انتشار الإسلام في السودان الغربي، أن مواكب الحجاج كانت تعبر مناطق لم ينتشر فيها الإسلام بعد، فيكون مرور الموكب بها، واستقرارهم فيها بعض الوقت ــ قد يطول أو يقصر على حسب ظروفهم، وبناؤهم المساجد فيها، ثم ينتقلون إلى مكان

(١) انظر: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم وتحصيله، عبد الفتاح أبو غدة،(ص ٦٩)، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٢م.

(٢) انظر: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، للمقريزي، (ص ١١٣)، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، ٢٠٠٩م.

(٣) انظر: المرجع نفسه (ص ١١١).

آخر، وهكذا على طول الطرق التجارية المعروفة ذهاباً وإياباً ـــ كان عاملاً أساسياً ساعد على مدِّ رقعة انتشار الإسلام[1].

وعلى يد هؤلاء الحجاج الأبرار، وصلت مؤلفات علماء المشرق العربي وانتشرت في غربي إفريقية، مثل: كتاب صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وموطأ الإمام مالك، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وغيرها. فقد كانوا حريصين كل الحرص على اقتناء هذه المؤلفات النفيسة، والعودة بها إلى بلادهم، حيث يقوم الورَّاقون والنُّساخ [2] بكتابتها ونسخها يدوياً إلى عدَّة نسخ، إما لبيعها لعدد كبير من الموسرين ومحبي المعرفة من العلماء والملوك والأمراء الذين يرغبون في اقتنائها في مكتباتهم الخاصة، وإما لتوزيعها على المراكز العلمية والثقافية المجاورة؛ ومن ثمَّ ازدهرت صناعة الورق والأحبار والأقلام والخط العربي على نطاق واسع في المنطقة. الأمر الذي مهَّد فيما بعد لحركة التأليف العلمي التي أفادت من تراث علماء المشرق الإسلامي، واتجه الناس إلى العلم والدراسة بدوافع علمية بحتة من خلال التعليق والتصحيح لما تم نسخه من هذه الكتب، ثم التأليف في الموضوعات نفسها، وفي موضوعات أخرى جديدة، مما أثرى المكتبة العربية والإسلامية. وكان لهذا الإثراء العلمي أثره في زيادة عدد المكتبات، وخزانات الكتب، ودور المعرفة في كل من مالي، وسنغي، وغاو وغيرها[3]. ولا يزال الإسلام مستمراً في نجاحه وانتشاره في غربي إفريقية بإذن الله، طالما عمل من أجله المخلصون، وتمسك به أهله و المؤمنون به، وطبقوا أحكامه، وعملوا به.

---

(١) انظر: تاريخ السودان، المرجع السابق، (ص ١٣٨) بتصرف يسير.

(٢) الذين خُصِّصت لهم الأعطيات لتعفيهم من البحث عن أسباب الرزق الأخرى. فخرج من بين هؤلاء علماء وفقهاء كان لهم ذكر جميل في التاريخ العلمي والثقافي والدعوي في غربي إفريقية، أمثال: الشيخ أحمد بابا التمبكتي وغيره كثير.

(٣) انظر: تاريخ السودان، المرجع السابق ، (ص ١٣٨ـــ١٣٩) بتصرف يسير.

المبحث الثالث

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في غربي إفريقية وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية

من المؤكد أن أي نشاط بشري مهما كانت طبيعته، فإنه لا يمارس في الفراغ، بل إن قوامه حسن الصلة بالناس، والناس كما هو معروف يتأثرون بجملة من الأمور في مقدمتها: الأفكار المتداولة بينهم، والروابط القائمة بينهم، ومراكزهم الاجتماعية، ومستوياتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها.

وبناءً عليه، فإن الظروف المحيطة بالإنسان لها تأثيرها عليه، ولكن هذا التأثير يختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، لذا من المستحسن للداعية قراءة هذه الظروف المحيطة وفهمها، من أجل الاستفادة منها لصالح نشر الدعوة الإسلامية بين الناس بالحكمة، والكلمة الطيبة.

وهذا ما حصل بالفعل في السودان الغربي، حيث تمكن الدعاة المسلمون من العرب والبربر وغيرهم من استغلال الأوضاع والظروف المحيطة بشعوب المنطقة لصالح الدعوة الإسلامية، رغم الاختلاف الحاصل في المستوى الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي بين الدعاة وأهل السودان، وذلك بحسن المعاملة، والأخلاق العالية، مما كان له أثر بالغ في تغيير سلوك هؤلاء الوثنيين، وأصبح كثيرون منهم يقلدون المسلمين حتى في بعض شعائر العبادات، مثل: تقليد الصلوات الخمس، أو حضور جنائز المسلمين وغيرها، الأمر الذي أسرع الاستجابة لاعتناق العقيدة الإسلامية عن رغبة واختيار. فاختفت بذلك التقاليد الوثنية العتيقة، لتحل محلها الشعائر والنظم الإسلامية الراقية في العبادات والمعاملات والأخلاق ونحوها، وفيما يلي يتعرض الباحث لبيان تلك الأحوال والظروف، وذلك عبر المطالب التالية.

المطلب الأول

الحالة السياسية في غربي إفريقية وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية

لم تكن للقبائل المتعايشة في السودان الغربي دولاً دستورية بالمعنى الحضاري، و لم تكن تلك الممالك الوثنية القديمة، مثل: كوكو، وغانا، وتكرور و ... إلخ، تخضع لنظام رسمي معين، بل كان يحكمها ملوك وسلاطين متألِّهون، يتمتعون بمنزلة رفيعة، تدفع رعاياهم إلى تقديسهم وعبادتهم من دون الله، يقول في ذلك ابن بطوطة ما نصه:«والسودان أعظم الناس تواضعاً لملوكهم، وأشدهم تذللاً له، ويحلفون باسمه في الملِّمات...»(١). أضف إلى ذلك، ما كان يقوم به بعض ملوك السودان في عهدها الوثني من إجبار الرعايا على العمل والسخرة في حقولهم، وإقطاعياتهم دون مقابل(٢).

وكانت تحيتهم لهؤلاء الملوك المستبدين، تتم عن طريق جثي على الركب، مع نثر التراب على الرؤوس، يقول البكري في ذلك عن ملك غانا الوثني:«... فإذا دنا أهل مملكته منه جثوا على ركبهم، ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له» (٣)، وكذلك من عطس بحضرة السلطان أو في مجلسه، ضُرب ضرباً مبرحاً، ولا يسامح أحداً في ذلك. أما إذا اضطر أحدهم إلى ذلك، بأن غلبه العطس، فإنه ينبطح ــ فوراً ــ على الأرض، وعطس حتى لا يعلم أحد به، يقول العمري: « فإن بغت أحد منهم العطاس، انبطح على الأرض، وعطس حتى لا يعلم به أحد. أما الملك فإنه إذا عطس، ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم»(٤) إظهاراً للفرح والفخر والرضا. وكذلك كان من عادتهم أنه لا يدخل أحد دار السلطان منتعلاً، ومن لم يخلع نعليه سواء كان ذلك قصداً أم سهواً كان جزاؤه القتل أو السجن المؤبد، يقول القلقشندي: « وإذا خطر لأحدهم من الرعايا كائناً من كان أن يدخل قصر السلطان لأي أمر، فلا بد من خلع نعليه وإلا قتل بلا عفو عامداً كان أو ساهياً»(٥).

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المرجع السابق (٤/ ٤٠٧).

(٢) انظر: تاريخ غرب إفريقية، فيج جي دي، ترجمة: يوسف نصر،(ص ٢٦)، ط١، دار المعارف،١٩٨٢م.

(٣) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المرجع السابق (ص ١٧٦).

(٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المرجع السابق، (٢/٤٩٨)، وتحفة النظار، المرجع السابق، (٤/٤٠٨).

(٥) صبح الأعشى في صناعة الانشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي،(٥/٢٩٧)، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٤هـ.

وكان من شدة ملوكهم واستخفافهم بالرعايا، أن الملك لا يخاطب أفراد الشعب مباشرة إلا عن طريق وزرائه [1]، وإذا أغدق الملك على أحدهم أو شكره على فعل ما قام به، تمرغ المنعَم عليه بين يديه في التراب، للدلالة على رضاه وفرحته بهذه المكرمة السامية [2].

وقد بلغ استبداد بعض ملوك مالي الوثنيين مع رعاياهم مستوى، جعل بعض المواطنين يتمنون أن يصل الخلاف الذي كان ينشب بين أفراد الأسر المالكة من حين لآخر إلى ذروته حتى يتمكنوا من القيام بمحاولة انقلابية، لعل ذلك يخلصهم من العبودية المطلقة التي كانوا عليها [3].

وما عدا هذه الممالك شبه منظمة، فقبائل بدائية قانونها القوة والبطش، وعاداها النهب والسلب، وحياها الحروب والقتل بلا هوادة؛ وبالتالي كان لا بد لهم من دين ينتسبون إليه[4]، ليأخذ بأيديهم من هذا الهوان، ويضمن لهم النجاة من هذه العبودية المقيتة، ويعطيهم الإحساس بأنهم بشر، وأنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ** ﴾ [5].

وهكذا، فباعتناق هؤلاء الناس للعقيدة الإسلامية التي كانوا يتشوقون إليها [6]، تمكنوا من تنظيم شؤون حياتهم، وتكوين ممالك دستورية، ذات نظام سياسي، تتخذ من الشريعة الإسلامية مصدراً لها. وأصبحوا يختارون الحاكم الذي يطمئنون إليه، ويحترمهم. ويرفضون أو يعزلون من يظلمهم، ويغتصب حقوقهم، قال القلقشندي عن "منسا والي" أحد سلاطين مملكة مالي

---

(١) انظر: تحفة النظار، المرجع السابق، (٤/٤٠٣)

(٢) انظر: صبح الأعشى، المرجع السابق، (٥/٣٠٠ ــ ٣٠١)، وتحفة النظار، المرجع السابق (٤/٤٠٩)،

(٣) انظر: تاريخ غرب إفريقية، المرجع السابق، (ص ٦٣).

(٤) حيث تعرف أكثرهم على الإسلام من خلال جيرانهم المسلمين الذين استقروا في المنطقة، ويحتمل أن يكون هؤلاء من الفئة التي قد تخفي إسلامها لعدم إسلام الملوك ومعظم الرعايا، بدليل أنهم كانوا يرسلون أولادهم إلى دعاة المسلمين لتعليمهم القرآن الكريم والثقافة الإسلامية، ولا يترددون في تقليد الصلوات الإسلامية، وحضور الجنائز، والاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية المختلفة. الأمر الذي يؤكد أن هؤلاء الأفارقة متعطشون إلى الإسلام، متى ما وفق العلماء والدعاة في تقديمه تقديماً صحيحاً وسليماً.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٦) حيث كان بعضهم يخفون إسلامهم عن ذويهم لكون معظم الرعايا والملوك على الوثنية، وبالتالي كانوا ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من إظهار انتمائهم للإسلام دون خوف أو وَجَلٍ. وقد تحقق لهم ذلك ــ بحمد الله تعالى ــ بعد إسلام ملوكهم.

الإسلامية:«... ثم ملك من بعده أخوه (خليفة)، وكان أحمق يغلب عليه البداوة والشدة، فيرمي الناس بالسهام فيقتلهم، فوثب عليه أهل مملكته فقتلوه»[1]. كما أورد صاحب الفتاش والسعدي صفحات عدة عن قيام أهل مملكة سنغي الإسلامية بعزل السلاطين الجائرين، وتولية أهل الزهد والصلاح، يقول صاحب الفتاش عن أسكيا إسحاق:«... وله من الأولاد تانك، وسلمان، وعبد الملك الذي جعله ولي العهد، فلم يرض أهل سنغي إلا أسكيا داود .. فبايعوه»[2]، ويضيف السعدي عن أسكيا محمد بانكن قائلاً:« ورجع محمد بانكن .. فبايعه الناس وثبت سلطاناً»[3].

كما عَرفَ أهالي السودان الغربي في ظل الممالك الإسلامية المتعاقبة، النظم الإدارية الراقية التي تكفل حق المواطنة، وتعمل من أجل راحتهم وإسعادهم، قال السعدي عن أسكيا محمد بن أبي بكر بعد توليه الحكم:« فتملك الأسعد يومئذ، فكان أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين ... ففرج الله تعالى به عن المسلمين الكروب، وأزال به عنهم البلاء والخطوب، واجتهد بإقامة ملة الإسلام، وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء والفقهاء، واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد»[4].

وعرفوا كذلك السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، والنظام الشورى بمعناه الحضاري، يقول القلقشندي عن مملكة مالي:«إن بهذه المملكة الوزراء، والقضاة، والكُتَّاب، والدواوين، وأن السلطان لا يكتب شيئاً في الغالب، وإنما يكِّل كل أمر إلى صاحب وظيفته من هؤلاء ...»[5]. وذكر ابن بطوطة[6] عنها مثل ذلك، كما ذكر القاضي محمود كعت[7]، والسعدي[8]، عن ملوك سنغي الإسلامية، مثل ذلك أيضاً.

كما كان الملوك والسلاطين في ظل الممالك الإسلامية في غربي إفريقية، ينظرون بأنفسهم في المظالم، وإعادة الحقوق إلى أصحابها؛ يقول الإدريسي عن ملك غانا المسلم:«... وكان أعدل

---

(١) صبح الأعشى، المرجع السابق، (٥/٢٩٣).

(٢) تاريخ الفتاش، المرجع السابق، (ص ٧٣ ــ ٧٤).

(٣) تاريخ السودان، المرجع السابق، (ص ٧٣).

(٤) المرجع نفسه، (ص ٧٢).

(٥) صبح الأعشى، المرجع السابق، (٥/٢٩٨).

(٦) انظر: الرحلة لابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله محمد،(ص ٦٨٣ــ٦٨٤)،الأكاديمية المغربية، ١٩٩٧م.

(٧) انظر: تاريخ الفتاش، المرجع السابق، (ص ٩٣).

(٨) انظر: تاريخ السودان، المرجع السابق، (ص ٧٣).

الناس فيما يحكى عنه، ومن سيرته قربه من الناس، وعدله فيهم .. يمشي مع قواده في أزقة المدينة، فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له، فلا يزال حاضراً بين يديه، حتى يقضي مظلمته ... ثم يعود إلى قصره بعد أن أعطى كل ذي حق حقه»[1].

وذكر صاحب العبر عن منسا موسى، سلطان مالي، قوله:« وكان رجلاً صالحاً، وملكاً عظيماً، له في العدل أخبار تؤثر عنه»[2]؛ ويذكر القلقشندي عن عدل ملك مالي:« وتنهى إليه الشكاوى والمظالم، فيفصلها بنفسه، ولا يكتب شيئاً في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه»[3]، وذكر القاضي محمود كعت عن عدل ملوك سنغي الإسلامية الشيء الكثير، فقال عن أسكيا محمد بن أبي بكر:« وله من المناقب، وحسن السياسة، والرفق بالرعية، واللطف بالمساكين ما لا يحصى ... مع القيام بمصالح المسلمين، و إعانتهم على طاعة الله وعبادته. وأبطل جميع ما عليه الناس من البدع، والمناكر، والظلم، وسفك الدماء. وأقام الدين أتم قيام، وأطلق كل من ادعى الحرية من استرقاقهم، وردَّ كل المظالم والحقوق إلى أصحابها، وجدد الدين، وأقام القضاة والأئمة...»[4].

وهكذا، كان أثر العقيدة الإسلامية كبيراً في حياة السودان الغربي السياسية بما يتفق مع قيم الإسلام العليا،ومبادئه السامية من تسامح،ومحبة،وتراحم،وصدق،وإخلاص؛ مما أسرع الاستجابة لدى الأفارقة إلى تقبلها ديناً ومنهج حياة، يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن عبد العزيز الشريف المعروف بالإدريسي،(ص ٧)، ليدن، ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (٦/٢٠٠)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٧٦هـ، والرحلة، المرجع السابق (ص ٦٨٨-٦٩٠).

(٣) صبح الأعشى، المرجع السابق، (٥/٣٠٠).

(٤) تاريخ الفتاش، المرجع السابق، (ص ٥٩).

المطلب الثاني

الحالة الاقتصادية في غربي إفريقية وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية

لقد كانت الأوضاع الاقتصادية لشعوب غربي إفريقية قبل الإسلام، تقوم على الإقطاع والاستغلال والاحتكار،مما زادها تخلفاً ورجعية، فقد كان الملوك وشيوخ القبائل هم الذين يملكون الأراضي، وقطعان الماشية،والثروات المعدنية وغيرها،وأما عامة الناس فلهم الحرمان والشقاء؛ وفوق ذلك كله، يثقل كاهلهم بالضرائب الباهظة، يدفعونها مالاً أو جهداً بدنياً في إقطاع الأسياد، وإلا فالجلد أو القتل[١]،« وملك غانا أيسر مَن على وجه الأرض مِن ملوكها، بما لديه من الأموال المدخرة ... فإذا وجد في جميع معادن بلاده الندرة من الذهب استصفاها الملك...»[٢].

وكانت مبادلاتهم التجارية والاقتصادية التي جنوا منها أرباحاً طائلة، تقوم على الربا، والغش، والاستغلال، « ولملكهم على حمل الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، وديناران في إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل، وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل»[٣]. كما كانت الثروات حكراً لأناس محدودين، إذ كان نظام الميراث عند بعضهم يخصص بالتركة ابن الزوجة الأولى فقط، مع العلم بأن التعدد هو السِّمة الغالبة في المجتمع السوداني، بحيث يحق للرجل الواحد أن يتزوج بأيِّ عدد شاء من النساء دون تحديد[٤]، وعند البعض الآخر « لا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه من صلبه»[٥]، فنتج عن هذا التخلف الاقتصادي، تخلفهم اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، بل وحضارياً على وجه العموم[٦].

ومعلوم أن وضعاً كهذا لا يتناسب وطبيعة الفطرة الإنسانية، فكان لا بد من البحث عن دين يسمو بأتباعه عن هذه الحالة الاقتصادية المتخلفة، إلى حالة أسمى وأرقى مما هم عليه.

---

(١) انظر: الديانات في إفريقية السوداء، المرجع السابق، (ص ٢٩ــ٣٠)، وإفريقية تحت أضواء جديدة، المرجع السابق، (ص ٣٢١ــ٣٢٣).

(٢) المغرب في ذكر بلاد إفريقية، المرجع السابق، (ص ١٧٦ــ١٧٧)، وانظر: تاريخ الفتاش، المرجع السابق، (ص ١٧٦ــ١٧٧)، وصورة الأرض، المرجع السابق، (ص ١٠١).

(٣) المرجع نفسه، (ص ١٧٦).

(٤) انظر:.Trimingham ,op.cit. pp.89-91،ولا تزال هذه العادة موجودة حتى الآن ــ مع الأسف ــ في بعض القبائل الإفريقية الوثنية، حيث يصل زيجات أحدهم إلى عشرات.

(٥) الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق، (ص ٦٧٧).

(٦) انظر: التأثير الإسلامي في غرب إفريقية، محمد عبد الله النقيرة،(ص ٢٤٨)، ط١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

لذا، عندما شعَّ نور الإسلام في المنطقة، سارعت شعوب غربي إفريقية إلى اعتناقه ديناً ومنهج حياة، فتغيرت أوضاعهم الاقتصادية، وأصبح جميع أفراد المجتمع الإسلامي يرثون ويُورِّثون، كما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء، وانتهى إلى حدٍّ بعيد نظام السُّخرة، والتسلط على حياة الناس، وأصبح العامل يتقاضى أجر عمله ولا يُكره عليه[1].

كما حرم الإسلام الربا، والغش، والاستغلال، والتدليس، والغرر، والتطفيف في الكيل، أو الوزن، أو المسح، أو الذراع،وأمر بالسعي في طلب الرزق الحلال،فظهرت حرف وصناعات إلى جانب تجارة منظمة تنظيماً محكماً،تختلف عن التجارة الصامتة التي كانت تقوم الإشارات فيها مقام اللغة في التعامل،كما تختلف عن المبادلة البدائية في الخامات،ومنها التأكد من دقة أدوات القياس المستخدمة في التجارة،فيكون ذلك بمعايرتها،وختم الصالح منها،ومنع استخدام الطالح[2].

وهكذا، برع سكان غربي إفريقية في التجارة بسبب اعتناقهم للإسلام، واحتكاكهم بالتجار العرب والبربر المسلمين الوافدين الذين كانوا يتمتعون بخبرات تجارية فائقة، فنمت أسواقهم، وظهرت مدن تجارية كبرى، مثل: أودغست، ووالاتا، وزاغري، وتمبكتو، وجني، وغاو وغيرها، حيث كفل الملوك والسلاطين المسلمون الأمن والرعاية للتجار داخل أسواق السودان الغربي، وعبر الطرق الموصلة إليها، مما أمَّن التجار على أرواحهم وممتلكاتهم، وعمل على رواج التجارة، وتمكين الاقتصاد. ويصف ابن بطوطة تلك الحالة الاقتصادية المزدهرة التي حصلت بعد اعتناق الإفريقيين للإسلام: أن السودان أبعد الناس عن الظلم، وأن سلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، وأن الأمن شمل بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق أو غاصب، وأن السودان لا يتعرضون لمال من يموت ببلادهم من البيض، ولو كان القناطير المقنطرة، بل يتركونه بيد ثقة حتى يأخذه مستحقه[3]؛ كما أصبح المواطنون أحراراً في حركاتهم وسكناتهم، يسعون يداً واحدة لبناء مدنهم ووطنهم بنشاط وتفان[4].

---

(١) انظر: التأثير الإسلامي في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٥٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٢٥٦) بتصرف يسير .

(٣) يقصد بهم تجار العرب والبربر والفرس وغيرهم، ممن كانوا يفدون إلى غربي إفريقية بحثاً عن الأسواق المزدهرة تجارياً، انظر: الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص ٦٩٠).

(٤) انظر: المرجع نفسه (ص ٦٨٩) بتصرف يسير .

المطلب الثالث

الحالة الاجتماعية في غربي إفريقية وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية

لقد قام البناء الاجتماعي في السودان الغربي قبل الإسلام على مجموعة من الأنظمة الاجتماعية الصارمة، وأفراد القبيلة يخضعون لعرفها الذي له سلطان القانون، إذ يزعمون أن أسلاف القبيلة الأموات ينزلون الكوارث لمن يتجرأ على مخالفة شيء من هذه القوانين الوضعية القاسية[1]. كما أن هناك عقوبات متعارف عليها لمن يخالف عرف القبيلة، ينـــزلها بالمخالف كبير القبيلة المستبد الذي هو في نظرهم نصف الإله، بل هو الواسطة بين الأحياء والأموات، ثم شيوخ العشائر، ثم الكهول، ثم من يلوهم حسب طبقاتهم الاجتماعية [2].

وكانت الأفراد في ظل الحكومات الوثنية ينقسمون إلى طبقات[3]، تتبوأ القمة فيها الطبقة الحاكمة[4] التي تملك زمام الأمور بيد من حديد، وكل شيء ملك لها [5]، ثم طبقة الأحرار[6]، وأعلى الطبقات الأحرار هم المنحدرون من أحرار، ثم تليهم طبقة أتباعهم الذين أصبحوا أحراراً، ثم يأتي بعد ذلك في المرتبة الثالثة أصحاب الحرف مثل الحدادين، والمزارعين، ودباغي الجلود،

---

(١) إما بالموت، أو إصابته ببعض الأمراض الفتاكة. انظر: الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص٢٥٤).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٢٥٥).

(٣) فمفهوم الطبقة في المجتمع الإنساني في السودان الغربي، لا تعني بالضرورة تفاوتاً في مستوى الدخل الفردي، وإنما فقـــط في تقسيم الأدوار والمهام داخل المجتمع الواحد. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٣٠).

(٤) وهي طبقة النبلاء: وتتكون من الملك والأمراء والأعيان وكبار رجال الدولة، وتقوم بأعباء السلطة السياسية. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع والصفحة نفسيهما.

(٥) بحيث لا يجوز لأحد من أصحاب الطبقات الدنيا أن يتصرف في شيء من أمره إلا برأيهم وحسب شريعتهم وتوجيههم، وإلا فالموت مصيره، حتى إن زوجات حاشيته وبناتهم في البلاط الملكي، تعتبر ملكاً له إذا أراد أيٍّ منها، وفي ذلك يقول صاحب الفتاش عن ملك مالي الوثني: « ويد السلطان مالي مطلقة على الكلِّ بالقهر والغلبة...»، انظر: تاريخ الفتاش، المرجع السابق (ص ٣٨)، والرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص ٢٥٦).

(٦) وتشمل الفلاحين،والمشايخ، وعامة الشعب من المواطنين. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٣٠ـــ٣١).

والرعاة، والفخارين، والنساجين، والصيادين، ثم طبقة المنشدين والمغنين[١]، ثم العبيد المتحررين أو نسلهم[٢]. وهكذا حتى تصل إلى طبقة أدنى بمنـــزلة الحيوان أو أقل [٣] التي يقدم أفرادها قرابين للآلهة، أو لكبار ضيوف الملك[٤]، يؤيد ذلك ما ذكره العمري عن تاجر عربي مسلم وفد على أحد السلاطين الوثنيين في إحدى مدن غربي إفريقية، فقال:« فأهديتُ إلى ملكها شيئاً من الملح فقبله، وبعث إلي بجاريتين من أحسن السودان صورة وخَلقاً، ثم حضرتُ عنده بعد أيام، فقال: بعثنا إليك بالجارِيتين فاذبحهما وكلهما، فإن لحمهما أطيب ما يؤكل عندنا، فلماذا ما ذبحتهما؟! فقلت: ما يحل هذا عندنا، فقال: فأي شيء تأكل؟ قلت لهم: لحم البقر، والغنم، فبعث ببقر وغنم» [٥].

كذلك كان من العادات الاجتماعية السيئة، تعدد الزوجات بلا حدود، إضافة إلى إقامة صداقات بين النساء والرجال غير المحارم، وتخصيص ابن الزوجة الأولى بالتركة دون غيره، ونسبة الابن إلى خاله دون أبيه، يقول ابن بطوطة مستغرباً تلك الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك:

---

(١) وهناك تقسيمات أخرى ثانوية تحصل داخل بعض الفئات لا محل للتعرض لها هنا. ومع مرور الزمن فقد اختفى الأصل المهني لهذه الفئات، فأصبحت حقائق اجتماعية لها واقعها في تصرفات الأفراد والجماعات وعلاقاتهم.

(٢) ورغم التطور الحاصل اليوم في عقلية الأفارقة في السودان الغربي باسم الديمقراطية والتعددية، فلا تزال هذه الفروق حقيقـــة اجتماعية حتى الآن، وخصوصاً في الأوساط الاجتماعية المحافظة: في القرى والأرياف، فلا تقبل طبقة الأحرار مصاهرة طبقة الحرفيين أو العبيد بحال من الأحوال، خشية نزول لعنة الأسلاف عليه وعلى نسله. قلت: هذه من الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، إذ إن أكرمكم عند الله هو: أتقاكم. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٣١).

(٣) وهي طبقة العبيد: وهم على نوعين: عبيد الملك، وعبيد أفراد الشعب. حيث إن الأولين باعتبارهم ركيزة عرش الملوك، فهم ليسوا مملوكين إلا بالاسم. وتجدر الإشارة إلى أن الاستعمار الأوروبي ــ وإبان دخوله المنطقة ــ استعان بالطبقات الاجتماعية الدنيا، لتحطيم الطبقات العليا التي قاومته، وذلك من أجل إهانة هؤلاء على يد الطوائف التي كانت مهانة من قبل، ولذا تجد أغلب حكام وزعماء سياسيين في غربي إفريقية من أبناء هذه الطبقة الدنيا (العبيد)، الذين أصبحوا يسيمون أبناء أســـيادهم بالأمس صنوف العذاب والهوان اليوم، والله المستعان. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٣١).

(٤) انظر: الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص ٢٥٦)، الشعوب والسلالات الإفريقية، محمد عوض محمد،(ص ٥٣) الـــدار المصرية، ١٩٦٥م.

(٥) الرحلة، المرجع السابق (ص ٢٢٤).

«.. وشأن هؤلاء القوم عجيب، وأمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه ... والنساء هنالك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب، وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات، ويدخل أحدهم داره، فيجد امرأته ومعها صاحبها الأجنبي فلا ينكر ذلك»[1].

وهكذا كان المجتمع القبلي في غربي إفريقية، تئن بالكثير من الرذائل والمنكرات التي لا ضابط لها في غالب الأحيان[2]، زد على ذلك ما كان بين القبائل المتساكنة من قتال وتناحر مستمر لأتفه الأسباب؛ كل ذلك وغيره مما كان يقض مضاجع عقلاء القوم، ويدفعهم إلى البحث عن دين جديد يكفل لهم حقوقهم، وواجباتهم الاجتماعية التي تتناسب مع الطبيعة الإنسانية، والفطرة المستقيمة التي فطر الله الناس عليها[3]، ويخلصهم من تلك العادات الاجتماعية الدنيئة التي جلبت لهم العار والحروب الطاحنة التي لا تبقي ولا تذر، وما يمارسونه من عادات وتقاليد لا تمت إلى أدنى المعاني الإنسانية بصلة، وإنما كانت مصدر إزعاج، وانعزال، وقلق مستمر، وفراغ روحي لجميع القبائل المتعايشة[4].

---

(١) تحفة النظار، المرجع السابق (٤/ ٣٨٧ــ٣٨٩)، وقد أورد قصة رجل جالس مع زوج الدليل المسوفي الذي صحبه بمحضر الدليل، فقال له ابن بطوطة: « أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا، وعرفت أمور الشرع؟ فقال لي: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير، وحسن نية، لا تهمة فيها، ولسن كنساء بلادكم »، فغضب ابن بطوطة ولامه، و لم يزره بعد ذلك. قلت: جزاك الله خيراً يا ابن بطوطة على هذه الغيرة الإسلامية السامية. انظر: الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص ٦٧٨).

(٢) انظر: التأثير الإسلامي في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٤٨).

(٣) والمراد بالفطرة هنا، هو: أن الله خلق الخلق مهيئين لمعرفة الحق، وقبول التوحيد، والاستسلام لله، كما جاء عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**» صحيح مسلم (١٧/١٩٤)، رقم (٧١٢٦)؛ ولكن التربية السيئة، والبيئة الكافرة هي التي تحرفهم عن قبول الحق، والاهتداء إليه. انظر: صبح الأعشى، المرجع السابق (ص ٢٩٣)، والعبر، المرجع السابق (٦/٢٠٠)، وفتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية، المرجع السابق (ص١١٤ــ١١٥).

(٤) انظر: صبح الأعشى، المرجع السابق (ص ٢٩٣).

فإذا بنور الإسلام يلوح بالأفق، ليزيح دياجير الظلام والظلم عن سكان هذه المناطق النائية التي اندفع شعوبها إلى دين الله أفراداً وجماعات، ليعتنقوا العقيدة الإسلامية الرشيدة، وليتمسكوا بعروتها الوثقى، تاركين وراءهم دين طواغيت الإنس إلى غير رجعة، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1].

وبما أن الحضارة الإسلامية تفوق الحضارة الوثنية إلى حدٍّ بعيد، فقد كفلت لهم التخلي عن كثير من عاداتهم الدنيئة، وضمنت لهم الترقي في مضمار الحضارة الحقيقية عقلياً وخُلقياً ومادياً. فكرَّم الإسلام الفرد حياً وميتاً، واهتم به كإنسان، فأوجب تعليمه، وحسن تربيته وحمايته من أيِّ اعتداء عليه، وحرَّم سبه واغتياله. كما غيـَّـر الإسلام نظمهم في الزواج، ونظام الأسرة، وحصر عدد الزيجات في أربع، ورفع مكانة المرأة، وأحاط الأسرة المسلمة بسياج من الحصانة والأمن، وكفل لأبنائها التربية الصحيحة، ووضع نظاماً عادلاً لتوزيع الثروة بين أفراد الأسرة جميعاً إذا مات أحد أفرادها، ووثَّق الصِّلة بين الأسر والقبائل المتعايشة، حتى سادت أفرادها الأخوة، والتراحم، والمواساة، والمساواة، على الرغم من قيام البناء الاجتماعي الإفريقي على النظام القبلي ولا يزال.

كما كان لقيام حكومات إسلامية عادلة، دور كبير أيضاً في إضعاف حدة التناحر بين القبائل المتعايشة، فكان الإسلام أكبر عامل ساعد على إضعاف العصبية القبلية، وأحلَّ محلها التآخي والتناصر والمساواة في أرقى صورِّها، يقول توماس أرنولد:« إن انتشار الإسلام الذي نشهده اليوم في غربي إفريقية، ليؤثر بصفة خاصة تأثيراً اجتماعياً، ويمنح الإسلام هؤلاء الذين يتصلون به منـــزلة أرقى، وفكرة أسمى ... »[2].

وهكذا، بفضل الله تعالى، ثم بفضل نور العقيدة الإسلامية، اتصلت شعوب غربي إفريقية بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة على الإطلاق، وهي الحضارة الإسلامية، فكان الإسلام يزوِّد الوثني الذي اعتنقه بالنشاط، والثقة بالنفس، والشعور بالعزة والكرامة، والإحساس بالآخرين.

---

(١) سورة الحج، آية: ٦٢.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، المرجع السابق (ص ٣٩٥).

المطلب الرابع

الحالة الثقافية في غربي إفريقية وأثرها في الاستجابة للعقيدة الإسلامية

لقد كان لشعوب غربي إفريقية عادات وتقاليد وعقائد ولغات توارثوها عن الآباء والأجداد، كما كانت لهم طرقهم وأساليبهم الخاصة في التربية والتعليم أي أنه كانت لهم ثقافتهم الوطنية الخاصة التي يعتزون بها على مرِّ السنين والأجيال.

لكن تلك الثقافات قد تأثرت بطبيعة الفكر الوثني السائد في المنطقة، كتعدد الأنداد، والسحر، والكهانة، والخرافة، وغيرها، وهو ما ظهر جلياً في مكونات الثقافة الإفريقية في المناطق التي أخضعت للدراسات التاريخية [1].

كما كشفت بعض تلك الدراسات عن وجود مراسيم للميلاد، والحصاد، والزواج، والموت، ومعرفة بالطب، والعرافة. وأظهرت الاهتمام بما يسمى بالثقافة الفنية، مثل الرقص، والغناء، والرسم، والفولكلور، والفنون التشكيلية بمختلف أنواعها، وقد حكمت على بعضها بالعزلة والانغلاق مع كثرة القبائل واللغات، والصراعات التي لا تنتهي.

ولاشك أن بيئة فكرية وثقافية كهذه جديرة بالانقراض والزوال، وذلك رحمة بأصحابها، ولتحل محلها ثقافة فكرية أرقى. وما من سبيل إلى ذلك إلا بهداية الإسلام الذي جعله الله نوراً يهدي إليه من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [2].

ويمكن أن يؤرخ لبزوغ شمس الثقافة الإسلامية في السودان الغربي، بولاية موسى بن نصير على المغرب، فقد أرسل مع طارق بن زياد سبعة وعشرين ألفاً من العرب المسلمين، واثني عشر ألفاً من البربر الذين أسلموا، وأمر علماءهم وفقهاءهم أن يعلموا إخوانهم المسلمين من البربر، والسودان المجاورين لهم القرآن الكريم، ويفقهوهم في الدين [3]؛ فأصبح المسلمون بذلك أكثر حيوية ونشاطاً من غيرهم من أفراد المجتمع.

وكانت غانا في عهدها الوثني، تضم مجموعة من العلماء والفقهاء، الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي واستقروا في أحياء خاصة بهم، فوجدوا من ملوكها الوثنيين الرعاية

---

(١) التي قام بها لفيف من الباحثين العرب من الرحالة وغيرهم.

(٢) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٣) انظر: العبر، المرجع السابق (٦/ ١١٠).

والتشجيع، فبنوا كثيراً من المساجد التي اتخذوها مراكز لنشر الإسلام، والثقافة العربية، وقد ألحقت بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن، وقواعد الدين، وأصبحت مدن والاتا، ونيمة، وأودغست مراكز ثقافية إسلامية مزدهرة[١]؛ يقول العلامة البكري:«... وغانا مدينة كبيرة، فيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يجمعون فيه...» [٢].

كما اهتم سلاطين مملكة مالي الإسلامية بنشر العلوم والثقافة الإسلامية في أرجائها، وبخاصة منسا موسى، الذي استقدم لفيفاً من العلماء والفقهاء من مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي، فأحضر معه من الحجاز شاعر الأندلس، ومهندسها المعماري أبا إسحاق الساحلي، الذي أدخل هندسة البناء الشرقي وزخرفته إلى بلاد السودان الغربي[٣]، وأحضر معه القاضي أبا العباس الدكالي[٤]، والقاضي عبد الرحمن التميمي الذي سكن مدينة تمبكتو، فوجدها حافلة بالفقهاء والعلماء السودانيين، وقد تفوَّقَ بعضهم عليه ــ أثناء المناظرة العلمية ــ في الفقه المالكي، مما اضطره للسفر إلى المغرب للاستزادة من الفقهاء المالكية. ثم عاد إلى تمبكتو ينشر العلم والدعوة إلى دين الله[٥]. كما استقدم من المغرب أيضاً الفقيه عبد الله البلبالي الذي تولى إمامة الجامع الكبير في تمبكتو،واشترى كثيراً من الكتب الدينية،واللغوية،والأدبية،والعلمية، والثقافية بعامة من الحجاز ومصر والمغرب والأندلس، فاشتهرت مدن في مملكته الشاسعة كمراكز إشعاع ثقافي مزدهر، مثل: أودغست، وتمبكتو، وجني، وغاو وغيرها [٦]، حتى أضحت مملكة مالي الإسلامية محطً رحال العلماء والفقهاء من كل حدب وصوب، لما كانت تتمتع به من أمن ورخاء يضفي على العلماء والفقهاء جواً من السكينة والاستقرار، بل وتفرغ تام للعلم والبحث والتدريس. فنمت الثقافة الإسلامية وازدهرت[٧]، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة في السودان الغربي[٨].

---

(١) انظر: إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم علي طرخان،(ص ٨٢)، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و العلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٣٩٠هــ.

(٢) المغرب في ذكر بلاد إفريقية، المرجع السابق (ص ١٧٤ــ١٧٥).

(٣) انظر: العبر، المرجع السابق (٦/٢٠٠).

(٤) انظر: الرحلة لابن بطوطة، المرجع السابق (ص ٦٩٢).

(٥) انظر: تاريخ السودان، المرجع السابق (ص ٥١).

(٦) انظر: الرحلة، المرجع السابق (ص ٦٧٧).

(٧) انظر: إفريقيا تحت أضواء جديدة، المرجع السابق (ص١٤٦).

(٨) انظر: صبح الأعشى، المرجع السابق (٥/٢٩٨).

ولم يكتف منسا موسى عاهل مالي بما وصلت إليه العلوم والثقافة من تقدم وازدهار في مملكته، بل أراد المزيد، فأرسل طلاب العلم في بعثات دراسية، إلى كلٍّ: من الحجاز، والمغرب، ومصر، والأندلس(1)، فانكبُّوا على الثقافة والعلم ينهلون، ويأخذون منه بنصيب وافر(2)، فتألَّق نجم كثيرين منهم في تلك البلاد، أمثال الشيخ العالم الفقيه المالكي "أبو محمد، يوسف بن عبد الله التكروري" الذي وفد على مصر، وتعلم في الأزهر الشريف، ونبغ بين علمائه حتى اشتهر بينهم بالعلم والفقه والصلاح، فقربه الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ــ٣٨٦هـ)، وأغدق عليه، فظلَّ في القاهرة ينشر العلم والفقه والدين حتى وافته المنية رحمه الله، فدفن في أحد أحيائها وقد نسب إليه فيما بعد، وهو حي (بولاق الدكرور) المحرَّف عن التكرور(3).

كما أورد ابن حجر رحمه الله ترجمة لعالم آخر من أبناء غربي إفريقية، لُقب بـ "فقيه تكروري"، وهو صبح بن عبد الله الذي أشرق نجمه في علم الحديث في مصر، ثم ما لبث أن رحل إلى الشام، حيث أخذ يُدرِّس الحديث في جامع دمشق، وبقي هناك حتى وافته المنية رحمه الله(4).

وفوق ذلك كله، فقد عهد سلطان غانا المسلم إلى الفقيه المالكي المصري، عَلم الدين ابن رشيق، ببناء مدرسة لطلاب غربي إفريقية، يدرسون فيها الفقه المالكي على يديه، فبناها لهم بحي "حمام الريش" بالقاهرة سنة بضع وأربعين وستمائة(5)؛ وقد ذكر ابن خلدون، أنه قابل بمصر فقيه أهل غانا وكبيرهم علماً وديناً وشهرة سنة (٦٩٩هـ)(6).

كما ازدهرت العلوم والثقافة الإسلامية في عهد أسكيا الحاج محمد في مملكة سنغي الإسلامية، فقد أحبَّ العلماء وطلاب العلم ورعاهم، وأغدق عليهم، وجدد الدين، وأقام القضاة والأئمة(7).

وكان أسكيا داود الذي جاء بعد أخيه أسكيا محمد، أول من اتخذ خزائن للكتب(8)، وله نُساخ ينسخون الكتب المفيدة، إما لبيعها، أو لتوزيعها على العلماء والمراكز الإسلامية المعروفة

---

(1) انظر: تاريخ السودان، المرجع السابق (ص ٥٧)، وصبح الأعشى، المرجع السابق (٢/ ٤٩٢).

(2) انظر: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، المرجع السابق (ص ٣٢٥).

(3) انظر: الخطط للمقريزي، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي،(ص ٢/١٧١)، مطابع النيل، القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩١٧م، ودولة مالي الإسلامية، المرجع السابق (ص ١٩٦).

(4) انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: حميد سيد جاد الحق،(٢/٢١٠)، دار الكتب الحديثة.

(5) انظر: المرجع نفسه (٢/١٧١).

(6) انظر: العبر، المرجع السابق (٢/٢٠٠).

(7) انظر: تاريخ الفتاش، المرجع السابق (ص ٥٩).

(8) لعله يقصد مكتبات عامة تحتوي على كتب الفقه المالكي، مثل: موطأ، ومدونة سحنون، والشفا للقاضي عياض، وكتب الصحاح في السنة وغيرها، انظر: تاريخ الفتاش، المرجع السابق (ص ٥٩).

آنذاك في كل من تمبكتو، وجني، وغاو وغيرها، أو لإهدائها إلى الملوك والأمراء المسلمين الذين كانوا يحرصون على اقتناء الكتب الدينية النفيسة في رفوف خزائنهم الخاصة (١).

ويجدر بالذكر أن الثقافة الإسلامية التي أشرقت نورها في أرجاء غربي إفريقية وقتذاك، كانت مغربية الطابع، ولا غرو في ذلك لأن الإسلام دخل هذه البلاد عن طريق (المغرب) بشمال إفريقية، فحمل معه إلى غربي إفريقية حضارة المغرب وثقافته وبعض عادات وتقاليد أهله، فأصبح الأهالي يقلدونهم في كل شيء تقريباً «يرتدون عمائم بحنك مثل المغاربة، وملبسهم شبيه بلباسهم: جلباب، ودراريع بلا تفريج ...»(٢). وكانت مدارسهم، والمناهج التي تدرس فيها، في كل من جني، وتمبكتو وغاو، تكاد تكون مغربية صرفة، باعتبار المغرب أول مصدر للكتب الدينية والثقافية إليها من جهة، ولكون معظم العلماء والفقهاء في تلك المراكز الثقافية من المغاربة من جهة أخرى. كما أن الخط العربي المغربي هو الخط الذي استخدمه مسلمو غربي إفريقية ــ ولا يزالون حتى يومنا هذا ــ لكتابة الثقافة العربية والإسلامية(٣) « وكانت كتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ...»(٤).

وقد تأثرت شعوب غربي إفريقية أيما تأثر بمختلف قبائله باللغة والثقافة العربية، سواء في حياتهم الدينية، أوفي مظاهر حياتهم الاجتماعية، ونشاطاتهم الاقتصادية، وأنظمتهم السياسية والإدارية ونحوها. وكان للاحتكاك السلمي بين الإفريقيين، وتجار العرب المسلمين فضل كبير في اقتراض عشرات الكلمات من العربية إلى اللغات واللهجات الإفريقية المحلية (٥) والتي لا تزال تُتداول حتى اليوم.

وبعد هذا التمهيد المهِّم، ينتقل الباحث إلى الباب الأول من هذه الدراسة، ليتحدث عن الواقع العقدي في غربي إفريقية بين عقيدة السلف التي دخل بها الإسلام صافية نقية منذ عهد الفاتحين الأُوَّل، وبين الانحرافات العقدية التي طرأت عليها أخيراً، بفعل العادات والتقاليد الجاهلية الموروثة، ومن قبل بعض رجالات الطرق، و أصحاب الملل والنحل المنحرفة التي وفدت إلى المنطقة إبان فترات انتشار الإسلام.

---

(١) انظر: المرجع نفسه (ص ٩٤).
(٢) صبح الأعشى، المرجع السابق (٢٨١/٥، ٢٩٧).
(٣) انظر: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، المرجع السابق (ص ٢٢١)، وصبح الأعشى، المرجع السابق (٢٩٧/٥).
(٤) صبح الأعشى، المرجع نفسه (٢٩٨/٥).
(٥) انظر: التأثير الإسلامي في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٩٠ــ٢٩١).

الباب الأول

الواقع العقدي في غربي إفريقية بين عقيدة السلف والانحرافات العقدية

الفصل الأول : مجمل عقيدة السلف.

الفصل الثاني : مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

الفصل الأول
مجمل عقيدة السلف

تمهيد:

المبحث الأول: منهج السلف في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: عقيدة السلف إجمالاً في سائر أبواب العقيدة.

المبحث الثالث: جهود السلف في حماية جناب العقيدة.

المبحث الرابع: ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومصنفاتهم في بيان العقيدة وتقريرها.

تمهيد

لما كانت مجمل قضايا هذا الفصل تتناول عقيدة السلف، ومنهجهم في تقريرها وإثباتها، فمن الضرورة بمكان أن نعرج على بيان مفهوم العقيدة والسلف في اللغة والاصطلاح، ونقول مستعيناً بالله:

أولاً: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة في اللغة:

مأخوذة من العقد، وهو الشَّدُ، والتَّوثيقُ، والإحكامُ، والرَّبطُ على الشيءِ بشِدّة، تقول العرب: «اعتقد الشيءَ: صَلَبَ، واشتدَ»[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ** ﴾[2]. قال ابن كثير: «أي ما صممتم عليه منها وقصدتموها»[3]. وقال الشوكاني: «أي ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقدة، الموثقة بالقصد والنية ...» [4].

إذن فالعقيدة في معناها اللغوي: هي ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه، ويعقد العزم عليه ويراه صحيحاً، سواء أكان صواباً في حقيقة الأمر أم باطلاً.

أما العقيدة في الاصطلاح:

فهي: « الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع»[5].

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، (٢/٢١٥ـ٢١٦)، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٢) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (٢/١٢٢)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، (٢/١٠٤)، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(٥) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر عبد الكريم العقل، (ص ٩)، ط١، دار الوطن، الرياض، وانظر: العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، (ص ٩)، ط٥، مكتبة الفلاح، د.ت. والعقيدة أولاً لو كنتم تعلمون، د. عبد العزيز القارئ (ص ١٠)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٣هـ، والعقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، أبوبكر محمود غومي، (ص ٣ـ٤)، طبعة دار العربية، بيروت، ومجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، د.ناصر عبد الكريم العقل، (ص ٥)، دار الوطن، ١٤١١هـ.

ثانياً: تعريف السلف لغة واصطلاحاً:

السلف في اللغة:

السَّلفُ (السِّينُ واللاَّمُ والفاءُ)، أصل يدل على تقدمِ وسبقٍ، من ذلك السلف: الذين مضوا. والقوم السُّلاف: المتقدمون[١]. وسَلَفَ القوم: هم الذين تقدموا سُلوفاً. وسلفُ الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلافٌ، وسِلافٌ. وهم سَلَفٌ لمن وراءهم ... وكان ذلك في الأمم السالفة، والقرون السوالف[٢]. وسَلَفَ يَسْلُف سَلَفاً وسُلوفاً: أي تقدَّم. والسلف: من تقدمك من آبائك، وذوي قرابتك الذين هم في السن والفضل.

وقيل: سلفُ الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[٣].

وقد ورد لفظ "السلف" في القرآن الكريم ثمان مرات، باختلاف الاشتقاقات[٤]؛ قال الراغب الأصفهاني[٥] في المفردات: السلف أي المتقدم، كما قال تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ** ﴾[٦]، أي معتبراً متقدماً. وقال: ﴿ **فَلَهُۥ مَا سَلَفَ** ﴾[٧]، أي تجافى عما تقدم من ذنبه. وقال: ﴿ **إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾[٨] أي ما تقدم من فعلكم، فذلك يتجافى عنه. ويقال لفلان: سلف كريم أي آباء متقدمون[٩].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون،(٣/٩٥)، ط١، دار إحياء الكتب الدينية، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٤٨م.

(٢) انظر: أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري،(١/٤٥٤)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، المرجع السابق (٩/١٥٨)، و الصحاح، لإسماعيل الجوهري، (٤/١٣٧٦)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٣٥٥)، دار الحديث، ٢٠٠٧م.

(٥) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، والمعروف بالراغب، أديب من الحكماء والعلماء من أهل أصفهان، توفي سنة (٥٠٢هـ)، انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي،(٢/٢٥٥) دار العلم لملايين، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٦) سورة الزخرف، آية: ٥٦.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٨) سورة النساء، آية: ٢٢.

(٩) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،(ص ٢٣٩)، ط٢، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

وقال القرطبي[1] في تفسيره لقوله تعالى:﴿ **إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾[2]، أي تقدم ومضى. والسلف من تقدم من آبائك وذوي قرابتك[3].

وقال في موضع آخر في معنى قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ** ﴾[4]، والسلف المتقدمون، يقال: سلفَ يسلفُ سلفاً، مثل طلب يطلب طلباً أي تقدم ومضى. وسلفَ له عمل صالح أي تقدمَ، والقوم السُّلاف المتقدمون [5].

وكذلك ورد لفظ "السلف" في السنة مرات عديدة باختلاف الاشتقاقات أيضاً[6]، والذي يهمنا في هذه الدراسة هو المعنى الذي يعبر عن السبق والتقدم[7]. ومن ذلك: حديث فاطمة (رضي الله عنها)، أن النبي ﷺ قال لها: «... **ولا أُراني إلا وقد حضر أجلي، وأنكِ أول أهلي لحوقاً بي، ونِعْمَ السلفُ أنا لكِ**»[8]؛ مما يعني أن سلف الإنسان: مَن تقدمه بالموت من آبائه، وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم مِمَنْ كان على نهجهم بإحسان بالسلف الصالح رحمهم الله[9].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي،(٥/٣٣٥)، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ، والأعلام، المرجع السابق (٥/٣٢٢).

(٢) سورة النساء، آية: ٢٢.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي،(٥/١٠٤)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م، و معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين البغوي،(٧/٢١٨)، ط١، دار طيبة،الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٥٦.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق (٦/١٠٢).

(٦) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الناشر: الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، (٢/٥٠٥)، القاهرة، د.ت.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي،(١٦/٧).

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/٢٢٥)، رقم (٦٢٦٤).

(٩) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: بإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، (٦/٧٨)، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، د.ت.

أما السلف في الاصطلاح:

فقد اختلف أقوال أهل العلم في تحديد معنى السلف اصطلاحاً، إلى عدة أقوال، منها:

١ ـــ ما ذهب إليه القلشاني[١] في شرح "رسالة أبي زيد القيرواني"، أنهم: الصحابة فقط[٢].

٢ ـــ ما ذهب إليه الإمام الغزالي رحمه الله[٣]، أنهم: الصحابة والتابعون، وذلك في قوله: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين»[٤].

٣ ـــ ما ذهب إليه ابن رجب الحنبلي، أنهم: أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، وذلك في قوله: «وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم ...»[٥].

٤ ـــ ما ذهب إليه الإمام السفاريني رحمه الله[٦]، أنهم: « ما كان عليه الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)، والتابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالأمانة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون مَن رُمي ببدعة، أو اشتهر بلقب غير مرض، مثل:

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس القلشاني، قاضي تونسي، من فضلاء المالكية، توفي سنة ٨٦٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي، المرجع السابق (٢٢٩/١).

(٢) انظر: تحرير المقالة من شرح الرسالة لأحمد بن محمد القلشاني، ق (٣٦) مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٦٠٤).

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد أحمد الطوسي الغزالي، ولد سنة ٤٠٥هـ، فيلسوف، متصوف من أشهر مصنفاته: إحياء علوم الدين، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، المرجع السابق (٣٢٢/١٩)، وترتيب الأعلام على الأعوام، خير الدين الزركلي، (ص ٣٥٢)، دار الأرقم، ١٩٩٠م.

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام، لأبي حامد الغزالي، (ص ٥٣)، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م.

(٥) فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، (ص ٦٠ـ٦١)، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

(٦) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد سنة ١١١٤هـ، وتوفي بنابلس سنة ١١٨٨هـ. انظر: الأعلام، المرجع السابق (١٤/٦).

الخوارج [1]، والروافض [2]، والقدرية [3]، والمرجئة [4]، والجبرية [5]، والجهمية [6]، والمعتزلة [7] ونحو هؤلاء» [8].

ونظراً لهذا التباين والاختلاف بين الآراء، فإنه يلزم الباحث القيام بشيء من التحليل والمناقشة، حتى يتبين القول الراجح في تحديد مَن الذي يصدق عليه إطلاق لفظ "السلف".

---

(١) كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يُسَمّى خارجيّاً سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كلّ زمان، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١١٤/١).

(٢) هي أحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا القليل منهم، وتكفيرهم وسبهم. انظر: الحجة في بيان المحجة ٤٧٨/٢.

(٣) هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد، إذ إنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. انظر: الملل والنحل للشهرستاني(٣١/١).

(٤) يقولون: الإيمان قول بلا عمل. واستقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى الثاني "إرجاء الفقهاء"، وهو أن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل، "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن :من قال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ. ثم أطلق الإرجاء على أصناف أخرى كالجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكرامية القائلين بأن الإيمان هو قول اللسان فقط. انظر: القدرية والمرجئة – نشأتهما وأصولهما وموقف السلف منهما ، للشيخ ناصر بن عبدالكريم العقل (ص ٧٧).

(٥) الجبرية: هم الغلاة في نفي استطاعة العبد على الفعل، وإضافته إلى الرب تعالى، وهم أصناف: الجبرية الخالصة، وهي التي لا تثبت للعبد أفعالاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً. والجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، ويرى البعض أن الأشاعرة من أصناف الجبرية، وقد نفى الشهرستاني ذلك بقوله: "فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري". انظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: هلموت رتير،(٨٥/١)، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، والخطط، المرجع السابق (٣٤٩/٢).

(٦) الجهمية: هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه. وترجع نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي. كان هؤلاء الجهمية العقبة الكئود في سبيل نشر العقيدة السلفية النقية، حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل، شغلتهم وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم ، وكانت العاقبة الحسنة ـــ ولا تزال ـــ لأهل السنة والجماعة، ولله الحمد. انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: أمير علي مهنا وآخرون،(٢٣٨/١)،ط٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، و تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، (١٤ـــ١٨)، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، و الرد على الجهمية والزنادقة، لأبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،(ص ٢٣)، عيسى البابي الحلبي.

(٧) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري، بزعامة واصل بن عطاء الغزال. وقد نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، ثم أصبحت فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء والاتجاهات العقدية، ثم انتشرت في أكثر بلاد المسلمين انتشاراً واسعاً. تتركز عقيدتهم على أصول خمسة هي: العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد،والمنزلة بين المنزلتين،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: أهم الفرق الإسلامية، محمد الطاهر النيفر،(ص ٣٣)،ط٢،الشركة التونسية للتوزيع،تونس، ١٤٠٦هـ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة، المرجع السابق (ص ٥٦).

(٨) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية، محمد بن أحمد السفاريني،(٢٠/١)، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

التحليل والمناقشة:

١ ـــ إذا قيل إن السلف هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين أي أصـــحاب القـــرون المفضلة، كما ذهب إليه أصحاب الأقوال الثلاثة الأول. فهؤلاء يستدلون بالحديث الـــذي أورده الإمام البخاري عن عمران بن حصين (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال:«**خيركم قرني،ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم**».ثم قال عمران:لا أدري،أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو: هل كان المجتمع الإسلامي آنذاك مقصوراً على هـــؤلاء فقط دون غيرهم من الناس؟! فالإجابة هو: النفي. لأننا وجدنا طوائف وفرقاً نشأت في هذه الفترة الزمنية، كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة وغيرهم، جلبت على الأمة الإسلامية الشقاق، والفرقة، واختلاف الكلمة، فهل يشمل هؤلاء أيـــضاً وصـــف "الـــسلف"؟ الجواب: كلاَّ. إذن يلزمنا تقييد هذا الاسم، وعدم قصره على فترة زمنية بعينها؛ ذلك لأن السبق الزمني ليس وحده كافياً في تعيين السلفي، غير أنه لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف،والرجوع إلى أقوال رجال الفترة الزمنية، وإلى فهمهم عند الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم،ولا يعـــني هذا حصر مذهب السلف في هؤلاء، لأن كل من قال بقولهم فهو على مذهب السلف،وإن تأخر عنهم، ما لم يرم ببدعة[٢].

٢ ـــ أما القول الرابع، وهو قول الإمام السفاريني رحمه الله، فقد رسم للـــسلفية خطـــاً واضح المعالم، لأنه احترز وقيد بمن شُهد له بالإمامة، ولم يرم ببدعة، أو شُهر بلقب غير مـــرض، وهذا القول هو الراجح في الباب ... والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري، (٢/٩٣٨)، رقم (٢٥٠٨).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، (١/٤٠ـــ٤١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٥م.

وقد حدد بعض الباحثين المعاصرين تعريفاً آخراً دقيقاً للفظة "السلف"، لتشمل السلفية الزمانية[١]: وهم أهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، وهذا لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف[٢].

والسلفية المنهجية: وهي الحجة في الفهم والمنطلق على ما كان موافقاً للكتاب والسنة، وأجمع عليه الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين؛ قال الإمام هبة الله اللالكائي رحمه الله[٣]: «ما كان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ، ثم صحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها، والثبات عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع، والاستماع إليها، مما أحدثها المضلون...»[٤]، وهو ما يطلق عليه: السلفية المنهجية[٥].

وصفوة القول: أن السلف هم أهل القرون الثلاثة مع إقرار أن لا يكون صاحب بدعة. وأما من جاء بعد القرون الثلاثة، فإنه إذا كان على مذهب السلف ـــ كما رأينا ـــ فإنه ينسب إليهم، فيقال: "فلان سلفي" أي يسير على منهج السلف، وإن لم يكن كذلك فلا، و الله أعلم.

---

(١) انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، حمد بن صادق الجمال، (ص ٢٢٧)، دار عالم الكتب، ١٩٩٤م.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، المرجع السابق (١/٤٠).

(٣) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، أبو القاسم اللالكائي، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، من أهل طبرستان، استوطن بغداد، توفي سنة ٤١٨هـ. انظر: الأعلام، المرجع السابق (٨/٧١).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (١/٧ــ٨)، ط٦، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٥) انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق (ص ٢٢٨).

المبحث الأول

منهج السلف (رحمهم الله) في إثبات العقيدة الإسلامية

تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج في اللغة:

قال ابن فارس «(النُّونُ، والهاءُ، والجيمُ)، أصلان متباينان، الأول في النهج، الطريق، ونهجَ لي الأمرَ، أي: أوضحه. والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان بنهج: إذا أتى مبهوراً، منقطع النَّفس. وضربتُ فلاناً حتى أنهجَ، أي: سَقَطَ»[1]. والأول هو المقصود في هذا الباب.

والمِنهاجُ: الطريق الواضح، ونهجَ الطريقَ: أبانه وأوضحه. ونهجَ الطريقُ نهجاً، ونهوجاً أي: وضح واستبان[2]؛ فيقال: طريق نهج، وطريق نهجة، ونهجتُ الطريقَ: أي بينته. وانتهجتُه: استبنته[3].

أما المنهج اصطلاحاً:

فهو الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب[4]، بواسطة طائفة من القواعد العلمية، تُهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة[5].

وقد ورد لفظ "المنهج" في القرآن مرة واحدة فقط، وذلك في قوله تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المرجع السابق (٣٦١/٥)، مادة نهج.

(٢) انظر: مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي،(ص ٦٨١)، دار الفكر، د.ت. ولسان العرب، المرجع السابق (٣٠٠/١٤)، و المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،(٩٥٧/٢)، ط٢، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، د.ت.

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، المرجع السابق (ص ٤٧٢).

(٤) انظر: مناهج البحث العلمي: أسسه وأساليبه، د. عمار لوحوشي،(ص ٩٢)، مكتبة النمار، الأردن.

(٥) انظر: العلم والبحث العلمي، حسين عبد الحميد رشوان،(ص ١٤٣ـ١٤٥)، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مناهج البحث العلمي عند العرب، جلال محمد عبد الحميد موسى،(ص ٢٧٣)، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢م.

(٦) سورة المائدة، آية: ٤٨.

قال الإمام البغوي رحمه الله: قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً، وسنة[1]. كما ذكر الزمخشري في تفسيره: أن معنى "منهاجاً" أي : طريقاً واضحاً[2].

ويتمثل منهج السلف في أمور، نجملها فيما يلي:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة، وحصر التلقي لأحكام الدين وأصوله وفروعه في هذين المصدرين، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وألا يعارضهما شيء من المعارضات، لا بمعقول، ولا رأي، ولا قياس، ولا ذوق، ولا وجد، ولا مكاشفة، ولا منام، ولا غيره[3]، وذلك بالاستجابة الكاملة للوحي الإلهي الذي تكفل لنا إن نحن اعتصمنا بهما أن لا نضل ولا نشقى أبداً[4]، كما قال تعالى:﴿ **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾[5].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) موضحاً معنى الآية: « لقد تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة»[6]، وكذلك سنة النبي ﷺ. وقد استدل السلف رحمهم الله، على وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والاعتصام بهما، بنصوص واضحات من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾[7]، وقوله: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾[8]، وقوله: ﴿ **فَلَا**

---

(١) انظر: تفسير البغوي، المرجع السابق (٦٦/٣)، والمفردات في غريب القرآن، المرجع السابق (ص ٢٥٨).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري،(٣٤٢/١)، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد،(١٣/٨ــ١٤٥)،ط١، دار العربية، بيوت، ١٣٩٨هــ/١٩٧٧م. و(٢٥١/١٦ــ٤٧١).

(٤) انظر: مجمل أصول أهل السنة والجماعة، المرجع السابق (ص ٢٦٢ــ٣٦٣).

(٥) سورة طه، آيتان: ١٢٣ــ١٢٤ .

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،(٦٠٧/٥)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هــ، وعزاه إلى الفريابي، وسعيد بن منصور،وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

فهذه الآيات واضحة الدلالة، على أن الهدي كله في كتاب الله تعالى، وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ، وأن الواجب على المسلم، هو الانقياد، والإذعان، والتسليم التام دون أي تردد أو شك، وذلك لأن كل أمر بان رشده لا يتردد العاقل في قبوله، والاعتماد عليه.

و من السنة المطهرة:

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوبٌ[2]، فقال: «**أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرِّموا حرامه**»[3].

وجاء في موعظة النبي ﷺ بغدير خم قوله: « **أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»[4]؛ وفي رواية أخرى: «**كتاب الله وسنتي**»[5].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، كلها تؤكد على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، والعمل بمقتضاهما وفق فهم السلف.

ثانياً: **تعظيم أقوال صحابة رسول الله ﷺ**، وتوقير أفرادهم، والأخذ بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة، وبما ورد عنهم، وذلك امتثالاً لأمر النبي ﷺ، وتوجيهه الكريم في الحديث الذي رواه العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) من رعبتُ رعباً من باب نفع أي : خفتُ، ورعبته وأرعبته، والاسم الرعب: الخوف. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي،(١/٢٣٠)، دار الفكر، د. ت.

(٣) المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، (١٨/٣٨)، رقم (٦٥)؛ ورواته ثقات.

(٤) صحيح مسلم (١٥/١٧٤)، رقم (٦١٧٥).

(٥) صحيح مسلم (١٥/١٧٦)، رقم (٦١٧٨).

(٦) سنن أبي داود (٢/٦١)، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٣)، رقم (٢٦٧٦). وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

ثالثاً: حفظ العقول عن البحث في الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها؛ وذلك لأن الله تعالى أعطى العقول قدرة محدودة، فهي لا تستطيع أن تتجاوزها مهما أوتي من العلم والفطنة والذكاء. وقد أدرك السلف (رحمهم الله) هذه الحقيقة، فكفوا عن الخوض في الأمور الغيبية، وسلموا للنصوص الشرعية الثابتة التي حدثتهم عن ذلك وآمنوا بها[1].

رابعاً: عدم مجادلة أهل البدع والإعراض عنهم، فلا يجالسونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا شبههم، بل يحذرون منهم أشد التحذير، خصوصاً من عرف منهم بعناده، والتزامه الهوى، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ** ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾[3].

وقول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**»[4]، وقوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[5].

كما رُويت نصوص كثيرة عن السلف (رحمهم الله)، ما لا يحتمل المقام ذكرها، وكلها تهدف إلى اجتناب أهل البدع وهجرهم، والإعراض عنهم، والحذر عن سماع كلامهم أو الجلوس معهم[6].

---

(١) وهذا من أقوى الأدلة على عمق فهمهم، وقوة ذكائهم، وحرصهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فبه يظهر صدق متابعتهم لنبيهم ﷺ، وحرصهم على إقامة سنته، والبعد عن كل ما يكرهها.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٠.

(٤) صحيح البخاري (٣٠١/٥)، رقم (٢٥٥٠)؛ ومسلم (٣٤٣/٣)، رقم (٤٤٦٧).

(٥) صحيح البخاري (١٩٤٩/٥)، رقم (٤٧٧٦)؛ ومسلم (١٧٨/٩)، رقم (٣٣٨٩).

(٦) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٠٦/٢٨ــ٢١٠، ٢١٣ــ٢١٨)، و انظر: منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم،(٦٣/١ــ٦٥)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ، وقد ذكر الشاطبي في الاعتصام أنواع الهجر، وكيفية العمل بكل نوع بما يناسب المبتدع وبدعته انظر: (١٧٤/١ــ١٧٧).

خامساً: الجمع بين أطراف الأدلة:

وذلك بأن يرجع إلى الكتاب كله، وإلى السنة كلها قبل تقرير الحكم الشرعي في أي مسألة. وهذا ما رجح مذهب السلف في كثير من المسائل التي ترد فيها نصوص، يظن الناظر فيها أنها متعارضة، كنصوص الوعد والوعيد، بينما نجد الخطأ والزلل في مخالفة الكتاب والسنة عند أهل البدع، فكفر الخوارج والمعتزلة مرتكب الكبيرة، وأخرجوه من الإيمان، لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد. وجعلت المرجئة الفساق والأولياء في درجة واحدة في الدنيا والآخرة، لأنهم أخذوا بنصوص الوعد، وأهملوا نصوص الوعيد.

ولما جمع السلف (رحمهم الله) بين النصوص وأخذوا بمجموعها، قالوا: ببقاء أصل الإيمان عند أصحاب الكبائر، ولكنهم معرضون للعقاب إن لم يتوبوا، فلم يحكموا عليهم بكمال الإيمان وتمامه، ودخولهم الجنة يوم القيامة بغير عذاب، ولا حكموا عليهم ـــ أيضاً ـــ بالخلود في النار كالكفار إن استحقوا دخولها، فأصابوا الحق الذي دلت عليه النصوص[١].

سادساً: لزوم جماعة المسلمين، ونبذ التفرق والاختلاف والتحذير منه:

فهذا من أهم الأسس والقواعد التي قامت عليها عقيدة السلف، وذلك تحقيقاً لأمر الله تعالى، وأمر نبيه ﷺ، في وجوب لزوم الجماعة، والحذر كل الحذر من التفرق والاختلاف مهما كان نوعه؛ قال تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[٢]، وقوله: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ** ﴾[٣].

---

(١) انظر: الإيمان، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،(ص ٢١٠ـــ٢١٨)، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـــ، وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي،(٧١/٢)، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـــ، و مدارج السالكين، لابن القيم،(٣٩٢/١ـــ٣٩٤)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، و شرح العقيدة الطحاوية، (ص ٣٣٨ـــ٣٤٨)، ط٤، الكتب الإسلامي، بيروت، د.ت، والمعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد بن عبد الله المعتق،(ص ٢٠٩ـــ٢٦٤)، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٥هـــ.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان**»[1].

فهذه الآيات، وهذا الحديث وغيرها مما جاءت في معناها واضحة الدلالة والمراد، وكلها تدل على وجوب لزوم الجماعة، والتحذير من مفارقتها، ولو تمسك بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وحققوها كما أرادها الله ورسوله ﷺ منهم، لكانوا على ذلك الخير العظيم الذي مضى عليه السلف الصالح من الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، ولعاد للمسلمين مجدهم، وكرامتهم التي فقدت في عصرنا الحاضر، بسبب التشرذم والاختلاف، وعدم الإذعان لتعاليم الشريعة الغراء. ومع ذلك كله، فإن الخير لا يزال ــ إن شاء الله ــ في أمة محمد بن عبد الله ﷺ إلى أن تقوم الساعة، ما داموا متمسكين بالحق اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، كما قال ﷺ: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[2].

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٩/٣)، رقم (٤٧٧٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٦٦/٦)، رقم (٧٠٢٢)؛ وصحيح مسلم (٣٧٠/٢)، رقم (٤٩٢٧).

المبحث الثاني

عقيدة السلف (رحمهم الله) إجمالاً في سائر أبواب الاعتقاد

لقد تميزت عقيدة السلف (رحمهم الله) بقيامها على الكتاب والسنة، في كل جزئية منها، فكانت تلك العقيدة هي المحجة البيضاء، التي تركنا عليها المصطفى ﷺ، سهلة في تطبيقها،واضحة في دلالاتها، بينة في مقاصدها، لا يزيغ عنها إلا المبتدعون الضالون، أصحاب الأهواء الباطلة، والاتجاهات الفاسدة.

ومما أود التنبيه عليه، هو أن عقيدة السلف، قد دونها العلماء في مصنفات كثيرة، بل كتبوا في بعض جزئيات منها مجلدات ضخمة، لذا، فإنه من الصعب أن أذكرها هنا مفصلة، وإنما سأكتفي بذكرها على طريق الإجمال والإيجاز بحيث يكفي طالب الحق، فينال بغيته في التعرف على عقيدة سلفنا الأخيار، إن لم يتمكن من الاطلاع عليها بالتفصيل في مظانها، ومراجعها المختلفة.

وقد عبر عن مجمل هذه العقيدة الغراء الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابيه: "الإبانة عن أصول الديانة[1]"، و"مقالات الإسلاميين[2]" وذلك بعد توبته ورجوعه إلى مذهب السلف رحمهم الله، وقد دان الله به؛ حين قال رحمه الله:

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي تقولون، وديانتكم التي بها تُدينون؟!.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين الله بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق،

---

(١) انظر: الباب الثاني (ص ٨) وما بعدها.

(٢) انظر: (٢/٢٤٥) وما بعدها.

ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظَّم، وكبير مفخَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نزيد على ذلك شيئاً، وأن الله عز وجل إله واحد، لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً،وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق،وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله استوى على عرشه، كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1]، وأن له وجهاً بلا كيف، كما قال:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[2]، وأن له يَدَيْن بلا كيف، كما قال: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[3]، وكما قال:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[4]، وأن له عيناً بلا كيف، كما قال:﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[5]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره، كان ضالاً، وأن لله علماً، كما قال: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾[6]، وكما قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾[7]، ونثبت لله السمع، والبصر، ولا ننفي ذلك، كما نفته المعتزلة، والجهمية، والخوارج، ونثبت أن لله قوة، كما قال:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾[8]، نقول: إن كلام الله غير مخلوق،وإنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: كن فيكون، كما قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[9]، وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل،وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله

---

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٣) سورة ص، آية: ٧٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٥) سورة القمر، آية: ١٤.

(٦) سورة النساء، آية: ١٦٦.

(٧) سورة فاطر، آية: ١١.

(٨) سورة فصلت، آية:١٥.

(٩) سورة النحل، آية: ٤٠.

الله[1]. ولا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله[2]،وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدورة،كما قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3]، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون، كما قال:﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[4]، وكما قال: ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[5]، وكما قال:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[6]، وكما قال:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾[7]، وهذا في كتاب الله كثير، وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر إليهم، وأصلحهم، وهداهم، وأضل الكافرين، ولم يهدهم، ولم يلطف بهم بالإيمان، كما قال تبارك وتعالى:﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[8]، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين،ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم، وطبع على قلوبهم[9]، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وأن نلجأ في أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه، ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ، إن الكافرين محجوبون عنه، إذا رآه المؤمنون في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ

---

(١) أي قبل أن يريده الله ويمكنه من الفعل.

(٢) هذا هو تحقيق الاعتقاد بتوحيد الربوبية.

(٣) سورة الصافات، آية: ٩٦.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣.

(٥) سورة النحل، آية: ٢٠.

(٦) سورة النحل، آية: ١٧.

(٧) سورة الطور، آية: ٣٥.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٨.

(٩) ولو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، كما ورد بذلك النص.

﴿عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[1]، وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا، ونرى بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر[2]، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كافرون. ونقول: إن مَن عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا، والسرقة، وما أشبههما مستحلاً لها غير معتقد لتحريمهما كان كافراً.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب، «**وإن القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل**[3]، **وأنه سبحانه يضع السماوات على إصبع، والأرضين على أصبع**»[4]، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف، وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد، والمتمسكين بالإيمان، جنة ولا ناراً، إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذَّبين.

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار بشفاعة محمد رسول الله ﷺ، تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، التي رواها الثقات عدلاً عن عدل، حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله ﷺ. نؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وإن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف، ويحاسب المؤمنين. وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[5]، ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ. وندين بحب السلف الذين

---

(١) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٢) وفي هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:« ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح، ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله»، انظر: شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص١٠٦). ويرى بعض العلماء ومنهم ابن أبي العز الحنفي أن الأنسب أن يقال: « ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله». انظر: شرح العقيدة الطحاوية، المرجع السابق (٣١٦/١).

(٣) صحيح مسلم (٥٠٩/٥)، رقم (٦٦٩٢).

(٤) صحيح البخاري (٢٦٩٧/٦)، رقم (٦٩٧٨).

(٥) يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. فكلما زاد المسلم في الطاعة زاد إيمانه، وكلما فرط فيها أو ارتكب معصية بحيث لا ينتهي به ذلك إلى الكفر الصريح نقص إيمانه. انظر: فتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية، جمع وترتيب: أبو أنس صلاح الدين محمود السعيد (ص٢٢١)، دار الإيمان، الإسكندرية. د.ت.

اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، ونثني عليهم بما أثنى به عليهم، ونتولاهم أجمعين، ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبوبكر الصديق رضي الله عنه، كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن الذين قتلوه، قتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ،وخلافتهم خلافة النبوة. ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ، ونكف عما شجر بينهم، ونَدين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل، من النزول إلى السماء الدنيا[1]،وأن «**الرب عز وجل، يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟**»[2]، وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل،ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا ﷺ، وإجماع المسلمين،وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم،ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾[3]، وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء، كما قال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾[4]، وكما قال: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾[5]، ومن ديننا أن نصلي الجمعة، والأعياد، وسائر الصلوات، والجماعات، خلف كل بر وفاجر، كما روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، أنه كان يصلي خلف الحجاج،وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر، خلافاً لقول من أنكر ذلك. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف،وترك القتال في الفتنة،ونقر بخروج الدجال[6]، كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ،ونؤمن بعذاب القبر،ومنكر ونكير، ومساءلتهما المدفونين في قبورهم،ونصدق

---

(١) نزولاً يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى.

(٢) صحيح مسلم (٦/٢٨٠)، رقم (١٧٧١).

(٣) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٤) سورة ق، آية: ١٦.

(٥) سورة النجم، آية: ٨.

(٦) صحيح البخاري (٣/١١١٣)، رقم (٢٨٩٢)؛ وصحيح مسلم (٢/٤٠٥)، رقم (٤٢٥).

بحديث المعراج،ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيراً، ونرى الصدقة عن موتى المسلمين،والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك، ونصدق بأن في الدنيا سحراً وسحرة، وأن السحر موجود في الدنيا، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة، برهم وفاجرهم وتوارثهم، ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان. وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل، وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل، يرزقها عباده حلالاً طيباً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه، ويتخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1]، وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[2]، نقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات، يظهرها عليهم، وقولنا في أطفال المشركين، كما جاءت بذلك الرواية[3]، وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون،وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟ ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل، وبطاعة الأئمة، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين،واجتناب الكبائر من الزنا، وقول الزور، والعصبية، والفخر، والكبر، والإزراء عن الناس، والعجب.

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة، وحسن الخلق، وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، ولكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله،وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين،وعليه نتوكل، وإليه المصير.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) سورة الناس، آيات من ٤ــ٦.

(٣) ومن الروايات التي وردت بهذا الشأن: ما رواه أبو هريرة ﷺ، عن الأعرج أن رسول الله ﷺ: قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أوينصرانه**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت من يموت وهو صغير؟ قال : «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». انظر: مسند أحمد (٤٨٣/٢)، رقم (٧١٤١٧). وعن قيس بن سعد عن طاوس ومجاهد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر أطفال المشركين. فقال رجل: أين هم يا رسول الله؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». انظر: مسند أبي يعلى (٥٠٣/١٠)، رقم (٦١٢٠)، ومصنف عبد الرزاق (١١٧/١١)، (٢٠٠٧٧)، ومعجم الأوسط للطبراني (٣٥٩/٢)، رقم (٣٠٦٦)؛ والشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(٢٠٩/١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. و شرح العقيدة الطحاوية، المرجع السابق (٣٨٥/١).

فهذه هي مجمل عقيدة سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمتنا المعتبرين، أصحاب المذاهب الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل (رحمهم الله جميعاً)، ومعلوم أنهم ـــ أي السلف ـــ متفقون على أصل واحد لهذه العقيدة السامية، وأنهم ينزعون ـــ كذلك ـــ من منزع واحد، ألا وهو: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ولم يصدر عنهم خلاف أو اختلاف في هذا الأمر أبداً [1].

وإن كنتُ قد نقلتُ عن الإمام أبي الحسن الأشعري مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في أصول الدين،والذي أخذه من إمام أهل السنة الإمام المبجل أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فليس مقصودي أن للإمام الأشعري عقيدة تخالف معتقد السلف الآخرين رحمهم الله، كلاَّ وحاشا، ولكن المقصود هو ذكر ما أثر عن الإمام الأشعري بلفظه، مما أخذه من الإمام أحمد رضي الله عنه في سائر أبواب العقيدة،وذلك لإفحام المبتدعة من مسلمي غربي إفريقية الذين ينتسبون إلى أحد الأئمة الأربعة في الفقه، ويسلكون منهج الأشاعرة وغيرهم في الاعتقاد المخالف لمنهج السلف، والصحيح من عقيدة الإمام مالك رضي الله عنه، ويزعمون ـــ جهلاً وافتراءً ـــ أن ذلك هو اعتقاد السلف رحمهم الله.

وفيما يلي بيان لجهود السلف رحمهم الله في خدمة الإسلام، وحماية جناب العقيدة الإسلامية من البدع والشبه والخرافات.

---

(١) وفي كتب السلف رحمهم الله تفصيل وبيان وأدلة كل مسألة مما تقدم، فليرجع إليه من أحبَّ الاطلاع على ذلك. وقد أورد الإمام اللالكائي رحمه الله فصلاً مطولاً عن اعتقاد السلف (رحمهم الله)، وعدد أسماءهم، وذكر مقالاتهم تحت عنوان: "سياق ما روي عن المأثور عن السلف في جملة اعتقاد أهل السنة والتمسك بها، والوصية بحفظها قرناً بعد قرن"، ثم شرع في بيان اعتقادهم (بدءاً من الصحابة فمن بعدهم) في مسائل العقيدة، وقد سار على هذا النهج عدد من المؤلفين من السلف (رحمهم الله جميعاً).

المبحث الثالث

نماذج من جهود السلف (رحمهم الله) في حماية جناب العقيدة

لاشك أن العقيدة الإسلامية خالصة نقية، بل هي المحجة البيضاء الصافية التي ترك رسول الله ﷺ الأمة عليها، ولهذا لما ظهرت البدع والانحرافات والفتن التي أراد أهلها - بسوء نية - التشويش على صفاء هذه العقيدة، وطمس نورها، وقف السلف بكل حزم وشجاعة ويقين لردِّها، والإنكار عليها وعلى أهلها. فحفظ الله بهم الدين،وأتم بهم النعمة. ولولا فضل الله، ثم تلك الجهود التي بذلوها، لاختلط الحق بالباطل، ولقال من شاء في الدين ما شاء، ولانتشرت البدع والخرافات الباطلة إلى أن يصبح المسلمون في دينهم، كما أصبح عليه مَن قبلهم. لكن الله تعالى لم يرض بذلك، بل تكفل بحفظ دينه الذي ارتضاه إلى يوم القيامة، وسخر له رجالاً خدموه بإخلاص، يبتغون ثواب الله ورضوانه، ما كانت تأخذهم في الله لومة لائم، سواء في حياة رسول الله ﷺ، أو بعد وفاته.

فقد كان السلف من الرعيل الأول على عهد رسول الله ﷺ، أخلص الناس ديناً، وأشدهم حفاظاً على شعائر الإسلام، كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، يتناصحون، ويرشدون، لا يقر لأحدهم قرار، ولا يغمض له جفن، إذا رأى منكراً، أو بدعة من قريب أو من بعيد، لا يداهنون أحداً، ولا يخافون إلا ربهم تبارك وتعالى.

ولو بدأنا الحديث عن بعض تلك الجهود المباركة في زمن الخلافة الراشدة، لقلنا على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

ففي عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ، نجد اهتمامه البالغ في الحفاظ على العقيدة صافية ونقية، إذ لم تكن محاربته لأهل الردة، وإرجاعهم إلى جادة الصواب، إلا مظهر من مظاهر اهتمامه بحفظ العقيدة. وما كانت هجرته إلى المدينة بصحبة النبي ﷺ إلا أحد الشواهد العظيمة على ذلك، فقد ترك المال، والبنين، والأهل، والأحبة، ليفر إلى البلد الذي يأمن فيه على عقيدته. وما إنفاقه في سبيل الله،وإعتاقه الرقاب إلا لوجه الله تعالى وحماية جانب العقيدة. ولقد أسلم على يديه أبطال من الصحابة كانوا مفخرة الإسلام والمسلمين فيما بعد. ويطول الحديث لو أردنا استقصاء جهوده وأعماله التي قدمها حفاظاً على العقيدة، ومبتغياً بها وجه الله تعالى ورضوانه.

وكذلك الحال مع الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ،الذي أقض مضاجع المشركين، وأعلى الله به كلمة الحق، وظهر المسلمون على أعدائهم،ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وكانت دُرته سيفاً مسلطاً على رقاب أهل البدع والمنافقين. وكانت سيرته العطرة،وأخباره المشرقة،مثار دهشة وإعجاب العالم أجمع. كان شديداً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، شديداً على أهل البدع، يضربهم بالدُرة، مؤدباً لرعيته، بأقواله، وأفعاله، دخل عليه شاب طويل الثوب، وعمر ﷺ يجود بنفسه عندما طعنه المجوسي، فسلم عليه، فلما خرج ناداه عمر، فرجع إليه الشاب، فقال له: «يا بني اقصر من ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»، أو كلاماً نحو هذا، ولم يشغله ما هو فيه من سكرات الموت، حتى عن التنبيه على هذه المسألة البسيطة، فما الظن بغيرها ؟!

وقد ضرب رجلاً اسمه صبيغ حتى أدمى رأسه، لأنه كان مغرماً بالسؤال عن المتشابهات. وهدد أبا موسى الأشعري ﷺ حين استأذن ثلاثاً وانصرف، فقال له: لماذا استأذنت ثلاثاً وانصرفت؟ فقال له: هكذا سمعت النبي ﷺ يقول. وكان أبو موسى صادقاً، وعمر يعرفه بالصدق،ولكنه أراد أن يحد ويؤدب من عسى أن تسوِّل له نفسه التقول على رسول الله ﷺ. فقال هات شاهداً وإلا فعلت وفعلت بك، وكان مهاباً رغم تواضعه الجم، تهابه الناس، وتهابه الشياطين، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، أنه لا يسلك وادياً أو فجاً، إلا وسلك الشيطان فجاً آخر، وأخباره لا تستقصيها هذه العجالة ﷺ.

وبعد استشهاده، خلفه الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، فأبلى بلاءً حسناً في الإسلام وفي خدمته، وفي الفتوحات، ونشر الإسلام، وخدمة العقيدة الحنيفية السمحة، ما طفحت به المراجع التاريخية.

ومن أجل خدماته للإسلام، وكرمه الواسع ابتغاء مرضاة الله تعالى، وإنفاقه الذي فاق التصور في سبيل الله، ولا ينسى القارئ أجل خدمة قام بها عثمان في شأن كتاب الله تعالى إلى أن استشهد ﷺ على يد البغاة.

ثم خلفه علي بن أبي طالب ﷺ، على نفس الأهداف، في خدمة العقيدة ورفع رايتها خفاقة، ومحاربة أهل الكفر والبدع، بأقواله وأفعاله، وقد أحرق مَن ألهوه من دون الله، و العياذ بالله؛ حتى لقي ربه ﷺ. ثم جاءت الدولة الأموية، وكان لأول ملوكهم معاوية بن أبي سفيان ﷺ خدماته الجليلة للإسلام والمسلمين، فقد فتحت البلدان الكثيرة في عهده، وفي عهد خلفائه، وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً، وكان ﷺ محارباً لكل محدث في الدين، حماية لجناب العقيدة أن تدنس بالشبهات والأهواء.

ونبغ في عهد الدولة الأموية، ثم العباسية علماء أجلاء فضلاء، خدموا العقيدة، وقدموا أنفسهم في سبيل الحفاظ على صفائها ونقائها كما أنزلها الله تبارك وتعالى.

ولا ننسى تلك المواقف المشرِّفة لعلماء السلف في خدمة العقيدة، أمثال الأئمة الأربعة، وعلى رأسهم الإمام المبجل: أحمد بن حنبل، ومن جاء بعدهم: كالعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، إلى أن جاء في العهد القريب الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي جدد الله به كثيراً من السنن التي كادت أن تندثر، وأزال به كثيراً من الشركيات والبدع والخرافات التي انتشرت، وأخذت حيزاً واسعاً في عقول المسلمين ومشاعرهم. ويطول ذكر علماء السنة، وذكر جهودهم ومآثرهم المباركة في خدمة العقيدة، فقد أدوا الأمانة الملقاة على عواتقهم، وأبرءوا ذممهم، ونصحوا الأمة، فحذروا وبينوا، وألَّفوا الكتب والرسائل، وكم لهم من محاضرات ومناظرات وفتاوى، دحضوا بها شبه الضالين، وأقاموا الحجة على كل السامعين، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل. وما هذه المؤلفات العديدة التي تزخر بها المكتبات الإسلامية، إلا ثمرة تلك الجهود، وأقوى الشواهد على بلائهم وصبرهم، فحفظ الله بهم العقيدة، لما ادخره لهم من جزيل الأجر والمثوبة.

المبحث الرابع
ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومصنفاهم في بيان العقيدة وتقريرها

لقد يسر الله تعالى لحفظ دينه رجالاً وهبوا أنفسهم لخدمة هذه العقيدة المباركة، ويسر لهم الأمور، ورزقهم الإخلاص، والذكاء الفطري، فنبغ منهم العلماء الفطاحل، أصحاب البيان والسحر الحلال[1]، فكانوا جنوداً أوفياء لدينهم وعقيدهم. ما إن تظهر فتنة إلا ودفنوها، ولا صاحب بدعة أو هوى، إلا وحذروا منه. فأقام الله هم حجته على الناس، فألفوا الكتب الكثيرة في بيان عقيدة السلف وإيضاحها من جهة، وفي الرد على أعدائها ومخالفيها من شتى الطوائف والفرق المنتسبة للإسلام من جهة أخرى، مدعومة بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة. ومن الصعوبة بمكان حصر هذه المؤلفات الواسعة، التي ملئت بها المكتبات الإسلامية بين مطولات، ومتوسطات، ومختصرات، ومطبوعات، ومخطوطات. وإنما نذكر ما يتيسر ذكره منها، كمثال على الثراء الفكري والثقافي عند علماء السلف (رحمهم الله).

ويجدر بالذكر، أن عقيدة السلف (رحمهم الله)، ما كانت في يوم من الأيام، مشتملة على غموض أو اضطراب أو خفاء يحتاج إلى توضيح وشرح، ولكن حصل ما لم يكن في الحسبان من ظهور علماء السوء الذين أحاطوا كثيراً من تعاليم الإسلام، بشبهاهم الباطلة التي ورّثوها عن مختلف النظريات والفلسفات؛ وتأويلاهم الفاسدة للنصوص، ثم أضرموا الخلاف فيها، وقلبوا الأمور والحقائق المعلومة من الدين بالضرورة، حتى ظهرت أنها في حاجة إلى الدراسة والبيان، إذ فوجئ السلف رحمهم الله بالأمر الواقع، فقاموا بالبيان، وضرب الأمثلة تارة، وبمقارعتهم والرد عليهم تارة أخرى، كل ذلك لإعادة المسلمين إلى نبع العقيدة الصافي. وقد أخذ هذا المنحى جهداً ووقتاً كبيرين، كان ينبغي أن يستغلا لرفع راية الإسلام خفاقة، لولا تلك الفتنة الهوجاء التي شوَّهت أفكار كثير من المسلمين في تلك المرحلة من تاريخ الإسلام.

ونلحظ أن تدوين العقيدة، قد واكب تدوين السنة النبوية سواء بسواء، ومن ثَمَّ فإن الذين عنوا بالسنة وتدوينها، هم أول من عنوا بالعقيدة وتدوينها أيضاً، وقد لا ينتبه كثير من أتباع أئمة

---

(١) لما روي عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحراً**»، وفي رواية: «**إن بعض البيان لسحر** »، صحيح البخاري مع الفتح (٤٠٢/١٢).

السلف الفقهاء، أن لأئمتهم سبقاً في هذا المجال، وأن ما نقل عن بعضهم من أقوال أو تأليف، يُعدُ بداية لتدوين عقيدة أهل السنة، فللإمام أبي حنيفة ﷺ (ت: ١٥٠هـ)، كتابان في العقيدة هما: الفقه الأكبر[١]، والوصية. وعقد الإمام مالك ﷺ (ت: ١٧٩هـ)، بابين في موطئه عن القدر، وأشار فيهما إلى الرد على القدرية. وقد نقل عن الإمام الشافعي ﷺ (ت: ٢٠٤هـ)، كلام كثير ينتصر فيه لعقيدة أهل السنة، ويقيم الحجة على أهل البدع والأهواء، كأهل الكلام ونحوهم.

أما أبرز الأئمة الأربعة، وصاحب الراية المنصوبة الذي كان له باع طويل في نصرة عقيدة أهل السنة والدفاع عنها، وقد تحمل في سبيل ذلك الأذى، وأصناف المحن، فهو الإمام المبجل أحمد بن حنبل ﷺ (ت:٢٤١هـ). وقد ألف عدة كتب خاصة في العقيدة، إلى جانب ما دوَّنه في "مسنده"، حيث جمع فيه أحاديث كثيرة، بين فيها عقيدة السلف ضمن تلك الأحاديث التي أوردها، وأهم هذه الكتب: كتاب السنة، وكتاب الإيمان، وكتاب الرد على الزنادقة والجهمية، وكتاب فضائل الصحابة؛ كما أن له مسائل في العقيدة، دوَّنها تلاميذه عنه في مؤلفاهم[٢].

ثم يأتي دور بقية أئمة الحديث، الذين دوَّنوا السنة النبوية، وفي مقدمتهم الإمام البخاري رحمه الله (ت ٢٥٩هـ)، الذي أفرد في صحيحه أبواباً مهمة، في بيان عقيدة السلف، أهمها: كتاب الإيمان، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكتاب التوحيد.

كما أن له مؤلفاتٍ أخرى مستقلة، أفردها في بيان العقيدة ، والرد على مخالفيها، وأهم هذه الكتب: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة[٣]، كتاب خلق أفعال العباد، والأدب المفرد. ثم جاء بعده الإمام مسلم رحمه الله (ت: ٢٦١هـ)، الذي خصص هو الآخر أبواباً في صحيحه، لتقرير العقيدة، والرد على المخالف، ومن ذلك: كتاب الإيمان، وكتاب القدر، وكذلك فعل الإمام الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) رحمه الله.

أما الإمام ابن ماجه (ت:٢٧٣هـ)، فقد افتتح سننه بمقدمة ذكر فيها الرد على من خالف السنة، وعقيدة السلف الصالح (رحمهم الله). وفعل مثله الإمام أبو داود (ت: ٢٧٥هـ)، حيث جعل في آخر سننه كتاباً أسماه "كتاب السنة"، رد فيه على أهل البدع بمختلف طوائفهم وفرقهم.

---

(١) مطبوع.

(٢) قدمت رسالة دكتوراه لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٤٠٩هـ) من الطالب عبد الإله بن سلمان الأحمدي، بعنوان: " المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة"؛ وكُتب الإمام أحمد ﷺ المذكورة أعلاه كلها مطبوعة ما عدا الأخير.

(٣) وقد أشار الإمام البخاري إلى هذا الكتاب في صحيحه، انظر: فتح الباري (١٣/٢٤٥ـ٢٤٦).

ومن علماء الحديث والسنة الذين ردوا على المخالفين ضمن مؤلفاتهم: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ) في مصنفه، والإمام الدارمي (ت: ٢٥٥هـ) في بداية سننه، وابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) في مصنفه؛ كما أن لابن أبي شيبة كتاباً مفصلاً أسماه "الإيمان".

أما الكتب الخاصة المؤلفة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على المخالفين، فهي كثيرة جداً، ولا يكاد يخلو عصر من العصور، إلا ونجد فيه عالماً من العلماء الأخيار، يصنف كتاباً في ذلك، ابتداءً من القرون الفاضلة وإلى يومنا هذا؛ حيث كتبَ كثيرٌ من علماء أهل السنة الفضلاء في بيان السنة والعقيدة الصحيحة، والرد على أهل البدع المخالفين، أمثال: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن العثيمين، وكذا الشيخ ناصر الدين الألباني (رحمهم الله جميعاً). وما ذكر، فإنما هو من باب التمثيل، إذ إن حصر كتب السلف في هذا الباب، يكاد يكون مستحيلاً جمعه في هذه العجالة، فالمكتبة الإسلامية زاخرة وثرية بمؤلفات متنوعة بين المطوّل، والمختصر، والنثر، والنظم، والأسئلة، والأجوبة. ولا يزال الخير في أهل السنة والجماعة ـ إن شاء الله ـ إلى قيام الساعة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

فرحم الله جميع علماء السلف رحمة واسعة، ونفع بعلمهم جميع أهل الأرض مشارقها ومغاربها، وأجزل لهم المثوبة على إخلاصهم وصبرهم.

وهكذا، فهؤلاء هم سلف الأمة وأئمتها، وهذه هي عقيدتهم، وما امتازت به من الفضائل والمحامد. وهذه بعض من جهودهم التي بذلوها خدمة لهذه العقيدة، وحماية لجنابها من الأهواء والشبهات، وهي عقيدة صافية نقية خالصة، اعتنقها الأفارقة في غربي إفريقية، أثناء الفتح الإسلامي لشمالها كما تقدم، على يد كوكبة متميزة من أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعيهم بإحسان منذ القرون الأولى للهجرة، ولكن ما لبث أن امتزجت هذه العقيدة الطيبة النقية، بانحرافات أهل الأهواء، وشبهات أصحاب الملل والنحل المختلفة التي وفدت إلى المنطقة إبان انتشار الإسلام فيها، إضافة إلى خرافات وثنية عتيقة، انبثقت من العادات والتقاليد المتأصِّلة في نفوس بعض المسلمين هناك، ما أنزل الله بها من سلطان، خصوصاً وأن هؤلاء الناس يجهلون كثيراً من علوم الشريعة وأحكام الدين.

وفيما يلي تفصيل القول في مجمل تلك الانحرافات الطارئة على هذه العقيدة الإسلامية الخالصة، ثم نتبع ذلك بالآثار المترتبة على تلكم الانحرافات العقدية في حياة المسلمين في غربي إفريقية.

الفصل الثاني
مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية

تمهيد:

المبحث الأول: بداية ظهور الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الثاني: أسباب انتشار الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الثالث: مظاهر الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

المبحث الرابع: الآثار (السلبية) المترتبة على مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية.

تمهيد

قبل الدخول في صلب الحديث عن الانحرافات العقدية في غربي إفريقية: تاريخها، أسباب انتشارها، مظاهرها، والآثار المترتبة عليها في المجتمع الإسلامي الإفريقي، يحسن بنا تعريف كلمة "الانحراف" لغة واصطلاحاً، ثم نتبع ذلك ببيان مقصود الشارع من اللفظة: "الانحرافات العقدية".

مفهوم الانحراف لغة واصطلاحاً:

الانحراف في اللغة: مأخوذ من (حَرَفَ)، وهي تدل على حدِّ الشيء والعدول عنه. فأما الحد: فحرف كل شيء حده، كالسيف. فالانحراف عن الشيء، هو العدول. يقال: انحرفتُ عنه انحرافاً أي عدلتُ به عنه[1].

قال ابن منظور: « وانْحَرَفَ أي عَدَلَ. وإذا مال الإنسان عن الشيء، يقال: تحرف وانحرف عنه. وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره، وتعديله. والتحريف في القرآن: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة، وتعدلها حسب هواهم بالأشباه، فوصفهم الله تعالى بفعلهم ﴿ **مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** ﴾[2]. قال الإمام الشوكاني رحمه الله:« والتحريف: الإمالة والإزالة والتغيير أي يميلونه ويزينونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره. والمراد أنهم يتأولونه على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله ... وقد ذمَّهم الله تعالى بذلك لأنهم يفعلونه عناداً وبغياً، وتأثيراً لغرض الدنيا»[3].

وفي الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء قط، إلا قال: «**يا مصرِّف القلوب، ثبت قلبي على طاعتك**»[4]، أي محرِّفها و مميلها ومزيغها وهو الله تبارك وتعالى»[5].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، المرجع السابق (٤/٢٥٥).

(٢) سورة النساء، آية: ٤٦.

(٣) فتح القدير (١/٧١٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٨٠)، وتفسير الطبري (٤/١٢٠)، وتفسير القرطبي (٥/٢٣٣).

(٤) مسند أحمد (٣/١٤٦)، رقم (١١٦٩٧).

(٥) انظر: لسان العرب، المرجع السابق (٩/٤٣).

وبهذا نستنتج بأن معاني الانحراف في اللغة، تدور حول: الميل والعدول والتغيير والاعوجاج، وهو الذي يعنينا في هذا الباب.

أما معنى الانحراف في الاصطلاح:

فهو ارتكاب فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه، أو ترك فعل أوجبت الشريعة القيام به، دون أن يكون للفعل أوالترك عذر شرعي[1].

أما "الانحرافات العقدية": فهي الميل أوالعدول عن الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، وذلك بالتزام دين أوعبادة أو سلوك لم يأذن الله به ولا رسوله ﷺ، ولم يروَ عن أحد من السلف الذين هم أئمة الدين وأعلامه رحمهم الله. وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[2] وذلك تنبيهاً للأمة على عظم خطر الانحراف والبدع، وتنفيراً لهم عن اقترافها أو العمل بها[3].

وكما ثبت عنه أيضاً ﷺ أنه خط مرة خطاً مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله خطوطاً منحرفة، وقال: «**هذا سبيل الله** ـــ يعني المستقيم ـــ **وهذه** ـــ الخطوط الكثيرة المنحرفة ـــ **سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾[4]»[5].

وقد مثّل بعض العلماء مراد النبي ﷺ ـــ أثناء شرحهم لهذا الحديث ـــ بجريدة النخلة التي تتدلى وتصل إلى الأرض، فهذه الجريدة، وفيها هذا السعف و الخوص ملتصق بها، فلو أن حشرة من الحشرات، ركبت هذه الجريدة من الأرض، فإنها إذا سارت على وسط الجريدة، وصعدت عليها، وصلت إلى أقصى النخلة، وأكلت من الثمر ما أرادت. ولكن لو أنها انحرفت، وركبت

---

(١) انظر: البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع وإعداد: حمود بن عبد الله المطر،(ص ٣٣ـــ٣٤)، ط٢، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البدع والمحدثات ...، المرجع السابق (ص ٤٧).

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(٥) مسند أحمد (٢/٥)، رقم (٤١٣١).

خوصة من الخوص الذي يتدلى في تلك الجريدة، فإنها تسير عليها قليلاً، ثم تنتهي الخوصة وتسقط الحشرة على الأرض[1].

وهكذا فالعبد الذي يسير على الصراط السوي، والسيرة الشريفة، فإنه يؤدي به إلى الفوز برضى الله تعالى، وتكون له الجنة. أما الذي ينحرف عن الطريق، فإنه يؤدي به إلى الهلاك والضلال، ويكون من الخاسرين في دنياه وأخراه والعياذ بالله.

لذا، فالواجب على المسلم أن يقتصر فقط على ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ، سواء في باب العقائد، أو العبادات أو غيرها، فلا يزيد شيئاً، ولا يستحسن شيئاً لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ، وقد قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[2].

وفيما يلي بيان لمجمل الانحرافات العقدية التي طرأت على عقيدة المسلمين في ديار غربي إفريقية، بداياتها، وأسباب انتشارها، ومظاهرها، والآثار المترتبة عليها، وذلك في المباحث التالية.

---

(١) انظر: البدع والمحدثات ...، المرجع السابق (ص ٤٧ـ٤٨).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

المبحث الأول

بداية ظهور الانحرافات العقدية في غربي إفريقية

لقد أدى تفاقم الأحداث المتتالية في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين إلى أن تجعل العالم الإسلامي كله نهباً للانحراف العقدي المتمثلة: في الفوضى السياسية، والاجتماعية، والثقافية ونحوها، فقد تزعم العثمانيون معركة الجهاد لجبر ضعفهم، وكسر طمع الطامعين فيهم. وانقسم المسلمون على أنفسهم في كل مكان، وتعرضوا لموجة طاغية من التخاذل والتفكك والانهيار. والاستعمار الغربي يتربص بالوطن الإسلامي الدوائر، ويتهيأ لأن يقتطع جزءاً كبيراً مما طاب له من أراضيه وخيراته.

وغربي إفريقية باعتبارها جزءاً هاماً لا يتجزأ من الوطن الإسلامي[1]، فقد امتدت إليها هذه الآثار المدمِّرة، ووقعت في نفس المصير، وسادته الظروف والأحوال نفسها، حتى أصبحت في القرن التاسع عشر الميلادي، لا تختلف في دقائق تفصيلاتها عن أحوال الوطن الإسلامي الكبير[2].

وكما عانى حكام المشرق الإسلامي من مناوئيهم، من ألوان الفساد والانحراف العقدي، فقد تعرضت كذلك غربي إفريقية للاحتلال المراكشي الذي قضى على مملكة سنغي التي كانت توحِّد بين أقاليم السودان الإسلامية، وتبسط عليها ظلال الأمن والرخاء والطمأنينة والاستقرار[3].

وكانت هذه المأساة ذات آثار بعيدة المدى في أحوال البلاد الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والدينية وغيرها.

فمن الناحية الاقتصادية: فقد توقفت القوافل التجارية القادمة إلى المنطقة، بسبب انعدام الأمن، وسوء الأحوال.

ومن الناحية السياسية: فقد أصبحت البلاد مسرحاً لغارات البدو والطوارق الذين كانوا يريدون أن يستبدلوا أوطانهم الصحراوية بالمراعي الخصبة في منطقة النيجر، فأغاروا عليها، واستولوا على غاو (سنة ١٧٧٠م)، وهددوا تمبكتو، وعاشوا في أرجائها حتى سنة (١٨٠٠م).

---

(١) على الرغم من أن لكل مجتمع خصوصياته الاجتماعية والثقافية و ... ، فإن الثوابت التي تربط بين الأمة الإسلامية الواحدة لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان والمكان، إذن فمن الطبيعي أن يتأثر مجتمع غربي إفريقية بما يدور حوله من التحديات والأزمات، نتيجة الظروف المرحلية التي تعيشها الأمة.

(٢) Arberry: Islam to day, p. 137.

(٣) Fage, pp. 30-34.

ومن الناحية الثقافية والدينية: فكتابي تاريخ السودان للسعدي، وتاريخ الفتاش[1]، حافلان بأنباء نفي العلماء وتشريدهم وتعذيبهم، وأحمد بابا التمبكتي فقيه السودان المعروف، عاش شطراً من حياته في مراكش، بل ذكروا أخباراً أخرى تتحدث عن حبس أهل العلم، وأئمة المساجد، ومصادرة أموالهم وأملاكهم، بل وقتلهم وهدم مساجدهم في أغلب الأحيان.

ولعل السبب في ذلك والله أعلم، أن فقهاء المالكية في غربي إفريقية، كان شأنهم شأن فقهاء المالكية في المغرب، يتزعمون المجتمع، ويدافعون عن حقوق الناس، ويثورون على الظلمة، ويجاهرون بنقد الحكام وتجريحهم، فكان ولاة مراكش وأمراء الجيش، كلما سمعوا نقداً أو تجريحاً، أو رأوا خروجاً عن الطاعة، نكلوا بالعلماء والفقهاء الذين يُحرِّضون الشُّعوب، ويُؤلِّبونهم ضدهم.

وقد فرّ — على أثر ذلك — أغلب أهل العلم إلى الشرق أو الغرب بدينهم، والرحالة الفرنسي "ديبوا Dubois" الذي زار مدينة تمبكتو في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، رأى هذه المدينة الإسلامية العتيقة، تعيش على ذكريات مجيدة من تراث تليد، تعيش على مؤلفات الشيخ أحمد بابا، والشيخ السعدي، والرعيل الأول من المفكرين والعلماء والمثقفين، ووجد مكتباتها الشهيرة مقفرة، وجامعتها العريقة قد تضاءلت عدد أساتذتها وطلابها بشكل مخيف[2].

كما شهد هذا العصر ظاهرة أخرى لم تكن مألوفة من قبل، فقد ظهرت في المنطقة الواقعة إلى الغرب من النيجر دولاً وثنية، تعلمت من المسلمين فَنَّ الحرب، وأساليبهم في الحكم، ونجت من الغزو الإسلامي، محتفظة بعقيدتها الوثنية، وتقاليدها الموروثة، ثم أخذ نجمها يعلو في سماء الحياة السياسية والعسكرية بعد ذلك الضعف الذي غلب على مناطق النفوذ الإسلامي، فظهرت إمارات البمبارة [3] في سيغو[4]، واستقلت تماماً عن المراكشيين، ثم اندفعوا يتوسعون، واضطروا سكان تمبكتو المسلمين إلى دفع الجزية[5].

---

(١) Dubois, p. 152.

(٢) Dubois, p. 152.

(٣) وهم الذين بقوا على ديانتهم الوثنية التقليدية طيلة هذه القرون، ولا تزال بقاياهم حتى الآن موجودين في كل من مالي، وغينيا، والسنغال، وساحل العاج، وبوركينا فاسو... إلخ.

(٤) أي إمارات خاصة بالدول الوثنية التي تمكنت من الانتعاش من جديد إثر ضعف الممالك الإسلامية، وانهيار سلطتها على كافة أرجاء المنطقة، انظر: Fage, op. cit. p. 144.

(٥) بعد أن كانوا هم الذين يدفعونها للمسلمين من قبل.

كما اندفع بعض هؤلاء صوب الشمال الغربي، وأسسوا إمارة أخرى في منطقة "كاراتـــا" احتفظت هي ـــ أيضاً ـــ باستقلالها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي[1].

وهكذا، فلم يسلم قطر من أقطار السودان الغربي من هذه الأدواء التي أصـــابت المجتمـــع الإسلامي، فإمارات الهوسا كانت تجد مشقة في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية المجاورة، فكانت في حروب مستمرة مع هذه القوى الوثنية، فضلاً عن انقسامها على نفسها داخليـــاً، فتقاتلـــت إمارات كاتسينا، وتقاتلت الإمارات الأخريات، مما أدى إلى ضعفها وانقـــسامها إلى دويـــلات صغيرة، استولى عليها الأعداء واحدة تلو أخرى، وأقاموا على أنقاضها دولاً وثنية قويـــة، تأخـــذ الجزية من المسلمين[2].

ويبدو أن الانحراف العقدي والأخلاقي، كان قد بلغ حداً في أوساط المجتمع الإسلامي في المنطقة ـــ بعد استيلاء الوثنيين على جزء كبير منها ـــ يصعب على المؤمن الغيور على دينه، الصبر أو السكوت عليه، يتبين ذلك من الرسالة التي وجهها فقيه إفريقية عبد الكريم المغيلي إلى ســـلطان "كانو" يعرض فيها لألوان الفساد، والانحراف العقدي والاجتماعي الذي ساد المجتمع الإسلامي، ويطلب منه :«أن يمنع جميع أهالي بلاده من عبادة غير الله، وعن ادعاء علم الغيب، وعن إتيـــان الكهان والعرافين وتصديقهم، وعن السحر، وعن الاعتقاد في تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس، وعن سبِّ الدهر لأن الله هو الذي يصرفه، وعن الطيرة والتشاؤم إلى غير ذلك من المعاصي والمنكرات، ... وأن يمنعهم كذلك من إظهار ذلك بين المسلمين ... فـــإن لم يتركـــوا أعمال الشرك أو ... إلخ، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعاف الإيمان من المـــسلمين، لا سيما والغالب على أهل هذه البلاد، الجهل والهوى ...»[3].

---

(١) Idem

(٢) Hogben, op. cit. pp.68-189.

(٣) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ٨٣ ـــ٨٤).

ويقول الإمام السيوطي رحمه الله [1] في السياق نفسه، في كتاب وجهه إلى بعض أمراء مملكة غوبر في نيجيريا، ما نصه:«... وبلغني أن أهل غوبر، إذا مرض فيهم مريض ذبحوا له عبداً أو أمة، ويزعمون أن ذلك يفديه من الموت، فما أكفره فيما صنعه وفيما زعمه، وهذا ما يُسوِّل له الشَّيطان، ويزينه من العدوان، ومما يؤول به صاحبه إلى الكفران، فليعلم من بعد ذلك أن الله بريء منه ورسوله ﷺ، وليس يبلغ بذلك مناه وسؤله، ولو أعتقه لكان أقرب إلى الفداء بعيداً عن الاعتداء، فمن عرض له أمر، فليعرضه على حملة الشريعة، ويسأل عالماً يوثق بعلمه، ويجب عليه أن يطيعه... »[2].

وهكذا انتشرت مظاهر الانحرافات العقدية في غربي إفريقية، وأخذت أشكالاً وألواناً متعددة، ولبست أثواباً متباينة، غير أنها متفقة في ارتباط تأثيرها بالدين الإسلامي، وأن أعداء الدين لهم دور بارز في إذكائها، وإضرام نارها في المجتمع الإسلامي، وقد تسببت في إضعاف الدين، وذهاب كثيرٍ من سننه، ومبادئه السامية، « وكثيراً ما تنشر البدع، وتأخذ مكانة الدين في النفوس، وتصير هي الدين المتبع عند الناس، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة، وانحرف عنها المؤمنون ...» [3].

وكما انتفض العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، وقامت في أكثر أقطاره محاولات حثيثة لإخراج المسلمين من رقدهم وإيقاظ وعيهم، وبعث النشاط فيهم، إما عن طريق الدعوات السلمية، أو الحركات الإصلاحية التجديدية، امتدت هذه اليقظة أيضاً إلى غربي إفريقية، فقد شهدت المنطقة محاولات من هذا القبيل، للأخذ بيد المسلمين، وإصلاح عقائدهم وأمور دينهم، وما كانت لهذه البلاد أن تبقى بعيداً عن مؤثرات الأقطار الإسلامية الأخرى، إذ كانت صلاتها بالعالم الإسلامي صلات وثيقة، تُفكِّر كما يُفكِّر، وتتجاوب كما يتجاوب.

وكانت حركات الإصلاح التي شهدتها غربي إفريقية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، تدخل في هذا الإطار، وتدعو المسلمين إلى العودة بالإسلام إلى ماضيه المشرق، وتكوين

---

(١) هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق المصري الخضيري الأسيوطي، الشافعي، ولد سنة (٨٤٩هـ)، رحل إلى الشام والهند والغرب والتكرور، توفي سنة (٩١١هـ). انظر: شذرات الذهب، المرجع السابق (٢٥/٨).

(٢) الإسلام في نيجيريا و ...، المرجع السابق (ص ٨٨).

(٣) علم أصول البدع، علي حسن علي عبد الحميد،(ص ٢٨٧ـــ٢٨٨)، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

مجتمع إسلامي في نظمه، وتقاليده، وعاداته. وتُعدُّ دعوة مجدد الإسلام، والداعية المعروف في غربي إفريقية الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله[1]، واحدة من أكبر الشواهد على ذلك، فقد جسدت تلك الدعوة في حقيقة الأمر، فكرة انبعاث الحياة في الكيان الإسلامي، واكتشاف قيمة العودة إلى منابعه الأصيلة، ومحاولة تطبيقها على كل مناحي الحياة، كما استهدفت نبذ البدع، ومظاهر الانحراف العقدي والأخلاقي والفكري التي كانت تسود المجتمعات الإسلامية في المنطقة[2].

وعلى الرغم مما حققته تلك الدعوات الإصلاحية من انحسار لبؤر البدع، ومظاهر الانحراف المتمثلة في عادات وتقاليد جاهلية متعددة، مثل: تقديس الأسلاف، وتقديم النذور والقرابين للغابات المقدسة، التي كان يمارسها بعض الملوك والأمراء المسلمين وغيرهم، اعتقاداً منهم ــ زوراً وجهلاً ــ أن ذلك يوطِّد نفوذهم، ويقوي سلطانهم، ويجلب الأمن والأمان لدولتهم، إضافة إلى اعتقادات شركية أخرى لا يقرها الإسلام، ولا العقل السليم، مثل: اعتقادهم في تناسخ أرواح الأسلاف في الأبناء والأحفاد، أو قدرة تلك الأرواح على جلب النفع، أو دفع الضرر[3].

كما انتشرت بدع وانحرافات عقدية أخرى، في أوساط المسلمين بمسميات إسلامية، لكن بالروح والمعاني الجاهلية نفسها التي نهى الله تعالى عنها، وحذر منها الرسول ﷺ، وقد أشار إلى بعض ذلك الشيخ آدم الألوري رحمه الله، مما يؤكد بجلاء وجود خلل واضح في عقيدة بعض المسلمين في غربي إفريقية، دون شعور بحجم خطورتها، منها على سبيل المثال:

١ ــ الانحراف العقدي الذي يؤدي إلى الكفر أو الشرك بالله عز شأنه، كالتعلق بالتمائم والتِّولة، وإتيان الكهان، والعرافين، والمنجمين، والسحرة، والرمَّالين وغيرهم. وكذلك إظهار العبودية لأصناف من الجن والشياطين، وتقديم النذور والقرابين لهم.

---

(١) سيأتي الحديث عنه مفصلاً في مبحث جهود علماء غربي إفريقية في الدعوة لتقرير مسائل العقيدة الإسلامية.

(٢) مما يدل دلالة واضحة على أنه كان بغربي إفريقية علماء أجلاء، أخلصوا دينهم لله ــ نحسبهم كذلك، ولا نزكي على الله أحداً ــ وجاهدوا لنشر هذا الدين العظيم بالغالي والنفيس، كما كان الحال في بعض بلاد المشرق العربي والإسلامي. ويزعم بعض المؤرخين أن الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، حج وتأثر بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وحملها إلى غربي إفريقية. والصحيح هو: أن الشيخ ابن فودي رحمه الله لم يكتب له الحج، مع شدة حرصه على ذلك، وإنما تأثر بشيوخ بلاده المشهورين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وليس كل إصلاح ينبعث من المشرق العربي الإسلامي فقط، بل يوجد في كل بلد إسلامي مصلح ومجتهد. انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس واليوم،آدم عبد الله الألوري، (ص ١٠٤ــ١٠٥)،مكتبة وهبة،القاهرة، ١٤٠٨هـ.

(٣) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٩٨ــ٩٩).

٢ ــ الانحراف العقدي في بعض الشعائر التعبدية، مثل: إقامة الموالد والاحتفالات، والإسراف فيها، إما للنبي ﷺ بزعمهم، أو لأوليائهم من شياطين الإنس.

٣ ــ الانحراف العقدي المتعلق بالعادات والتقاليد الموروثة، مثل: الجثو على الركب للاستعطاف، أوخلع النعال، والطواقي، والعمامة، أو الانبطاح على الصدر في التراب عند معاينة الأمراء والملوك، أو سجود التحية (بوضع الجبهة على الأرض كهيئة سجود الصلاة) للزعماء والملوك وأكابر الناس، إلى غير ذلك من العادات والتقاليد الجاهلية الممقوتة[١].

وهكذا، بقيت بلاد غربي إفريقية فريسة لهذه الضلالات، وانحرفت الحياة الإسلامية في سبيلها من غير امتناع، أو مقاومة في غالب الأحيان[٢]، حتى أصبح مجال الدعوة والتوجيه منحرفاً بدوره ــ نتيجة بُعد الناس عن التعاليم الإسلامية الصحيحة، وتعدد مصادر التلقي والتحصيل للدين ــ نحو البدع في واقع الممارسات الدعوية، وذلك لتأثره بالظروف والبيئة المحيطة.

فظهرت أدعياء الدعوة من الصوفية وغيرهم، يدعون الناس إلى عقيدتهم الفاسدة، عن طريق إغرائهم بالمال والوجاهة، وتعليم العامة بالأوراد والصلوات البدعية ما أنزل الله بها من سلطان، والسعي إلى اطمئنانهم بأن من يلتزم هذا الورد أو ذاك، فإنه سوف يحصل له كذا وكذا من الأجر العظيم عند الله، والمال الوفير في الدنيا، والوجاهة والرفعة عند الخلق[٣]. كما انتشر مع هذا التوجه في الدعوة والإرشاد جمعيات ومراكز متخصصة للتركيز في الدعوة على منهج رجالات التصوف، حيث يجتمع فيها أتباعهم لترديد الترانيم الدينية، والدعاء الجماعي، وبيع قصاصات ورقية، يعتقد أن فيها أوراداً تجلب الرزق الوفير، أو تشفى من المرض العضال، أو تدفع ضيم الخصوم والأعداء، وكل هذه الظواهر إنما يحاكون بها حيلَ الكهنة، والعرافين، والسحرة، والمشعوذين، في الاستغلال والإغراء، وأخذ أموال الناس بالباطل[٤]... والله المستعان

(١) انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٥٥، ٩١ــ١٠٣).

(٢) وذلك نظراً لقوة تأثيرها على حياة المجتمع أفراداً وجماعات.

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم،المرجع السابق (ص ٢٣٣ــ٢٣٤).

(٤) انظر: التصوف والطرق الصوفية في السنغال، د. خديم محمد إمباكي،(ص ١١٦ــ١١٩)، السنغال، د.ت.

المبحث الثاني

أسباب انتشار الانحرافات العقدية في غربي إفريقية

لقد جعل الله تعالى لكل شيء سبباً، وجعل الظواهر والمشكلات التي يقع فيهـــا النـــاس راجعة إلى أسباب سائقة إليها، وهذه من سنن الله في الخلق، وإن كان عزَّ شأنه قادراً على إيجـــاد الأمور دون أن تكون لها أسباب طبيعية، فهو الخالق للمخلوق وسببه، وهو مـــسبِّب الأســـباب سبحانه وتعالى.

إن لانتشار الانحراف العقدي في غربي إفريقية أسباباً وعوامل عديدة، فقد شهدت المنطقة حالة امتداد سريع لدخول الإسلام منذ فترة مبكرة، وقد أخذ هذا الامتداد ألواناً مختلفة، كانـــت من بين العوامل المؤثرة على واقع الأمة الإسلامية هناك، وممارساتهم لشعائر الدين. كما رافقـــت هذا الامتداد للعقيدة الإسلامية والدعوة إليها، أصناف من الشوائب والشبهات أدت إلى توســـيع دائرة الانحراف، واستفحال أمره، بعيداً عن جوهر الإسلام، وعقيدته الصافية، وقيمه العليا.

وقد تباينت درجة هذا الانحراف من حيث خطورتها، وقوة تأثيرها على حياة المسلمين في المنطقة، ولكنها كانت مجتمعة تنزل بالأمة، وتهبط بها إلى الأسفل، ولا تزال تهبط بها مع مرور الزمن حتى ألقتها في الحضيض. فمن أعرض عن الكتاب السنة، والنهج السوي؛ تنازعته الطرق المضللة، والبدع المحدثة، وكانت عاقبته الخسران في الدنيا، والتيه في الآخرة والعياذ بالله؛ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1]، والأسباب التي أدت إلى انتشار الانحرافات العقدية في غربي إفريقية، تتلخص في المطالب التالية.

---

(١) سورة طه، آيات: ١٢٤ـــ١٢٧.

المطلب الأول

تسرب بقايا الأديان التقليدية[1] إلى الإسلام

هناك العديد من العادات والتقاليد والمعتقدات الموروثة في غربي إفريقية، قد ألصقت — جهلاً — بدين الإسلام. وأصبح أكثر المسلمين ممن ليسوا من أهل العلم والدراية لا يميزون بين تلك العناصر الدخيلة على الإسلام، وبين الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، وذلك نظراً لشدة التفاعل والتمازج بينها. وقد يعود السبب في ذلك إلى عوامل ائتلفت وتشابكت بعضها مع بعض، ومن ذلك على سبيل المثال:

طبيعة الدعوة الإسلامية والظروف الموضوعية التي رافقتها، وطبيعة أرضية المنطلق وظروفها فرضت على الدعاة التكيف معها. ومعلوم أن الإسلام قد انتشر — في غالبه — في غربي إفريقية بالطرق السلمية، حيث لم يكن بحوزة العاملين في هذا المجال قوة مادية رادعة، تُمكِّن من فرض احترام حدود الإسلام في مجتمع حديث عهد به، وتحميه من انحراف المنحرفين، وتصبغ الحياة الاجتماعية بالصبغة الإسلامية الصرفة، تحت رعاية سلطة إسلامية.

وقد انتشر الإسلام — كما مرّ بنا — في أكثر مناطق غربي إفريقية، عن طريق تجار أفارقة وبرابرة وعرب قدموا لبلاد الوثنيين من أجل عرض بضائعهم للبيع، ولشراء ما يحتاجونه لأسواق بلادهم من الذهب والعاج والأخشاب وغيرها، فليس من شأن هؤلاء أن يفرضوا على من يدعوهم لدينهم قواعد وتصرفات، قد يجدون فيها حرجاً لاختلافها مع ما أَلِفُوه من قبل، خصوصاً وأن التجار المسلمين لا يملكون قوة سوى إيمانهم بالله عز وجل، وتمسكهم بدينهم.

---

(١) يذهب علماء الأديان المقارنة مذهبين في نشأة الأديان الإفريقية التقليدية. الأول: أنها نبعت من الأرض والجماعة التي تعيش على تلك الأرض بوحي من الشياطين والأرواح الخبيثة. فالإفريقي مرتبط بالطبيعة، ويعيش في تناغم مع سمائها وأرضها وأنهارها ونباتها وحيوانها ... ويدل على ذلك: أن طقوس هذه الأديان تتمثل في تقديس بعض تلك الظواهر الطبيعية المحيطة، إضافة إلى الاعتقاد بوجود كائن أعلى مجهول يتقرب إليه بعبادة الأنصاب والتماثيل المنحوتة على صورته ... إلخ. والثاني: يرى أن الأديان التقليدية في إفريقية ما هي إلا امتداد للأديان السماوية الصحيحة، لكنها حُرفت وبُدلت بعد أصحابها بقرون. وقد ذكروا لذلك شواهد عديدة؛ منها أن أتباع بعض هذه الديانات يؤمنون بوجود إله واحد أعلى في السماء، هو المتحكم في الكون وما فيه، وقد وضعوا وسائط بينهم وبين ذلك الإله الأعلى المتمثلة في مجسمات على صورة أشخاص، مصنوعة من الخشب، أو الحجر، أو الحديد، أو النحاس، أو الطوب الأحمر، أو الشمع، أو ... إلخ، إضافة إلى عناصر أخرى كثيرة، يحتاج شرحها إلى سياحة علمية يضيق المجال هنا لخوضها، وربما كان ذلك من عوامل سرعة نجاح انتشار الإسلام في إفريقية بصورة عامة. ولعل الفرصة تُتاح للباحث مستقبلاً للخوض في غمار تلك الأديان الإفريقية التقليدية في بحث مستقل، وبصورة مفصلة من خلال الشواهد الموجودة إن شاء الله. انظر للتوسع: الإسلام في إفريقية، د. مدثر عبد الرحيم الطيب، ود. التجاني عبد القادر، ص ١٤، دار الفكر، ط١. بيروت، ١٤٢٢هـ.

وأما الصنف الثاني من الدعاة، فليسوا بأحسن حالاً من سابقيهم، وهذه الفئة تتألف من أشخاص كانوا يفدون على بلاد غربي إفريقية للعيش [1] تحت سلطة ملوك وأمراء وثنيين، فهم مهاجرون أو شيوخ مجردون من كل سلاح، ما عدا إيمانهم العميق بالله، فليس من شأن هؤلاء كذلك أن يفرضوا على أولئك الذين أسلموا على أيديهم[2]، تطبيق شعائر الدين الجديد بحذافيرها، ودون مراعاة لشعور الملوك والأمراء، ومعطيات الوضع الاجتماعي والسياسي السائد للإمارات[3]؛ لاسيما وأن جزءًا من هؤلاء قد دخل في دين الله، فنقل كثيراً من معتقداته الشعبية السابقة التي لم يرَ فيها تعارضاً مع الدين الجديد.

فغياب أية سلطة زمنية ترعى الإسلام، وتدخل على النفوس هيبته، وتحمي حماه حينما يتعرض للتحريف، ساهم إلى حدٍّ بعيد في ظهور ـــ أو على الأصح في بقاء ـــ ممارسات وعقليات متأثرة بعادات وتقاليد المجتمع الوثني إلى درجة أن اندمج بعضها في الإسلام، حتى أصبح وكأنه جزء لا يتجزأ منه[4].

إن بقاء الرواسب الجاهلية التي أفرزتها العادات والتقاليد والمعتقدات الموروثة في المجتمع الغرب الإفريقي، لا شك أنها تؤثر سلباً على سير الدعوة الإسلامية، وقد بقيت هذه الرواسب، وازداد تمسك الناس بها جيلاً بعد جيل، مما صعبت مهمة الدعاة إلى الله في هذا المجتمع[5]، وزاد من هذه الصعوبة، أن الاستعمار الأوروبي ـــ وبعد استيلائه على تلك المناطق ـــ سعى لتوطيد وانعاش ما كان سائداً في المجتمع من تلك الرواسب الجاهلية[6]، ولا غرو في ذلك لأنه لا يتوقع من أهل

(١) إما كمهاجرين أو لاجئين، أو ممن تم إيفادهم كمستشارين لبعض الملوك في المنطقة بغية الاستفادة من خبراتهم وعلومهم في إدارة شؤون البلاد. انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، المرجع السابق (ص١٨ـــ١٩).

(٢) والذي كان يتم ـــ في غالب الأحيان ـــ سراً، حتى لا يثيروا حفيظة الكهنة الوثنيين في البلاط الملكي. انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، المرجع نفسه (ص ١٩).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، المرجع نفسه (ص ٢٠).

(٤) المرجع والصفحة نفسيهما (ص ٢٠).

(٥) لذا فإن الدعاة اليوم في حاجة ماسة لدراسة تلك الأديان التقليدية دراسة موضوعية،لأن الإسلام في إفريقية قد دخلته الكثير من المعتقدات والممارسات التي يرجع أصلها إلى تلك الأديان التقليدية. فتنقية الإسلام منها،تستلزم الإحاطة بها إحاطة كاملة.وخاصة إذا علمنا أن الفكر الديني لدى الأفارقة بدرجة من النضج والوضوح،لاحتوائه على مفهوم الوحدانية،وشموله على صورة متكاملة لعالم الغيبيات... يمكن الاستفادة من هذه الحقائق عند الرغبة في الأخذ بأيديهم نحو الإيمان الكامل بالله عز وجل؛وهذا الأمر في حد ذاته يحتاج إلى جرأة واجتهاد واتساع أفق.انظر:الإسلام في إفريقية،المرجع السابق(ص ٢٢،٢٣).

(٦) سواء أكان ذلك من الناحية العقدية، أو من ناحية إثارة النعرات القومية والعصبية القبلية بين شعوب المنطقة. انظر: تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، (ص ٤١٣ـــ٤١٤)، دار الثقافة، ٢٠٠١م.

الشر إلا الشر. كما أنه وفي ظل ظروف الاستعمار الغاشم، شعرت معظم القبائل الوثنية، أن سلامتها مرتبطة بحفاظها وتمسكها بتقاليدها وعاداتها التي توارثتها من الماضي[1]؛ يقول الأستاذ مادومو بانيكا واصفاً هذه الحالة المزرية التي آل إليها شأن الإسلام والمسلمين في المنطقة إبان عهد الاستعمار: «... وقد كادت التقاليد والعادات الوثنية تنمحي وتضمحل بالتدرج، غير أن الذي زاد الطين بلة، تألب الاستعمار والتبشير على القضاء على عين الإسلام وأثره في المنطقة، بإرجاء كل شيء إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام، تحت عنوان: "إحياء التقاليد والثقافات الوطنية العتيقة"، وكلها لا تسلم من آثار الكفر والوثنية، فعلوا ذلك للبرهنة أن ما قبل الإسلام فن وثقافة ومجد وحضارة، يجب أن لا تنسى. وبالتالي أصبحوا يبعثونها من مراقدها، ويصرفون المليارات من الأموال في سبيل إحيائها في كل مكان»[2].

كما اتبع المستعمرون في بعض الأحيان سياسة خاصة، تقضي إلى دمج هذه الموروثات العقدية القديمة مع العقيدة الإسلامية، ليكون إسلاماً خاصاً بالأفارقة السود، يختلف عن الإسلام الموجود في بلاد المشرق الإسلامي، وحتى يسهل عليهم ــ بعد ذلك ــ محاربة الإسلام من داخله، يقول في ذلك الكاتب الفرنسي "بول مارتي": «... إن ثوب الإسلام أياً كانت بساطته ولياقته، لم يفصل للسود، فهؤلاء يفصلونه من جديد لمقاييسهم، ويزينونه حسب ذوقهم، إن الإسلام الأسود بحكم اختلاف البيئة، والمحيط الاجتماعي مغاير ــ تماماً ــ لإسلام العرب»[3].

كما ألف "فينسيان مونتي" كتاباً تحت عنوان "الإسلام الأسود" حاول فيه بث أفكاره الهدامة لإقناع المسلمين الأفارقة بأن إسلامهم، وبحكم اختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية، مغاير للإسلام الذي يمارسه العرب. وقد بلغ الأمر بهؤلاء المستعمرين إلى حدٍّ أن بعضهم كانوا يتظاهرون باعتناق الإسلام، بغية حمل الأفارقة وحثّهم على ممارسة البدع والمنكرات، كما فعل الباحث الفرنسي الخبيث "إيراد ياغين[4]" الذي تظاهر باعتناق الإسلام في بداية الستينات، وتعلم

---

(١) فلجؤوا إلى نقل آثارهم العقدية والفكرية الموروثة على سبيل المباهات، وليبرزوا للدعاة ما كانوا عليه من حضارة ورقي. انظر: مجلة الفيصل، عدد (٢٣٩) جمادى الأولى ١٤١٧هـ، (ص٣٩ــ٤١)، مقالة لعبد الحكيم حسان عمر، بعنوان: "الترجمة الأدبية ومشكلاتها".

(٢) أوطان الإفريقية الآسيوية ومشكلاتها،(ص ٣١)، لندن، ١٩٥٩م.

(٣) المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ١٣).

(٤) قيل: أصله يهودي. انظر: الإسلام في غرب إفريقية، المرجع السابق (ص ٤٠).

علم الأسرار والطلاسم[1]، حتى أصبح ضالعاً في السحر والشعوذة، ثم بدأ يعمل على إفساد عقيدة المسلمين عن طريق الترويج لتلك العلوم المحرمة، والسعي على نشرها في المجتمع الغرب الإفريقي[2]، مما أدى إلى شيوع الاعتقاد لدى العامة بأن الكهنة والمشعوذين هم وكلاء الله في الأرض، وأن للسحرة قدرة على التأثير، أوالتصرف في حياة الناس من نفع أو ضر؛ زد على ذلك ما تفعله وتروِّج له جهلة المتصوفة من اختراع عبادات، وشعائر مبتدعة، ما أنزل الله بها من سلطان، والعكوف على عبادة بعض الأحياء والأموات من الأولياء وغيرهم، والتبرك بهم وبآثارهم، والطواف حول أضرحتهم، والسجود لها[3]، كل ذلك جعل مهمة الدعوة والدعاة إلى الله عسيرة للغاية في تلك البلاد.

وقد يندهش الداعية الإسلامي فور قدومه إلى بعض مناطق غربي إفريقية، لوجود كثير من تلك الممارسات الدينية الغريبة، تسربت إلى هذا الدين العظيم، من بقايا المعتقدات الوثنية القديمة. ولكن هناك بوادر آمال مبشرة ــ بفضل الله تعالى ومنِّه ــ تلوح في الأفق، وتتمثل في شباب السنة من خريجي جامعات المملكة العربية السعودية ــ حرسها الله ــ وغيرها ممن يحاولون جاهدين تصحيح الوضع القائم عن طريق نشر التعليم الإسلامي الصحيح، عبر تأسيس مدارس إسلامية نموذجية التي تعلم الدين، وتؤسس العقيدة الإسلامية الصحيحة في الأجيال الصاعدة، وسوف تؤتي هذه المدارس ثمارها الطيبة بإذن الله تعالى.

---

(١) جمع طلسم: وهو من السحر، ويتكون من خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية، لجلب محبوب أو دفع أذى، وهو لفظ يوناني الأصل، ويقصد به كل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجي ونحوها. انظر: المعجم الوسيط، المرجع السابق (ص ٥٦٢)، والفروق لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي،(٤/١٢٣ـــ١٢٤)، دار السلام، ٢٠٠١م. ويرجع تاريخ علم الطلاسم والأسرار وتعلمه في غربي إفريقية إلى عهود قديمة، حيث يقال: "إن منسا موسى" عاهل مملكة مالي (في القرن ٨هـ/١٤م)، وأثناء عودته من الحج سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، اشترى عدداً من المؤلفات التي تعالج علم السيمياء. كما يعود سبب انتشار علم الأسرار والسيمياء والطلاسم بالنسبة للمنطقة إلى شمال إفريقية وبخاصة المغرب، وهو البلد الذي يقتبس منه ويقلده معظم بلدان غربي إفريقية في شؤون دينه وثقافته. وقد وفد منها إلى غربي إفريقية شوائب وضلالات كثيرة، تأتي في مقدمتها الطرق الصوفية التجانية والقادرية، التي أفسدت دين المسلمين وشوهت عقائدهم. يدل على ذلك ما ورد في بعض المصادر التاريخية، أنه في بداية القرن الثاني عشر الميلادي، صنع المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في المغرب، حرزاً في جلد المزواد، وأعطاه لمضيف له إفريقي، وطلب منه الاحتفاظ به دائماً لأنه جالب للخير والسعادة. انظر: صبح الأعشى، المرجع السابق (١/٣٦١ــ٣٦٢)، ودولة مالي الإسلامية، المرجع السابق (ص ٨١).

(٢) انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ١٤٤).

(٣) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د، أحمد شلبي،(٦/٤٥)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

المطلب الثاني

تطور ظاهرة "التَّشَيُّخ" في المجتمع الإسلامي بغربي إفريقية

قلتُ قبل قليل: إنه كان في بلاط الأمراء الوثنيين، مجموعة من العلماء المسلمين قدموا إما من شمال إفريقية، أو من المشرق الإسلامي، وأصبحوا بسبب خبرتهم ومستواهم العلمي والثقافي والإداري مستشارين لهؤلاء الملوك الوثنيين، فكان يطلق على هؤلاء في غربي إفريقية، ألقاب وأسماء تمجدهم وتميزهم عن غيرهم من العلماء والدعاة المحليين، منها: "شيخو" أو"ألفا" أو"كرامو" أو"موريه" ومن هذه الكلمة الأخيرة، جاءت اللفظة الفرنسية "Marabou" إذ يعود الفضل إليهم بعد الله تعالى في انتشار الإسلام ـــ بصورة أوسع ـــ في المنطقة، بحكم الوجاهة، والمناصب الإدارية العليا التي كانوا يُكلَّفون بها في مناطق البلاد المختلفة. وهناك شهود عيان من عدد من الأوروبيين الذين زاروا المنطقة في الفترة ما بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين، وقد لاحظوا حضور شيوخ برابرة وعرب في قصور الملوك والأمراء، وأن هؤلاء الشيوخ كانوا يرافقون الحكام والأمراء كمستشارين سياسيين وإداريين[(١)]، يقول في ذلك كولهو[(٢)]: «كان بحضرة ملك سالوم شيخ، وأن هذا الملك كان يتجول مع عدد كبير من الشيوخ البيض القادمين من تلمسان ...»[(٣)].

وبفعل التطور الهائل الذي حدث بغربي إفريقية عبر مسار تاريخه الإسلامي، فإن دور الشيخ عرف ـــ كذلك ـــ تطوراً كبيراً يختلف عن عهده السابق، نجم عنه ظهور طوائف في إطار العمل في الحقل الإسلامي، يمتزج الدين مع العادات والوظائف الاجتماعية الموروثة، فهو الداعية إلى الإسلام، والقائم بتربية الصغار وتعليم الكبار، والمنسق للأعمال الاجتماعية والدينية: من إمامة ورئاسة حفلات، ومناسبات عقد قران، وعقيقة، وجنازة، وأحياناً يتقمص دور الكاهن أو العرّاف في المجتمع التقليدي من حيث طمأنة أفراد المجتمع من هيجان قوى الطبيعة، وإبطال مفعول السحر الأسود، يتوسط بين الفرقاء، ويسوي المنازعات الأسرية، ويفض الخصومات، ويصلح ذات البين، فضلاً عن أنه ـــ وبعد ظهور الطرق الصوفية ـــ أصبح عميلاً نشطاً لها ، وقد يتخلل ذلك كله

---

(١) L'Islam Noire, op.cit, p.24.

(٢) هو فرنسسكو دي لاموس كولهو (١٦٦٩م) انظر: L'Islam Noire, p. 125.

(٣) L'Islam Noire, op.cit, p.25.

تعاطي عمل الطلاسم، أو ما يسمى بعلم الأسرار[1]، أو السيمياء[2]، وتعليم الخواتم ... إلخ، مما جعله محط تقدير لدى العامة و البسطاء من الناس[3].

وقد أدى تقليد هؤلاء الشيوخ، إلى تطور هذا النوع من المعرفة تطوراً خطيراً في غربي إفريقية إلى درجة استحالة العثور على متعلم، أو حافظ للقرآن في الكتاتيب على أيدي هؤلاء الشيوخ، دون أن يتعلم علم الأسرار، أو أن يشتغل به بشكل أو بآخر. وقد أتخذه بعضهم حرفة ومهنة، يُدجِّل به على سذج الناس وجهالهم.

ومِن مساوئ هذا العلم الخطيرة، أن الاهتمام به يفضي إلى الشرك بالله عز وجل، وإلى تدني دراسة وفهم الكتاب والسنة، لأنه يصرف المشتغلين به عن طلب العلم الشرعي الصحيح الذي يطلق عليه الصوفية علم الظاهر. وكثيراً ما يصدف المهتمون بالأسرار عن تلاوة القرآن الكريم، لانكبابهم على قراءة أوراد وأذكار وصلوات مبتدعة، تشغلهم عن تعليم وتعلم شؤون دينهم ودنياهم.

---

(١) وهي علوم غامضة تفضي بصاحبه إلى مزاولة السحر والكهانة والعرافة والشعوذة وغيرها.

(٢) هو عبارة عما يركب من خواص أرضية، كدهن خاص، أو مائعات خاصة، أو كلمات خاصة، توجب تخيلات خاصة، وإدراك الحواس الخمس أو بعضاً لحقائق من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملبوسات والمسموعات، وقد يكون لذلك وجود حقيقي يخلق الله تلك الأعيان عند تلك المحاولات، وقد لا يكون له ــ في الغالب ــ حقيقة بل تخيل صرف، وهو نوع من السحر التخيلي لا حقيقة له إلا في عين الرا ئي. انظر: الفروق، المرجع السابق (١٢١/٤).

(٣) انظر: أضواء على السنغال، محمد بامبا،(ص ٢٥ــ٢٦)، ط١، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هــ.

المطلب الثالث

ظهور الفرق الصوفية على الساحة الدعوية في غربي إفريقية

لقد خرجت الصوفية عن الحق والعدل، إلى الغلو ومجاوزة الحدِّ في فهم الدين وعلوم الشريعة، متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة التي هي في الواقع أفكار مبتدعة، طرأت على المسلمين في معظم البلاد الإسلامية، في غياب الوعي الإسلامي الصحيح، وبروز الجهل وعلماء السوء المغرمين بالخرافات وحب الزعامة، وهي ذات مفاهيم خاطئة مضطربة، تأثرت بمسالك منحرفة، وبالغت فيها إلى حدِّ الهوس والاضطراب الفكري الشنيع، يصدق عليه قول الشاعر[1]:

فجاءت كثوبٍ ضمَّ سبعين رقعةً * مشكلة الألوان مختلفاتٍ

وأعني بذلك كله المذهب الصوفي في انحرافه، وتنوع مصادره، وتلفيق أفكاره من شتى الآراء والمذاهب الملتوية، حيث يظهر فيه جلياً غلوُّ الرافضة، ومبادئ الباطنية، ورهبنة النصرانية، وعقائد الهندوسية، وآراء البوذية وغيرها من الديانات والفلسفات القديمة التي هي زبالات أذهان اليونان، وحصائد عقولهم الفاسدة، والبعيدة عن نور الوحي الإلهي، وهدي الإسلام الحق[2].

وقد تجرأ أصحاب التصوف في القول على الله بغير علم، والكذب على رسول الله ﷺ لتقوية مبادئهم الضالة، وقد بالغوا في الكذب والدجل، وتفننوا في وسائل الإغراء حتى ليخيل للشخص أنهم على شيء، وهم في فراغ مظلم، وجهل مطبق. كما طرقوا مسائل ما أنزل الله بها من سلطان، وأظهروا زخرف القول أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة، وإثارة الشبه، والتفنن في الاستدلال والجواب، كقولهم: بوحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، ووحدة الشهود، والكشف، والقطب، والغوث، ونحو ذلك من الأمور التي طرقها كبار دعاتهم، أمثال: ابن عربي، والحلاج المقتول، وابن الفارض، والبسطامي، وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس، فقالوا: بوجود الله تعالى في كل شيء، حتى صار في عرف غلاتهم: أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق، لا يمكن أن يكون صوفياً خالصاً، أو ولياً من أولياء الله[3].

---

(١) هو الشاعر العربي المعروف: حافظ إبراهيم حينما ندب اللغة العربية، انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،د. غالب بن علي العواجي،(٣/٨٦١)،ط٤،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: الغلو في الدين، عبد الرحمن بن معلا اللويحق،(ص ١٠١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: التصوف المنشأ والمصدر، إدارة ترجمان السنة، (ص٦)، ط١، لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

فكان لهذا الفكر دوره الخطير في انتشار مظاهر الانحراف العقدي والأخلاقي في مجالات حياة المسلمين المختلفة، وفتح باب الابتداع في الدين على مصراعيه، نظراً لارتفاع نسبة الجهل والأمية الفكرية والثقافية والدينية بين معظم أنصار هذا التوجه. ومما زاد الطين بلة في منطقة غربي إفريقية، وتسبب في حدوث كارثة عقدية مدمرة في بعض بلدانها[1]، هو أن أغلب رجالات التصوف في هذه الأماكن علماء وفقهاء ولكنهم يأكلون بعلمهم ثمناً قليلاً، فأصبحوا يدجلون على الناس، ويلفقون الحقائق الدينية، بمظاهر خادعة. وكان من ضمن الأفكار والمفاهيم الخاطئة التي أحدثت شرخاً في السلوك العقدي والفكري لدى المسلمين في غربي إفريقية: الترويج لأفكار الزهد والفقر، والتشدد في الورع والتقشف، وعزل الدين عن الحياة، والابتعاد عن المظاهر، وعن منازعة الحكام، والرضى بأفعالهم سواء كان صواباً أم مخالفاً للشرع الحنيف، بل اتباعاً للهوى؛ وقد نتجت عن هذا الفكر المظلم، انحرافات عقدية خطيرة، تتمثل في:

أ ــ الدعاية للذكر الجماعي، يجلسون على شكل حلقة دائرية، ويصرخون بأصوات صاخبة ومؤثرة، إما في مساجدهم، أو في أماكن مخصصة يتم إعدادها لهذا الغرض، مع ادعاء نزول الرحمة والمغفرة لهم بحضور النبي ﷺ، والملائكة الأبرار، والأرواح الروحانية. فيتم بذلك تحويل عبادة الذكر التي أمر الله بها عن مقاصدها الصحيحة التي جاءت بها النصوص الشرعية الثابتة[2]، إلى طقوس وأنغام موسيقية، ورقصات صبيانية، ما أنزل الله بها من سلطان.

ب ــ اتباع الهوى في الترويج للبدع والخرافات، إذ إن كثيراً من علماء غربي إفريقية يعرفون الحق، ولكن الهوى المتأصل في نفوسهم، هو الذي يصدهم عن قبوله؛ ولنأخذ في ذلك مثلاً، مسألة الاحتفال بالمولد النبوي، فإن أدعياء العلم من مشايخ المتصوفة، يعرفون في قرارة نفوسهم أن لا دليل على جوازه لا من كتاب الله، ولا من سنة رسوله ﷺ، ولا من أقوال السلف الصالح وأفعالهم، ولكن مع ذلك كله فهم يحتفلون به، ويُرغّبون الناس في ذلك، ويقررون الحكم

(١) مثل: السنغال، ومالي، وغينيا، وغانا، وغامبيا، وغابون، وكامرون، وساحل العاج ... إلخ.

(٢) مثل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب، آية: ٤١، وقوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ سورة هود، آية:١١٤، وقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب، آية: ٣٥، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى.

بجوازه[1]. وكان سبيلهم إلى تحقيق أغراضهم الخسيسة: تأويل النصوص الصريحة، والمجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق.

ب ـــ السعي إلى التكسب السريع بطلمسة تلك الأدعية والأوراد، وتحويلها إلى كلمات ورموز هندسية غامضة، تكتب على قصاصات ورقية، وتباع بأسعار متفاوتة حسب المستوى المادي للمريد[2]، كل ذلك بغية كسب كثير من الأتباع والأنصار والمريدين، يتم استغلالهم بهذه الطريقة على حساب دين الحق، وقيمه العليا[3]. كما أن المريد الذي يعتقد أن شيخه ولي من أولياء الله، وأنه يتصرف في الكون كما يشاء، وأنه سيتولى حسابه يوم القيامة من دون الله [4]، وأن مفتاح الجنة والنار بيده، فإنه لن يقطع لنفسه أمراً أبداً دون مشاورته أوإخباره، فهو الذي يرشده أو يدله، وكذلك إذا حزبه أمر ذو بال، فإن الشيخ أو الولي هو الذي يتولى ذلك[5]؛ وهذا كله لا يكون إلا بمقابل مادي.

وهكذا خلت ساحة العمل الدعوي في غربي إفريقية للمرتزقة الدَّجالين الذين شغفوا بالخرافة، وشوَّهوا جلال الإسلام[6]. وعلى القمة أمسكت الصوفية بزمام الدعوة، توزع صكوك الغفران، وتتنافس على صناديق النذور، وتقاسم المسلم الإفريقي البسيط رزقه، وقوت يومه. ولو علم كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، أن لا وساطة بين العبد وبين ربه جلّ شأنه، في تحقيق

---

(١) فهم مصِّرون على ذلك من باب إنكار ظهور الشمس في وضح النهار،قلت:(وليسَ يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ * إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ). انظر: المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٣٦،دار بيسان، لبنان، ١٤٣١هـ.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون، (٤١٤/١)، دار الكتاب المصري، ١٩٩٩م..

(٣) حيث يظهرون أنفسهم في صور الأولياء المقربين، الذين إذا دعوا الله تعالى استجاب لهم في الحال، وقد يتكلم أحدهم ـــ أحياناً ـــ في دعائه أمام المريد، كأن بينه وبين الله تعالى ميثاقاً أن يجيبه كلما طلب دون تأخير، أو أن له حق على الله تعالى أن يعطيه سؤله كلما أراد ذلك.

(٤) وهذا كله اعتقاد باطل، بل هو مجرد افتراء على الله وتخرص بلا علم، والله يقول:﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾ سورة عبس، آية: ٣٧.

(٥) وهذا لا يعني أن الباحث ينكر شرعية طلب المسلم من أخيه أو من يراه أتقى منه، أو أكثر تعبداً أن يدعو الله له. لأن دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب مستجاب، لكن الأصل هو أن يتوجه العبد نفسه إلى ربه مباشرة بالدعاء والتضرع والطلب، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٦) لاعتقاد بعض مشايخهم ظلماً وزوراً، أن السعي في طلب الرزق الحلال، إنما هو عدم الثقة بالله، وأن الله تعالى قادر على أن يرزقه وقت ما أراد، وحيثما كان. وبالتالي ينام في بيته أو أمام ضريح شيخه إلى أن يأتيه أتباعه بالطعام والشراب. انظر: الصوفية الوجه الآخر، د. جميل غازي، وإعداد: عبد المنعم الجداوي،(ص ٨٢)، دون ذكر الناشر.

دعائه وحاجاته، لما بقي أحد يسعى إلى هؤلاء الكذّابين، ليساعدوه في قضاء بعض حوائجه، أو تفريج كربه.

جـ ـ مساعدة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى للمشايخ على نشر الصوفية في أوساط الأمة الإسلامية، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنون ثمارها إذا علا صوت وسلطان الصوفية، وفشا الجهل والأمية، وانتشرت خرافات الصوفية وخزعبلاتها بين المسلمين، وتأثروا بآرائها السلبية في مفهوم الجهاد في سبيل الله[1]، وفي مفهوم وحدة الأديان التابعة لمفهوم وحدة الوجود. مما فسح المجال للاستعمار الغربي ـ إبان تغلغلهم في بعض مناطق القارة ـ للانقضاض على أملاك الدول الإسلامية واحدة تِلوَ أخرى دون مقاومة تذكر في أغلب الأحيان[2]، حيث نام بعض المسلمين على دعوى الزهد المنحرف، والإقبال على الآخرة بغير بينة، والتمسح بصور الأولياء، والعكوف على قبورهم، والطواف حول أضرحتهم لطلب المدد والبركة والاطمئنان على حدِّ زعمهم الباطل.

وقد كافأ المستعمرون بعض هؤلاء المشايخ، بناء على تلك المواقف النبيلة[3]، وأغدقوا عليهم الأموال والامتيازات، وعلقوا على صدورهم الأوسمة والألقاب، ليزدادوا تضليلاً وإفساداً في الأرض من جهة، وخوفاً من عودة الوعي الإسلامي السلفي الصحيح من جهة أخرى، والذي يصطدم مع ميول ورغبات المستعمر وشهواته[4].

د ـ الترويج لفكرة الدنو من مقام الحضرة الإلهية عن طريق تلك الأوراد والأذكار المبتدعة، مما مهَّد الطريق إلى الاعتقاد لما هو أخطر وأفظع منه، ألا وهو: مرحلة حصول الكشف

---

(١) حيث لم يعد هناك في القاموس الصوفي في غربي إفريقية معنى لكلمة "جهاد" الواردة في النصوص القطعية الثابتة، اللهم إلا ما يتداول في زواياهم من بقاء الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس. أما الجهاد بمفهوم القتال لنشر الدين، والدفاع عن المسلمين ومقدساتهم، فهو عند متصوفة المنطقة قد انتهى إلى الأبد. انظر للتوسع في هذه المسألة: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٩/٣ ـ ١٢)، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) وإن كانت هناك مشاركة محدودة لهم في بعض أحداث المنطقة، لكن ذلك لا يكاد يغير شيئاً من الحالة العامة التي كان عليها أصحاب الطرق، من إحجام وتباعد عن الخوض في الأحداث والوقائع المتتابعة،وذلك رغبة في عدم مقاومة المحتلين. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، المرجع السابق (٨٦٤/٣).

(٣) على حدِّ زعمهم الباطل. انظر: المرجع والصفحة نفسيهما.

(٤) انظر: المرجع نفسه (٨٦٢/٣ ـ ٨٦٣).

الإلهي للمقربين من الشيوخ والأولياء، الأمر الذي أدى إلى ادعاء العصمة لهم وتقديسهم من دون الناس.

هـ ـــ كون التفسيرات الباطنية الفاسدة لنصوص الشرع من بين الأسباب التي أحدثت بلبلة عقدية وفكرية وثقافية لدى العامة، وتناقضات كبيرة في العبادة والسلوك، من خلال عزو كل المخالفات الشرعية، والانحرافات العقدية التي يرتكبها بعضهم إلى المرجعيات والمنطلقات الفكرية لبعض غلاة الصوفية، التي تبرر الأمور بمنطق تلك التفسيرات الباطنية للنصوص، والأحكام، والأشياء[1].

و ـــ ساهم الغلو والزيغ عن الحق لدى الصوفية، في ترسيخ فكرة التقديس، والولاء المطلق للأولياء، وشدة الارتباط بالشيوخ مع الانقياد التام لأوامرهم، مهما كانت الظروف والأحوال، ومهما بدت قاسية وغير مألوفة [2].

كما لا ننسى في هذا الصدد تجاوزات بعض الجهلة منهم في ادعاء الكرامات والخوارق، حتى امتلأت الساحات الإسلامية بالعشرات، بل بالمئات من الشيوخ والأولياء من أصحاب تلك الكرامات والخوارق المصطنعة، وذلك لأغراض ودوافع شخصية على حساب صحيح الدين والمروءة من جهة، ولترسيخ فكرة "الوصول" أو القرب من "الحضرة الإلهية" من جهة أخرى[3].لذا كان تنبيه الدعاة وطلبة العلم من أبناء غربي إفريقية وغيرهم، إلى خطر الصوفية واجباً، يحتمه النصح لكل مسلم[4]، يحب حماية نفسه وأمته من الانزلاق في بؤرة الأفكار الملوثة التي نتجت عنها زيادة الكوارث والمصائب في ديار المسلمين، حين ابتعدوا عن المنهج الحق الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده.

---

(١) انظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ط١، إدارة ترجمان السنة، (ص ١٩٧)، لاهور، باكستان، ١٤٠٩هـ، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، تحقيق: السيد الجميلي،(ص ٤٤٦)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ .

(٢) انظر: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، عثمان برايما باري،(ص ٢٣٩)، دار الأمين، ٢٠٠٠م، والتصوف والطرق الصوفية، المرجع السابق (ص ٥٩).

(٣) انظر: دراسات في التصوف، المرجع السابق (ص ١٩٨) وما بعدها.

(٤) ويدل على ذلك منطوق الحديث الشريف الذي رواه الصحابي الجليل تميم الداري ﵁،أن النبي ﷺ قال:« **الدين النصيحة.قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». صحيح مسلم (٣٢٥/٢)، رقم (١٩٤).

المطلب الرابع

انحسار دور العلماء وضعف نفوذهم في المجتمع

فبعد غياب الرواد الأوائل من العلماء و الدعاة المتفانين في العمل الإسلامي بالدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،أمثال الشيخ عثمان بن فودي،والحاج عمر الفوتي، والإمام ساموري توري[1] ـــ وغيرهم ممن جاهدوا في سبيل الله، وقدموا الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحق، ومحاربة الانحرافات العقدية والأخلاقية بشتى أنواعها وصورها،وكانوا قدوة عملية حسنة يحتذى في المجتمع الإسلامي بغربي إفريقية ـــ فإن الدعوة الإسلامية تشتكي اليوم من أزمة زعيم، يتمتع بشخصية كارزماتية تكون على مستوى الأحداث،والمستجدات على الساحة الإسلامية، وذلك إما:

أ ـــ لأن أغلب العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية، لم يعد لهم أي تأثير ملموس في مجال الدعوة ومحاربة البدع والأفكار المنحرفة المنتشرة في المجتمع، وذلك بسبب انشغالهم إما بجمع حطام الدنيا، والركض خلف مغرياتها، أو الانزواء على الذات، والبقاء في مكانهم دون الانخراط في المجتمع، بدعوى التفرغ للعبادة، أو التقرب إلى الله بالنوافل، أو التفرغ لحلقات الذكر، وإقامة الموالد. فظهرت هناك حالة من الضعف والنفور، وفقدان الاهتمام بقضايا ذات الصلة بالبدع، ومظاهر الانحراف في تلك المجتمعات، فاقتدى بهم ألوف من العامة، وضعاف العقول.

ب ـــ أو لأن بعضهم يحرصون على الالتزام بـــ "الحياد" حول ما يسمى بالمسائل الخلافية بين مدارس الفقه الإسلامي المعاصرة، لتبقى علاقته طيبة مع كافة الأطراف، ولو كان ذلك على حساب صحيح الدين وبيان الحقيقة؛ الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لتمرير البدع، والمظاهر المخالفة للسنة الصحيحة بين المسلمين.

ج ـــ أو لأنهم لم يعد لدى بعضهم ذلك الاندفاع، وهذا الإخلاص الذي كان عند الرعيل الأول، و لم تكن مسألة الدعوة تدخل ضمن دائرة الأولويات أو الاهتمامات لديهم، لتدني

---

(١) مع العلم بأنهم كانوا جميعاً من الصوفية القادرية المسيطرة على الساحة الدعوية في ذلك الوقت، ولعل يعود السبب في ذلك إلى تأثير البيئة العلمية والعقدية الملوثة، والتي جاءتهم من بلاد شمال إفريقية.

مستواهم الثقافي والوازع الديني، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى السكوت عن تلك البدع الخطيرة، أو الترويج لها وتزيينها، إما بدعوى التجديد، أو بقصد نيل الشهرة والمكانة الرفيعة لدى بعض الناس[١]. ومعلوم أن العامة إذا رأوا سكوت العالم عن شيء ما من تلك البدع والمحدثات تمادوا فيه، وحسبوا أنه من صحيح الدين وممدوح فيه[٢].

فكان أمثال هؤلاء العلماء بذلك، ممن أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم، وضعفوا عن القيام بواجباتهم تجاه الأمة، فكانوا بذلك قدوة سيئة للجماهير التي ترمقهم وتراقبهم عن كثب[٣].

وقد يبرر بعض هؤلاء العلماء مواقفهم هذه في عدم توجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو المشاركة في الأحداث الجارية، بتبريرات واهية، مستندين في ذلك على نصوص شرعية، مثل قوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ** ﴾[٤]، حيث يتم تأويلها حسب هواهم، أو فهمهما بصورة خاطئة، أو وضعها في غير محلها في غالب الأحيان.

يقول أبو عبيد رحمه الله: خاف أبوبكر الصديق ﷺ أن يتأوّل الناس هذه الآية على غير متأوّلها، فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها ليست كذلك[٥]،كما ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله من حديث قيس بن أبي حازم، أنه قال: قام أبوبكر الصديق ﷺ،فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:«أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ** ﴾، وإنكم لتضعونها على غير

(١) انظر: البدع الحولية، عبد الله بن عبد العزيز التويجري،(ص ٧٤)، ط١، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٤م.

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٧١ـــ٧٤).

(٣) ومع افتخار بعض هؤلاء العلماء بأنهم بعيدون عن الاشتغال بالأحداث الجارية، لأنها ليست ميداناً لهم، فإنهم كانوا في كثير من الأحيان مطية للمستعمرين، والحكومات العلمانية المتلاحقة ـــ بعد الاستقلال ـــ يستغلونهم في تنفيذ مآربهم، وفي خداع الجماهير المضللة، وقد كان ذلك من المآخذ والمطاعن التي وجهت لهم من قبل العلماء المصلحين. انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٨٦ـــ٨٧).

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٥) انظر: تفسير البغوي،المرجع السابق (١/١٠٩).

موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، يوشك الله أن يعمهم بعقاب**[1]"»[2].

وعن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ** ﴾، قال: أما و الله لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: « **بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ...**»[3].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله[4]: «يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس، سواء كان قريباً منه أو بعيداً ... وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكناً»[5]؛ وكذلك أين هم من قول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»؟[6].

ولو أن هؤلاء العلماء أخلصوا دينهم لله، وحملوا أنفسهم على العمل الجاد، وقدروا جسامة المهمة الملقاة على عواتقهم في مجال هداية الناس، وإرشادهم إلى الخير، لأعدُّوا للأمر عُدَّته،

---

(١) مسند أحمد (١/٥)، رقم (٣١)؛ وسنن ابن ماجه (٣/٤٢٠)، رقم (٤٠٠٥)؛ وسنن أبي داود (٢/٥٢٥)، رقم (٤٣٣٨)، وسنن الترمذي (٥/٢٣٩)، رقم (٢١٦٨). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد نحو هذا الحديث مرفوعاً.

(٢) فتح القدير، المرجع السابق (٢/١٢٢)، وتفسير البغوي، المرجع السابق (١/٨٤)، و(١/١٠٩).

(٣) سنن أبي داود (٢/٥٢٦)، رقم (٤٣٤١)؛ وسنن ابن ماجه (٣/٤٢٣)، رقم (٤٠١٤)؛ وسنن الترمذي (٥/٢٤٠)، رقم (٣٠٥٨)؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين إمام حافظ مفسر فقيه مؤرخ، أحد الأعلام، ولد سنة (٧٠١هـ)، له مصنفات عدة، أبرزها: تفسير القرآن العظيم، وكتاب البداية والنهاية. توفي بدمشق سنة (٧٤٤هـ). انظر: الدرر الكامنة، المرجع السابق (١/٣٩٩)، و البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني،(١/١٥٣)، دار المعرفة، بيروت، د.ت، والأعلام للزركلي، المرجع السابق (١/٣٢٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٢/١٤٩).

(٦) صحيح مسلم (٢/٢١١)، رقم (١٧٥)؛ ومسند أحمد (٣/٤٥٦)، رقم (١١١٢٢)؛ والسنن الكبرى للبيهقي (٨/٤٩٣)، رقم (١١٧٠٧).

ولواجهوا مختلف المواقف بما يجب لها من استعداد وتضحية. وليعلموا ــ جميعاً ــ أن طريق الجنة محفوف بالأشواك والعقبات، ولن يكتب لهم النجاح إلا بتوفيق من الله، ثم التسلح للمعركة بما يناسبها، ومن أراد النجاح إذن فعليه طرق الأبواب بقوة وإصرار. وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بهذه الآية، على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن إن مما يبعث على الأمل في شأن هؤلاء العلماء اليوم، أن عدداً قليلاً منهم قد نزلوا إلى الساحة، وبدأوا يبنون المدارس الإسلامية الحديثة، ويعتنون بتعليم أبناء المسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية في أوساطهم، وهم في هذا المجال سيحققون نجاحاً كبيراً في استدراك بعض ما فاتهم، في مجال تطهير الدين، وتخليصه مما علق به من خرافات وبدع بإذن الله تعالى، حين تكون النيات خالصة، والقلوب متجهة نحو ربِّه بصدق [1].

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٢٤) بتصرف يسير.

المطلب الخامس

الإعـــــلام ومحاربة القيم

لا يشك أحد في أهمية وسائل الإعلام قديماً وحديثاً، فهي سلطة نافذة، وآيـــة الـــسيطرة والنفوذ خاصة في هذا العصر الذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة[1]. ولقد أدرك أعداء الإسلام تأثير هذه الأداة في حياة الناس كافة، فأسرعوا إلى استغلالها، بل والسيطرة عليها من جميع الجوانـــب، حتى صارت في أيديهم سلاحاً فتاكاً يتصرفون فيها ـــ تبعاً لمصالحهم ـــ كما يشاؤون.

إن أكثر محطات الإذاعة والتلفزة في غربي إفريقية، تملكها الحكومة المركزيـــة، والـــبرامج الأساسية التي تُبث فيها ـــ غير نشرات الأخبار اليومية ـــ قد جعلت هذه الوسائل المختلفة أداة تدمير وانحراف، لأنها تعتني فقط بنشر الثقافة الغربية من الأغاني والأفلام الهابطة[2]، وتمجيد نظـــام حياة الغرب، وأنماط سلوكه، ولا تهتم بما يقوِّم السلوك والقيم. ولا أكون مبالغاً إذا قلتُ: بـــأن حوالي (٨٠%) ثمانين في المائة من مجموع برامج الإذاعة والتلفزة في غربي إفريقية، إنما تبث لهـــذا الغرض.

ومن المهم التأكيد بأن هذا الكيد المبرمج، ليس وراءه إلا النصارى الضالون المضلون الذين يرون أن ما يساعدهم على إدخال المسلم في باطلهم، هو إبعاده عن حقيقـــة دينـــه، أو جعلـــه متذبذباً في عقيدته، مستغلين في ذلك الجهل والأمية الدينية، التي ترزخ تحته كثير مـــن مـــسلمي المنطقة الذين لا يميزون ـــ في الغالب ـــ بين الحق والباطل فيما يأتون ويذرون.

ولهذا نجد أن التشبه بالغرب في أزيائهم وعاداتهم قد انتشر في أوساط الشباب الإسلامي انتشار الدم في العروق، فأبناء الدنيا يرون في ذلك شرفاً وحـــضارة وتقـــدماً وتنـــويراً لهـــم[3]، والمنتصرون للدين والقيم يرونها شراً مستطيراً لا تبقي ولا تذر. اللهم إلا في بعض المناطق الشمالية

---

(١) وذلك نظراً للتطور الهائل الذي توصل إليه العلماء والباحثين في مجال تكنولوجيا الاتصال في عالم اليوم.

(٢) وبخاصة المسلسلات المكسيكية الهابطة، التي بدأت تغزو بيوت المسلمين، لتهدم القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية النبيلة بين أبناء الأمة.

(٣) إذ ترى هذه الفئة أن كل ما يأتي من الغرب، إنما يصب في مصلحة هذه المجتمعات،وأنه من مصلحة هذه الشعوب الإفريقية أن تتبنى النموذج الغربي كاملاً لتنهض وتنفض عنها غبار التخلف والرجعية.

حيث الأغلبية المسلمة[1]، فهناك تُبث بعض البرامج الدينية في بعض الإذاعات الأهلية الخاصة (عبر الموجات القصيرة (إف إم "FM")، والتي قد تبرع بها بعض المحسنين من دول الخليج، مثل: المحاضرات، والدروس يلقيها بعض العلماء المحليين الموثوق بهم، وبعض الدعاة من خريجي بعض الجامعات الإسلامية، لكن تأثيرها ــ مقارنة بما يقابلها من المؤثرات الإعلامية الخطيرة ــ ضعيف جداً.

تلكم هي أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الانحرافات العقدية والأخلاقية وغيرها في المجتمع الإسلامي في غربي إفريقية.

وفيما يلي نسلط بعض الضوء على مظاهر تلك الانحرافات العقدية في المنطقة بصورة عامة، ثم نتبع ذلك بذكر الأدوار التي تقوم بها الصوفية لتأصيل تلك الانحرافات، بغية هدم الكيان الإسلامي، وإفساد عقائد المسلمين، والآثار السيئة المترتبة على ذلك.

---

(١) الذين بقوا متمسكين بعقيدتهم الإسلامية، رغم كل الحملات التعسفية التي تحاك ضدهم ليل نهار، من أجل تشكيكهم بعقيدتهم، أو إبعادهم عن دينهم إن استطاعوا.

المبحث الثالث

مظاهر الانحرافات العقدية في غربي إفريقية

المطلب الأول

مظاهر الانحراف المتعلقة بالاعتقادات التقليدية

أولاً: تقديس الملوك وأكابر الناس:

لقد انتشر لدى بعض القبائل المسلمة في غربي إفريقية، ما يسمى باحترام الكبير، أوالتواضع للملوك والزعماء، وذلك بأن يقوم المرء ـ قبل السلام على الأمير أو الكبير، أو عند ملاقاة أحدهم حتى في الشوارع ـ بخلع نعليه، والانبطاح في التراب بين يديه[1]، أو السجود له بوضع جبهته على الأرض كهيئة المصلي، أو الركوع، أوالقعود، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة التي قد تفضي بصاحبه إلى الكفر أو الشرك بالله، وهي (أي هذه الممارسات الجاهلية) باقية ومحببة إلى الأمراء والملوك والوجهاء التقليديين، الذين نصبوا أنفسهم آلهة يُعبدون من دون الله؛ ولا يستطيع أي داعية أن يعلن إنكار ذلك على مسمع ومرأى هؤلاء الملوك، حتى لا يثير غضبهم ولعنتهم عليه، والتي تتم عادة بتهديد حياة العالم، إما بقتله أو نفيه من البلدة.

ومما زاد الطين بلة، أن هناك مجموعة من العلماء وطلبة العلم[2]، ممن يؤيدون هذه المنكرات ويستحسنونها، بل ويعدون ذلك أدباً واحتراماً وتواضعاً، ممالأة لتمادي العامة على تكريمهم[3]،

---

(١) هو ارتماء الإنسان بصدره وبطنه على الأرض، تذللا وانكساراً، وطلباً لمرضاة الأمير أوالملك أو الكبير. انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦٨).

(٢) وهم علماء السوء الذين تقاعسوا وتهاونوا في أداء مهمتهم الكبرى، ووظيفتهم العظمي في وراثة أعباء النبوة، وتكاليف الرسالة، وتجديد أمر هذا الدين، والنصح للأمة، وتبصير الناس بحقيقة دينهم، والوقوف في وجه البغي والظلم والطغيان، وقد استطاع بعض الظلمة استغلالهم ليصل إلى مآربه وأغراضه الشخصية. انظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، علي بخيت الزهراني،(ص ٧٤ ـ ٧٥)، دار الرسالة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

(٣) باعتبارها حسب زعمهم، أدباً وتواضعاً بدلاً أن يعتبروها ذلة وجهالة وكفراً.

وتمادياً مع الأمراء في كبريائهم وضلالهم[1]، ومختلقين ـــ لتأييد ذلك ـــ مجموعة من الأحاديث الموضوعة ينسبونها ـــ ظلماً وعدواناً ـــ إلى النبي ﷺ[2]، مثل قولهم: «**عادة أهل البلد كالسنة**»[3]، أوقولهم: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**»[4]، أو يعمدون إلى تأويل السجود لغير الله، بأنهم لا يقصدون به التقديس والعبادة، وإنما يقصدون ـــ فقط ـــ التواضع واحترام ولاة الأمر، مستندين في ذلك على الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري عن عمر ابن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ قوله: «**إنما الأعمال بالنيات ...**»[5].

وقد أجمع السلف رحمهم الله على أن السجود عبادة، فلا يجوز صرفه لغير الله كائناً من كان[6]، بل هو محرم في الأديان السماوية التي جاءت بها رسل الله جميعاً، قال تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾[7]. وعلى هذا اتفقت أقوال العلماء على أن من أظهر شيئاً من أعمال الكفر، كمن سجد لصنم، أو للشمس، أو للقمر،

---

(١) حيث كانوا يحكمون على الخارج عنها، ويعتبرونه شيطاناً مريداً ومتكبراً، جديراً بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين. انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦٢).

(٢) وليصدق عليهم قول النبي ﷺ فيما أورده مسلم في صحيحه: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، ولا يضلونكم ولا يفتنونكم**»، انظر: مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، (١/٣٦)، رقم (١٦).

(٣) وينسب بعض الباحثين هذه المقولة إلى بعض أقطاب الصوفية في المنطقة، أمثال: الشيخ إبراهيم انياس، والشيخ أحمد بامبا، وغيرهم. انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦١).

(٤) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،(ص ٨٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٥) صحيح البخاري (١/٣)، رقم (١).

(٦) فالسجود من أعظم ما يظهر فيه ذل العبد وخضوعه لربه، حيث جعل العبد أشرف وأجمل ما له من الأعضاء، وأعزها عليه، وأعلاها حقيقة، فيضعه في التراب، مع انكسار القلب، وتواضع الجوارح وخشوعها لرب العالمين... وعليه فلا خشوع ولا تذلل أعظم في الإسلام من السجود، فلا يجوز صرفه لغير الله أبداً. انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم العايد (١/٣٣١)، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٤٥.

أو لملك أو أمير[1] أو نحو ذلك فقد كفر،لقوله تعالى:﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2]. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والمقصود: أن النفوس الجاهلة، أسقطت عبودية الله سبحانه وأشركت فيها من تعظمه من الخلق، فسجدت لغير الله، وركعت له، وقامت بين يديه قيام الصلاة، وحلفت بغيره، ونذرت لغيره، وذبحت لغيره، وطافت لغير بيته، وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد، وسوت مَن تعبده من المخلوقين برب العالمين، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل (عليهم السلام)، وهم الذين بربهم يعدلون،وهم الذين يقولون: وهم في النار مع آلهتهم يختصمون:﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[4]، وهذا كله من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به»[5].

وفي قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، لما رأى الهدهد قوم بلقيس يسجدون للشمس من دون الله، استنكر ذلك وعظم في نفسه أن يتوجه العبد بالسجود لغير الله من المخلوقين، فقال تعالى حكاية عن قوله:﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ =

---

(١) كما يفعله بعض القبائل في غربي إفريقية عند ملوكهم وكبرائهم من الانحناء بين أيديهم، أو وضع الرأس على الأرض، أو تقبيل الأرض، أو الانبطاح عند معاينتهم، فهذا كله محرم تحريماً قطعياً، ووسيلة من وسائل الشرك، بل هو الشرك بعينه، إن قصدوا به التقرب والتعبد لهذا الملك أو الأمير أو نحوه.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٧.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٩٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، المرجع السابق (١٤٥/٤).

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1]، فأدرك الهدهد أن السجود تعظيم وتقديس وعبادة، بل هو غاية الخضوع والتذلل والانقياد للمسجود له، فلا يكون ذلك إلا لله تعالى، فلهذا قال: (أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ)، فهذا استغراب منه، واستنكار لخطورة الموقف الذي أذهله، وأخذ بمجامع عقله ...[2]. لذا، يجب على المسلم ألا يركع ولا يسجد ولا يخضع إلا لله الخالق العظيم، والرازق الكريم، الذي له الملك وحده، وإليه يرجع الناس أجمعين.

---

(١) سورة النمل، آيتان: ٢٤ــ٢٦.

(٢) انظر: حاشية رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد بن عمر بن عبد العزيز، (٤/٢٢٢)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، دمشق، ١٣٨٦هـ، و زاد المعاد في هدي خير العباد، المرجع السابق (٤/١٤٦) بتصرف يسير.

ثانياً: الحلف بالأسلاف:

ومن الانحرافات العقدية التي تأصلت في المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية، ما يسمى بالحلف بالأسلاف من الآباء والأجداد، أو الحلف بشخص النبي ﷺ، أو بالأولياء، أو أضرحتهم.

فقد اعتاد الناس أن يحلفوا بغير الله عز وجل من المخلوقين منهم الأحياء والأموات، وكان حلفهم ينبعث في الغالب من تعظيم المحلوف به، وخوفهم ورهبتهم منه، واعتقادهم في نفعه وضره.

وما أسهل أن يحلف الإنسان منهم بالله كاذباً، بل عامداً متعمداً، ولكنه ــ وفي الوقت نفسه ــ لا يجرؤ أبداً أن يحلف بما عظمه من هؤلاء المخلوقين إلا صادقاً مهما كان الموقف. فالحلف ــ مثلاً ــ باسم الشيخ أحمد بامبا، أو الشيخ إبراهيم أنياس أو غيرهما يفوق الحلف بالله عز وجل، بل هو ــ أي الحلف باسم هؤلاء الأقطاب ــ من الأمور المعروفة والمعتادة لدى أكثر المسلمين في بلاد غربي إفريقية[1]. وقد يحلف أحدهم بالله كاذباً، ولكن لا يجرؤ أن يحلف باسم أحمد بامبا، أو إبراهيم انياس كاذباً، لأنه بزعمه قد يستشيط غضباً، فينتقم لنفسه ممن حلف به أو بضريحه كاذباً[2] « ويقسم كثير من الناس بالأضرحة، ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخاف من الله، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس، خيراً من أن يقسم بالله، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام،إذا كان المقسم حانثاً أو كاذبا»[3]. ففي السنغال ومالي وغيرهما من بلدان غربي إفريقية مزارات ومشاهد كثيرة لمن يسمون بالأولياء، فأهالي المنطقة يعتقدون فيهم اعتقاداً جازماً، ويحلفون بهم عند أضرحتهم، حيث لا يجسر أحد ــ مهما كان خبثه ــ على الحلف بهم باطلاً، لاعتقاده الزائد، أنه لا بد وأن تنصب اللعنة والمقت والنحس على جسمه أو ماله أو أحد أفراد أسرته؛ ويحكون في هذا حكايات و أساطير غريبة يضيق المقام بذكرها.

أما الحلف بشخص النبي ﷺ، فهو أمر لا يكاد يفارق ألسنة بعض المسلمين في غربي إفريقية إلا نادراً، وبخاصة عند أتباع بعض الطرق الذين يعتقدون أن النبي ﷺ مخلوق من نور الله،

---

(١) وبخاصة لدى أتباع الطريقة المريدية المنتشرين في ربوع المنطقة.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن الانحراف العقدي لدى الصوفية في غربي إفريقية.

(٣) أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف علي بدوي، وحسن السماحي سويدان،(ص ١٦٨)، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

وبالتالي فلا فرق عندهم بين الله وبين رسوله ﷺ، حيث يقـول أحـدهم إذا أراد أن يحلـف: "لا والنبي العظيم"، أو "لا والرسول العظيم"[1]. كما أنهم يحلفون ـ أيضاً ـ بزمـزم، والكعبـة المشرفة وغيرها، حيث يقولون إذا حلفوا أو أقسموا: "والكعبة المشرفة"، "وزمزم"، "والمقام"، مـا فعلت كذا وكذا، أوفعلت كذا وكذا[2].

وقد ثبت نهي النبي ﷺ عن الحلف بغير الله من المخلوقين، وسدَّ جميع الأبواب التي تفضي إليها، أو تجر إلى ذلك، وأغلظ ﷺ في النهي حتى بلغ به الشرك والكفر بالله عز وجل، ومن ذلك ما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ﵁ وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفـاً فليحلـف بـالله أوليصمت**»[3].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون**»[4].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفـر أو أشرك**»[5].

وهكذا، لكن أكثر الناس بغربي إفريقية أبوا إلا الحلـف بالآبـاء والأجـداد والأوليـاء وأضرحتهم، و أجروا هذا الحلف على ألسنتهم أكثر من الحلف بالله، وتلاعبوا بالأيمان الشرعية، واحترموا الأيمان البدعية الشركية، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أولئك الذين تلاعـب بهـم الشيطان حتى عبدوه، واتخذوه وذريته أولياء من دون الله ... فعبدوا أقبح خلـق الله، وأحقهـم باللعن والذم»[6]، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) وقد أجاز بعض العلماء الحلف بالنبي ﷺ، وهو قول عند الإمام أحمد لأنه يجب الإيمان به خصوصاً ، ويجب ذكر اسمـه في الشهادتين وعند الأذان والإقامة. أما الجمهور فهم على عدم جواز ذلك، وهو الصواب كما قال شيخ الإسلام ابـن تيميـة رحمه الله. انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٧/٣٤٩).

(٢) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية، المرجع السابق (ص ٣٦٨).

(٣) صحيح البخاري (٢/٧٧)، رقم (٥٢٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٥/٢٢٦٥)، رقم (٦٩٦٦).

(٥) مستدرك الحاكم (١/٦٥)، رقم (٤٥).

(٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي،(١/٥٩٦)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

المطلب الثاني

مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية في غربي إفريقية

لقد حفلت الطرق الصوفية في غربي إفريقية ببحر زاخر من العقائد الكفرية الضالة، والممارسات الدينية الغريبة تتصادم مع جوهر العقيدة الإسلامية، وتخرج معتقدها من دين الإسلام. ومن مظاهر تلك العقائد الفاسدة التي يُؤمن بها الطرقية في غربي إفريقية، ويزعمون أنها تمثل حقيقة التوحيد التي يجب أن يصل الإنسان إليها، ما سنعرضه في النقاط التالية:

أولاً: الاعتقاد بوحدة الوجود:

ويعني ذلك في المعتقد الصوفي أن المجتهد في الرياضة الخاصة في سلك الطريق، قد يصل إلى مرحلة من المراحل ينكشف له فيها أن لا شيء إلا الله، وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل، لا انفصال بين الخالق والمخلوق[1]، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة، فهو في عالم الحيوان حيوان، وفي عالم النبات نبات، وفي عالم الجماد جماد، فالله تعالى مثبت في كل شيء من سماء وأرض وشجر وحيوان ونحوه[2].

ويعبر عن هذا المعتقد الفاسد، كل من يزعم الوصول إلى مرحلة الكشف المزعوم بأسلوبه الخاص، مدَّعين في ذلك أنهم يكشفون للناس أسراراً عظيمة لا يجوز إفشاؤها أو البوح بها إلا للخواص ممن وصل إلى مرتبة الكشف والمعرفة [3].

وبعد قراءة متأنية ودقيقة في أمهات الكتب الصوفية[4]، اتضح للباحث مفهوم وحدة الوجود في تلك الكتب، وما فيها من ضلالات وانحرافات ومفاسد تخرج معتقدها من دائرة الإسلام، إذ تزعم الصوفية أنه لا يرى في هذا الوجود سوى الله، يدل على ذلك قول الغزالي [5]: « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق،

---

(١) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي،(ص ٦٩)، الكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق،(ص ٦٩)، طبعة دار السلفية، الكويت، د.ت.

(٣) انظر: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل،(ص ٧٤)، ط٥، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(٤) مثل: جواهر المعاني، وميدان الفضل والإفضال، وفصوص الحكم، والفتوحات المكية، والدرة الخريدة، وجناية المنتسب العاني، وميزاب الرحمة الربانية، ورماح حزب الرحيم، والإفادة الأحمدية وغيرها، وذلك في صفحات متفرقة منها.

(٥) هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، صاحب مصنفات عديدة في التصوف وغيرها، توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر : هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ٦٩).

ولكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً علمياً[1]، ومنهم من صار له ذلك حالاً وذوقـاً[2][3]، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقـولهم، فـصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله، ولا لذكر أنفسهم ... فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكراً رفع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: «أنا الحـق»[4]، وقـال الآخـر: «سبحاني ما أعظم شأني»[5]، وقال آخر: « ما في الجبة إلا الله»[6]، وكلام العشاق حال السكر، يطوى ولا يحكى»[7]، ويقول في موضع آخر: «العارف من يرى الله في كل شيء، بل يراه عـين كل شيء»[8].

وما كان يخطر في البال، أن شيوخ المتصوفة في غربي إفريقية الذين يبدو علـى مُحيـاهم الصلاح والزهد والتقوى وكثرة العبادة، أنهم يؤمنون بمثل هذه العقيدة الكفرية التافهـة، حـتى وجدناها مبثوثة في مصادرهم المختلفة[9]، حيث يقرون بهذه العقيدة ويؤمنون بها، بل ويـدعون الناس إليها ويدافعون عنها، ويبجّلون ويمدحون المشـايخ الذين ألّفوا هذه الكتب، وأوصلوهم إلى هذه الحقائق بزعمهم، ويصفونهم بالعلم والصلاح والحكمة؛ بل إنهم يقيِّمون منزلة الـصوفي بقدر إيمانه بما ورد في هذه الكتب المبتدعة[10].

---

(١) أي وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان.

(٢) الذوق عند الصوفية هو: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. انظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني،(ص ١٠٧)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ت.

(٣) أي وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام. انظر: الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ٧٤ـــ٧٥).

(٤) هو طيفور البسطامي.

(٥) القائل هو: أبو يزيد البسطامي.

(٦) القائل هو: الحلاج المقتول.

(٧) انظر: تفصيل ذلك في مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي،(ص ١٣٩ـــ١٤٠)، عالم الكتب، ١٩٨٦م. وقد رجح أبو العلاء عفيفي أن يكون هذا الاعتقاد للغزالي في وحدة الوجود هو نهاية تفكير هذا الرجل، وذلك بقوله: "وهكذا وصـل الغـزالي الأخرى ... مثل هذا التصريح بالوحدة الوجودية ... فهل ترى في المشكاة تحولاً في موقف الغزالي من الحقيقة الوجوديـة، ومثلاً واضحاً نحو نزعة الصوفية القائلين بوحدة الوجود". انظر: تعليقه على مشكاة الأنوار، المرجع نفسه (ص ١٣٢).

(٨) الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ٩٤).

(٩) فهم يؤمنون بكل ما ورد في تلك الكتب المبتدعة من خرافات وأكاذيب إيماناً جازماً، فهي الدستور السائد لديهم، الـذي تستند إليه عقائدهم، ويصوغ مناهجهم في العبادة والسلوك، ويأتي على رأس هذه المصادر كتاب الطبقات للشعراني، الـذي اشتمل على كثير من خزي وهوان وتشويه للعقيدة.

(١٠) انظر: الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ١٩).

يقول الشيخ أحمد التجاني[1] مؤكداً عقيدته في وحدة الوجود، فقال: «... فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر، فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى، لأنه هو المتجلي في تلك الألباس ... قال تعالى لكليمه موسى عليه السلام: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي** ﴾[2]، والإله في اللغة هو المعبود بالحق، وقوله تعالى: (**لا إله إلا أنا**)، يعني أن لا معبود غيري، وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري ...»[3]، تعالى الله عما يقولون الظالمون علواً كبيراً.

كما نجد التبجيل العظيم، والتقديس المفرط من هؤلاء المشايخ ومريديهم لرموز هذه العقائد الباطلة، أمثال: ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والغزالي، والبسطامي وغيرهم كثير.

- **أدلة الصوفية على هذه العقيدة الباطلة:**

وقد حاول ثلة من المتصوفة الاستدلال على هذه العقيدة المنحرفة في ذات الباري سبحانه وتعالى، عن طريق تأويل آيات في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث التي وضعتها أئمة الضلال من أوليائهم المزعومين، أمثال ابن عربي الذي تجرأ على تحريف كتاب الله حسب هواه بغير علم، وزعم أن الله تعالى قد أطلق على نفسه اسم الوجود في مواضع كثيرة من كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا** ﴾[5]، وقوله: ﴿ **يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ﴾[6]، كما استدلوا بالحديث الموضوع: «**من عرفَ نفسه، فقد عرفَ ربَّه**»[7].

---

(١) هو مؤسس الطريقة التجانية، وينتمي إليها أكثر من (٦٠%) من متصوفة غربي إفريقية.

(٢) سورة طه، آية: ١٤.

(٣) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، علي حرازم بن العربي، (١/١٨٤ـ١٨٥)، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ، وهذا النص الذي ورد في كتاب جواهر المعاني الذي يُعدُّ المرجع الأساس والمعتمد للصوفية في غربي إفريقية، إذ منه يستمدون عقيدتهم، ويبنون عليه أحكام شريعتهم، فهذا الكتاب مليء بالانحرافات الظاهرة، والعقائد الفاسدة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قال أحد بها ببرهان.

(٤) سورة النور، آية: ٣٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٦) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٧) حديث موضوع ومختلق، انظر: التصوف المنشأ والمصادر، المرجع السابق (ص ٢٧٢) وما بعدها.

وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به قائل، إذ كيف يتأتى لهم القول: إن القرآن والسنة يدعوان إلى الإلحاد والكفر بالله؟، ولا شك أن هذا القول هُراء وعبث لا يستقيم[1].

وكذلك استدل الغزالي ـــ على الاعتقاد نفسه ـــ بالحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله عز وجل يقول يوم القيامة، يا ابن آدم: مرضت فلم تعدني، قال: يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ...؟**»[2].

فهذا الحديث عند الغزالي وأتباعه من معتقدي وحدة الوجود، صريح في أن العبد والرب شيء واحد، وأن صفات العبد كلها صفات للرب على الحقيقة، سواء ما كانت منها صفات كمال، أو صفات نقص، فالله سبحانه ـــ في زعمهم ـــ يمرض ويجوع ويصيبه الظمأ والعطش، فلا فرق بين خالق ومخلوق، فصح بهذا أن الوجود واحد هو الله تعالى[3]؛ سبحانك اللهم، هذا بهتان عظيم.

وعلى هذا المفهوم لعقيدة وحدة الوجود، ذهب شيوخ من متصوفة غربي إفريقية إلى إقرارها، والدفاع عنها، وتبجيل أئمتهم الضالين المضلين[4] بهذه العقيدة التي اعتبروها أصلاً من أصول التوحيد لديهم، مع تسفيههم لأعلام أئمة أهل السنة الذين يحاولون دعوتهم إلى الحق، والأخذ بأيديهم إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة من الحق والهدى.

وأبرز من عُرف بذلك في غربي إفريقية، هو الشيخ إبراهيم انياس السنغالي[5]، شيخ مشايخ الطريقة التجانية في المنطقة، حيث صرح في كتابه: "كاشف الإلباس" بعقيدته في وحدة الوجود، وانتقد فيه علماء الدعوة السلفية، واصفاً إياهم بالجهل والسذاجة وعدم التمكن في العلم، فقال:«.. وكذلك من لا معرفة له باصطلاح القوم، فإنه إذا سمع قولهم من غير تحقيق لمقاصدهم،

---

(١) انظر: المرجع نفسه (ص ٢٧١ـــ٢٧٢).

(٢) صحيح مسلم (٣٤١/١٦)، رقم (٦٥٠١).

(٣) انظر: مشكاة الأنوار، المرجع السابق (ص ١٤٥).

(٤) أمثال ابن عربي، والحلاج، وابن سبعين، وابن الفارض وغيرهم كثير.

(٥) هو إبراهيم بن الحاج بن عبد الله انياس السنغالي التجاني، ولد سنة (١٣٢٠هـــ)، في قرية طيبة بالسنغال، تلقى الطريقة عن والده، وقام بنشرها على نطاق واسع في غربي إفريقية، ويعتبر طريقته أكبر وأقوى طريقة صوفية على الإطلاق في المنطقة، يصل عدد أتباع هذه الطريقة في العالم إلى أكثر من خمسة عشر مليونا. له مؤلفات كثيرة، منها: كاشف الإلباس، والسر الأكبر، وغيرهما. انظر: تصدير كتاب "كاشف الإلباس" للشيخ علي سيسي أحد تلامذته المعروفين.

ومعرفة فحوى إشاراتهم اهمهم، لأنه إذا سمع قولهم: "حقيقة التوبة هي التوبة من التوبة" فإنه ينكر ذلك ... وأعظم من ذلك قولهم: "الربُّ عبدٌ والعبد ربٌّ"، فإذا سمع هذا من لا ذوق لـــه، أمـــر بقتل قائله أو ذبحه. وإذا عرف مرادهم بذلك أن العبد إذا بذل نفسه لمولاه، وفـــني في مرضـــاته، وغاب عن شهود نفسه، ملكه ملكاً كبيراً، وجعل الأمر بيده، حتى إنه إذا قال للـــشيء: "كـــن فيكون"...»[1].

فهذا النص قد تضمن كثيراً من المغالطات والعبارات الشركية، لا يخفى مرادها ومعناهـــا عن ذي بصيرة، ولكن مع كل ذلك نرى الشيخ انياس، يوجه في صلب كلامه بالبحث والتنقيب عن المعاني الخفية فيها. ولكن يا تُرى هل هناك معنى آخر لقولهم: «الربُّ عبدٌ والعبد ربٌّ» سوى الشرك بالله،ودعوة غيره معه، بل وتسويته بغيره من المخلوقين؟.

ثم ما المقصود من القول: «وغاب بشهوده عن شهود نفسه» غير الـــدعوة إلى عقيـــدة وحدة الوجود التي ألزموا أنفسهم بها، وجندوا أتباعهم للدفاع عنها؟.

ومثل هذا القول ما ذكره الشيخ محمد الثاني الكافنغي التجاني النيجيري[2]، الذي أفـــنى حياته في الدفاع عن أئمة وحدة الوجود، وما دوَّنوها في مؤلفاتهم من المبادئ الضالة، والاعتقادات الفاسدة، ثم نسبوها ــ ظلماً وعدواناً ــ إلى الله تعالى، باعتبار أنها تمثل فيضاً من الفيوضات الإلهية على أصحابها، فقال: « ومن أنكر ما جاء في جواهر المعاني من إملاء الشيخ أحمد التجاني، وأنكر ما في الفيوضات الربانية والمآثر القادرية، فقد أنكر ما في كتب التصوف كلها، وهي عند العلماء دالة على الله تبارك وتعالى، سداها ولحمتها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلهامـــات الـــصالحين العاكفين في حضرة رب العالمين... إلى أن قال: لأن من أنكر على ختم الأولياء، ومدد الأصفياء في وقته مولانا الشيخ أحمد التجاني سقانا الله من بحره بملء الأواني،وأنكر على سلطان الأولياء في

---

(١) كاشف الألباس عن فيض الختم أبي العباس، إبراهيم عبد الله أنياس، (ص ٨٠ــ٨١)، ط١، مكتبة البـــابي الحلـــبي وأولاده، مصر، ١٩٥٢م.

(٢) هو محمد بن حسن بن محمد الملقب بالكافنغي الكنوي النيجيري، مالكي المذهب، تجاني الطريقة، ولد بـــ "كارنا" بنيجيريا، تعلم العربية والفقه على يد علماء "كانو"، اعتنق عقيدة الفيضة على يد الشيخ إبراهيم انياس بالسنغال، ثم عين خليفة لـــه في نيجيريا، عرف بتعصبه للطريقة التجانية، توفي سنة (١٩٩١م)، من مؤلفاته: مرآة الإخوان، المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة، التيسير في التزوج والتزويج، وطرق المنفعة ... إلخ.

وقته سيدي عبد القادر الجيلاني، فقد أنكر على الأولياء كلهم، وهم المحققون بمقام الإحسان، وبه نالوا ما نالوا، وعرفوا ما عُرفوا به، وتميزوا به عن غيرهم ...»[1].

وهكذا تتضح هذه العقيدة الراسخة في عقول القوم، من خلال ما سطرته أقلامهم، وأيدته أقوالهم وأفعالهم، سواء أكانوا في غربي إفريقية أو في غيرها، ممن يستميتون دفاعاً عن عقيدة وحدة الوجود، وعن أئمتهم القائلين بها، دون سند شرعي من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وذلك بكل ما أمكنهم من الكلام نثراً، ونظماً، وتأليفاً، مما قد يطول ذكره وتثقل قراءته، إذ إنهم في ذلك كله لا يختلفون إلا في الألفاظ فقط، والمورد واحد؛وأدلتهم هي:الذوق،والفيض[2]،و الكشف[3]، والإلهام[4] ونحوه، مما قد يؤدي إلى الشرك والكفر بالله العظيم.

- **موقف أهل السنة والجماعة من نظرية وحدة الوجود:**

ويتبين موقف أهل السنة والجماعة من عقيدة الصوفية في وحدة الوجود، من خلال عقيدهم في ذات الله تبارك وتعالى، وهي:

أن أهل السنة والجماعة يقرون بأن الله تعالى مستو على عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5]، فهو تعالى المتفرد بالجلال، المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن العيوب والنقائص.

---

(١) المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة، محمد الثاني الكافنغي،(ص ٤ـ٦)، ط١، مطبعة المشهد الحسيني، بيروت، د،ت.

(٢) الفيض هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية، أو هو عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس مترتب على الفيض الأقدس، فالأول تحصل الأعيان الثابتة، واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. انظر: التعريفات للجرجاني، المرجع السابق (ص ١٦٩).

(٣) الكشف في اللغة: رفع الحجاب، وفي الشرع: هو لاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً. انظر: التعريفات، المرجع السابق (ص ١٨٤).

(٤) الإلهام هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بالآية، ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفية، والفرق بينه وبين الإعلام، أن الالهام أخص من الإعلام، لأنه قد يكون بطريق الكسب،وقد يكون بطريق التنبيه. انظر: التعريفات، المرجع السابق (ص ٣٤).

(٥) سورة الشورى، آية: ١١.

ومن خالف هذا الاعتقاد، وزعم أن الله متحد بمخلوقاته، أو أن العبد عين الرب، والرب عين العبد، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وخالف الفطر والشرائع كلها. وقد كفَّر الله تعالى النصارى الذين قالوا: إن الله اتحد بعيسى ابن مريم عليه السلام، فكفَّرهم الله تعالى بقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1]. فكيف بمن يقول: إن الله متحد مع جميع مخلوقاته؟[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ردِّه على أصحاب هذه العقيدة الفاسدة: «وهؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه ــ تعالى ــ عين وجود الكائنات، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى وفرعون، وذلك من جهتين:

الأول: من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال العبد هو الرب وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

والثاني: من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوه سارياً في الكلاب، والخنازير، والقذر، والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[3]، فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون، والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقد أفحم القرآن الكريم المشركين، حين سألهم ذلك السؤال الذي لا جواب عليه سوى الاعتراف بالخالق وحده، وأنه غير هذه المخلوقات لا محالة، فقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾[4]، ومعلوم أن الشيء لا يوجد نفسه.

قال الأستاذ فالح بن مهدي في معرض تفسيره للآية الكريمة: « أي من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا أنفسهم؟ وهم يعلمون أن كلا الأمرين باطل، فتعين أن لهم خالقاً خلقهم، والاستفهام هنا استفهام إنكاري»[5].

---

(١) سورة المائدة، آيات: ٧١ــ٧٢.

(٢) انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس،(١/٢٨٤ــ٢٩٨)، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧١.

(٤) سورة الطور، آية: ٣٥.

(٥) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي،(ص ٥٨)، ط٢، مكتبة الحرمين، الرياض، ١٤٠٥هـ.

وبهذا يظهر أن القول بنظرية "وحدة الوجود" قول خطير للغاية، يتناى مع عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة أهل الحق القائمة على التوحيد والتنزيه لله وحده، يقول المستشرق نيكلسون[1]: «إن الإسلام يفقد كل معناه، ويصبح اسماً على غير مسمى، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ "لا إله إلا الله" أصبح المراد بها، لا موجود على الحقيقة إلا الله، وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة، قضاء تام على كل معالم الدين المنزل، ومحو لهذه المعالم محواً كاملاً»[2]، إنها حقيقة ساطعة يقررها نصراني، ويكفر بها شيوخ وأولياء الصوفية الذين يزعمون أنهم حماة الدين وأئمته.

- **حكم الإسلام فيمن يعتقد بأن الله تعالى هو عين الوجود:**

وعن حكم الإسلام فيمن يقر بهذه العقيدة المنحرفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا كله كفر باطناً وظاهراً، بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته قولهم، ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»[3].

ثم ذكر رحمه الله عدداً من علماء السلف ممن كفروا أرباب هذا الاعتقاد، فقال:« ومن المشايخ الذين قالوا بتكفير الاتحادية: هم سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وإبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، والشافعي، وأحمد بن حنبل و غيرهم ... وكل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء، ومن هو أرجح منهم؟ وأن الله تعالى ليس هو خلقه، ولا صفة أو جزءاً من خلقه، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية، من التوراة،والإنجيل، والزبور، والقرآن،وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول والأفهام...»[4].

---

(١) لا نذكر آراء هؤلاء من باب الاحتجاج بها، فعندنا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهما كافيان لنا تمام الكفاية، ولكن لبيان أن هذا الحق قد أدركه بعض هؤلاء المستشرقون ـــ رغم عداوتهم للإسلام وأهله ـــ فقرروه وأثبتوه في مؤلفاتهم، في حين تعاديه الصوفية التي تنسب نفسها إلى الإسلام، ويكفرون به.

(٢) هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ٧٣ـــ٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢/٣٦٨).

(٤) مجموع الرسائل والمسائل، المرجع السابق (١/ ١٨٦).

الآثار (السلبية) المترتبة على الإيمان بعقيدة وحدة الوجود في غربي إفريقية

لقد ترتبت على الإيمان بعقيدة وحدة الوجود التي افتتن بها متصوفة غربي إفريقية، آثار ونتائج مدمرة للعقائد والقيم، ومن ذلك:

أ ــ شيوع الاعتقاد بوحدة الأديان:

إن من أهم الآثار السيئة التي ترتبت على القول بنظرية "وحدة الوجود" في غربي إفريقية، شيوع الاعتقاد لدى الصوفية بما يسمى بـ "وحدة الأديان"، سواء أكانت هذه الأديان وثنية، مثل: المجوسية، أوالبوذية، أوالهندوسية أوغيرها، أوالتي لها سند شرعي، وأساس سماوي لكنها حُرِّفت وبُدِّلت تبعاً لهوى أتباعها، كاليهودية والنصرانية اللتان انقلبتا إلى ديانة وثنية بحتة لدى معتنقيها؛ فقد سوى المتصوفة بين هذه الأديان كلها، حتى وصل بهم الأمر إلى التسوية بين الإيمان والتوحيد، والكفر والشرك[1]، وأن الإسلام هو عين تلك الأديان الباطلة التي تدعو إلى الضلال والانحراف[2]؛ يقول في ذلك عبد الرحمن الوكيل: « إن قول المتصوفة بوحدة الوجود، أوقعهم في الكفر البواح من عدة وجوه، منها: قولهم بوحدة الأديان، سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام، وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله، ولذا اعتقد غلاة الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هديه وقدسيته عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه»[3].

وانطلاقاً من هذه العقيدة الفاسدة في ذات الباري، وإيمان متصوفة غربي إفريقية بها، فقد تعالت أصوات تنادي ــ في بعض الأوساط الإسلامية ــ إلى تأسيس مجالس تسعى لتقريب

(١) وقد أدى قول الصوفية بوحدة الأديان، إلى أن أصبح بعض الشباب المسلمين في غربي إفريقية، يعتنقون أكثر من دين في نفس الوقت، فقد تجد شاباً يعتنق الإسلام بحكم الولادة من أبوين مسلمين، ويعتنق في نفس الوقت الديانة النصرانية بحكم احتكاكه بالنصارى، أو عن طريق تعليمه في المدارس التنصيرية المنتشرة على طول غربي إفريقية وعرضها، والتي تهتم باستقطاب أبناء المسلمين الفقراء للانتساب في مدارسهم، حيث تتكفل بتعليمهم وإيوائهم تحت كنف الكنيسة مجاناً، بقصد إفساد عقائدهم، أو تحويلهم إلى الديانة النصرانية إن استطاعوا !، وقد تمكنوا في هذه الآونة الأخيرة من تحقيق بعض أهدافهم في هذا المجال، وذلك نظراً للحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتدهورة على الدوام في المنطقة.

(٢) انظر: الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ١٦ ــ ١٨).

(٣) هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ١١٧).

وجهات النظر، وتأصيل التفاهم بين مختلف الأديان والانتماءات في بداية الثمانينات[1]. فتم على أثر ذلك تكوين مجلس الحوار والتفاهم بين المسلمين والنصارى[2]، في كل من ساحل العاج، ومالي، والسنغال، وغانا، ونيجيريا وغيره، حيث تعقد اجتماعات هذا المجلس مرة أو مرتين في السنة بتمويل من منظمة "يونسكو" فرع الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة والفنون، وبرعاية مباشرة من "الفاتيكان"، و رؤساء تلك الدول في غربي إفريقية، ويدعى إليها أكثر سفراء المعتمدين لديها، مما يعطي تلك المناسبة زخماً إعلامياً كبيراً في الأوساط الدينية والثقافية والاجتماعية ونحوها[3].

ومما زاد الأمر حيرة لدى أكثر الباحثين في الشؤون الإسلامية في غربي إفريقية، هو أن الذين أيدوا هذه الفكرة في بداياتها، وسارعوا إلى الانضمام إليها من المسلمين ــ بعد الموافقة الرسمية ــ هم أتباع الطرق الصوفية المختلفة، الذين يؤمنون بوحدة الأديان، حيث يقومون بتأويل وتحريف نصوص الكتاب والسنة تبعاً لأهوائهم في هذه المسألة، وذلك تدعيماً لمواقفهم تجاه هذه النظرية الإلحادية، ومحاولة منهم لتضليل الرأي العام الإسلامي، بضرورة الوحدة والتقارب والاتفاق بين الأديان كلها، لأن الكل في نظرهم، يعبدون رباً واحداً وإن اختلفت المسميات؛ مما يعني أن الإنسان إذا عبد أي نوع من المعبودات الموجودة في هذا الكون، فعبادته صحيحة لا غبار عليها، لأنه عبد الله في صورة من إحدى صوره الكثيرة، وعلى هذا فليس لدى القائلين بوحدة الوجود من المتصوفة مؤمن ولا كافر، بل الجميع مؤمنون حق الإيمان؛ كما أنه ليس هناك دين صحيح وآخر باطل، بل الجميع صحيح[4].

---

(١) مما يعني أن يتنازل أصحاب كل دين أو اتجاه عن بعض معتقداتهم، ليلتقوا بالاتجاه الآخر؛ فهل من حق أحد من المسلمين أن يتجاوز أو يتنازل عن بعض ما أنزل الله إرضاء للنصارى؟! علماً بأن الخلاف بين المسلمين والنصارى، خلاف في الأصول، بين الإيمان والتوحيد، والكفر والشرك، وهي غير قابلة أساساً لا للتقريب ولا للتوفيق، لأن كلاً منهما يعتمد أصلاً لا يقره الآخر. ولكن الصوفية وجدوا ضالتهم في هذه الدعوة الماكرة، وكانوا أسرع من استجاب لها، وأول من مدَّ يدها لعبَّاد الرموز والمجسمات والأيقونات، بناء على عقيدتهم الفاسدة في وحدة الأديان.

(٢) أعني بهم الكاثوليك والبروتستانت المنتشرتين في المنطقة، بغية إفساد عقول الشباب وعقائدهم.

(٣) من خلال المقابلة التي أجراها الباحث مع الداعية الشيخ فاكوروبا بغايوغو في أبيدجان بساحل العاج بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٧م.

(٤) المصدر نفسه.

يدل على ذلك قول ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر [1]:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي * إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلاً كل صـــورة * فمرعى لغزلان ودير لرهبـــان
وبيت لأوثان وكعبة طائـــــف * وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بديـــن الحب أنى قد توجهت * ركائبه فالدين ديني وإيماني»[2].

وهنا تظهر معالم الشرك والانحراف في قوله بأن قلبه قد أصبح مرعـــى لغـــزلان وديـــر لرهبان، وأظهر منه ذلك الكفر البواح الذي يمتلئ به قلبه، حتى صار بيتاً لأوثان وكعبة طـــائف، وهو في النهاية يحذر أتباعه ومريديه من أن يؤمنوا بدين خاص، ويكفروا بما سواه، بل لا بد عنده من الإيمان بجميع الأديان، فهو يدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه،«.. فإياك أن تتقيد بعقـــد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك هيولي[3] لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد فالكـــلُّ مصيبٌ، وكل مصيبٍ مأجورٌ، وكلٌّ سعيدٌ، وكل سعيدٍ مرضيٌ عنه»[4].

ويقول الجيلي في السياق نفسه، مؤكداً عقيدته في وحدة الأديان:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى * ومالي عن حكم الحبيب تنـــازع
فطوراً تراني في المســــــاجد راكعاً * وإني طـــوراً في الكنائس راتـــع
إذاكنت في حكم الشـــــريعة عاصياً * فإني في علم الحقيقة طائـــــع[5].

---

(١) سيأتي تعريفه مفصلاً بعد قليل.

(٢) الصوفية معتقدا ومسلكاً، د. صابر طعيمة (ص ٢٤٣)،ط٢، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٦هـــ،١٩٨٥م. وانظر: هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ١١٧ـــ١١٨).

(٣) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. وفي الاصطلاح الفلسفي هي ما به الشيء بالقوة، أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، وقد استعملها ابن عربي هنا بمعنى القابل، أي الذي تنطبع فيه صور المعتقدات كلـــها، وينفعل بها، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة. انظر: هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ١١٨).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي بشرح القاشاني،(ص ١٩١)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـــ.

(٥) انظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم،(١/١٣٤)، لابن عجيبة الحسني، دون ذكر الناشر.

ويقول في موضع آخر مفسراً كلمة:"لا إله إلا الله" «أي الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة...»[١].

وقريب من هذا، ما يذكر عن جلال الدين الرومي قوله: «... أنا مسلم ولكني نـصراني وبراهمي وزرادشتي، توكلت عليك أيها الحق ... ليس لي سوى معبد واحد ... مسجد أوكنيسة أو بيت أصنام، ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ...»[٢].

قلتُ: إن أقوالهم هذه تؤكد على أن بعض الصوفية منافقون، إنما دخلوا في الإسلام من أجل إفساده، وتشويه صورته، وهدم أركانه. وليفسدوا على الناس دينهم الحق، ويؤيدوا عقائدهم الباطلة من يهودية ونصرانية ومجوسية وهندوسية وغيرها، وما بني على باطل فهو باطل؛ قال جولد زيهر:« مهما تظاهر الصوفية بتقديرهم للإسلام، فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان، وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها»[٣].

وقد نسي هؤلاء أو تناسوا بأن الله تعالى الذي خلق الجن والإنس لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، قد اختار لهم الدين الحق الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، ليدينوه به، وأنه تعالى لا يقبل ديناً غيره أبداً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٥].

---

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، عبد الكريم الجيلي،(٦٩/١)، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٢٩٣هـ.

(٢) الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ٤٢).

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسهير، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون،(ص ١٥١)، ط٢، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: « وهذا إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحـــد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شـــريعته، فليس بمتقبل منه كائناً من كان ...»[١].

وقال الإمام البيضاوي رحمه الله في سياق تفسيره للآية نفسها:« ... والمعنى أن المعرض عن الإسلام، والطالب لغيره فاقد للنفع، واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ...»[٢] لا محالة.

ب ـــ شيوع الاعتقاد بجواز عبادة كل موجود:

من الآثار السيئة المترتبة على اعتقادهم بوحدة الوجود في غربي إفريقية أيضاً، القول بجواز عبادة كل شيء في هذا الكون، وذلك انطلاقاً من عقيدهم القائلة: بأن كل ما في هذا العالم مجلي ومظهر لله تعالى، ولذا يجب على العبد أن يعبد كل شيء، ويحب كل شيء في هذا الوجود، لأن عبادته لأي نوع من هذه الموجودات يعتبر عبادة لله تعالى، لأن الكل يطلق عليه عند القائلين بوحدة الوجود "**الله**"؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولهذا فلا غرو أن نرى المتصوفة ومريديهم في غربي إفريقية، يستميتون في تقديس مشايخهم وتبجيلهم حتى وصل الأمر ببعضهم إلى عبادهم، والتمسح بأضرحتهم، وتقديم النذور والهبـــات لهم، لاسترضائهم وطلب المدد والبركة منهم على حدّ زعمهم.

كما بلغ الحال ببعض جهالهم أيضاً في غربي إفريقية، إلى الرفض التام للعبادات كلها، من صلاة وصيام و زكاة وحج وغيره من التكاليف الشرعية التي جاء بها ديننـــا الحنيـــف، متـــأوِّلاً في ذلك، بأن خدمة المشايخ وتنفيذ أوامرهم، وابتعاد نواهيهم، تغني عن ذلك كله، لأنهم مفاتيح الجنة[٣]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد، فهو زنديق كافر بالله ورسوله»[٤]، وهكذا.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧١).

(٢) تفسير البيضاوي (١/٦١).

(٣) حيث يرى كثير من هؤلاء الجهال أن مشايخهم قد رفع عنهم تلك التكاليف الشرعية، وعن طريق خدمتهم وتبجيلهم يحصل لك العتبى دنيا وأخرى.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، المرجع السابق (١/٢١٧ـــ٢١٨).

جـ ـ الترويج للسحر والشعوذة في المنطقة:

أما عن مزاولة الصوفية للسحر والشعوذة والترويج لها في المنطقة، وذلك بناء على الزعم بمعرفة خواص الأسماء والحروف، فحدث عنها ولا حرج، إذ إن الحقيقة التي لا يعرفها كثير من الباحثين عن الصوفية وعقيدتهم في غربي إفريقية، هي مزاولة مشايخهم للسحر والشعبذة، وذلك استناداً على الزعم بمعرفتهم بأسرار الحروف، وخواص اسم الله الأعظم، وذلك كله تحت ستار الزهد والصلاح وكثرة العبادة، وما يتظاهرون به من خوارق العادات، ليوهموا العوَّام والبسطاء بأنهم أهل الله، وأهل كراماته المتجلية [1].

وقد اعترف بذلك ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر، عند وصفه لأولياء الله وما يقومون به من سحر وشعبذة، بواسطة تلك الحروف المبهمة والمقطعة، فيقول: « ... ومنهم الساحرون والسحر بالإطلاق صفة مذمومة، لكن حظ الأولياء والخواص منه، ما أطلعهم الله عليه من أسرار الحروف، وهو علم الأولياء، فيتعلمون ما أودع الله في تلك الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال، فهو ـ أي السحر ـ وإن كان مذموماً بالإطلاق، فهو محمود بالتقييد عند أهل الصنعة، بل هو من باب الكرامات ... ويسمى عندنا بعلم "السيمياء" وهو مشتق من السمة، وهي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات... إلخ »[2].

---

(١) انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٠٣ـ١٠٦).

(٢) الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، تحقيق: عثمان يحيى،(٣/٢٠١ـ٢٠٢)، المطبعة العربية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

أما عن أنواع السحر التي تعتمد عليها الصوفية بناءً على معرفتهم بعلم أسرار الحروف والاسم الأعظم، فهي كثيرة جداً، منها: الأوقاف(١)، والطلاسم، والعزائم(٢)، والاستخدامات(٣)، والسيمياء، والأقسام(٤) ونحوها، قال الغزالي: « أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه ــ أي الصوفية ــ بينهم في أوقات معلومة، وطوالع معروفة، وطلسمات مضروبة»(٥).

ومن اطلع على الكتب المصنفة في هذه العلوم المحرمة، سوف يرى حقائق مذهلة تكشف عن أن الصوفية وأتباعهم قد انحرفوا عن الجادة السوية، بما أدخلوه على المسلمين من عقائد باطلة، لا تمت بأدنى صلة إلى الدين الحنيف الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى، وكان عليه السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) وعلم الأوقاف يعود إلى مناسبات الأعداد، وجعلها على شكل مخصوص،وهذا كأن يكون بشكل مربع من تسع بيوت، مبلغ العدد من كل جهة خمسة عشرة، وهو من السحر. ويزعم الصوفية أنها تنفع للحوائج، وإخراج المسجون، ووضع الجنين، وكل ما هو من هذا المعنى... انظر: الفروق، المرجع السابق (١٢٤/٤).

(٢) العزائم: جمع عزيمة: يقصد بها علم استنزال الأرواح أو استحضارها في قوالب الأشباح، والاستعانة أو الاستغاثة بهم، وهو من فروع علم السحر والشعوذة. انظر: أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي،(٥٥/٢)، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٨م.

(٣) الاستخدامات وهي قسمان: الكواكب والجان، فيزعمون أن للكواكب إدراكات روحانية، فإذا قوبلت الكواكب بنوع من البخور الخاصة، ولباس خاص على الذي يباشر البخور، وربما تقدمت منه أفعال خاصة، منها ما يحرم في الشرع كاللواط، ومنها ما هو كفر صريح مثل: عبادة تلك الأرواح، وإعطائها النذور والقرابين، بغية تسخيره لأغراض شريرة. انظر: الفروق، المرجع السابق (٣/ ٢٢٣)، و (١٢٧/٤).

(٤) جمع قسم: وهو من نجس العزائم، ويتكون عادة من ألفاظ مخصوصة، متداولة عند أهل الفن، يقسمون بها على الشياطين أو الخدام أو الروحانيات كما يسمونهم عند مزاولتهم لأعمال السحر.. وهو أ ن يقول: أقسم عليكم أيها الأعوان المستخرجة من حروف اسم فلان بن فلان، أريد أن تتوكلوا بكذا وكذا من الأعمال التي يريده منهم، إما خيراً أو شراً. انظر: الفروق، المرجع والصفحة نفسيهما.

(٥) مجموعة رسائل الغزالي، لأبي حامد الغزالي، (ص ١٥٦)، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

- **ذكر بعض من تعاطى السحر وألف فيه من أقطاب الصوفية، وهم:**

١ ـ أبو حامد الغزالي:

هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي زين الدين أبو حامد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، صاحب المصنفات الشهيرة، أحد أئمة التصوف ومقدميهم، توفي سنة (٥٠٥هـ)[١]. يدَّعي المتصوفة أنه هو العمدة في علم أسرار الحروف، والأسماء الحسنى.

يقول الدكتور عبد الحميد حمدان: « .. وقد برع ـ الغزالي ـ في كل علم من العلوم الإسلامية حتى علم الحروف والأسماء، إلى أن حاز بها لقب "عمدة علم الحروف والأسماء"»[٢].

وقد نسبت إليه عدة كتب في السحر والشعوذة وغيرها، مثل: كتاب الأوقاف، وكتاب الطب الروحاني، وشرح الدعوة الجلجلوتية، وكتاب مجربات الغزالي، ورسالة سر ربٍّ العالمين ونحوها[٣].

كما نسب للغزالي أيضاً مثلث للحروف المقطعة، يعتمد عليها مشايخ الصوفية في مزاولتهم لأعمال السحر، قال القرافي وهو يتحدث عن الأوقاف، وأسرار الحروف: « وكان الغزالي يعتني بها كثيراً حتى إنه أصبح ينسب إليه هذا المثلث، وضابطه: [ب ط د]،[ز هـ ج]،[و أ ح]»[٤].

وهذه الكتب كلها مطبوعة ومنشورة في أسواق العالم الإسلامي، وهي تعد المرجع الأساس لمشايخ غربي إفريقية وغيرهم ممن يتعاطون السحر، بقصد تسخير العوام، وإفساد عقائد المسلمين.

---

(١) انظر: هذه الصوفية، المرجع السابق (ص ٦٩).

(٢) هذه الصوفية، المرجع السابق (ص ٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، المرجع السابق (٣٢٨/١٩)، و ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: علي محمد البخاري،(٢٤٨/٢)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، و إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد البغدادي،(١١/٢)، المكتبة الإسلامية، ١٩٥٧م.

(٤) الفروق، المرجع السابق (١٢٤/٤).

٢ ـــ أبو العباس أحمد البوني:

هو أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي، أبو العباس المشهور بالبوني، نسبة إلى بونا بإفريقية على الساحل[١]، وهو شيخ الطريقة البونية [٢]، قال عنه النبهاني في جامع كرامات الأولياء: «... من كبار المشايخ ذوي الأسرار والأنوار ممن أخذ عنه أناس كثر ...» [٣].

وترجم له عبد الرؤوف المناوي في الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية،وقد أثنى عليه كثيراً، وكان مما قاله فيه: « ... زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، صاحب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والسرائر الزاهرة، والبصائر الباهرة، والأحوال الصادقة، والأفعال الخارقة، له اليد البيضاء في أحكام الولاية، والباع الطويل في أحوال النهاية، وهو أجدُّ من أظهره الله في الوجود، وصرفه في الكون، وأظهر على يده العجائب، وأطلعه على الأسرار والغرائب، وقلب له الأعيان في عالم الحس والعيان، وأراه شواهد الملكوت، وأطلعه على لطائف الجبروت، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات مع قلب راسخ في المجاهدة، وعلم شامخ في المشاهدة، أحد أركان هذا الشأن، ولسان البيان في وقته علماً، وعملاً، وحالاً، وقالاً، وزهداً، وتحقيقاً، وورعاً، وتوكلاً، وتدقيقاً، وتمكيناً، ومهابة، وجلالة ...» [٤] إلى آخر ما قيل فيه من تلك الخزعبلات والأوهام التي لم يوصف بها أحد من صفوة أصحاب رسول الله ﷺ، بل وفي هذا النص من الوصف والاطراء ما لم يثبت للنبي ﷺ في غير أوقات وحي ربه إليه. ولكن العجب يزول إذا ما علمنا أن أحدهم وهو: أبي يزيد البسطامي الذي يفتري على الله الكذب، ويقول: «تا الله إن لوائي أعظم من لواء محمد»[٥]، ثم يتجاوز الرجل مرحلة الكفر والطغيان، ويفقد عقله تماماً حين يقول ظالماً لنفسه:«لأن تراني مرة، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة»[٦]، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) وتقع هذه المنطقة حالياً في شمالي غربي إفريقية بين ساحل العاج،وبوركينا فاسو، وغانا.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي،(٢٨٨/٢٤)، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٣) المرجع نفسه (٤١٢/١).

(٤) كرامات الأولياء، لأبي الفداء عبد الرقيب الآبي، (٤١٣/١ــ٤١٤)، دار الآثار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

(٥) لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على لإطلاق، للشعراني (ص ١٢٣)، عالم الفكر، ١٩٧٦م.

(٦) اللطائف، المرجع السابق (ص ١٢٥).

وقد ألف الشيخ البوني مجموعة من الكتب في علم السحر وتعلمه، أشهرها كتاب "منبع أصول الحكمة"، وقد ذكر في هذا المصنف روايات وأخباراً عن أسرار الحروف المقطعة، وأسماء الله الحسنى، وبين الأوقات المناسبة لعمل السحر وفقاً لربطها بمطالع الكواكب ومنازلها. ومن يطالع هذا الكتاب، سوف يكشف عن حقائق دامغة، تؤكد انحراف الشيخ البوني عن جادة الصواب، بل وتعاطيه للسحر والشعوذة على نطاق واسع، وسعيه ـــ كذلك ـــ إلى نشر هذا الشرك والكفر بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

٣ ــ محيي الدين ابن عربي:

هو محيي الدين ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الحارثي، شيخ مشايخ الصوفية، ومن الغلاة القائلين بوحدة الوجود، يقول عنه الصوفية: الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، وهم يجلونه ويحترمونه، بل ويقدسونه، ويسجدون له، ويحلفون باسمه، ويحتجون بأقواله وأفعاله، حتى قيل إنه: خاتم الأنبياء جميعاً، توفي سنة (٣٧٦هـ)[١].

ويزعم المتصوفة أن ابن عربي تعلم علم السيمياء في السماء الثانية عندما عرج به إلى الحضرة، « ... ومن هذه الحضرة الإلهية تعلم علم السيمياء أوالهيمياء الموقوفة على الحروف، والأسماء الحسنى ...»[٢]، وله مصنفات عدة في هذا الفن، منها: الكبريت الأحمر، والعقد المنظوم فيما تحتويه الحروف من الخواص والعلوم، والمبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، والفتوحات المكية، وذخائر الأعلام، وفصوص الحكم وغيرها، وكلها مطبوعة ومنشورة، تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجاً، ويقتبس منها مشايخهم وكُهَّانهم فنون السحر والشعوذة والدجل، لإضلال الناس، وإفساد عقائدهم، يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن علم الأسرار والأسماء: «... وهو من تفريعات علم السيمياء، لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله، فقد تعددت فيه تآليف ابن عربي و البوني وغيرهما ممن تبع آثارهما في هذا الفن»[٣].

وقد فتحت هذه الكتب المبتدعة وغيرها الأبواب على مصراعيها لتعلم السحر والشعوذة، ومزاولتهما على نطاق أوسع لدى المتصوفة بغربي إفريقية، حيث ظلوا يخدعون البسطاء ويمكرون بهم، ويكيدونهم بالسحر والشعوذة، ويدَّعون ــ افتراء على الله ــ أنه بالأسرار المكنونة، وأن معرفتهم باسم الله الأعظم، تمكنهم من تسخير الناس لمحبيهم من الأمراء والملوك وأكابر الناس في المجتمع،وأنهم يؤثرون فيهم ــ بالشر والخير ــ بواسطة تلك الأسرار المزعومة. وبهذه الحيل والأكاذيب يتم ابتزاز أموال ضعاف النفوس من الأثرياء، وبعض المسؤولين السياسيين الذين يلجؤون إليهم أثناء منافسات انتخابية، وإهدار كرامتهم تحت رحمة مشايخ الطرق الدجالين، لأنهم ــ وحسب اعتقادهم الباطل فيهم ــ أولياء الله وأحباؤه الذين يمتلكون الاسم الأعظم الذي إذا

---

(١) انظر: جمهرة الأولياء وأعلام التصوف، محمود أبو الفيض الحسيني المنوفي،(٣/٣٠١ــ٣٠٢)، ط١، مطبعة المدني العباسية، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩١٧م، وانظر: هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ٤٤).

(٢) جمهرة الأولياء وأعلام التصوف، المرجع السابق (٣/٣٠٣).

(٣) المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون،(ص ٥٥٦ــ٥٥٧)، دار الفكر، د.ت.

دعي به أجاب في الحال، يقول في ذلك الإمام الرازي: « ومن أنواع السحر، تعلق قلب المسحور وتسخيره لمن يريد ذلك، وهو أن يدعي الساحر أنه يعرف اسم الله الأعظم،وأن الجن والروحانيين تحت إمرته وخدمته، فيطيعونه وينقادون لأوامره ونواهيه، فإذا اتفق أن كان السامع ضعيفاً، قليل التمييز، اعتقد أنه الحق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والخوف»[1].

ويكثر هذا النوع من التلاعب والحيل لدى الصوفية في غربي إفريقية، حيث يعتقد الناس أن هؤلاء المشايخ قد بلغوا مرتبة أرقى في الصلاح، والتقى، والعلم، وكثرة العبادة، والزهد، فيثقون بهم ثقة عمياء، ويتابعونهم في غيِّهم وضلالهم، وقد يصل الأمر ببعض هؤلاء الأتباع إلى تقديسهم، والتوسل بهم وبجاههم، أوالتبرك بذواتهم وهم أحياء، وإذا ماتوا لا يزال التقديس مستمراً، فتجدهم يبنون على قبورهم القباب، ويزينونها بطريقة غريبة، تجعل كل من يزورها يشعر بنوع من الرهبة والقداسة، وعلوِّ المنـــزلة للمدفونين في تلك القبور، فيتمسح بقبورهم الجهال، وينذرون لهم، ويصلون عند قبورهم معتقدين بأن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في بيوت الله؛ منحرفين بذلك عن منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من الدين والعبادة والسلوك. إذ لا يوجد نبي واحد من أنبياء الله تعالى ورسله، يأمر أتباعه، أو الذين بعث إليهم، بعبادته وتقديسه من دون الله، بل كانوا ــ جميعاً ــ ينهون أممهم عن التوجه بالعبادة لغير الله، كما قال تعالى حكاية عنهم جميعاً: ﴿ ... **ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ** ﴾[2]، ويأتي في مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، فهو خير الأنام، وأفضل الخلق، بل أفضل ولد آدم على الإطلاق، خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وأكرم خلق الله تعالى عند الله، لكن مع كل هذه الدرجات العالية، وتلك المميزات الفريدة؛ فإنه ﷺ لم يكن يسمح لأصحابه بدعائه، أو الاستغاثة به، حفاظاً منه ﷺ على جناب التوحيد، كيلا تشوبه أدنى شائبة، بل كان ﷺ ينهى عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الشرك بالله قليلاً كان أو كثيراً، فينهى ﷺ عن مجرد إطرائه، أو رفعه فوق منـــزلته، كما أنه ﷺ كان كلما ارتفعت درجته، وعلت منـــزلته عند ربه عز شأنه، كلما ازداد تواضعاً وانكساراً، وتقرباً إليه تعالى بأنواع الطاعات. وهكذا يجب أن يكون العلماء والدعاة، وطلبة العلم الشرعي، ليتحقق فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ** ﴾[3]، وحتى يكونوا في الحقيقة ورثة الأنبياء.

---

(١) التفسير الكبير، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر،(١٩٣/٣)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ثانياً: الغلو الزائد في الرسول ﷺ والأولياء:

أ ــ غلو المتصوفة في الرسول ﷺ:

إن الصوفية في غربي إفريقية، غلوا في رسول الله ﷺ غلواً فاحشاً، أدى بهم إلى تقديسه، ورفعه ﷺ فوق منزلته التي أنزله الله إياها، فنسبوا إليه ﷺ أموراً وأفعالاً لو كان ﷺ حياً لقاتلهم عليها، إذ توجهوا إليه ﷺ بطلب المنفعة، ودفع المضرة، والأخذ باليد يوم الحشر، وشكوا إليه نوائب الدهر، وحوادث الزمان، ونسوا الله تعالى الذي بيده مقاليد السماوات والأرض وتغافلوه.

ولا نريد هنا أن نناقش كل معتقدات الصوفية المنحرفة تجاه الرسول ﷺ في غربي إفريقية، فهذا قد يطول الكلام فيه، ولكن نريد أن نضرب أمثلة، نثبت من خلالها أن المتصوفة قد أتوا بهذه العقائد الفاسدة من عند أنفسهم، مع براءة العقيدة الإسلامية منها كل البراءة، ومن ذلك:

١ ــ الاعتقاد بأن الرسول ﷺ ليس كسائر البشر وإنما خلق من نور الله، وأنه أول مخلوق على الإطلاق، وأن جميع ما في هذا الكون إنما خلق وانبثق وفاض من نوره ومن أجله ﷺ:

يعتقد كثير من المتصوفة في غربي إفريقية أن الرسول ﷺ خلق من نور الله عز وجل ــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ وأنه أول مخلوق على الإطلاق، وأنه ﷺ هو سر الوجود، وأن جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما، ما خلقت إلا من أجله، وأن جميع معارف وعلوم الرسل والأنبياء السابقين الذين أرسلوا إلى أقوامهم إنما فاضت عليهم من علمه ﷺ، بل إن علم اللوح المحفوظ والقلم من علمه ﷺ، ويسوقون لتأييد ذلك أحاديث موضوعة. ويزعمون أن أبوي رسول الله ﷺ مسلمان، وإذا قيل لهم: "إنهم ماتوا قبل الإسلام"، قالوا: "إنهما بعثا له أي أخرجا من قبورهما أحياء، ثم أسلما ورجعا إلى قبورهما".

وهذه مخالفة صريحة للنصوص الثابتة ــ كما سيأتي بيانه ــ وهو قول على الله بغير علم. والعجب أن من يدَّعي العلم من الأشعرية في غربي إفريقية يوافقهم في القول بحياة أبوي النبي ﷺ بعد الإسلام، وأنهما أسلما على يديه ﷺ[(١)].

وهذا المعتقد يعدُّ انحرافاً خطيراً عن الجادة السوية، حيث تجاوزوا بالنبي ﷺ كل الحدود التي أنزله الله إياها، ذلك لأن محمداً ﷺ عند الصوفية، ليس بشراً، ولا رسولاً، ولا نبياً، وإنما هو الذات الإلهية المقدسة في أسمى مراتبها ذاتاً وصفة، وأنه هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنه هو

---

(١) انظر: مظاهر الغلو عند الصوفية، محمد بن ناصر الشثري،(ص ٤٦)، الناشر: المؤلف، ٢٠٠٣م.

الوجود المطلق، والوجود المقيد، وأنه كان ولا شيء قبله أو معه ... وهو ما يعرف عندهم بـ "الحقيقة المحمدية[1]".

يقول في ذلك الشيخ أحمد التجاني: « وأعلم أن الحق تبارك وتعالى قد اقتطع من النور الإلهي في غاية الصفاء والنقاء والتجوهر، وجعل ذلك القطعة من النور مقراً لانصباب كل ما قسمه لخلقه، في سابق علمه من الرحمة الإلهية، ثم صار يفيض على خلقه ما أقره في الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة؛ فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ، وكان ذلك النور هو الحقيقة المحمدية، وتلك الرحمة المفاضة في ذاته، هي التي يفيضها على الوجود من ذاته الشريفة، فلا يصل شيء من الرحمة إلى الوجود إلا من ذاته ﷺ ... إلى أن قال: فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود لموجود أصلاً من غير الحق تعالى، فإن وجود كل موجود من ذوات الوجود، متوقف على أسبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود، فإنه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان، ولا رحم شيء منها، لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة ... وتحقيق ما قلناه أن الله تعالى لو سبق في علمه نفوذ مشيئته، أن لا يخلق محمداً ﷺ، لسبق في علمه ونفوذ مشيئته أن لا يخلق شيئاً من المخلوقات»[2].

ومثل هذا ما صرح به الشيخ محمد الكافنغي، مبيناً مراد متصوفة غربي إفريقية بالحقيقة المحمدية، فقال:« .. إن الذات العلية كانت ولا شيء غيرها وهي الآن على ما هي عليه، كانت فأرادت التعرف فتجلت في نفسها بنفسها لنفسها، وهذا التجلي هو المعبر عنه بالأحدية ولا فرق بينه وبين الذات أي لا نسبة فيه، ثم تتجلى بالواحدية، فهي أول كون تكوّن فيها، ظهرت أسماء الله وصفاته وتكونت الحقائق وبرزت في عالم الأمر قبل وجود آدم عليه السلام، كما أشار إليه حديث "كنت عالماً بنبوتي وآدم بين الماء والطين[3]" ولإيجاد هذه الحقائق والنسب أوجد الله الحقيقة المحمدية، فلولاها ما ظهرت نسبة الله ولا عرفت، ولهذا المعنى أشار الشيخ ـ يقصد الشيخ أحمد التجاني ـ بقوله: "فلولاك يبقى الحق حقاً وما درى"، إذ ليس قبل هذا التجلي إلا الأحدية،وتلك لا نسبة فيها، فسر التعرف المطلق هو الذي أظهر له الحقيقة المحمدية»[4].

---

(١) انظر: التعريفات، المرجع السابق (ص ٩٩).

(٢) جواهر المعاني، المرجع السابق (٢/٢٣٥).

(٣) لقد أشار الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلته الضعيفة إلى أن هذا الحديث من الأحاديث المختلقة والمنسوبة إلى النبي ﷺ. انظر: (١/٣١٦).

(٤) طرق المنفعة بأجوبة عن أسئلة أهل الإزالة،محمد الثاني الكافنغي،(ص ٤)، مطبعة قسا، كانو.

وإذا عرضنا هذا المعتقد الصوفي على ميزان الكتاب والسنة، نجد أنه مخالف تماماً لما ورد فيهما من تعاليم وشرائع، وذلك أن دعوى الصوفية بأن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ، وأنه هو الأصل لوجود جميع الكائنات باطلة، بل هو تخرص بغير علم، وكذب محض، وليس لديهم أي دليل يستندون عليه سوى مجموعة من الأحاديث الموضوعة التي وضعها أئمتهم، ليفسدوا بها دين المسلمين، ومنها:«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1]،أو «كنت نبياً وآدم ولا ماء ولا طين»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على البكري حول هذه الأحاديث المختلقة: «... لا أصل لها، لا من حيث النقل، ولا من حيث العقل، ولم يذكرها أحد من المحدثين، ومعناها باطل لا يستقيم، لأن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان عليه السلام بين الروح والجسد»[3].

وقوله: « ... وإنما كان بين الروح والجسد» إشارة إلى أن هذا هو المعنى الصحيح المروي عن النبي ﷺ، ونصه: «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»[4]. وما روي عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: «**كنت في صلبه،وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية**»[5]. وما ذكره الملا علي القاري في الموضوعات الكبرى ما نصه: «**كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث**»[6].

فعلى ضوء هذه النصوص السابقة، يتبين لنا افتراء المتصوفة وكذبهم على رسول الله ﷺ،وأن الأحاديث التي أوردوها كلها موضوعة مختلقة لا تستقيم، ولا تصلح أن تكون دليلاً لإثبات قضية عادية، فضلاً عن أن تكون دليلاً لإثبات قضية عقدية كبرى، ولهذا نقول وبدون

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١/٣١٦)، قال عنه الألباني: هذا حديث موضوع.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة الألباني (١/٤٧٦).

(٣) الرد على البكري، شيخ الإسلام ابن تيمية،(ص ٩)، دار المطبعة، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

(٤) السلسلة الضعيفة (١/٤٧٤)، ثم قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: وهو ـ هذا الحديث ـ صحيح الإسناد.

(٥) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي،(١/٢٦٤)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ، وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن علي الكناني،(١/٣٢١)، ط١، مكتبة القاهرة، د.ت.

(٦) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، للملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ،(ص ٢٧٢ـ٢٧٣)، طبعة دار الأمانة، بيروت، ١٣٩١هـ.

مبالغة: إن كل ما ذكره الصوفية من أن محمداً ﷺ أول الخلق، وأنه خلق من نور الله، وأنه أصل الموجودات،وأن كل شيء مخلوق إنما خلق من أجله ﷺ ومن نوره ﷺ... إلخ، زور وبهتان عظيم، و قول على الله تعالى بغير علم، بل إن كل ذلك قد أتوا به من عند أنفسهم، ليضلوا به الناس عن المعتقد الصحيح، الوارد في الكتاب والسنة الصحيحة، وإلا فالرسول ﷺ ليس مخلوقاً من نور كما يدَّعون، بل هو بشر خلق من أبوين قرشيين معروفين، وتاريخ ميلاده معروف ومسطور لدى المسلمين جميعاً، غير أن الله تعالى فضله بالرسالة، وجعله خاتم أنبيائه ورسله، وجعله أفضل مخلوقاته قاطبة؛ وهو بهذا ليس بأصل للكائنات ـــ كما تدَّعي الصوفية ـــ بل كل ما في هذا الكون له أصول مستقلة معروفة عند العقلاء، فالبشر مثلاً أصلهم من تراب، والجان من نار، والملائكة من نور، كما نص على ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر،ولم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[1]، ومن قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولاه ﷺ لما خلق عرشاً، ولا كرسياً، ولا سماءً، ولا أرضاً، ولا شمساً، ولا قمراً، ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ أصلاً، لا صحيحاً، ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، ولا يعرف عن الصحابة (رضي الله عنهم)»[2]. وكون النبي ﷺ خلق كما يخلق غيره من البشر لا ينقص هذا من قدره، ولا يحط من منزلته ومكانته العالية أبداً، وقد أمره الله تبارك وتعالى أن يعلن للناس صراحة أنه بشر مثلنا، ليسد الطريق بذلك أمام المنحرفين عن سبيله، كما في قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ** ﴾[3]، إذاً فهو مخلوق من نطفة أمشاج مثل البشر الذين أصلهم كلهم من طين، كما قال تعالى:﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ** ﴾[5].

(١) صحيح مسلم (٣٢٣/١٨)، رقم (٧٤٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٩٤/١١).

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٢.

(٥) سورة المؤمنون، آيتان: ١٢ــ١٣.

كما خصه الله تعالى بخصائص انفرد بها ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فهو صفيُّه وحبيبه من خلقه، فضله بالرسالة الخاتمة، وجعله خير الخليقة على الإطلاق، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، ولكن مع ذلك كله فهو عبدٌ لله تبارك وتعالى، وقد وصفه الله تعالى بالعبودية له في آيات كثيرة[1]، وهي عبودية الشرف والاصطفاء والتكريم، نذكر منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[4].

وهكذا يتضح لنا من خلال تلكم البراهين أعلاه، دحض حجج المتصوفة في ادعائهم الباطل بالحقيقة المحمدية المخترعة التي أتوا بها من تلقاء أنفسهم، ليفسدوا به اعتقاد المسلمين في نبيهم، وحتى يردوهم إلى أمة وثنية تقدس الأشخاص، وتقدم النذور والقرابين لقبورهم وأضرحتهم.

وبما أن الباحث قد أبطل دعوى الصوفية بأن الرسول ﷺ خلق من نور، فلا حاجة إلى مناقشتهم في زعمهم الآخر، وهو قولهم: إن الكون خلق من نور محمد ﷺ، لأن الأساس الذي بنوا عليه قد هدم وسوي بالأرض، وبيَّنا أنه كذب محض لا أساس لها، وأن النبي ﷺ خلق مثل غيره من أب وأم كما يولد بني البشر.

أما ادعاؤهم الثاني بأن الكون خلق من نوره ﷺ فباطل أيضاً، لأنها ليس لها أي أساس يعتمد عليه، وليس لهم برهان من الله ولا من رسوله ﷺ على صحة تلك دعاوى، بل إن الذي يعتمدونه ما هي إلا الظنون والأوهام والخيالات، لا تمت إلى الحقيقة الثابتة بأدنى صلة.

وهكذا نستخلص إلى القول بأن الرسول ﷺ ليس مخلوقاً من نور، وليست الكائنات مخلوقة من نوره كذلك كما يدَّعي عُبّاد القبور، لذا يجب أن ترد تلك الدعاوى عليهم، ويضرب بها على وجوههم.

---

(١) وذلك تعظيماً لمقامه، وإجلالاً لقدره ومنزلته ﷺ عند الله.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) سورة الجن، آية: ١٩.

٢ ــ أن الأنبياء فاضت عليهم العلوم والمعارف من الرسول ﷺ:

لما كان اعتقادهم الفاسد في شخصية الرسول ﷺ يستلزم وصفه بصفات الربوبية والألوهية مما هو من اختصاص الباري تعالى، فقد بالغ بعض مشايخ المتصوفة في الغلو في الرسول ﷺ حتى وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن جميع الأنبياء والمرسلين فاضت عليهم العلوم من الرسول ﷺ، ويرون أن النور المكرَّم[١] ذو ألوان، وأحوال وأقسام، وأن كل واحد من الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، قد شرب من نوره ﷺ لوناً خاصاً، ونوعاً خاصاً يختلف عن سلفه وعلى قدر حاجته وبما يناسبه من ذلك، وإليك بعض النصوص ــ من أقوال أئمتهم ــ الدالة على ذلك:

يقول الشيخ عبد العزيز الدباغ: « فسيدنا عيسى عليه السلام شرب من النور المكرَّم فحصل له مقام الغربة،وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة، وعدم القرار في موضع واحد. وسيدنا إبراهيم عليه السلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة، فتراه إذا تكلم مع من يخاطبه يلين ويكلمه بتواضع لله عز وجل، لقوة مشاهدته، وسيدنا موسى عليه السلام شرب من النور المكرَّم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدِّر قدرها، وهكذا سائر الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، والملائكة الكرام والله أعلم»[٢].

ويقول صاحب البردة [٣] في وصف النبي ﷺ:

«وإن من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فإنما اتصلت من نوره بهم»[٤].

فهذه النصوص كلها تدل دلالة واضحة بأن الصوفية يعتقدون بأن جميع الرسل والأنبياء قد شربوا من نور رسول الله ﷺ، وأن كل واحد منهم حسب ما يناسبه، وأن جميع الرسل فاضت عليهم العلوم والمعارف من نوره ﷺ.

---

(١) يقصدون بذلك نور محمد ﷺ.

(٢) الإبريز الذي تلقاه أحمد بن المبارك عن عبد العزيز الدباغ، (ص ٢٥٤)، ط١ز المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله البوصيري، الأديب البليغ، والشاعر المجيد، والصوفي المتحقق، تلقى علومه عن طائفة من علماء عصره، كأبي حيان وهو من تلاميذ أبي العباس المرسي الشاذلي، توفي بالإسكندرية سنة (٦٩٤هـ)، انظر: بردة المديح، ويليها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية، شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، (ص ٢ــ٣)، طبع ونشر مكتبة الحسيني، القاهرة، د.ت.

(٤) بردة المديح للبوصيري، المرجع السابق (ص ١٤ــ١٥).

والصوفية ليس لهم سند علمي، أو دليل شرعي يعتمدون عليه لإثبات مثل هذه الافتراءات، بل هي دعوى عارية مبنية على الهوى والأوهام. فالرسل عليهم السلام لم تفض عليهم العلوم والمعارف من الرسول ﷺ كما يزعمون، بل كل ما في الأمر هو أن هذه العلوم قد نزلت عليهم من الله تعالى وحياً، كما نزلت على الرسول ﷺ بواسطة أمين الملائكة جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[2].

وقد أخبرنا الله تعالى في محكم تنزيله أن الرسول ﷺ ما كان يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي إليه، فكيف أخذ الرسل منه العلوم التي أوحيت إليهم؟ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

وبما أن الرسول ﷺ ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي الله تعالى إليه، فمن باب أولى أن يكون الرسل (عليهم السلام) لم يأخذوا علومهم ومعارفهم التي أوحيت إليهم منه، بالإضافة إلى أن الرسل (عليهم السلام) قد أوحي إليهم قبل أن يخلق الرسول ﷺ ويظهر في الوجود بمئات سنين؛ لذا نقول إن دعوى الصوفية بأن الرسل والأنبياء إنما أخذوا علومهم من نوره ﷺ، دعوى باطلة تماماً، وليس لها أي أساس تستند عليه.

---

(١) سورة الشعراء، آية:١٩٤.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٣.

(٣) سورة الشورى،آية: ٥٢.

٣ ــ أن المحبة الحقيقية للرسول الله ﷺ تتمثل في الاحتفال بمولده:

إن الناظر لحالة المسلمين العقدية في غربي إفريقية، ليصاب بدهشة عظيمة من هول ما ابتلوا به، مما استحدثه الصوفية من أعياد مبتدعة، ومهرجانات مستحدثة لمن يسميهم الصوفية بـ "أولياء الله"، فما من مدينة في المنطقة إلا وفيها دجال صوفي يقام له الموالد كل عام، ويعرف هذا كل من قدم إلى المنطقة، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة إلا مكابر معاند، فهي أعمال ظاهرة في الميدان واقعياً، لا يحتاج إلى الرجوع إلى الكتاب أو المصادر لإثبات تلك الاحتفالات المتكررة التي يمارسها الصوفية على مدار العام. لكن أبرز هذه الموالد وأفخمها وأخطرها على الإطلاق ما يسمى بليلة عيد المولد النبوي، وذلك نظراً لما يحصل في هذه الليلة من المعاصي، وما يرتكب فيها من أنواع الفساد العقدي و الخلقي بجانب التبذير الهائل للأموال. ويزعمون أن الذي حملهم على إقامة هذا المولد، هو محبة الرسول ﷺ، بتعظيم ليلة مولده، وإظهار الفرح والسرور بمقدم خير البشرية فيها. ويعتقدون أن ليلة مولده ﷺ التي ولد فيها، هي أفضل ليالي السنة على الإطلاق [١]، واليوم الذي تشرق عنه أفضل الأيام، فهو عيد وموسم واحتفال وذكريات عظيمة، فيعظم ويعمل فيه ما يدل على التعظيم والإجلال والاحترام اللائق بمقامه ﷺ [٢].

لذا فإن الصوفية في غربي إفريقية يقيمون هذه الموالد، ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ، ويحشد علماؤهم الحجج والبراهين الواهية للترويج لها، والحث على الاستمرار عليها، ويرون أن محبة الرسول ﷺ لا يتم ولا يتحقق للمسلم إلا بإحياء ليلة مولده احتفاء به ﷺ، ويعدون ذلك سنة حسنة مؤكدة يجب إحياؤها كل عام، مع توعية الشباب والأجيال الصاعدة على التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ، يقول الشيخ محمد الثاني الكافنغي في ذلك: « إن محبة رسول الله ﷺ هي التي جعلت جمهرة المسلمين يفرحون بيوم مولده، ويعظمونه ويبجلونه نظراً إلى عجائب ولادته، ووجود بعض الإرهاصات كارتجاج إيوان كسرى، وخمود نيران مجوس فارس وغيرها ... فإذا رأينا ذلك كله، نرى أن ما يفعله المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من تعظيم ليلة ميلاده ﷺ، ليس ببدعة محدثة، بل إنما هي سنة إلهية مؤكدة» [٣].

---

(١) ويعني ذلك أن تلك الليلة أفضل وأعظم من ليلة القدر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وأنها خير من ألف شهر. انظر: مفاهيم يجب أن تصحح، محمد علوي المالكي الحسيني،(ص ١٢٠ ــ ١٢١)، ط١، دار الإنسان، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المدخل لابن الحاج،(٢/٣٣)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

(٢) انظر: فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، عبد ربه القليوبي،(٥/١١٤)، دار القومية العربية، ١٣٨٣هـ.

(٣) مرآة الإخوان، محمد الثاني الكافنغي،(ص ٢٢)، ط١، مكتبة الدعوة، كانو، د.ت؛ بتصرف يسير.

وقال آخر[1]: « إن ما نحن عليه من إقامة مولده ﷺ أمر مشروع ومأمور به، لأن الله تعالى أمر المؤمنين بإظهار الفرح والسرور بفضله ورحمته، كما قال تعالى:﴿ **قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[2]، فليس هناك فضل ورحمة أكبر وأعظم من مقدم نبي الرحمة ﷺ، كما أن فضل الله ورحمته من أسمائه ﷺ ... ولا يزال أهل الإسلام في مشرق الأرض ومغربها يحتفلون بشهر مولده ﷺ، ويعملون الولائم ويفرشون الموائد للفقراء والمساكين، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون الفرح والسرور، ويزيدون في المبرات، فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، كما اتخذ قوم عيسى عليه السلام يوم مولده أعياداً» [3].

وقال ثالث[4]: « نعم، إن الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن في عهده ﷺ، فهو بدعة، ولكنها بدعة حسنة لاندراجها تحت الأدلة الشرعية والقواعد الكلية »[5].

ويتحمس المتصوفة في غربي إفريقية للاحتفال بعيد المولد النبوي، وينتظرون مجيئه كل عام بفارغ الصبر، ويستعدون له، ويكثر فيه التسابق بين الأغنياء والموسرين للرياء والتباهي في البذل والعطاء، والإحسان إلى الفقراء والمعوزين، مدَّعين بأن ذلك من الأعمال الحسنة التي تمهِّد الطريق لصاحبها لنيل شفاعته ﷺ يوم القيامة مع ما كان عليه من عمل في الدنيا.

إن الحق الذي يدعو إليه ديننا الحنيف، أنه يجب تعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين وتوقيرهم، ويحرم النيل أو الحط من قدرهم ومنزلتهم، ولكن في الوقت نفسه لا يجوز الغلو فيهم برفعهم فوق منازلهم أو وصفهم بأوصاف يخرجهم من مرتبة البشرية إلى منزلة الألوهية والربوبية، فلا غلو ولا إجحاف، ولا إفراط ولا تفريط، ولكن العدل والانصاف، والوسطية والتوازن.

---

(١) هو الشيخ إبراهيم التبولي المكنى بالحاج كبرا. ا-نظر: مذكرته (ص ١).

(٢) سورة يونس، آية: ٥٨.

(٣) مذكرة الشيخ إبراهيم التبولي الحاج عثمان كبرا (ص ١ــ١٥)، مخطوط.

(٤) وهو الشيخ محمد بن علوي المالكي الصوفي المعاصر، فقد قال ذلك وهو يسرد أدلته الواهية ليثبت مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي. انظر: حوار مع علوي المالكي في رد منكراته وضلالاته، عبد الله بن سليمان المنيع،(ص٥٧)، طبعة رئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٥) انظر: المرجع نفسه (٥٦).

وقبل أن نرد على تلكم الأدلة الواهية، وبيان حكم الإسلام في مثل هذا الاحتفال البدعي، نود أن نعرف القارئ الكريم عن تاريخ نشأة هذا العيد، وعلى يد من بدأ؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء هذه الاحتفالات؟ حتى يكون على بصيرة من الأمر، وبالتالي يمكنه الإقرار من نفسه عن مدى ارتباط هذه الاحتفالات بعمل سلفنا الصالح الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية، وحثنا على اتباع نهجهم، وأن من اهتدى بهم وبسنتهم هُديَّ إلى صراط مستقيم، كما جاء في الحديث الذي رواه العرباض ابن سارية ﷺ عن النبي ﷺ، وفيه: «... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ ...**»[1].

وفي رواية: عن عمران بن حصين (رضي الله عنهما)، قال: قال النبي ﷺ: « **خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: لا أدري، أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، ثم قال النبي ﷺ: «**ثم إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويستشهدون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن**»[2].

- **تاريخ ظهور عيد المولد النبوي:**

يلحظ أن الباحث ومن خلال تتبعه للمراجع والمصادر الإسلامية المعتبرة، وجد أن مثل هذه الاحتفالات من الأمور المحدثة في الدين، و لم تكن موجودة في عهد رسول الله ﷺ، ولا في عهد الصحابة الكرام، ولا في عهد التابعين وتابعي التابعين في القرون الأولى المفضلة التي شهد لها الرسول ﷺ بأنها خير القرون من بعده، بل وحتى بعد تلك القرون، فإن الأمة الإسلامية كانت في عافية وسلامة من الوقوع في هذه الموالد المبتدعة التي أصبحت وكراً للفساد والمفسدين في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، حتى جاءت الدولة الفاطمية الباطنية العبيدية، والتي انتسبت إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ظلماً وعدواناً، وقد أحدثوا بدعة هذه الموالد في العالم الإسلامي من أجل أن يكسبوا وُدَّ عُوَّام المسلمين وتبعيتهم لهم، ثم قام تلامذتهم من الصوفية الذين ملئوا أرجاء العالم الإسلامي بالقبور والأضرحة تقدس وتعبد من دون الله[3]. وقد ذكر كثير من المؤرخين أن هؤلاء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح البخاري (٩٣٨/٢)، رقم (٢٥٠٨).

(٣) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين، سليمان بن سلم السحيمي،(ص ١٠٠٦)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م.

الفاطميين ينحدرون من أصول يهودية، يقال لهم: العبيديون، وهم أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، قيل: إنه يهودي، وقيل: إنه مجوسي[1].

وقد استمرت دولتهم في مصر من (٣٥٧ـ٥٦٧هـ)، وقد أحدث العبيديون الفاطميون احتفالات بأيام كثيرة، على رأسها أربعة موالد: مولد النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وولديه الحسن والحسين، قال المقريزي في خططه: «وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم رأس السنة، وموسم أول العالم، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن والحسين (رضي الله عنهم)، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان،وغرة رمضان، وسماط الشتاء، وكسوة الصيف، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس،وأيام الركوبات ... إلخ»[2].

ويقول القلقشندي في كلام طويل له في جلوسات الخليفة الفاطمي العبيدي الباطني، قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب، وجلوسه ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة شعبان وليلة نصفه ... قال: والجلوس الثالث: جلوسه في مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول[3].

كما صرح عدد من العلماء المعاصرين[4]، بأن أول من أحدث هذه الموالد في القاهرة، هم المتسمون بالفاطميين وذلك في القرن الرابع الهجري ... وبقيت هذه الأعياد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش، ثم أعادها الآمر بأحكام الله عندما تولى الحكم بعد أبيه المستعلي سنة (٤٩٥هـ)، بعد أن كاد الناس ينسونها ... وهكذا استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا، وقد توسع فيها الناس، وأدخلوا فيها كل ما تهواه أنفسهم، وتوحيه إليهم شياطينهم[5].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،(١١/١٨٠)، ط٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

(٢) الخطط للمقريزي، المرجع السابق (١/٢٧٤).

(٣) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المرجع السابق (٣/٤٩٤ـ٤٩٨).

(٤) أمثال الشيخ محمد المطيعي في كتابه: أحسن الكلام ..، (ص ٤٤ـ٤٥)، والشيخ علي محفوظ في: الإبداع في مضار الابتداع (ص ١٢٦)، والشيخ سعد صادق في: صراع بين الحق والباطل (ص ١٢٤)، والشيخ فهمي عبد اللطيف في : السيد البدوي شيخ طريقة (ص ١٣١)، والشيخ محمد شلتوت في: فتاويه (ص ٢٣٨ـ٢٣٩)، وغيرهم كثير.

(٥) انظر: الإبداع في مضار ابتداع، المرجع السابق (١٢٦)، وأحسن الكلام للمطيعي، المرجع السابق (ص ٤٤ـ٤٥).

- **أدلة الصوفية على جواز الاحتفال بالمولد النبوي والرد عليه:**

إذا تأملنا فيما تقدم من الحجج والبراهين التي اعتمدها الصوفية من أجل إقناع عامة الناس إلى اتباع مشايخهم في وجوب إقامة عيد المولد النبوي، نجد أنها تستند إلى أمور، منها:

أ ـــ أنها لأجل محبة الرسول ﷺ، لنيل بركته في الدنيا، وشفاعته في الآخرة.

ب ـــ أنها سنة إلهية مؤكدة يجب التمسك بها، والحث عليها.

ج ـــ أنها لإظهار الفرح والسرور بمقدم خير البشرية.

د ـــ أن في إحياء ليلة مولده ﷺ أسوة حسنة بعيد النصارى.

هـــ ـــ أنها بدعة حسنة، لاندراجها تحت دلائل الشريعة، والقواعد الكلية.

- **الرد على أدلة الصوفية في المولد:**

وللرد على هذه الحجج الصوفية الواهية جملة وتفصيلاً، أقول مستعيناً بالله:

أولاً: إن محبة رسول الله ﷺ لا شك أنها مطلب شرعي، بل هي واجبة على كل مسلم ومسلمة، ومن مستلزمات العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهي ـــ أي هذه المحبة ـــ مقدمة على محبة المسلم لنفسه، ووالده، وولده، والناس أجمعين، وعلى كل عرض من أعراض الدنيا الفانية، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾** ﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله: «هذا النص وعيد شديد لكل من آثر أبناءه وذويه وعشيرته وماله على الله تعالى، و على رسوله ﷺ، وجهاد في سبيله، فمن كان كذلك فلينتظر ماذا يحل به من عقاب الله تعالى ونكاله»[2].

و يدل على وجوب محبة رسول الله ﷺ وتقديمها على محبة غيره كائناً من كان، ما رواه زهرة بن معبد عن جدِّه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ﷺ، فقال يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ...**»، فقال عمر: فأنت الآن أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله ﷺ: «**الآن يا عمر**»[3].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٢/٤٥١).

(٣) مسند أحمد (٥/٤٤٢)، رقم (١٢٣٩).

كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[1].

لذا فمحبة رسول الله ﷺ من أصل الإيمان، بل هي الإيمان كله، لقوله تعالى:﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[2].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية حاكمة على كل من يدعي محبة رسول الله ﷺ، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح:"**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**"[3]، ولهذا قال تعالى:﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[4]، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول ... إلى أن قال: فدل ذلك على أن مخالفته في الطريق كفر ... وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس؛ الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون، بل أولوا العزم منهم في زمانه، ما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته ﷺ»[5].

كما أن محبته ﷺ ليست مجرد دعوى، يدَّعيها المؤمن بلسانه فقط دون أن يكون في واقع حياته الدينية و الدنيوية ما يصدق ذلك، فهذه المحبة لا يتأتى بارتكاب البدع والمنكرات التي حذر منها الرسول ﷺ،وأخبر أنها ضلالة تجر صاحبها إلى النار، والتي منها هذه الموالد البدعية؛ إنما كمال محبته وتعظيمه ﷺ يكون على الوجه المشروع الذي دل عليه الكتاب والسنة، وذلك باتباع هديه، والتمسك بسنته، ونشر ما دعا إليه من دين وأخلاق وسلوك، والجهاد على ذلك والاستمرار عليه، وتقديم محبته على النفس والمال والبنين والناس أجمعين[6].

والصوفية ليسوا بأفضل من الصحابة الذين كانوا أشد الناس محبة لرسول الله ﷺ، وأكثر تعظيماً وإجلالاً وبذلاً له بكل غال ونفيس، وكانوا أعلم الناس بما يجب له ﷺ، كما كانوا أحرص

---

(١) صحيح البخاري (١٤/١)، رقم (١٤).

(٢) سورة آل عمران، آية:٣١.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة آل عمران، آية:٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٤٧٧/١).

(٦) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل،(٦١٥/٢ـ٦١٦)، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩٠م؛ بتصرف يسير.

الناس على الخير والتسابق إليه ممن جاء بعدهم، ومع كل هذا فلم يؤثر عن أحد منهم أبداً أنهم احتفلوا يوماً ما بعيد مولده ﷺ، ولو كان في ذلك أدنى ذرة من الخير والفضل والمحبة، لكانوا هم أولى وأحق بها ممن جاء بعدهم من المسلمين. لكن الذي أُثِّر وعُلِّم عنهم (رضي الله عنهم) من الحق في محبته وتعظيمه، هو اتباع سنته وهديه ﷺ دون زيادة أونقصان[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن هذا ــ أي المولد ــ لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع فيه لو كان خيراً، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً، لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ، وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص»[2]. فعلم بذلك أن هذه الموالد من البدع المحدثة في الدين التي حذر منها النبي ﷺ، و لم تكن يوماً ما من سنته ولا هديه، ولا من سنة خلفائه الراشدين المهديين، الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباع نهجهم في الدين والشريعة.

ثانياً: أما قولهم بأن إقامة المولد سنة إلهية مؤكدة يجب التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ، لما فيها من الأجر والثواب عند الله، فزعم باطل لا يثبت، إذ لا علاقة لهذه الموالد بسنته ﷺ، و لم يفعلها النبي ﷺ، ولا أمر بها، ولا فعلها الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان إلى يوم الناس هذا، و لم تكن تلك الموالد معروفة لدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قبل القرن الرابع الهجري. وعليه فإن عمل الموالد من الأمور المحدثة والبدع الضالة التي لا تمت إلى سنته ﷺ بأي صلة، كما أن الإصرار على الاحتفال في مثل هذه الموالد، يعدُّ اعتراضاً على شرع الله المنزل، وعلى رسوله ﷺ، والله تعالى أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة، والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، و لم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة، ويباعد عن النار إلا بينه للأمة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم** »[3]، ومعلوم أن النبي ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم،وأكملهم بلاغاً ونصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه، لبينه النبي ﷺ للأمة،أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه (رضي الله عنهم)، فلما لم يقع شيء من ذلك، علم أنه ليس من الدين في شيء، بل هو من البدع التي حذر الرسول منها أمته. كما أنه يعدُّ ــ أيضاً ــ اتهاماً سافراً لصحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم من السلف الصالح،

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ...، المرجع السابق (٢/٦١٥).

(٢) المرجع نفسه (٢/٦١٥ــ٦١٧).

(٣) صحيح مسلم (١٢/٤٣٦)، رقم (٤٧٥٣).

بأنهم لم يؤدوا حق الرسول ﷺ الواجب عليهم في محبته وتعظيمه، وهذه جناية صريحة في حقهم (رضي الله عنهم) ما بعدها جناية؛ قال الإمام مالك ﷺ: «من استحسن في الدين شيئاً لم يكن، فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة، لأن ما لم يكن في عهده ديناً فليس بدين»[1].

وهكذا، فكل عمل لا يكون فيه أمر الله تعالى، ولا أمر رسوله ﷺ، فهو بدعة يرد على عامله كائناً من كان، لقول النبي ﷺ فيما رواه عائشة (رضي الله عنها): «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]، أي مردود على صاحبه، قال الإمام ابن رجب رحمه الله في معرض شرحه لهذا الحديث: «فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود، والمراد بأمره هنا: دينه وشرعه، كالمراد بقوله في رواية أخرى: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3]، أي أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس قيداً به فهو مردود، وقوله: "**ليس عليه أمرنا**" إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة الغراء، فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشريعة، موافقاً لها فهو مقبول، ومن كان خارجاً عنها فهو مردود»[4].

وهكذا فالاحتفالات بعيد المولد النبوي من الأمور المبتدعة المخالفة لأحكام الشريعة، ولا تجري تحتها، كما أنها ليست سنة، لا قولية ولا فعلية ولا تقريرية، بل إنها من وحي شيطان الإنس و الجن لأوليائهم من أهل التصوف.

ثالثاً: أما القول بأنها لإظهار الفرح والسرور بمقدم خير البشرية ﷺ، وذلك استناداً لقوله تعالى: (**قل بفضل الله ...**)، وأن ميلاد الرسول ﷺ وإرساله إلى البشرية فضل ورحمة من الله عزَّ شأنه، تستحق الشكر والعرفان.

قلتُ: إن المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء المتصوفة في تفسيرهم للآية الكريمة، واعتمدوه دليلاً على مشروعية الاحتفال بمولد النبي ﷺ، تفسير باطل ظاهر البطلان، لأننا إذا تأملنا الآية المذكورة فلا نجد فيها ما يوحي على إقامة مشروعية المولد، لا تصريحاً ولا تلميحاً، كما أن ليلة ميلاده

---

(١) الاعتصام للشاطبي، المرجع السابق (١/٤٩ــ٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (ص ٨١ــ٨٢)، دار الخير، ٢٠٠١م.

ليست الحدث الوحيد الأكبر أولى بالإحياء والاهتمام في الإسلام، فهناك أحداث كبرى كثيرة، تستدعي إحياءها والاحتفال بها لو كان ذلك جائزاً، مثل: أول يوم نزل عليه الوحي الذي هو أمارة نبوته واصطفائه له ﷺ، وقد نزل عليه القرآن الكريم،وفيه الأمر بالدعوة إلى دين الله وتوحيده، والنهي عن الشرك وكافة المنكرات المنتشرة في المجتمع المكي الجاهلي، لذا فالسماح لإحياء ليلة مولده ﷺ، قد يدفع ببعض المسلمين إلى الاحتفال بليلة نزول الوحي لشرفها وجلالها، أو الليلة التي هاجر فيها النبي ﷺ إلى المدينة المنورة والتي اتخذت فيما بعد بداية للتاريخ الإسلامي، كما كان سبباً مباشراً لنشر الدين، وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون، وكذا ليلة العقبة التي بايع فيها النبي ﷺ الأنصار على الدين والنصرة، وكذا ليلة وقعة بدر الكبرى، وكذا يوم الخندق الذي أزال الله فيه الكفر، وأرسى دعائم الإسلام قوية منيعة، وكذا يوم صلح الحديبية، ويوم فتح مكة وغيرها من الأيام والأزمنة المباركة التي خص الله تعالى نبيه ﷺ بها، ولها أفضال وخصائص لدى المسلمين جميعاً. ولما لم يصلح شيء من ذلك على الإطلاق، دلَّ ذلك على أن اختصاص ليلة الميلاد فقط بالإحياء والاحتفالات أمر مخالف للشرع المطهر، بل هو من البدع المحدثة، التي أحدثها العبيديون، وقام بنشره والترويج لها في العالم الإسلامي الصوفية ومن شايعهم.

أما التفسير المعتمد لهذه الآية الكريمة (**قل بفضل الله** ...)، والذي ذكره الإمام الطبري رحمه الله ناقلاً عن جهابذة التفسير والتأويل من السلف الصالح رحمهم الله[1]، فهو كالتالي: « ... أي الذي تفضل الله به عليكم، وهو الإسلام وقد بينه لكم ودعاكم إليه، ورحمته التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن ﴿ **فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[2] أي فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها الفانية»[3]، ثم قال الطبري: وبنحو ما قلنا في ذلك، قاله جماعة من أهل التأويل[4].

إذن فالمقصود من "الفرح" في الآية إنما هو الفرح المرافق للسعادة في الدنيا بما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ وهو القرآن الكريم والدين والإيمان،وإخلاص العبادة له، ومحبته ومعرفته.

---

(١) أمثال الإمام ابن كثير رحمه الله، انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٥٣/٢)؛ والإمام الشوكاني رحمه الله، انظر: فتح القدير (٦٥٦/٢)؛ والإمام القرطبي رحمه الله، انظر: تفسير القرطبي (٣١٦/٨)؛ والإمام السعدي رحمه الله، انظر: تفسير السعدي (٣٦٧)؛ وغيرهم كثير.

(٢) سورة يونس، آية: ٥٨.

(٣) تفسير الطبري، المرجع السابق (٥٦٨/٦).

(٤) انظر: المرجع والصفحة نفسيهما.

وإذا كان الفرح والسرور بحقه ﷺ واجباً على الأمة، فهذا لا يعني أن نتهمه ﷺ بالعجز والتقصير عن إبلاغ بعض ما أمر به، ثم نترك الحبل على غارب كل ناعق أن يشرِّع للناس من الدين ما لم يأذن به الله، ولا دلَّت عليه سنة رسوله ﷺ.

رابعاً: وأما قولهم بأن في اتخاذ المولد النبوي أسوة حسنة بالنصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام سنوياً، فهو قول فاسد ظاهر البطلان، ويمكن الرد عليه بالآتي:

١ ـ إن احتفالات النصارى بعيد ميلاد المسيح عليه السلام لا يهمنا نحن المسلمين، إذ لا أصل لها في دينهم، كما أنه ليس هناك مسوِّغ شرعي يُلزمنا بأن كل ما شُرع على من قبلنا شَرعٌ لنا بالضرورة، ولا ريب أن هذا الاحتفال ليس شرعاً لهم، ولا يعرف له أصل من دين المسيح عليه السلام.

٢ ـ أنه لم يثبت في سيرة النبي ﷺ أنه احتفل بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، أو أمر به، كما أنه لم يحتفل بعيد ميلاد نفسه ﷺ، ولا أمر أحداً من الصحابة بذلك؛ والنصارى ـ كما هو معلوم ـ إنما يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام تبعاً لهوى نفوسهم، ولم يثبت عندهم أنه شريعة أو سنة أمر بها المسيح عليه السلام، وبالتالي فالتشبه بهم في ذلك إنما هو ضرب من اتباع الهوى الذي حذر منه الرسول ﷺ ونبه أمته إليه، وذلك في قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، قلنا: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: «**فمن ؟**»[(١)].

٣ ـ القول بأن الاحتفال بالمولد النبوي إنما هو أسوة حسنة بأهل الكتاب، مخالفة بينة للنصوص الكتاب والسنة الداعية إلى عدم التشبه بالكفار من أهل الكتاب، أو بذل الولاء لهم بأي حال من الأحوال، كما قال تعالى:﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ** ﴾[(٢)].

ففي هذه الآية ينهانا الله تبارك وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم هدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال تعالى:﴿ **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ** ﴾[(٣)].

وما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما)، أن النبي ﷺ قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (١٢٧٤/٣)، رقم (٣٢٦٩)؛ وصحيح مسلم (٤٣٦/١٦)، رقم (٦٧٢٣).

(٢) سورة المائدة، آية: ٥١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٩٤/٢).

(٤) مسند أحمد (١٤٧/٢)، رقم (٥٠٩٣)؛ وسنن أبي داود (٤٤١/٢)، رقم (٤٠٣١).

فثبت من ذلك أن التشبه بأهل الكتاب أو محاكاتهم في باطلهم مخالفة لأمر الله تعالى،وأمر رسوله ﷺ، وقد حذرنا الله من ذلك، كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾[1]،وقوله تعالى:﴿ **فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2].

٤ ــ أن مقارنة الاحتفال بعيد المولد النبوي، أو قياسه بعيد ميلاد المسيح عليه السلام قياس في مقابل النصوص، إذ لم يقم النبي ﷺ احتفالاً بمولده، و لم يأمر به، فدل تركه لهذا على عدم مشروعيته، بل إن الترك هنا هو السنة بذاتها، كما يقرره علماء الأصول: «إن الترك محله في الأصل غير المأذون فيه، وهو المكروه والممنوع، فتركه ﷺ دال على مرجوحية الفعل»[3]، وهذا هو الصواب والله أعلم.

وأما قول الشيخ محمد المالكي: بأن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة لاندراجها تحت دلائل الشرعية المعتبرة، والقواعد الكلية منها، فقد رد على هذا الزعم الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع[4]، وذلك من عدة وجوه:

أولها: قال: عند اعترافه بأن الاحتفال بالمولد بدعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، ولا شك أن الاحتفال بالمولد بدعة،وأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، بالرغم من أن عهده مليء برجال هم أحرص الناس على حبِّ رسول الله،وأحرص الناس على الفرح برسول الله ﷺ، وأحرص الناس على الاستبشار برسول الله ﷺ، وأحرص الناس على إظهار السرور برسول الله ﷺ، وأخلص الناس تضحية وفداء ووقوفاً مع رسول الله ﷺ، فهل يستطيع المالكي أن يقول أن القرامطة والفاطميين والرافضة والصوفية وغيرهم من أهل البدع والمحدثات، وممن هم سلف المالكي وقدوته أعلم من أصحاب رسول الله بحق رسول الله ﷺ ؟.

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٢) سورة النور، آية: ٦٣.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: إبراهيم رمضان، بشرح عبد الله دراز،(٤/٤١)، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، و إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية،(٢/٣٧١ــ٣٧٢)، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

(٤) عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية حفظه الله، وأطال عمره في صحة وعافية، وذلك في كتابه القيم: حوار مع علوي المالكي، المرجع السابق (ص ٥٥ــ٥٦).

نعم لم يكن الاحتفال بالمولد في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد أصحابه،ولا في عهد تابعي أصحاب رسول الله ﷺ، ولا في عهد الأئمة الأعلام في الفقه والحديث ومقاصد الشريعة، أمثال: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، والثوري، والبخاري،ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن ماجه وغيرهم، فهل نقبل أمراً أتى به شر من وطئ الحصى القرامطة والفاطميون وغيرهم ممن يشهد التاريخ الإسلامي بتدنيسهم محيا الإسلام، ونترك ما عليه أصحاب القرون الثلاثة المفضلة من صحابة وتابعين وعلماء أجلاء لهم أقدامهم المعلاة في العلم والتقى والصلاح والاستقامة وسلامة المعتقد،ودقة النظر، وصدق الاتباع، والاقتداء بمن أمرنا الله تعالى أن نجعله أسوة لمسالكنا،وهو رسولنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ ؟.

وثانيها: عند قوله: "إن الاحتفال بالمولد بدعة إلا أنها بدعة حسنة".

قال الشيخ ابن المنيع: كم نتمنى من المالكي أن يتقي الله تعالى وأن يقف مع حماة الإسلام،وألا يشترك مع غيره في فتح ثغرات شر وابتداع على المسلمين، فإن رسول الله ﷺ قد أوتي جوامع الكلم،وله من الفصاحة والبلاغة والقدرة على القول المبين ما يستطيع أن يبين له أقسام البدعة إن كان للبدعة أقسام،وأن يبين من هذه الأقسام ما يجوز وما لا يجوز،ولكنه ﷺ عمم فقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1]، وفي رواية: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]؛وقال: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[3].

فالتعبير بكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ماذا يعني، هل يعني ذلك العموم أم يعني التقسيم؟

ولئن قال بعض أهل العلم بالتقسيم، فإن المحققين منهم ينحون بالأئمة على ذلك الاتجاه الذي فتح للبدع والمحدثات الأبواب على مصاريعها»[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن تحدث طويلاً عن البدع والمحدثات في الدين: «وبهذا يتبين لك أن البدعة في الدين وإن كانت في الأصل مذمومة كما دلَّ عليه الكتاب والسنة،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سنن الترمذي (٤٣/٢)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٤) حوار مع علوي المالكي، المرجع السابق (ص ٥٦ــ٥٧).

سواء في ذلك البدع القولية أو الفعلية، وقد قلت في غير هذا الموضوع أن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ كل بدعة ضلالة متعين، وأنه يجب العمل بعمومه، وأن من أخذ يصنف البدعة إلى حسن وقبيح، ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا يحتج بالبدعة على المنهي، فقد أخطأ كما يفعل طائفة من المتفقهة والمتصوفة والمتعبدة إذا نهوا عن العبادات المبتدعة،والكلام في التدين المتبوع، ادَّعوا أن لا بدعة مكروهة، إلا ما نهي عنه فيعود الحديث إلى أن يقال: كل ما نهي عنه أو كل ما حرم، أو كل ما خالف نص النبوة فهو ضلالة،وهذا أوضح من أن يحتاج إلى بيان بل كل ما لم يشرع من الدين فهو ضلالة» (١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: « ومعلوم أن كل ما لم يسنه ولا استحبه رسول الله ﷺ ولا أحد من هؤلاء الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم، فإنه يكون من البدع المنكرات،ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة» (٢).

وخلاصة القول في هذه المسألة، هي أن قول المالكي بأن المولد النبوي بدعة حسنة، قول باطل وذلك لأنه لا يوجد من البدع في الدين حسن وقبيح، بل كل البدع التي تبتدع في دين الله فهي قبيحة وضلالة ومردودة على صاحبها، والمولد من جملة هذه البدع التي ابتدعت في دين الله، فهو مردود على أصحابه لأنهم يمارسون عبادة غير مشروعة، وشرط العبادة المقبولة أن تكون صواباً، والصواب هو ما وافق الكتاب والسنة، وأن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، لا يشرك فيه معه غيره ... وهكذا.

- **أما حكم الاحتفال بالمولد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة:**

فقد قرر جمهور علماء الأمة قديماً وحديثاً أنه لا يجوز الاحتفال بعيد مولد النبي ﷺ، لأنه لا أصل له، لا في الكتاب ولا في السنة، و لم يفعله أحد من سلف الأمة و أئمتها على مرِّ التاريخ الإسلامي، بل هو من البدع المحدثة في الدين التي حذر منها رسول الله ﷺ، كما أن الاحتفال بمولده ﷺ واتخاذ يومه عيداً فيه تشبه بمن انحرفوا عن الجادة من أهل الكتاب فيما اختلقوها من المواسم والأعياد التي لا تنتهي على مدار العام، وقد نهانا ربنا عز وجل ورسوله ﷺ عن تقليدهم

(١) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١٠/٣٧٠ــ٣٧١).

(٢) نفسه (٢٧/١٥٢).

أو التشبه بهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك ما يحدث من بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ، وتعظيماً له، والله يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له، وعدم المانع منه، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف (رحمهم الله) أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به ﷺ»(١).

وفي السياق نفسه، يقول الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله منتقداً ما يفعله المتصوفة في غربي إفريقية من المنكرات والمعاصي أثناء إقامة هذه الموالد، وحكمه فيهم: « فما يفعله أهل البدع من اللهو واللعب، واجتماع الرجال والنساء، والرقص والغناء وغير ذلك من ضلالاتهم وعصيانهم،وتلاعب الشيطان بهم، وكل ذلك حرام بالكتاب والسنة والإجماع، ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يحضر في ذلك الموضع الملعون، وإن كان أبوه يفعل ذلك أو صهره أو شيخه، لأن فيه فسق، ولا يجوز لأحد أن يأذن لزوجته أو ولده أو عبده أو كل من في حكمه، أن يحضر في ذلك الموضع الملعون، ومن أذن لهم فقد عصى الله ورسوله ﷺ »(٢).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ...، المرجع السابق (٢/٦١٥).

(٢) نور الألباب، الشيخ عثمان بن فودي،(ص ٨ ـــ ١٠)، مطبعة حمدان في زاريا، نيجيريا، د.ت.

٤ ـــ التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء:

كذلك من الممارسات الصوفية التي أدت إلى توسيع هوّة الانحراف العقدي في غربي إفريقية، الغلو في شخص الرسول ﷺ، ورفعهم إياه من منزلة العبودية التي وصفه الله تعالى بها إلى مرتبة الألوهية الخالصة، وتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة، وطالبين منه ﷺ أن يغفر لهم ذنوبهم، ويفرج عنهم كربهم وهمومهم، ناسين أو متناسين في ذلك قول الله تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[(١)].

وبما أن الدعاء من أجلِّ العبادات التي يتعبد بها المؤمن ربه، ولعظم مكانته ومنزلته عند الله تعالى، فقد أوضح تبارك وتعالى أن من استكبر عنه دخل النار، كما أمر عباده أن يدعوه وحده، وأخبر أنه قريب يجيب دعوهم، فوجب على جميع العباد أن يخصوا رهم بالدعاء، لأنه نوع من العبادة التي خلقوا لها، وأمروا بها، ولهذا فمن صرف شيئاً من الدعاء إلى غير الله سواء كان هذا المدعو ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو ولياً مزعوماً، أو قبراً مشيَّداً يدعوه ويستغيث به ويتقرب إليه بالنذر والذبح رجاء شفاء المريض، أو حفظ المال، أو سلامة الغائب، أو ما شابه ذلك؛ فقد وقع في الظلم العظيم، والبلاء الوخيم الذي قال الله فيه:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[(٢)]، وهذا عين ما يفعله المتصوفة في غربي إفريقية، بتوجههم إلى النبي ﷺ مباشرة بالدعاء والاستغاثة والاستعانة من دون الله عز وجلَّ عبر قصائدهم وأبياتهم الكفرية، التي يزعمون أنهم يمدحون بها رسول الله ﷺ، وأنهم بذلك يتقربون إلى الله.

وممن بلغ القمة في مدح الرسول ﷺ عبر قصائده وأبياته التي غلا فيها غلواً مفرطاً، حتى أخرج فيها الرسول ﷺ من المنزلة البشرية، إلى المرتبة الألوهية والربوبية، وتوجه إليه بأنواع العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى وحده، هو أبو عبد الله البوصيري المصري، صاحب "البردة".

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

يقول الشيخ البوصيري في بردته، متوجهاً إلى رسول الله ﷺ بالدعاء والاستغاثة، وطالباً منه غفران ذنوبه، ومعترفاً له بأنه إن لم ينجيه ويأخذ بيده يوم القيامة، فقد خسر وهلك، وأنه ليس له أي شيء يلوذ به، أو يلتجئ إليه، ويدعوه رغباً ورهباً، ويستغيث به عند حلول النقم، والكرب والمصائب سوى رسول الله ﷺ، فقال ما نصه:

إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقض * من النبي ولا حبلي بمنصرم
فإن لي ذمة منه بتسميتي * محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذ بيدي * فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه * أو يرجع الجار منه غير محترم[1]

وقال في موضع آخر:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي * إذا الكريم تجلى باسم منتقم [2]

فإذا تأملنا هذه الأبيات السابقة، نجد أن البوصيري قد غلا فيها غلواً شديداً أدى به إلى أن يتجاوز بالرسول ﷺ المرتبة العبودية، إلى مقام الألوهية والربوبية، حيث توجه إليه مباشرة بالدعاء والاستغاثة، ووصفه بأنه هو الذي يأخذ بيده، وينجيه يوم الحشر من عذاب الله، ويظهر ذلك جلياً في قوله:

إن لم يكن في معادي آخذ بيدي * فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

وفي قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

وفي قوله في موضع آخر من بردته:

واسمع دعائي واكشف ما يساورني * من الخطوب ونفس كل أحزاني
وفيك يا ابن خليل الله يوم غد * ألوذ من سوء زلاتي وعصياني[3].

---

(١) انظر: بردة المديح، المرجع السابق (ص ٣٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٣٥).

(٣) انظر: بردة المديح، المرجع السابق (ص ٣٥).

ففي البيت الأول صرح البوصيري بأنه إن لم يأخذ رسول الله ﷺ بيده، وينجيه من العذاب يوم القيامة، فإن مصيره هو الهلاك والخسران لا محالة، لأنه ليس هناك منجى من العذاب إلا الرسول ﷺ. ونحن نقول له يا البوصيري: أين الله؟!

وفي البيت الثاني يصرح البوصيري بأنه لا يوجد أحد يلتجئ إليه، ويتعلق به لينجيه غير الرسول ﷺ.

وفي البيت الثالث يتوجه البوصيري إلى رسول الله ﷺ بالدعاء والاستغاثة، ويسأله أن يكشف عنه المصائب والكربات، وأن يزيل عنه أحزانه التي أصابته.

وفي البيت الرابع يؤكد البوصيري بأن ملجأه الوحيد في الدنيا والآخرة، هو رسول الله ﷺ، لكي يغفر ذنوبه وخطاياه التي ارتكبها.

ونحن نقول له يا البوصيري: أين الله في كل هذا ؟!

- **الرد على مزاعم البوصيري في بردته:**

وللرد على هذه الأبيات والمدائح النبوية المبتدعة التي أوردها البوصيري في بردته، والتي يكررها المتصوفة في أذكارهم وأدعيتهم ليل نهار في غربي إفريقية، أقول مستعيناً بالله:

إن مظاهر الشرك واضح تمام الوضوح في هذه الأبيات والمدائح الصوفية، التي أوردها البوصيري، إذ إنه أعرض عن الله تعالى كلية، وتوجه إلى الرسول ﷺ، ليطلب منه أموراً لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، كما أنه وصف الرسول ﷺ بأوصاف لا تليق به، لأنه بشر لا يملك نفعاً ولا ضراً، وإنما الذي يستحق ذلك كله هو الله تبارك وتعالى، الذي بيده مقاليد كل شيء، والذي يستطيع أن يغيث من استغاث به، وينجي من الهلاك من لاذ به، أما غيره من المخلوقين كائناً من كان، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، فالكل عبيد الله تعالى، والكل تحت قبضته وتصرفه ومشيئته تبارك وتعالى.

ولهذا أمر الله تعالى عبده ونبيه محمداً ﷺ أن يقول للناس إنه بشر، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فقال تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ** ﴾[١].

---

(١) سورة الأعراف،آية: ١٨٨.

ففي هذه الآية، يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصرح بأنه لا يملك نفعاً ولا ضراً لنفسه، فضلاً عن غيره من الناس،وأنه ﷺ لو كان النفع والضر بيده، لما أصيب بمكروه أو سوء في هذه الدنيا، ولكن لما كان لا يملك ذلك، فقد أصيب الرسول ﷺ بأذى كثيرة من الكفرة والملحدين المعاندين لدعوته ﷺ في غزواته، ومنها تلك الإصابات البليغة التي أصيب بها في غزوة أحد كما ورد في كتب السِّير .

كما أمره الله تعالى في آية أخرى أن يقول إنه لا يعلم الغيب، ولا يعلم ما سيفعل به هو شخصياً، ولا يعلم ما سيفعل بأمته، وإنه ﷺ ما هو إلا متبع لما يوحى إليه من قبل ربه عز وجل،والذي لا يدري ما يفعل به، ولا يدري ما سيفعل بأمته لا يستحق أن يصرف له شيء من العبادة التي لا يستحقها إلا الله سبحانه وتعالى، لأن الذي يدعى لا بد أن يكون عالماً بالشيء قادراً على دفعه، وهذا يبرأ منه الرسول ﷺ كما هو واضح أمامنا في قوله تعالى:﴿ **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾[1].

وهكذا فإذا كان الرسول ﷺ لا يعرف ما يفعل به في المستقبل ولا بأصحابه وهو في الحياة الدنيا قبل موته، فكيف يعرف مشاكل الصوفية بعد أن مات حتى يتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وغيرها من دون الله؟ إلا إذا قال المتصوفة بأن الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ما هي إلا لأهل الظاهر فقط، أما أهل الحقيقة فإنهم لهم شريعة أخرى خاصة غير القرآن والسنة!.

وبناءً عليه فإن توجه الصوفية إليه بالدعاء والاستغاثة يُعدُ عبثاً وهُراء وشركاً بالله عز وجل، وقد نهى الله تعالى عن الشرك في أكثر من آية في كتابه، وبين أن من يشرك بالله، مثله مثل الإنسان الذي سقط من السماء، فيصير قطعاً متناثرة تتخطفه الطيور، أو تذروه الرياح وتبعثره وتذهب به إلى مكان بعيد، وذلك لأن الشرك ضرره عظيم، وعاقبته وخيمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾[2]. كما يبين الله تعالى في آية أخرى خطورة الشرك،وأن الله تعالى يغفر جميع الذنوب التي يرتكبها الإنسان المسلم مهما كانت إلا الشرك، فإنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يغفر لإنسان مات على الشرك والعياذ بالله. وأما ما دون الشرك، فإنه تحت مشيئة الله، ولهذا ينبغي الحذر كل الحذر من الوقوع في الشرك بالله، ولكن مع الأسف فإن هذه الأبيات وغيرها التي تجاوز فيها

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٢) سورة الحج، آية: ٣١.

الشيخ البوصيري حدوده في مدح الرسول ﷺ، يتغنى بها المتصوفة في غربي إفريقية على امتداد المنطقة كلها، وقد سمعناها مراراً وتكراراً من عُبَّاد الأنبياء والمشايخ والأضرحة في مناسبات شتى، إذ ما من مناسبة كبيرة كانت أو صغيرة يجتمع فيها المتصوفة، وبخاصة في ليلة المولد النبوي[1]، إلا ويتلون فيها أمثال هذه الأبيات المليئة بالشركيات والعظائم.

وقد نقل الشيخ يوسف النبهاني في كتابه: "شواهد الحق" مجموعة من مثل هذه الأبيات ـــ التي تفوح منها رائحة الشرك بالله، بل هي مليئة بألفاظ صريحة تدل دلالة لفظية واضحة على الشرك بالله تعالى ـــ عن عدد من غلاة الصوفية الذين غلوا في رسول الله ﷺ، وتجاوزوا به حدود البشرية والعبودية، حتى وصل بهم الأمر إلى أن يشركوه مع الله في عبادته[2]، ليستدل بهما على جواز التوجه إلى رسول الله ﷺ بالدعاء والاستغاثة.

وقد نسي الشيخ النبهاني أن الذي يصح أن يكون حجة هو نص الكتاب والسنة فقط لا غيرهما، ولا يمكن أن يقبل كلام أي أحد كائناً من كان في أي شيء كان من أمور الدين حتى في المندوبات والمستحبات، ناهيك عن أن يكون حجة لإثبات أمر عقدي أمرت الشريعة الإسلامية أن يكون لله وحده فقط.

كما نقل في موضع آخر عن الشيخ مصطفى البكري شيخ الطريقة الخلوتية، أنه حكى عن شيخه محمد الحنفي القصة التالية، مفادها: أن محمد الحنفي فرش سجادته على البحر،وقال لمريده: قل: "يا حنفي وامش". فمشى المريد خلفه.

ثم خطر بباله لم تقول: "يا حنفي"؟ هلا قلت: "يا الله"!.

فلما قالها: غرق في البحر، فأمسك الشيخ بيده،وقال له: أنت الحنفي تعرفه فكيف بالله، فإذا عرفت الله، فقل يا الله[3].

فهذه القصة وأمثالها كثيرة جداً في مصادر القوم، والتي تبين لنا بجلاء مدى الوقاحة التي وصل إليها المتصوفة، حيث إنهم ارتفع عنهم خوف الله،وأعرضوا عن ذكره بالكلية، حتى وصل

---

(١) التي يعتبرونها من أفضل ليالي السنة على الإطلاق.

(٢) وقد يضيق المقام بذكر هذه الأبيات كلها، ولكن من أراد التوسع والاستزادة في موضوع استغاثات المتصوفة بالرسول ﷺ وغيره، فلينظر: بردة المديح للبوصيري، والديوان الكبير لجعفر المرغني، رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني، وجواهر المعاني، ورماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم، وتذكر أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين عربي، والجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس، وشواهد الحق للنبهاني، والدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا، والأنوار المحمدية للنبهاني، ومنتخب التصوف لماء العينين، وقصيدة زاد القيامة لمحمد الرفاعي، وغيرها من مصادر القوم.

(٣) انظر: سبيل النجاة في الحب في الله والغض في الله، للنبهاني (ص ٣٦٥)، الناشر: الجفان والجابي، ١٩٩٢م.

بهم الأمر إلى أن يقولوا: إن من توجه إلى الله بالدعاء والاستغاثة، فإن مصيره الهلاك بخلاف من استغاث بغير الله من الأنبياء والأولياء، فإن النجاة لهم حتمية مضمونة، وهذا يدل على مدى انحراف المتصوفة، وإيغالهم في الشرك بالله، حيث جعلوه دينهم الذي يدينون به، واعتبروا توحيد الله من موارد الهلاك والدمار، كما هو واضح في هذه القصة التي فيها الجرأة الزائدة على الله والاستهانة به، وفي الحقيقة لا يمكن أن يخرج مثل هذا الكلام من إنسان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وإنما ممن انسلخ قلبه كلياً من الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ.

وعلى هذا فإن المتصوفة في غربي إفريقية، وبتوجههم إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة به، وطلب غفران الذنوب منه، فقد وقعوا في الشرك بالله، لأن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله تعالى يُعدُّ شركاً بالله.

- **أدلة المتصوفة على جواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والرد عليها:**

ويحاول بعض المتصوفة الاستدلال على مشروعية التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء بجملة من الشبه الدالة على جهلهم، وسوء فهمهم للآحاديث الواردة في التوسل، وعدم تفريقهم بين ما هو مشروع منه، وما هو ممنوع، وذلك فيما يلي:

الأول: إذا نظرنا في مصادر الصوفية المختلفة، نجد أنهم دوماً يوردون الأحاديث الواردة في التوسل المشروع، ليحتجوا بها على جواز التوجه إلى النبي ﷺ بالدعاء من دون الله، وعلى جواز التوسل بجاهه ﷺ كما يزعمون، مع أننا إذا تأملنا النصوص التي تتحدث عن توسل الصحابة بالنبي ﷺ، فإننا نراها لا تخرج عن شيء واحد ألا وهو التوسل بدعاء النبي ﷺ، حيث إن الصحابة كانوا يأتون النبي ﷺ، ويطلبون منه الدعاء، فيدعو لهم الرسول ﷺ، وهنا لا خلاف بيننا وبين الصوفية في جواز مثل هذا التوسل. لكن هذا التوسل لم يعد ممكناً الآن، لأن الرسول ﷺ قد مات. ثم إن الاستدلال بأحاديث التوسل المشروع على جواز التوسل الممنوع، مثل التوسل بذات النبي ﷺ أوبجاهه، فإن هذا يعدُ استدلالاً بنص ليس نصاً في محل النزاع، بل هو خارج عنه، ولهذا فلن نناقش المتصوفة في الأحاديث التي وردت في توسلات الصحابة بدعائه ﷺ في حياته، لأن هذا ليس محل النزاع بيننا وبينهم.

أما استدلالهم بهذه الأحاديث على جواز التوسل بذات النبي ﷺ أوجاهه أومكانته عند الله، والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة، فهذا يُعد استدلالا باطلاً، لأنه ليس هناك نصٌ واحدٌ من كتاب الله، ولا من سنة رسوله ﷺ يجيز التوجه إلى النبي ﷺ بالدعاء والاستغاثة، بل إن النصوص كلها تحذر من صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

الثاني: أننا إذا أمعنا النظر في نصوص بعض أئمتهم، نجد أنهم يخلطون بين التوسل بالنبي ﷺ وبين دعائه من دون الله، وأنهم يرون الكل بمعنى واحد، كما ورد عن الشيخ يوسف النبهاني قوله: «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه، فإن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي ﷺ بالدعاء، كما في تحقيق النصرة، ومصباح الظلام وغيرهما واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة»[1].

ففي هذا النص السابق نجد أن الشيخ النبهاني لا يرى فرقاً بين التوسل بالنبي ﷺ وبين التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة سواء في حال حياته أو بعد وفاته، وكما يدل على ذلك قوله في موضع آخر من كتابه وهو يصف النبي ﷺ بأوصاف لا تليق إلا بالله وحده، منها قوله: « فهو الوسيلة على نيل المعالي، واقتناص المرام، و المفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل، وأمامك فيما تجادل من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه، وتدرك رضى من أحاط بكل شيء علماً وأحصاه»[2].

وقال في موضع آخر: « لقد اتفق العلماء العارفون على جواز التوسل به ﷺ إلى الله لقضاء الحاجات في حياته وبعد الممات،وقد صار من المجربات أن من استغاث به ﷺ بإخلاص وصدق الالتجاء، تقضى حاجته مهما كانت،ولم يحصل التخلف لأحد إلا من ضعف اليقين، وحصول التردد،وعدم صدق الالتجاء»[3].

ويقول سلامة العزامي في السياق نفسه مستدلاً على جواز التوسل بالنبي ﷺ وندائه في غيابه في حياته وبعد مماته بحديث الضرير، حيث قال بعد إيراده لحديث الأعمى: «... وهو صريح في أمره ﷺ لذوي الحاجات بالتوسل به، وندائه في مغيبه في حياته وبعد وفاته ﷺ، وقد فهم الصحابة منه ذلك»[4]... إلى غير ذلك من الأدلة الواهية التي لا ترقى إلى العلمية الموضوعية.

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف النبهاني،(ص ٦٠٤ـــ٦٠٥)، دون ذكر الناشر.

(٢) الأنوار المحمدية، المرجع السابق (ص ٦٠٥).

(٣) سعة رحمة الله على العالمين، سيد سعد الدين الغباشي، (ص ٨١٤ـــ٨١٥)، دار المسلم، ١٩٩٥م.

(٤) المرجع نفسه (ص ٣٩٦).

- **الرد على أدلة المتصوفة في ذلك:**

وللرد على تلك الشبه التي استدل بها المتصوفة على مشروعية التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة من دون الله، أقول مستعيناً بالله:

إن التوسل بالنبي ﷺ منه ما هو مشروع، ومنه ما هو مبتدع غير مشروع، فالتوسل المشروع هو التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وبطاعته ومحبته، وكذلك التوسل بدعائه في حال حياته، كما كان الصحابة يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته، فرض على كل أحد في كل حال باطناً وظاهراً في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسّل بالإيمان به وطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه إلا بعذر من الأعذار، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته، وهو ﷺ شفيع الخلائق، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فهو أعظم الشفعاء قدراً وأعلاهم جاهاً عند الله،وقد قال تعالى عن موسى عليه السلام:﴿ **وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا** ﴾[1]، وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿ **وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴾[2]، ومحمد ﷺ أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين، لكن شفاعته ودعاءه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ﷺ ودعا له، فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه، كما كان الصحابة يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وسيتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تعالى بدعائه وشفاعته ﷺ، كما ورد في الحديث الطويل الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يحتج المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا ... فيقول: ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فانطلق حتى استأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي، وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميدة يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي مثله، فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود في الرابعة، فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود**»[3]، قال الإمام البخاري: «إلا من حبسه القرآن، يعني: قوله تعالى: (**خالدين فيها أبداً**)»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٤٥.

(٣) صحيح البخاري (١٦٢٤/٤)، رقم (٤٢٠٦).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٤٢/١٦)، رقم (٥٥٦١).

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى، والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما الكفار والمنافقون فلا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة»[1]،كما قال تعالى:﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ** ﴾[2].

وإن مما يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي ﷺ ما رواه شريك بن عبد الله بن أبي غر أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان تجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم أسقنا**»، قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال والله ما رأينا الشمس ستاً ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال يا رسول الله: هلكت الأموال،وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام، والظراب، والأودية، ومنابت الشجر**»، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس، قال شريك: فسألت أنساً أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري[3].

فوجه الاستدلال في هذا الحديث هو أن هذا الصحابي الجليل، جاء إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو الله عز وجل من أجل إنزال المطر، وقد دعا الرسول ﷺ ربه فاستجاب له فسقى البلاد و العباد، وهذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي ﷺ وذلك بأن يأتي الإنسان إلى الرسول كما أتى هذا الصحابي إليه، ويطلب منه الدعاء، وبما أن الرسول ﷺ قد مات، فإن هذا التوسل الآن غير ممكن، ولذا فالتوسل الباقي الآن بالنبي ﷺ هو التوسل إلى الله بطاعته ومحبته والإيمان به. أما التوسل بدعائه فغير ممكن، ومن زعم هذا فليس له أي دليل يستند عليه إلا اتباع الهوى.

---

(١) التوسل وأنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني،(ص ٥ ــ ٦)، ط١، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤٨.

(٣) صحيح البخاري (٥٠١/١)، رقم (٩٦٨).

وأما التوسل الممنوع، فهو التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو بركته أو منزلته، كما يفعله المتصوفة وأتباعهم[1]، وقد احتجوا على جواز ذلك بحديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير**»، وفي رواية: «**وإن شئت صبرت فهو خير لك**»، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين،ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي، اللهم فشفعه في وشفعني فيه**»، قال: ففعل الرجل فبرأ[2].

استدلوا بهذا الحديث، وبنوا على ذلك على أن التوسل بذوات الأنبياء والأولياء أحياء كانوا أم أمواتاً جائز، وذلك لأن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وفعل الأعمى ذلك فعاد الله بصره، هذا هو وجه استدلال المتصوفة بهذا الحديث، ويا ليتهم وقفوا عند الاستدلال به على جواز التوسل بذات النبي ﷺ والأولياء ـ وذلك حتى يهون الشّر، وإن كان التوسل بالذوات هو الهوّة التي وقع فيها كثير من الأمة الإسلامية في الإشراك بالله ـ بل تجاوزوا ذلك إلى القول بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ وغيره من الأولياء بالدعاء والاستغاثة، يقول سلامة العزامي بعدما أورد حديث الضرير:«... وهو صريح في أمره ﷺ لذوي الحاجات بالتوسل به، وندائه في مغيبه في حياته وبعد وفاته ﷺ،وقد فهم الصحابة منه ذلك»[3].

---

(١) انظر: البراهين الساطعة للعزامي، المرجع السابق (ص ٣٩٤)، وانظر: مفاهيم يجب أن تصحح للعلوي، المرجع السابق (ص ٥٢)، والدرر السنية في الرد على الوهابية، المرجع السابق (ص ٨)، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى للسمهودي، (ص ١٣٧٢/٤)، دار صادر، بيروت؛ والأنوار المحمدية للنبهاني، المرجع السابق (ص ٦٠٤).

(٢) سنن الترمذي (٥٣١/٥)، رقم (٣٥٧٨)؛ ثم قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وانظر: سنن ابن ماجه (٥٢١/١)، رقم (١٣٨٥)، قال أبو إسحاق: «هذا حديث صحيح»؛ والحاكم في مستدركه م حديث عثمان بن حنيف (١،٤٥٨)، رقم (١١٨٠)؛ ثم قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»... وهكذا.

(٣) البراهين الساطعة، المرجع السابق (ص ٣٩٦).

ولو تأملنا قليلاً في هذا الحديث، وفهمنا معناه الفهم الصحيح، سنجد أنه ليس فيه حجة للمتصوفة وغيرهم ممن استدلوا به، على جواز التوسل بذات النبي ﷺ أو غيره من الأولياء، بل إن الحديث يُعدُّ دليلاً واضحاً على التوسل المشروع بدعاء النبي ﷺ، وذلك لأنه لو كان التوسل بذات النبي ﷺ كاف بدون التوسل بدعائه ﷺ، لما جاء ذاك الصحابي إلى النبي ﷺ، ليطلب منه الدعاء، بل لاكتفى بتوسله بذات النبي ﷺ، والتوجه إليه بالدعاء والاستغاثة كما يفعل المتصوفة، ولكن لما كان التوسل المشروع إلى الله هو التوسل بدعاء النبي ﷺ، أتى إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو الله له، وعلى هذا فالحديث دليل عليهم لا لهم.

أقوال العلماء في تحليل ألفاظ حديث الضرير، والأحكام المستفادة منه

لقد ذهب ثلة من العلماء إلى تحليل ألفاظ هذا الحديث تحليلاً علمياً دقيقاً، وذلك لاستخراج الأحكام المُستفادة منه، و رداً على من يستدلون به على مشروعية التوسل بذات النبي ﷺ وغيره من الأولياء والصالحين.

يقول الشيخ محمد الرفاعي: «إن قول الأعمى: "**ادع الله أن يعافيني**" فيه بيان واضح جلي لقصد الأعمى من المجيء، وهو أنه ما جاء إلا من أجل أن يدعو له رسول الله ﷺ بالشفاء من ضره،وإن قوله ﷺ مجيباً للأعمى: "**إن شئت دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ وهو خيرٌ**"، لدليل آخر على أن الأعمى،ما جاء إلا من أجل الدعاء،وفيه تخيير من رسول الله ﷺ بالدعاء أو الصبر، حتى إذا شاء الأعمى الدعاء دعا له،وفي تخييره هذا وعد بالدعاء إن شاءه.

وإن إصرار الأعمى على الدعاء، بقوله: "**فادعه**" لدليل ثالث على أن مجيئه لم يكن إلا من أجل الدعاء، ومن إصراره يفهم أن رسول الله ﷺ دعا له، لأنه وعده بذلك إذا شاء الدعاء، وقد شاء بقوله: "**فادعه**" على أن رسول الله ﷺ أحب أن يكون للأعمى كذلك مشاركة في الدعاء،ولكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربه بما شاء، بل علمه دعاء خاصاً،وأمره أن يدعو الله به بالإضافة إلى دعائه ﷺ. وإن قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه إياه رسول الله ﷺ: "**اللهم شفعه فيّ**" لدليل رابع على الدعاء.

والشفاعة من رسول الله ﷺ لا تسمى شفاعة، ولا تكون إلا بدعاء الشافع للمشفوع له، فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلاً، والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله ﷺ»[1].

ثم أردف الشيخ الرفاعي قائلاً: «فإذا استجمعنا هذه الأدلة على ثبوت دعاء رسول الله ﷺ للأعمى توحي لنا أمراً هاماً، يدور عليه مآل الحديث،ونستكشف معناه بشكل واضح، وهو أن معنى"**اللهم إني أسألك بنبيك**" أي بدعاء نبيك، ولا يفهم منه التوسل بذاته ﷺ، ولا كان هذا مراد الأعمى من مجيئه إلى رسول الله ﷺ حتى وإن معنى التوسل المتبادر إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت، كان محصوراً فيها في طلب الدعاء من المتوسل به، وليس له المعنى المتعارف عليه عند البعض في زمننا الحاضر أي التوسل بذات المتوسل به، فقد كان مثل هذا

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي،(ص ٢٢٩)، ط٢، المكتبة المكية، د.ت.

التوسل ينفر منه الصحابة، لأنه من المفاهيم الجاهلية التي من أجل وجودها بعث الله رسوله ﷺ إلى الناس كافة»[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في السياق نفسه، مرجحاً أن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ ليرد الله إليه بصره، ولم يتوسل بذاته كما يدعي المتصوفة: «إن دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم، والشكوى إليهم لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين،وحديث الأعمى هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: "**إن شئت صبرتَ، وإن شئت دعوتُ لك**" فقال: "**بل ادعه**"، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين،ويقول: "**اللهم إني أسالك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها، اللهم فشفعه فيَّ**"، فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ، ولهذا قال: "**وشفعه فيَّ**" فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه.

وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب،وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»[2].

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله بعد رده على الذين يستدلون بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي ﷺ وغيره من الأولياء والصالحين: «إذا تبين للقارئ الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى، إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذوات، فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه "**اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ**" إنما المراد به "**أتوسل إليك بدعاء نبيك**" أي حذف المضاف، وهذا أمر معروف في اللغة،كقوله تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا** ﴾[3]، أي أهل القرية، وأصحاب العير، ونحن ومخالفونا متفقون على ذلك أي على تقدير مضاف محذوف ... إلى أن قال: وثمة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حمل حديث الضرير ظاهره وهو التوسل بالذات، لكان معطلاً لقوله

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، المرجع السابق (ص ٢٣١).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، (ص ٩٢)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

(٣) سورة يوسف، آية: ٨٢.

فيما بعد: "**اللهم فشفعه فيَّ وشفعني فيه**" وهذا لا يجوز كما لا يخفى، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها،وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء فثبت المراد، وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات المحمدية والحمد لله»[1].

والخلاصة التي نصل إليها في هذه المسألة، هي: أن حديث الأعمى، ليس فيه أي دليل للذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ حياً أوميتاً، وإنما هو دليل عليهم لأنه لا يدل إلا على جواز التوسل بدعاء الرسول ﷺ كما كان يفعل كثير من الصحابة في حياته، حيث كانوا يأتون إلى النبي ﷺ ويطلبون منه الدعاء، ومن جملة الصحابة، هذا الصحابي الجليل الذي عمي بصره، فأتى إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو الله له، فدعا له فبرئ، وعلى هذا فلا حجة للمتصوفة في هذا الحديث. زد على ذلك أن المتصوفة يحتجون بهذا الحديث على جواز التوجه بالدعاء والاستغاثة إلى النبي ﷺ، والأولياء كما بينا في الأبيات السابقة التي قالها المتصوفة، والتي نجد من أولها إلى آخرها شركاً صريحاً بالله تعالى، وتأليهاً بالرسول ﷺ ورفعه فوق منزلته ومكانته.

ولو نظرنا إلى حديث الضرير، فإننا لا نرى فيه ولو لفظاً واحداً من قريب أو من بعيد يشير إلى جواز التوجه إلى النبي ﷺ رأساً بالدعاء والاستغاثة كما تقدم في تلك الأبيات التي ذكرناها آنفاً. لذا فإن حديث الضرير ليس نصاً في محل النزاع، وإنما هو شيء خارج عنه، فإن نزاعنا مع المتصوفة الذين يدعون الأنبياء والأولياء ليس في التوسل فحسب بنوعيه المشروع والممنوع،وإنما نزاعنا معهم، هو في التوجه بالدعاء والاستغاثة إلى الرسول ﷺ والأولياء الذي يفعلونه يومياً، ويسمونه توسلاً بالأنبياء والصالحين، مع أنه ليس كذلك بل هو دعاء واستغاثة بالرسول ﷺ والأولياء. وتسمية المتصوفة له بالتوسل لا يخرجه عن حقيقته،وهو كونه دعاء واستغاثة بالرسول ﷺ،وليس توسلاً به ولا بالأنبياء والأولياء، وهو من باب تسمية الشيء بغير اسمه، وتسمية الشيء بغير اسمه لا يغير من الحقيقة شيئاً. فكون الخمر إذا سماه أحد من الناس عسلاً أو ماءً، فإن ذلك لا يغير من حقيقة الخمر بل هو باق على حقيقته الخمرية، وكون المتصوفة يسمون دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به،وكذلك الأولياء والصالحين بأنه توسل بهم، لا يغير من حقيقة الشيء، بل هو باق على حقيقته، وهو كون هذا الذي يفعلونه مع الرسول ﷺ والأولياء دعاء واستغاثة بهم من دون الله، وهو عين الشرك بالله تعالى.

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني، المرجع السابق (ص ٧٦).

وكذلك من الأدلة التي استدل بها المتصوفة وغيرهم كذلك على جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فيقول: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا،وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، قال: فيسقون**»[1].

وقد فهم بعض المتصوفة ــ ممن يجيزون التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ــ أن توسل عمر بن الخطاب ﷺ إنما كان بجاه العباس عمِّ النبي ﷺ، ومكانته عند الله تعالى، وأن توسله كان مجرد ذكر للعباس في دعائه، وطلباً منه لله أن يسقيهم من أجله،وأما سبب عدول عمر ﷺ عن التوسل بالرسول ﷺ بزعمهم وتوسله بدلاً منه بالعباس ﷺ، إنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس إلا [2].

ولمناقشة هذه المسألة مناقشة علمية موضوعية على ضوء الكتاب والسنة، أقول مستعيناً بالله:

إن فهم المتصوفة هذا فهم خاطئ، وتفسيرهم للحديث بهذه الصورة السابقة مردود عليهم، لأن من القواعد المهمَّة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضاً، ولا يفهم شيء منها في موضع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه، وبناء على ذلك، فحديث توسل عمر ﷺ إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل، والجميع متفقون على أن في كلام عمر: «**كنا نتوسل إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا**» شيئاً محذوفاً، لا بد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: "**كنا نتوسل إليك بجاه نبينا، وإنا نتوسل إليك بجاه عمِّ نبينا**" على رأي المخالفين، أو أن يكون: "**كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا، وإنا نتوسل إليك بدعاء عمِّ نبينا**" على رأي السلف، ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين، ليفهم الكلام على ضوئها بوضوح.

وإذا أردنا أن نعرف أي التقديرين أصح، فلا بد من الرجوع إلى السنة النبوية المطهرة، لتبين لنا طريق توسل الصحابة بالنبي ﷺ. وإذا نظرنا إلى الصحابة (رضي الله عنهم)، هل كانوا إذا أجدبت بلادهم يقبع كل واحد منهم في بلده، أو كانوا يجتمعون في بلده، أو كانوا يجتمعون

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٢/١)، رقم (٩٦٤).

(٢) انظر: الدرر السنة في الرد على الوهابية،المرجع السابق (ص ١٣).

دون أن يكون معهم رسول الله ﷺ،وهو في الحياة فيدعون متوسلين بجاه محمد وذاته، قائلين: "**اللهم بنبيك محمد، وحرمته عندك، ومكانته لديك، اسقنا الغيث**" مثلاً، أم كانوا يأتون إلى النبي ﷺ ذاته،ويطلبون منه الدعاء، فيحقق ﷺ طلبهم، ويدعو لهم فيسقون؟.

أما الأول: وهو التوسل بذات النبي ﷺ وحرمته عند الله تعالى ومكانته دون الإتيان إلى رسول الله ﷺ، وطلب الدعاء منه، فلا وجود له في السنة النبوية الصحيحة ألبتة، ولا عمله أحد من الصحابة الكرام، وما ورد في ذلك من آثار فهي كلها موضوعة، وضعها المغرضون لإيقاع الناس في حبائل الشرك في الدعاء.

وأما الثاني: وهو التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من رسول الله ﷺ فقد ورد منه كثير في السنة النبوية، وقد كان الصحابة الكرام يفعلونه، حيث أتى كثير من الصحابة يطلب الدعاء من الرسول ﷺ، حينما أجدبت بلادهم. من ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قوله:"بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله قحط المطر، فادع الله أن يسقنا، فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا، فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة، قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». قال: فلقد رأيت السحاب، يتقطع يميناً وشمالاً، يمطرون ولا يمطر أهل المدينة [(١)]".

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ، لأنهم كانوا يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء، ولو كانوا يتوسلون بذاته أو جاهه ومكانته عند الله، لما احتاجوا إلى الإتيان إلى المدينة،وطلب الدعاء منه، بل كانوا يتوسلون إلى الله وهم في أهليهم، فيقولون:"**اللهم بنبيك محمد، ومكانته، وجاهه، وحرمته عندك، اسقنا الغيث فيسقون**"،ولكن هذا لم يفعله الصحابة، لأنهم يعرفون بأنه توسل غير مشروع. ولهذا أقول: إن المحذوف في توسل عمر بالعباس هو "**إنا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا فاسقنا**"، وعلى هذا فتقدير المجيزين للتوسل الممنوع،وهو قولهم: إن المحذوف في توسل عمر بالعباس، هو كلمة "**الجاه**" في الموضعين غير صحيح، لأنهم ليس لهم دليل يستندون إليه في هذا.

(١) صحيح البخاري (٣٤٣/١)، رقم (٩٦٧).

كما أن هناك قرائن كثيرة، تؤكد على أن التوسل من عمر بن الخطاب ﷺ كان بدعاء العباس لا بذاته ولا بجاهه ولا بمكانته، من ذلك: عدول عمر ﷺ عن التوسل بالرسول ﷺ وهو أشرف خلق الله، وأن التوسل به أولى من التوسل بغيره،وذلك لأن الرسول ﷺ قد مات،ولا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته، ولذلك عدل عمر عن التوسل به إلى التوسل بالعباس بن عبد المطلب، لأنه عم النبي ﷺ، فطلب منه الدعاء، ولو كان عمر يجيز التوجه بجاه العباس إلى الله، لتوسل بجاه النبي ﷺ لأنه أكبر جاهاً عند الله من العباس، ولكن لما كان التوسل المشروع هو التوسل بدعاء الرسول ﷺ، عدل عن التوسل بالنبي ﷺ لأنه لا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته، فتوسل بدعاء العباس لطلب السقيا، وعلى هذا أقول: إن استدلال المجيزين للتوسل بذات الشخص وجاهه ومكانته عند الله استناداً على هذا الحديث استدلال باطل، لأن الحديث ليس دليلاً لهم بل عليهم، ولكن أوقعهم في الاستدلال به، إما سوء فهمهم، أو سوء مقصدهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رداً على من يجيز التوسل من الصوفية بذات النبي ﷺ والأولياء وغيرهم، ويؤكد في الوقت نفسه بأن هذا عمل لم يفعله الصحابة ولا التابعون من بعده، بل هو من البدع المحدثة في الدين: «فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته، مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم، فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود، و لم يتوسلوا و لم يستشفعوا و لم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس، وكيزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم،وقد قال عمر: "**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**"؛ فجعلوا هذا بدلاً عن ذاك، لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ويتوسلوا هناك،ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله أو السؤال به، فيقولون: نسأله أو عليك بنبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس ... إلى أن قال: وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته بدعائه وشفاعته، فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا، فلما يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً من ذلك، ولا دعوا بمثل هذه الأدعية

وهم أعلم منا، وأعلم بما يحب الله ورسوله،وأعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية، وما هو أقرب إلى الإجابة منا، بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي ﷺ، فدل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكناً»[1].

وبهذا نخلص إلى القول بأن توسل عمر بن الخطاب ﷺ بالعباس ﷺ دليل قاطع على أن التوسل المشروع بالنبي ﷺ إلى الله تعالى هو التوسل بمحبته وطاعته والإيمان به، لأن هذه الأمور من الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة من أهم الأشياء التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى،ولأنه هو التوسل الباقي بعد موت النبي ﷺ حيث إن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي ﷺ في حياته ويطلبون منه الدعاء، فكان يدعو لهم،ولكن لما علم الصحابة (رضي الله عنهم) أن التوسل بدعاء النبي ﷺ غير ممكن بعد موته، توسلوا إلى الله تعالى بدعاء عمه العباس بن عبد المطلب، حيث طلب منه عمر أن يدعو لهم، فدعا و لم يكن التوسل بالعباس بجاهه أو مكانته كما يزعم المخالفون من المتصوفة وغيرهم،وإنما كان التوسل بدعائه،ولو كان التوسل بالذوات والجاه جائزاً، لما عدل عمر ﷺ عن التوسل بجاه النبي ﷺ وذاته ومكانته ومنزلته عند الله تعالى، لأن النبي ﷺ يتفوق على الجميع في هذا. ولكن لما كان التوسل بذاته وجاهه ومكانته غير جائز، عدل عن التوسل به إلى التوسل بالعباس بن عبد المطلب.

لذا فإن الأحاديث الصحيحة التي يحتج بها المتصوفة في غربي إفريقية وغيرها على جواز التوجه إلى ذات الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة، وبالأنبياء والصالحين ليس لهم أي دليل فيها، بل هي ضدهم، ومشايخ الصوفية لم يقعوا في هذا لعدم فهمهم لها، وإنما يحتجون بها لسوء نيتهم، وفساد معتقدهم من أجل أن يبرروا للناس تلك الأعمال الشركية التي يقومون بها، وقد فعلوا ذلك، إذ ما من بلد في المنطقة التي سيطر عليها المتصوفة وأتباعهم، إلا ويمارس فيها الشرك الصريح باسم التوسل والدعاء، على الرغم من أن التوسل بالشخص ودعائه والاستغاثة به بينهما فرق شاسع، لكن الصوفية ـــ لا يزالون ـــ يخلطون بينهما عن عمد، ويسمون دعاء الرسول ﷺ والاستغاثة به، وكذلك الأولياء والصالحين بأنه توسل، وهذا جهل عظيم، وخطأ فادح، بل هو عين الشرك بالله، نسأل الله تعالى العافية.

---

(١) التوسل والوسيلة لابن تيمية،المرجع السابق (ص ١٢٩ـــ١٣١).

- **حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء:**

لقد أنكر السلف (رحمهم الله)، التوجه إلى رسول الله ﷺ أو إلى غيره من المخلوقين كائناً من كان بالدعاء والاستغاثة، واعتبروا ذلك صرف شيء من أجلّ العبادات و أشرفها وأعظمها لغير الله، ويُعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أكثر العلماء الذين كان لهم القدر المعلى في الرد على أهل الأهواء بشتى أصنافهم، من صوفية وغيرهم من فرق الضلال والفساد.

وقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة شركاً بالله تعالى في ربوبيته وألوهيته، فقال رحمه الله: « فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال: لغير الله اغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهد قلوبنا ونحو ذلك ... ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلاناً أغثني وانصرني وادفع عني وأنا في حسبك ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان، صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الأصنام ويغويهم. والشياطين في صورة ذلك المستغاث به وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة كما تخاطب الشياطين الكهان ... إلى أن قال: وأما دعاء الرسول وطلب الحوائج منه، وطلب شفاعته عند قبره، أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف، ومعلوم أنه لو كان قصد الدعاء عند القبر مشروعاً لَفَعله الصحابة والتابعون، وكذلك السؤال به، فكيف بدعائه وسؤاله بعد موته ... فإن هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين، ومن ضهاهم من مبتدعة هذه الأمة ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ولا مما أقر به أحد من أئمة المسلمين ... وهكذا، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين »[1].

---

(١) التوسل والوسيلة لابن تيمية، المرجع السابق (ص ١٣٦، ١٥٤)، و انظر: مجموعة التوحيد، لابن تيمية (ص ١١٩)، دار اليقين، ١٩٩٣م.

ب ــ **غلو المتصوفة في الأولياء**: ومن ذلك ما يلي:

- **تقديس الأولياء وما انفصل عنهم، والعكوف على أضرحتهم:**

لقد أدى شدة تعلق المتصوفة بالأولياء والمشايخ في غربي إفريقية، إضافة إلى ذلك الخضوع والتذلل، وتلك الطاعة المطلقة، والخشية والرهبة الشديدة التي يبذلها المريدون وكافة أفراد المجتمع لهم[1]، بغية استجلاب بركاتهم، أواستبعاد غضبهم، أدى ذلك كله إلى تقديسهم واتخاذهم أرباباً يُعبدون من دون الله، سواء في حال حياتهم أو بعد مماتهم.

وإذا تأملنا في حال المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، نجد أن بناء المساجد على القبور، وبناء القباب على أضرحة الأولياء منتشر انتشاراً كبيراً، وأن كثيراً من أفراد الأمة الإسلامية هناك، قد وقع في صرف أنواع من العبادة، لأصحاب هذه الأضرحة والقباب، حيث يتوجهون إليهم بالدعاء والاستغاثة والنذور رغم أن هذه الأمور من أجلِّ العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، مما كان سبباً في وقوع كثير منهم في الشرك بالله؛ ويأتي الصوفية على رأس مَن عَمل على نشر هذه المشاهد الوثنية وغيرها؛ ولذا فإن المتصوفة هم دعاة الشرك، بل هم وراء كل انحراف عقدي وقع في الأمة الإسلامية حتى الآن في غربي إفريقية، وبخاصة في توحيد الربوبية، والألوهية، وفي توحيد الأسماء والصفات.

ومن صور تقديس الأولياء الشائعة في المنطقة إضافة إلى طاعتهم، وتنفيذ أوامرهم، ما يسمى بتقديس كل ما انفصل من الشيخ لقصد التبرك به، أو الاستشفاء به من بعض الأمراض كما شاع الاعتقاد بذلك، كالعرق، والريق، والشعر، وماء الوضوء، وماء الغسل، أوالاحتفاظ ببعض ملابسهم وأدواتهم المستعملة، وكذلك التردد على أماكن عباداتهم ومجالسهم للتمسح بها لنيل بركاتهم، يقول الشيخ إبراهيم انياس في معرض ذكره لآداب المريد مع شيخه: «... وإياك أن تماشيه والنعل في رجليك، أو عليك شيء من آلات الرفاهية[2]، إلا أن يأذن لك بذلك لعذر، ولا تنم معه في بيت، ولا تبصق في حضرته، ولا تتمخط، ولا تمد رجليك وأنت جالس معه، ولا تكثر الالتفات في حضرته، ولا تجلس على بساطه بخلاف ثوبه على وجه التبرك فقط، فإن السادات كانوا يستعملون ملابس أشياخهم للتبرك، وكذلك شأن الصحابة مع الرسول ﷺ في لباسه وشعره وطهوره وفضل وضوئه، وريقه الشريف، وعرقه ودابته وإناء شربه، ومواضع صلاته

---

(١) حتى المسؤولين السياسيين الكبار بدءاً من رؤساء تلك الدول ووزرائها وموظفيها.

(٢) لعله يقصد بعض ما يتزين به المرء من أشياء تجميلية، كالساعة، أو الخاتم أو الطاقية أو نحوها.

وخلوته، ويشهدون لذلك تأثيرات في دفع الأدواء الجسمانية، والأسواء الروحانية عنـــهم...»[1].

ويقول آخر: « ومشاهدتك له ـــ أي الشيخ ـــ في كل حال ورِدٌ عليك[2]، ومنـــها أن تجلـــس جلوس الصلاة عنده، وأن تفنى فيه، ولا تجلس فوق سجادته، وألا تتوضأ بإبريقه، ولا تتكئ على عكازه، واسمع ما قاله بعض الأصفياء: من قال لشيخه: لِمَ ؟ لا يفلح!. وليكن محضره في قلبـــك وخيالك، فإن غفلت عنه ساعة، فهذا مقتك[3]»[4].

ومن أسوإ صور التقديس للمشايخ والأولياء في غربي إفريقية، ما يقوم به أتبـــاع بعـــض الطرق من شدِّ الرحال لزيارة أضرحة بعض الأولياء سواء في مالي أو السنغال أو النيجر أو غينيـــا أو ساحل العاج أو نيجيريا، أوغانا أو غامبيا أو غيرها من الأماكن التي اعتاد الناس الذهاب إليها لقصد دعاء أصحاب القبور، والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج منهم، وقد يؤدون بعض العبـــادات الخاصة عندها حسب توجيهات سدنة هذه الأضرحة؛ كما يقـــصدونها ـــ أيـــضاً ـــ لغـــرض الاستشفاء، فيُقبِّلون تربتها، ويتمسحون بأعتابها، وقد يعكف بعضهم على تلك الأضرحة، ويقدم النذور والقرابين لسدنتها، مع تعليق الخرق والستور والمناديل عليها، ونحو ذلك من الأمور المنكرة التي يشاهدها كل من يعيش في غربي إفريقية، أو من يمر عليها زائراً أو داعياً.

يقول الشيخ إبراهيم انياس مشيراً إلى أهداف زيارة قبور الأولياء، ومشجعاً لمـــن يقـــوم بذلك ما نصه: « ولا يزال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغربـــاً يتبركـــون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى ... إلى أن قال: إن زيارة قبور الصالحين محبوبـــة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حال حياتهم»[5].

أما ما يتعلق بتقبيل الزوار للأضرحة، أو التمسح بترابها، فيفتي الـــشيخ إبـــراهيم انيـــاس بجوازهما، وعدم الاعتراض على من يفعل ذلك، فيقول: «وما يفعله العامة مـــن تقبيـــل أعتـــاب الأولياء، و التمسح بالتابوت الذي يجعل فوقهم، فلا بأس به إن قصدوا بذلك التبرك، ولا ينبغـــي الاعتراض عليهم»[6].

---

(١) كاشف الألباس عن فيض الختم أبي العباس، المرجع السابق (ص ٩٥ـــ٩٧).

(٢) أي يكتب لك أجر ذلك، لأن ذلك من العبادة التي يتقرب بها المريد إلى الله تعالى بواسطة الولي أو الشيخ.

(٣) كلمة تحذير للمريد بأن يتجنب عواقب ذلك.

(٤) هذه هي الصوفية، المرجع السابق (ص ١٢٦).

(٥) المدخل لابن الحاج، المرجع السابق (١/٢٥٥).

(٦) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، سلامة العزامي النقشبندي،(ص ٥٣٤ـــ٥٣٥)، بدون ذكر الناشر.

هذه هي الحال في غربي إفريقية بعامة، وما حلَّ بها من انحراف وشرك تعددت مظـاهره، واختلفت أشكاله، حتى كأن عقيدة التوحيد قد قُضي عليها تماماً، وأن الموحِّدين قد انعدموا من تلك الديار، فلم يعد هناك إلا من أشرك بالأولياء والمشايخ في عبادة الله تعالى، فهم يدعونهم رغباً ورهباً.

إننا لا نبالغ إذا قلنا إن الأمة الإسلامية في بعض مناطق غربي إفريقية [1]، أصبحت غارقة في بحر من مظاهر الشرك والبدع والخرافات، وأنها انحرفت في توحيد الألوهية انحرافاً شديداً، وغشيها موج من الظلام والجهل، حجب عنها حقيقة هذا الدين العظيم، وطمس فيها نور التوحيد، وعدل بها عن صراطه المستقيم، حيث شيدت القباب على الأضرحة، وأنشئت المساجد على القبور، وأقيمت مزارات ومشاهد، وزينت بالسرج والقناديل، وزخرفت بأنواع من الزخارف والستارات المزركشة، وحُلِّيت أبوابها ونوافذها بسبائك الذهب والفضة وطلائهما، فقصدها القاصي قبل الداني، ولجأ إلى رحابها المسافر والمقيم، وهرع نحوها العلماء وطلبة العلم قبل الجهلة والعامة، والكبار قبل الصغار، والجميع يرتمون بساحاتها، ويتمرغون في جنباتها، ويلثمون أعتابها، فتراهم من حولها يطوفون، وبأصحابها يستغيثون ويدعون، وفي عرصاتها يهرقون دماء نذورهم وقرابينهم، وكل هذا من الشرك الأكبر، وصورة من صور الوثنية، وإن اختلفت الأسماء، وتبدلت الهيئات والأشكال، يقول الإمام الصنعاني رحمه الله: «والنذور بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر والتوسل به، وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية،وإنما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون والمتصوفة لما يسمونه ولياً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني ... وكذلك تسمية القبر مشهداً، ومن يعتقدون فيه ولياً أو شيخاً، لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت، ويستلمونهم استلامهم لأركان الكعبة المشرفة،ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية »[2].

ومهما حاول أنصار هذه البدعة، ومروِّجو الشرك في الأمة من المتصوفة وغيرهم أن يتمحلوا الأعذار، وينتحلوا الأدلة، ويردوا البراهين أو يؤوِّلوها لتهوين ما وقع في حياة الأمة في

---

(١) وبخاصة تلك المناطق التي سيطرت عليها الطرق الصوفية المختلفة، في مالي، والسنغال، والنيجر، ونيجيريا، وساحل العاج، وغانا، وغينيا، وغامبيا وغيرها.

(٢) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني،(ص ٥٧٤ـ٥٧٥)، ضمن كتاب الجامع الفريد، طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان.

غربي إفريقية، من مظاهر كثيرة للشرك الأكبر والأصغر، فإن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً؛ كاستدلالهم على تقديس الأولياء وما انفصل عنهم بالأحاديث التي رُويت عن تبرك الصحابة (رضي الله عنهم) ببعض ما انفصل من النبي ﷺ مما هي من خصوصياته، كعرقه أو ريقه أو نخامته أو شعره ... إلخ على جواز التبرك بما انفصل من الأولياء والمشايخ الصوفية، وكذلك يستدلون على شدِّ الرحال إلى قبورهم وأضرحتهم، بما يقوم به الحجاج من زيارة للمسجد النبوي بالمدينة المنورة أثناء أدائهم لفريضة الحج، وذلك استناداً على الحديث المروي عنه ﷺ: «**لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[1].

- **الرد على أدلة الصوفية في ذلك :**

وللرد على الصوفية في هذه المسألة، أقول مستعيناً بالله:

إن ما أوردتموه من حجج وبراهين على جواز العكوف على قبور الأولياء، وتقديس بعض ما انفصل عنهم، وجواز شدِّ الرحال إلى أضرحتهم، يمكن الرد عليها بما يلي:

أ ــ ما يتعلق بتقديس الأولياء وبعض ما انفصل عنهم:

يجب على المسلمين جميعاً أن يعلموا يقيناً، أن قياس ذات النبي ﷺ في هذه الحياة مع ذوات غيره من بني البشر قياس مع فارق، وبالتالي فهو قياس باطل لا يستقيم بحال من الأحوال لمن يحاول ذلك سواء من المتصوفة أو غيرهم، لأن ذات النبي ﷺ ذات مباركة، ولا سبيل لأحد كائناً من كان إلى إنكار ذلك أو الشك فيه، وقد جعل الله تعالى في ذاته الشريفة من الخصوصية ما ليس لغيره من الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فضلاً عن غيرهم من الناس. وكان صحابته الكرام (رضي الله عنهم) يعلمون ذلك، وكانوا يحاولون قدر الإمكان الاستفادة من هذه الخاصية الفريدة له ﷺ، فيتبركون بذاته وآثاره وبعض ما انفصل عنه ﷺ، يدل على ذلك ما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، فقال[2] عندنا فتعرَّق، فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: «**يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟**»،

(١) صحيح البخاري (١/٤٠٠)، رقم (٣٣٧٠)؛ وصحيح مسلم (٩/١٦٩)، رقم (١٨٩٣).

(٢) قال يقيل قيلولة، أي نام نصف النهار، أوهي النوم بعد الظهيرة كما هي العادة في بعض المجتمعات الإسلامية. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي،(٥٢١/٢)، دار الفكر، د. ت.

قالت: هذا عَرقك نجعله في طيبنا، وهو أطيب الطيب. وفي رواية: قالت يا رسول الله: نرجو بركته لصبياننا، قال ﷺ: «**أصبتِ**»[1]. وهذا يدل على اختصاصه ﷺ بهذه البركة، لإقراره لها على هذا العمل، وعدم نهيها عنه.

وما رواه البخاري من حديث إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: أرسلني أهلي إلى أم سليم بقدح من ماء ـــ وقبض إسرائيل ثلاث أصابع ـــ من فضة، فيه شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة، فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراً [2].

وعن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان (رضي الله عنهم) في الحديث الطويل، وفيه:«... فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ﷺ.

قال: فرجع عروة على أصحابه، فقال: إي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مَلكاً قط يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً ... إلخ[3].

وهكذا كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتبركون بذات النبي ﷺ، كما كانوا يتبركون أيضاً بما انفصل منه ﷺ من عرق ونخامة وشعر ونحوها لما فيها من البركة ما يرجى لأجلها الفوائد الدنيوية والأخروية، مع العلم بأن واهب البركة والخير والفضل هو الله تعالى وحده لا شريك له. كما لا يمكن قياس أفعال الصحابة مع النبي ﷺ في مثل هذه الأمور بفعل غيرهم من الناس، لأن هذا من خصوصيات النبي ﷺ، وقد أقر الصحابة على ذلك كما تقدم، بل كان يأمرهم أحياناً بفعل ذلك لما فيه من الخير والمنفعة لهم، كما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «**أبشر**».فقال: قد أكثرت علي من أبشر. فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «**رد البشرى فأقبلا أنتما**»، قالا: قبلنا. ثم دعا بقدح فيه

(١) صحيح مسلم (٨٦/١٥)، رقم (٦٠١).

(٢) صحيح البخاري (٢٢١٠/٥)، رقم (٥٥٥٧).

(٣) صحيح البخاري (٩٧٤/٤)، رقم (٢٥٨١).

ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: «**اشربا منه، وافرغا على وجهكما ونحوركما وابشرا**»، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة [١]. وما رواه الحكم قال: سمعت أبا جحيفة، قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ، ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة، وزاد فيه عون عن أبيه، عن أبي جحيفة، قال: كان يمر من ورائها المرأة، وقام الناس، فجعلوا يأخذون يديه، فيمسحون بهما وجوههم. قال: فأخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك[٢].

و ما رواه عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها.

قال البخاري: فسألت الزهري: كيف ينفث؟

قال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه[٣]، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي وردت في هذا الشأن.

فإذا كان المصطفى ﷺ قد أقر الصحابة على فعل ذلك، ثم أمرهم وأرشدهم إلى التبرك من بعض آثاره، ومن بعض ما انفصل منه كريقه، ونخامته، وعرقه، وشعره ... إلخ، فهذا يدل على اختصاصه ﷺ بهذه البركة وهذا الفضل، وهو الذي ينزل عليه الوحي، ولا ينطق عن الهوى، ولا يقر على باطل؛ وأنه لم يؤثر عنه ﷺ أنه أمر أحداً من الصحابة بالتبرك بغيره من الناس لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ، كما لم يروَ عن الصحابة أنهم كانوا يتبركون من بعضهم بعضاً، فلم يفعل الصحابة ذلك مع الخلفاء الراشدين المهديين، وهم من عقد إجماع الأمة على فضلهم وأفضليتهم بعد رسولها ﷺ.

فاختصاص النبي ﷺ بالتبرك والفضل دون غيره، هو السبب في ترك الصحابة التبرك بعضهم ببعض، بحيث ليس هناك مقارنة بين النبي ﷺ وصفته مع غيره، فهو أفضل الخليقة، اصطفاه الله تعالى من سائر الناس برسالته، وميزه بخصائص عديدة لم تكن لغيره على الإطلاق. إن الذي فعل هذا كله هو:

---

(١) صحيح البخاري (١٥٧٣/٤)، رقم (٤٠٧٢).

(٢) صحيح البخاري (١٣٠٤/٣)، رقم (٤٧٣)، وصحيح مسلم (٤٤٤/٤)، رقم (١١٢٢).

(٣) صحيح البخاري (٢١٦٥/٥)، رقم (٥٤٠٣).

الله تعالى الخالق، الرازق، المعطي والمانع، وهو تبارك وتعالى إليه الاجتباء والاختيار والاصطفاء، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «"**الله يصطفي**" يعني يختار "**من الملائكة رسلاً**"، وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل وغيرهم، "**ومن الناس**"، أي: يختار من الناس رسلاً مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، وقد نزلت هذه الآية حين قال المشركون: " **أأنزل عليه الذكر من بيننا**"، فأخبر تبارك وتعالى أن الاختيار والاصطفاء إليه، يختار من يشاء من خلقه»[2].

ولهذا ردَّ الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى على من يجيز التبرك بذوات الأولياء والصالحين من الصوفية وغيرهم، وفنَّد حججهم في ذلك بقوله:«وخرج غيره من ذلك كثيراً في التبرك بشعره، وثوبه حتى إنه ﷺ مسَّ شعر أحدهم بيده الشريفة، فلم يحلق ذلك الشعر، أي هذا الشعر الذي مسَّه يدُ النبي ﷺ حتى مات؛ وقد بالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته إلى أشياء كهذا كثيرة، فالظاهر في مثل هذا أن يكون مشروعاً في ولايته واتباعه لسنة رسول الله ﷺ ، وأن يتبرك بفضل وضوئه، ويتدلك بنخامته، ويستشفى بآثاره كلها ... إلى أن قال: إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه، مشكل في تنزيله، وهو أن الصحابة (رضي الله عنهم) بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى خَلَفِه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في قيادة الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﵁، فهو كان خليفته، و لم يفعل به شيء مما كان يفعل بالنبي ﷺ من ذلك، ولا عمر ﵁ وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسِّير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء، وذلك لاحتمالات كثيرة، منها:

ــ أن يعتقدوا فيه الاختصاص، أن مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير، لأنه ﷺ كان نوراً كله في ظاهره وباطنه، فمن التمس منه نوراً وجده على أي جهة التمسه، بخلاف غيره من الأمة ــ وإن حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله ــ لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ولا تقاربه، فصار هذا النوع مختصاً به كاختصاصه بنكاح ما زاد على الأربع ... فعلى هذا المأخذ، لا يصح لمن بعده الاقتداء له في

(١) سورة الحج، آية: ٢٢.

(٢) تفسير البغوي (١/٤٠٠ــ٤٠١).

التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوه، فمن اقتدى به في ذلك كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة.

ــ ألا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب سد الذرائع خوفاً من أن يجعل سنة، أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه،وهذا التبرك هو أصل العبادة،ولأجله قطع عمر ﷺ الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ، بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية، فخاف عمر ﷺ أن يتمادى الحال في الصلاة إلى تلك الشجرة حتى لا تعبد من دون الله، فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم؛ وقد ترك الصحابة العمل فيما تقدم ــ وإن كان له أصل ــ لما يلزم عليه من الفساد العظيم في الدين »[1].

ولهذا فلا يجوز تقديس هؤلاء الأولياء والمشايخ ــ كما يسميهم المتصوفة ــ أو التبرك بهم أو بما انفصل عنهم، لعدم وجود الأدلة الصريحة على ذلك، ولأن تعظيم الشيء وتقديسه، أوالتبرك به نوع من العبادة، فلا بد له من سند شرعي يعتمد عليه.

وما يفعله بعض الناس في غربي إفريقية، من كثرة التردد على أعتاب بعض المشايخ أو مجالسهم لتقبيلها، أو التمسح بها رجاء بركتها وثوابها، فهذا ناتج ــ في الغالب ــ عن الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، يقول في مثل هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك إن كثيراً من هؤلاء ربما يقيسون على ما شرع الله تعظيمه من بيته المحجوج، والحجر الأسود الذي شرع الله تعالى استلامه وتقبيله، وربما قاسوا عليه ما لم يأذن الله بتعظيمه ... إلى أن قال: وليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود»[2].

وبهذا فإن التمسح أوالتقبيل لأعتاب المشايخ ومجالسهم وأماكن عبادتهم كما هي الحال في أكثر مناطق غربي إفريقية، غير جائز شرعاً، لعدم ورود الأدلة الصحيحة على ذلك من نصوص الكتاب والسنة، كما لم يروَ عن أحد من الصحابة، أنه تبرك بشيء من أعتاب النبي ﷺ أو مجلسه مع علمهم بتلك الأماكن بدقائقها وتفاصيلها، نظراً لشدة ارتباطهم برسول الله ﷺ، ومحبتهم له، وتعظيمهم لشأنه، واتباعهم لسنته ﷺ.

---

(١) الاعتصام للشاطبي، المرجع السابق (٢٩٣/١ــ٢٩٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم،المرجع السابق (٣٢٠/٢)، وانظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٧٩/٢٧).

ب ــ ما يتعلق بالعكوف على الأضرحة مع شدِّ الرحال إليها:

يعتقد كثير من الباحثين في الشؤون الإسلامية في غربي إفريقية، أن زمن الوثنية الحقيقية قد ولّى وانقضى في كثير من مناطقها المختلفة ــ أو على الأقل بصورة كبيرة ــ وذلك نتيجة للمجهود الكبير الذي يقوم به الدعاة الذين لطالما حذروا الناس من مخاطر الشرك، وبينوا أثره الخطير على الفرد والمجتمع، وقد أثمرت بعض تلك الجهود في بداية الستينات في إقلاع كثير من الناس عن كل ما يخدش عقيدة التوحيد ويفسدها، بحيث شهدت ــ حينها ــ مناطق كثيرة في غربي إفريقية صحوة ويقظة لا تزال تتفيأ تحت ظلالها، واستفاق كثير من المسلمين من غفلتهم وسباتهم، وتبين لكثير منهم أن المعبود الحق لجميع أنواع العبادة، هو الله تعالى الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد،﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[1].

غير أن هذه الصحوة السلفية المباركة، سرعان ما تعرضت لردة فعل مضادة من قبل أناس من المتصوفة الذين يحنون إلى الماضي الوثني، ويرفضون أي تغيير يمس معتقداتهم العتيقة في بناء المساجد على القبور، وتشييد القباب على أضرحة الأولياء، وحثّ الناس وتشجيعهم بالتوجه إليها بأنواع العبادة.

ومما يؤسف له أن من تحمل وزر حرب الصحوة السلفية، وشن الغارات عليها أناس ــ من علماء السوء وأنصار البدع ــ يحسبون في مصاف الدعاة البارزين، والمصيبة العظمى أن بعضهم ممن يتبوأ مركز الهرم الديني والدعوي في المنطقة، ويحظون بثقة الجماهير المسلمة الغفيرة، إضافة إلى ما تقوم به وزارات الشؤون الدينية والثقافية في بعض دول غربي إفريقية[2] من تقديم تسهيلات لإنعاش بعض تلك الأضرحة، وتشجيع الناس على الذهاب إليها والتبرك بها، وتوفير الدعم المادي والمعنوي لسدنة الأضرحة ومن يقومون بخدمتها، لأنها تعتبرها مثل المساجد والزوايا الصوفية المعروفة؛ كما تهتم وزارات الشؤون الاجتماعية في تلك الدول، بتوفير كل ما يحتاجه زوار الأضرحة من خدمات وتسهيلات تمكنهم من أداء ما جاءوا من أجله بيسر وسهولة، وبخاصة أثناء المواسم والتظاهرات الدينية المختلفة، كالمولد النبوي ونحوه، والسهر على إحياء تلك المناسبات الدينية المخالفة، بعد ما كادت بعضها أن تندثر وتنسى[3].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٢) انظر: التصوف وطرق الصوفية في السنغال، المرجع السابق (ص ١١٩ــ١٢٠).

(٣) من خلال حديث الباحث مع الشيخ بناني إبراهيم، وكيل وزارة الشؤون الثقافية والدينية بساحل العاج سابقاً.

ونحن إذ نتحدث عن هذه الحقائق فيما يتعلق بمظاهر تقديس الأضرحة في غربي إفريقية، لا نُحمِّل وزارات الشؤون الدينية والاجتماعية وحدها مسؤولية إنعاش مظاهر الشرك والوثنية في المنطقة، فثمَّة أطراف أخرى عديدة متواطئة بشكل أو بآخر عن طريق الدعاية المجانية المغرضة، لتشجيع الناس بزيارة تلك الأضرحة والاستغاثة بمن فيها، ومن ضمن هذه الأطراف ما يسمى بالاختصاصيين النفسانيين، وبخاصة أولئك الذين قلت بضاعتهم من العلم الشرعي الصحيح، فصار بعضهم يساهم في الترويج لخرافات المتصوفة، وبدلاً أن يتخذوا موقفاً صارماً ضد زيارة الأضرحة، ويحذروا مرضاهم من مغبة الذهاب إليها، لأنها تورطهم في السقوط في وحل الشرك والوثنية، فعلى النقيض من ذلك، فإنهم يشجعون استمرار مثل هذه العادات السيئة، على اعتبار أن المريض حين يذهب إلى الضريح يلجأ إليه بثقة عمياء، وبانقياد تام، وهو ما يسميه سدنة تلك الأضرحة بـ "التسليم للولي"، ويسميه الاختصاصيين النفسانيين بـ "العلاج بالإيحاء"، والثقة هنا لها دور مهم في التخفيف عن الضغط النفسي على أي زائر للضريح على حدِّ زعمهم الباطل.

ومن المقابر التي تشهد ازدحاماً شديداً ــ لا مثيل لها ــ على مدار العام ولا تنقطع أبداً في غربي إفريقية، ضريح الشيخ أحمد بامبا مؤسس الطريقة المريدية في مدينة " طوبى" بالسنغال، حيث تحرص أعداد غفيرة من الناس ــ رجالاً ونساء، شباباً وكهولاً ــ على زيارتها، للتمسح بها طلباً للشفاء، أوالدعاء عندها طلباً للبركة وتحقيق الأمنيات، أو لطلب حلِّ بعض المشكلات النفسية والاجتماعية والجنسية التي يعانون منها[1].

وقد شاهد الباحث أثناء زيارته العلمية في الصيف الماضي إلى جمهورية السنغال، مظاهر دينية غريبة جداً، يقوم بها مرتادو أضرحة الشيخ أحمد بامبا، منها:

ما يقوم به الزائر من ترك كل مظاهر التجمل أو الزينة خارج المسجد الذي يحوي الضريح ــ والذي بني على شكل الرباعي بكسائها المزركشة مثل الكعبة المشرفة ــ ثم يدخل إلى المسجد متوجهاً إلى القبة التي يقع فيها الضريح، وذلك بعد إذن خاص من السدنة، وبعد أن يضع الزائر بعض النقود في فتحات ممتدة إلى داخل السياج المحاط بالقبر، ويُعدُّ ذلك شرطاً أساسياً لنيل بركة الشيخ، وقبول الزيارة. ويتم الدعاء عند القبر بصور مختلفة، حيث نجد هناك رجالاً ونساء يحيطون بالضريح، فيما يتمسك آخرون بالسياج المعدني الذي يحيط القبر، فيتمسحون به، بينما يقف آخرون حوله مشدودي الحركة، وكأنهم يفصحون عن ذنوبهم، فيتوسلون ويستغيثون ويدعون

---

(١) انظر: التصوف والطرق الصوفية في السنغال، المرجع السابق (ص ١١٨ــ١١٩).

بجاهه، اعتقاداً منهم أن ذلك التركيز أقرب وأحرى للإجابة السريعة، ثم يضع الزائر أصبعه على البلاط حول الضريح، كأنه يكتب اسمه أو توقيعه عليه، وذلك بنية وضع نفسه تحت تصرف الشيخ وخدمته حتى الموت، ليقيه من شر الدنيا وعذاب الآخرة[1].

وهكذا أصبحت الأضرحة والقبور مهيمنة على حياة الناس في غربي إفريقية إلا ما رحم ربي، وغدت حياتهم مرتبطة أشد الارتباط بهذه القبور، مستندين في ذلك إلى ما ورد في إحدى قصائد الشيخ أحمد بامبا، في حثّ مريديه وأتباعه على الاعتماد عليه، بغية نيل العافية في الدنيا، والسعادة الأبدية في الآخرة، يقول فيها ما نصه:

كل مريد بي يلوذ يسعد * وأنه من الأذى مبعد

لكل من بي تعلق نجا * من كدر الدنيا وفي يوم النجا[2].

ويقول بعضهم:

زيارة أهل الله من أعظم الذخر * وكنز الفلاح في القيامة والحشر [3].

---

(١) وعندما حاول الباحث أن يبدي استغرابه من هذا العمل المشين، قال له أحد السدنة (أي أحد حراس الضريح) حول الضريح:«هؤلاء الناس إنما يأتون للصلح مع الله،لكل واحد منهم هواجسه ومشاكله، يصلون لله فيستجيب لهم». كما أن غالبية الزوار المحتشدين حول ضريح الشيخ أحمد بامبا كانوا من النساء اللواتي جئن لطلب الحل لمشاكلهن، فهذه خديجة ساكو ٣٦ سنة، تقطن أحد أحياء مدينة طوبى، قالت:«أعتقد أن هؤلاء الأولياء، يجلبون حقا الحظ السعيد، لما كنت صغيرة، كانت أمي تأخذني إلى هنا للزيارة، وفي كل أسبوع آتي إلى ضريح الشيخ أحمد بامبا حيث ألتقي العديد من النساء، ولو ابتعدت لمدة أطول، يأتي إلي في المنام، ويأمرني بزيارته». فالسيدة خديجة ليست الزائرة الوفية الوحيدة لضريح الشيخ أحمد، فقد التقى الباحث بشاب يُدعى محمد فال من دكار العاصمة، وهو طالب بكلية الحقوق بجامعة داكار، قال لي: بعد زيارتي الأسبوعية للشيخ، أشعر بالاطمئنان الداخلي الذي يساعدني في تدبير شؤون حياتي بشكل عادي جداً، ومع مرور الزمن أصبحت هذه الزيارات جزءاً أساسياً من نمط حياتي. كما التقى الباحث أثناء زيارته بامرأة في عقد الستين، تدعى حاجة مريم سيسي، قالت لي: دأبت على زيارة الشيخ أحمد بامبا منذ نعومة أظفاري لكي يتوسط لي لطلب المغفرة من الله، أنا أعرف أنه مجرد إنسان مثلنا، لكنه شريف. ثم قالت: وقد امتلأت عيناها بالأمل: «أدعوه لئلا يتزوج زوجي من جديد، وأن يحصل ابني على عمل طيب، وأن تجد ابنتي الكبرى ٣٥ سنة زوجاً صالحاً».وهكذا فإن طلب البركة من الأضرحة في غربي إفريقية لا يزال مستمراً، رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها الدعاة وطلبة العلم، حيث اعتاد عليها الناس منذ نعومة أظفارهم، ويجدون الدعم المادي والمعنوي من القوى الثقافية والاجتماعية والسياسية في الدولة؛ ولن يخرجنا من هذه العظائم إلا العودة الصحيحة والعاجلة إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد ﷺ.

(٢) انظر: التصوف والطرق الصوفية في السنغال، المرجع السابق (ص ٩٤ـ٩٥).

(٣) انظر: الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، العباس بين إبراهيم المراكشي،(٣/٢٧٠)، المطبعة الملكية، المغرب، ١٩٧٤م.

وهذه الكلمات كلها باطلة من الأساس، بل هي محض كذب وافتراء، وذلك لأن النجاة من النار، والفوز بالجنة يوم الحشر، إنما تتحقق بالإيمان الصادق، والعمل الصالح، واتباع الرسول ﷺ فيما أمر به أو نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧١.

جـ ـ الدعاية بأن زيارة الأضرحة تغني عن فريضة الحج:

يعتقد كثير من المسلمين وبخاصة أتباع الطريقة المريدية في غربي إفريقية، أن هذه الزيارة التي يقومون بها لضريح الشيخ أحمد بامبا وغيره من الأولياء والمشايخ، تُغنيهم عن أداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة، وذلك لأن بعض مشايخهم من علماء السوء، وأنصار البدع والخرافات، قد ملؤوا عقولهم، وشحنوا نفوسهم بمجموعة من الروايات الموضوعة الدالة على مشروعية هذا الاحتفال[1]، وشرحوا لأتباعهم فضائلها وثوابها، والخيرات التي يجنونها لدى قيامهم بتلك الزيارات المبتدعة، محاولين التسوية بين ما يقومون بها من الشعائر التعبدية حول ضريح أوليائهم، وبين ما يزاولها المسلمون أثناء أدائهم لفريضة الحج في المشاعر المقدسة، وحول بيت الله الحرام بمكة.

يقول الشيخ الحاج أحمد بابا التجاني داعياً أتباع الطريقة إلى شدِّ الرحال لزيارة إمامهم الشيخ إبراهيم انياس في مدينة الكولخ بالسنغال للدعاء وطلب الحوائج، ما نصه: «ليس هناك جناحٌ على المسافر إلى مدينة "الكولخ" للزيارة إلا الأجر والامتثال، ومن المعروف في هذا الزمان أنه لا توجد بقعة أو بلد يحتفل فيها الناس أفواجاً وجماعات مثل الحج وزيارة الرسول ﷺ، إلا في مدينة "الكولخ"، فترى الوفود متراكمين ومتحركين لله وفي الله، وهناك ليس إلا الصلاة والذكر والوعظ وقراءة القرآن ... إلى أن قال: وإن في السفر عشرة أوجه، إحداها: زيارة الشيوخ وهي أعظمها ... وذلك لما فيها من زيارة فيض الإمداد، واكتساب الأوصاف المحمودة، والتخلص من الأوصاف المذمومة، مع اقتباس العلم والحال، وفي ذلك من الخير ما لا يعلمه إلا الله»[2].

وقلما يخلو مزارٌ من هذه المزارات والمشاهد من بئر ماء يطلق عليه عادة "بئر زمزم" ويروون حوله من الخرافات والقصص ما يندى لها جبين المؤمن الموحِّد، مما يدفع بالجهلة من الناس إلى التزاحم والتسابق للحصول على قسط من ماء هذا البئر، إما للشرب أو الاغتسال منه، لقصد الاستشفاء وطلب البركة، كما سميت ساحاتها وكل تربة منها بالحرم، حتى فاقت حرمة الحرمين

---

(١) مثل الرواية التي ذكرناها قبل قليل في مشروعية شدِّ الرحال إلى قبور الأولياء والمشايخ.

(٢) توضيح الأدلة لمن يروم دليلا على طريق الصوفية، الحاج باب الواعظ،(ص ٩٨ــ٩٩)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ.

الشريفين[1]، بعد أن رفرف الأمن والأمان على قبابها، وأطمأن في رحابها المجرمون واللصوص، إذ لن يجرؤ أحد من الحكام أن ينتهك حرمة ضريح لاذ به مجرم، أو استنجد به هارب من العدالة، ليلقي القبض عليه مهما كان جرمه، ومهما بلغت جنايته، وذلك إكراماً للأولياء، وخشية من انتقامهم[2]؛ يقول بعضهم: «ومقتضى ديننا وسياستنا، احترام الأولياء، واحترام تربتهم حتى إن من هرب إلى تربة ولي، ولو كان عليه قصاص شرعي، لا نخرجه من التربة، بل نترصد خروجه بنفسه، احتراماً لذلك الولي، وتعظيماً لمن أطاع الله، فهي بمنزلة الجوامع في الاحترام[3]، واشتراك الناس في زيارتها والاحتماء بها»[4]. وإن كل من شهد مزاراً من أتباع الطرقيين وغيرهم، يُلقب باسم "الحاج"، وذلك أسوة لمن أدى فريضة الحج بمكة المكرمة، وذلك بناء على فتاوى المشايخ

(١) وهذا محض افتراء وكذب، لقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من يعتقدون أن ببيت المقدس حرماً مثل مكة والمدينة: «وليس ببيت المقدس مكان يسمى "حرماً"، ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع إلا ثلاثة أماكن فقط، وذكر حرم مكة، وهو باتفاق المسلمين، وحرم المدينة وهو حرم عند الجمهور من عير إلى ثور، والثالث: وادي "وج" وهو حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث الوارد في ذلك ولم يثبت. ثم قال: وأما ما سوى هذه الأماكن الثلاثة، فليس حرماً عند أحد من علماء المسلمين، فإن الحرم ما حرم الله تعالى صيده ونباته، ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجاً عن هذه الأماكن الثلاثة»، انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٧/١٥ـ١٦).

(٢) وينسجون في ذلك حكايات وقصص خرافية لمصائب وآفات ونحس ابتليت بها أناس من الحكام والمسؤولين الذين تجرؤوا على أولياء الله في إخراج بعض المنحرفين من اللصوص والمجرمين ـ كرهاً ـ من أضرحة الأولياء، وذلك لأن الله تعالى يغار عليهم حسب زعمهم. انظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المرجع السابق (٥/٩٣ـ٩٤).

(٣) بل هي أشد وأعظم، إذ ليس للجوامع عندنا هذه حرمة وتلك الهيبة الخيالية، اللهم إلا إذا احتوت على أضرحة الأولياء المزعومين كما هي الحال عند الصوفية.

(٤) بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، عبد الجليل التميمي، (ص ١٥٢)، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، ١٩٨٥م. قلت: ما أجرأ عباد القبور على الله تعالى، إذ كيف يبيحون لأنفسهم أن يجعلوا أضرحة أوليائهم تلك، بمنزلة المسجد الحرام الذي من دخله كان آمناً، ويسمونها حرماً، ومع أن أهل العلم قد اختلفوا فيمن وجب عليه القتل ثم لجأ إلى الحرم لائذاً به، فذهب إلى تأمينه جمهور التابعين، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد وكثير من العلماء،وقالوا: لا يقتل في الحرم،بل يضيق عليه ويعالج حتى يخرج منه، فإذا خرج أقيم عليه الحد.

وذهب الإمامان مالك والشافعي إلى أنه يستوفى منه الحد في الحرم. وليس من شأن الباحث هنا استعراض أدلة الفريقين في هذه المسألة، ولكن الذي يعنينا هو اختلاف أهل العلم فيمن ارتكب جناية خارج الحرم، ثم عاذ به، هل يقتص منه في الحرم أم لا؟ أما هؤلاء المتصوفة فقد اتفقوا على تأمين المعتصمين بالأضرحة، وألا يمسوهم بسوء حتى ولو كان جرمهم عظيماً، واستحقوا عليه القصاص والقتل، وإنما غاية ما عندهم التضييق عليهم حتى يبارحوا تلك الأضرحة، فيقيموا عليهم الحدود، بل إنهم في كثير من الأحيان يصفحون عنهم تعظيماً لصاحب الضريح، وتقرباً إليه؛ أو رهبة من انتقامه وبأسه. انظر الخلاف حول هذه المسألة: المغني، لابن قدامة المقدسي،(١٠/٢٣٠ـ ٢٣٣)، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، د.ت، وأحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي،(١/٣٧٣)، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

والأولياء بإسقاط فريضة الحج عن كل من يشدُّ الرحال إلى بعض تلك الأضرحة التي يعظمونها ويعبدونها من دون الله، لذا نجد كثيراً من أهالي غربي إفريقية وغيرهم يتوافدون فراداً وجماعات لزيارة تلك المقامات والمشاهد لغرض الحج وحصول البركة [1].

وهكذا استطاع مشايخ الطرق المختلفة في غربي إفريقية، وبواسطة هذه الحيل الشيطانية وغيرها، أن يخدعوا الجماهير الغفيرة من الناس، إلى شدِّ الرحال إلى تلك المشاهد الشركية، لأن الحج ـ في نظرهم ـ هو أكبر الأماني التي يتمناها كل مسلم ولو مرة في حياته، وأعظم قربة يتقرب بها المتصوفة إلى الأولياء والمشايخ، فيستعذبون مشقة الأسفار، ويقتحمون الأهوال والأخطار من أجلها، فيقدمون النذور والهدايا، ويتفرغون للدعاء والعبادة بجاه الأولياء، وذلك لاعتقادهم الباطل بأن شفاعة أصحاب تلك الأضرحة مستجابة ومقبولة.

وهكذا نجدهم في مدينة "الطوبى Touba" و"الكولخ Kaoulac" و"التواون Tiwawan" وغيرها بالسنغال حيث مقام أولياء ومشايخ التجانية والمريدية، والقادرية، وكذلك الحال بالنسبة لمالي لكل من تمبكتو، وجني، وغاو، وسيغو وغيرها حيث مراقد مشايخ القادرية والتجانية، وفي مدينة طوبا، وسغيلا، وكونغ، وبوندوكو، وأوديني بساحل العاج، حيث مراقد أولياء القادرية والتجانية، وفي مدينة "برين" وغيرها بغانا حيث مقام أولياء الفيضة التجانية، وكذا الحال في مدينة كانو، وبورنو، وغيرهما بنيجيريا حيث مراقد مشايخ القادرية والتجانية، وهكذا ... إلخ[2]، فقد تحولت جميع مساجدنا الكبيرة في غربي إفريقية من بيوت لله تعالى، إلى مقابر وأضرحة للأولياء والصالحين، تمارس فيها كل مظاهر الشرك بالله من طواف ودعاء واستغاثة وتقبيل للأعتاب وغيرها، سبحان الله ... البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، قد تحولت لغير الله، وفقدت الصلاة فيها قدسيتها وجلالها[3].

وهكذا فقد طغت الأضرحة والقبور والمشاهد على حياة الناس في غربي إفريقية، وأصبحت مهيمنة على شؤونهم كلها، وشغلت تفكيرهم، وتبوأت في نفوسهم وقلوبهم أعلى مكانة، وتدور رحى تلك الهيمنة على الغلو والشرك بالأموات، والتعلق بهم من دون الله،

---

(١) انظر: الفرق الإسلامية الكبرى في نيجيريا، (ص ٢٤١)، رسالة الماجستير غير منشورة لمحي الدين مديلي، من جامعة أم القرى، سنة (١٤١٤هـ).

(٢) حيث توجد هناك مراقد للأولياء والمشايخ الصوفية في كل من : غينيا، وغامبيا، وتوجو، وبنين، والنيجر، بوركينا فاسو، وموريتانيا وفي كل منطقة من مناطق غربي إفريقية، حيث يفد إليها الناس للصلاة،والدعاء، والاستغاثة وطلب الحوائج.

(٣) انظر: الصوفية الوجه الآخر، المرجع السابق (ص ٩٥).

فلا يقصدون من أمورهم صغيرة ولا كبيرة إلا بعد العودة إلى تلك الأضـــرحة،ودعاء أصـــحابها واستشارتهم، وهم ــ كما تقدم ــ لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فضلاً عن غيرهـــم مـــن الناس. وللأسف الشديد، فإن علماء السوء[1] هم الذين يتقدمون العامة، ويسنون لهم تلك السنن السيئة في تعظيم القبور والمقامات، وشدِّ الرحال إليها، ويحيطون أنفسهم بحالة من الهيبة والقداسة، كل ذلك لإقناع البسطاء بما يقومون بها من حيل وخداع.

ويقوم العلماء والدعاة وطلبة العلم من شباب أهل السنة والجماعة، بجهود مؤسسية مباركة لبيان شناعة مثل هذه الأعمال الشركية، ومدى خطورتها على العقيدة الإسلامية، وحكم الإسلام فيمن يمارسها، مستندين في ذلك على ما ورد في صريح الكتاب والسنة، وأن أعظم وأخطر وأعتى ذنب يُعصي الله تعالى به على وجه الأرض، هو الإشراك به، وقد حرم الله تعالى الجنة على مـــن أشرك به، كما في قولـــه:﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[٢]، وقوله سبحانه:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾[٣]، ويذكِّرونهم كذلك بما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن الشرك وما يفضي إليه، كما في حديث ابن عباس وعائشة (رضـــي الله عنهما)، قالا: لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كـــشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤]، يحذر ما صنعوا [٥].

قال الإمام النووي رحمه الله: «معناه: قاتلهم الله وأهلكهم أي اليهود والنصارى. قـــال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً، خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية»[٦].

---

(1) وهم الذين يلوون أعناق النصوص الثابتة من الكتاب والسنة إلى ما يتفق مع هواهم وأغراضهم الخسيسة.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٦.

(٤) صحيح البخاري (٤٤٦/١)، رقم (٤١٧٩)؛ وصحيح مسلم (١٦/٥)، (١١٨٦).

(٥) هذا هو حكم الإسلام،وهو حكم صريح لا يحتمل التأويل،ولا لبس فيه ولا غموض،في اتخاذ قبور الأولياء والصالحين مساجد شرك بالله تعالى، وبدعة لم يعهدها المسلمون في القرون الأولى،وإنما جاءت إلينا في القرن الرابع الهجري على عهد الفاطميين، الذين أدخلوا على الإسلام كثيراً من البدع والخرافات التي أضرت وأضلت المسلمين. انظر: الصوفية الوجه الآخر، المرجـــع السابق (ص ٩٤).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/٥)، رقم (١١٤٥).

إلا أنه قلما تجد دعوتهم آذاناً صاغية بسبب الأمية الدينية، ولأن الناس اعتادوا عليها حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم الدينية والعقدية التي لا تقبل المناقشة، بل ويرى بعضهم أن إيمان المسلم لا يكمُل، وأن السعادة لا تتحقق له في هذه الدنيا، إلا من خلال الزيارة الدورية لتلك الأضرحة المنتشرة على طول المنطقة وعرضها كما بيَّنا.

ولكن هذا لا يمنعنا من بيان حكم الإسلام في زيارة القبور، سواء أكان قبر من يعتقد أنه ولي أو غيره. فالنبي ﷺ كان قد نهى عن زيارة القبور في أول الأمر وذلك سداً للذرائع، ولكن عندما تمكن الإيمان والتوحيد من نفوس الناس، أذن لهم بزيارتها على الوجه الذي شرعه الإسلام، وذلك للاعتبار والاتعاظ، والدعاء والاستغفار، وطلب الرحمة والعافية للميِّتين، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه بريدة عن أبيه: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**»[1].

أما من زارها أو شدَّ الرحال إليها على خلاف هذا الوجه المشروع، فإن زيارته غير مأذون فيها وغير مشروع[2]، لقول النبي ﷺ: «**لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[3].

وهذا يعني أن الرحال لا تشد لبقعة أو مكان من الأمكنة لقصد طاعة الله تعالى أو تقرباً إليه، إلا لهذه المساجد الثلاثة المذكورة، وذلك لما لها من مزية وفضل على سائر المساجد، أما السفر العادي لغرض التجارة أو الزيارة للأهل والأقارب أو السياحة أو نحوها، فهذا لا يدخل ضمن معاني هذا الحديث لأنها من المباحات التي تبقى على أصلها المعتاد[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من سافر إلى المسجد الحرام، أو المسجد الأقصى، أو مسجد الرسول ﷺ، فصلى في مسجده، وصلى في مسجد قباء، و زار القبور كما مضت به سنة رسول الله ﷺ، فهذا هو الذي عمل العمل الصالح. ومن أنكر هذا السفر فهو كافر يستتاب، ومن قصد السفر لمجرد زيارة القبر، و لم يقصد الصلاة في مسجد، وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ﷺ، ولا سلم عليه في الصلاة، بل أتى للقبر فقط ثم رجع، فهذا مبتدع ضال مخالف لسنة رسول الله ﷺ، ولإجماع أصحابه ولعلماء أمته»[5].

---

(١) صحيح مسلم (٧/٥٠)، رقم (٢٢٥٧).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان ... ، المرجع السابق (١/٢٠٠ــ٢٠١).

(٣) صحيح مسلم (٩/١٦٩)، رقم (٣٣٧٠).

(٤) انظر: صحيح المقال في مسألة شد الرحال، عبد العزيز الربيعان،(ص٧٠ــ٧١)، وفي ذيله: رسالة البحث الأمين في حديث الأربعين، ١٣٩٩هــ.

(٥) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٧/٣٤٢ــ٣٤٣).

وهكذا يتبين لك الفرق بين الزيارة المشروعة وغير المشروعة، فمن قصد قبر بعض الأنبياء والصالحين، أو من يسمون بالأولياء عند بعض الناس[1]، لقصد الصلاة أو الدعاء عنده، أو لطلب الحوائج منه، أوالاستغاثة به، والطواف حول قبره وتقبيله واستلامه، أو تعفير الخدود عليه، وأخذ ترابه للتبرك، وسؤال المقبورين النصر والرزق والولد، وقضاء الدين، وتفريج الهموم والكربات، ونحو ذلك من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، بل قد نهى عن ذلك كبار أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً[2].

وقد نتج عن تقديس الأضرحة، وشدّ الرحال إليها في غربي إفريقية آثار سيئة جداً على توحيدي الربوبية والألوهية في تلك المجتمعات الإسلامية، حيث انتشر الشرك الأكبر والأصغر بشتى أنواعه وصوره، فقد اعتقد الناس أن الأولياء والمشايخ يعلمون الغيب،ويستشرفون ما يستقبل من الأقدار، وأن لهم التأثير في الكون بالإحياء والإماتة والرزق والنفع والضر ... إلخ، كما يعتقدون أيضاً القدرة لأصحاب الأضرحة على قضاء الحوائج، وتفريج الهموم والكربات، وتحقيق الأمنيات، وحصول سعادة الدنيا والآخرة بدعائهم والاستغاثة بهم. الأمر الذي دفع الناس — وبخاصة ضعاف النفوس — إلى التوجه إليهم بأنواع العبادات والقربات والنذور التي لا تجوز صرفها إلا لله تعالى وحده، وبذلوا لهم كل أنواع التعظيم والتقديس كما كانوا يفعلونه مع الله عز وجل.

وهكذا فقد أحدث هؤلاء الغلاة من انحرافات ومخالفات شرعية، أضرت بأنفسهم أولاً، ثم بمجتمعهم ثانياً، وقد حذر قائد الأمة ﷺ أمته أشد الحذر من اتباع الهوى والمحدثات التي قد تؤدي بصاحبه إلى الكفر والإلحاد؛ وليس هناك من سبيل للخروج من هذه الشركيات والعظائم التي تروِّج لها الصوفية، إلا بالإيمان الصادق، والعودة الصحيحة إلى كتاب الله تعالى، وهدي محمد ﷺ، واقتفاء آثار سلفنا الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ولن يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها.

هذه هي أهم الانحرافات العقدية الظاهرة في المجتمع الإسلامي بغربي إفريقية. ولكن يا تُرى مالآثار السيئة التي ترتبت على تلكم الانحرافات العقدية، وكان سبباً مباشراً في انحصار العقيدة الإسلامية، وانهيار القيم والمبادئ الدينية والاجتماعية في المنطقة؟ هذا ما سيوضحه الباحث في المبحث التالي.

---

(١) كما هي الحال بالنسبة لأصحاب الأضرحة في كثير من الأماكن في غربي إفريقية.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٤/٣٢٦).

المبحث الرابع

الآثار المترتبة على مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية

إن المتأمل في الانحرافات العقدية التي تقدم الحديث عنها آنفاً، ليجزم بأنه لا بد وأن تتمخض تلك الانحرافات المختلفة عن آثار سلبية وخطيرة تؤثر على حياة الأمة الإسلامية في غربي إفريقية، ويرى بوضوح أن ما أصابها من ضعف وهوان وتراجع حضاري في شتى نواحي الحياة، وما تعرضت له بلدانها ومناطقها المختلفة من سيطرة استعمارية، ومن احتلال سياسي، وغزو فكري، وثقافي، واجتماعي، واقتصادي؛ ومن نشاط تنصيري مستمر، لهو نتيجة طبيعية لما آلت إليه أحوال المسلمين العقدية؛ من تخلف واضطراب وهبوط ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: « والمعنى: أن ذلك العقاب بسبب أن عادة الله في عباده، عدم تغيير نعمه التي ينعم بها عليهم (**حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ**)، من الأحوال والأخلاق، بكفران نعم الله، وغمط إحسانه، وإهمال أوامره ونواهيه، وذلك كما كان من آل فرعون ومن قبلهم ومن قريش، ومن يماثلهم من المشركين، فإن الله تعالى فتح لهم أبواب النعم والخيرات في الدنيا، ومنَّ عليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فقابلوا هذه النعم بالكفر والعناد، فاستحقوا تغيير النعم، كما غيروا ما كان يجب عليهم سلوكه والعمل به من شكرها وقبولها ...»[2].

ومن آثار تلكم الانحرافات العقدية المدمرة، سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية أو غيرها في غربي إفريقية، ما سيعرضه الباحث في المطالب التالية.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/٤٦٣).

المطلب الأول

الضعف السياسي للمسلمين

لم تشهد الأمة الإسلامية في غربي إفريقية ضعفاً سياسياً كالذي شهدته إبان تفكك الدول والممالك الإسلامية التي حكمت المنطقة لقرون، الأمر الذي حمل بعض الكتّاب الغربيين إلى الزعم بأن غربي إفريقية، لم تعرف حضارة وثقافة إلا بعد مجيء الاستعمار الأوروبي، الذي أخرج هؤلاء الأفارقة من ظلمة الجهل والتخلف والأمية والفقر، إلى نور العلم والحضارة والتقدم والنماء[1]، وهذا الكلام قد يُوافق ما كانت عليه هذه الدول والممالك الإسلامية ـــ في مراحلها الأخيرة ـــ من ضعف وتفكك واندلاع للثورات في كثير من أجزائها، بدءاً من مملكة غانا التي أصابها الضعف والانحلال بسبب الانحرافات العقدية التي كانت تهيمن على حياة ملوكها ورعاياها من الوثنيين واللادنيين، مما أدى إلى تدهور حالتها السياسية، وأصبحت تخسر مناطق نفوذها مدينة تلو أخرى، حتى سقطت في النهاية على أيدي قبائل الصوصو سنة (١٢٤٠م)، لتستولي عليها مالي التي كانت تابعة لغانا، لتصبح بعد ذلك مملكة مالي الإسلامية[2].

وفي القرن السادس عشر الميلادي، وبعد موت سلطان مالي "منسا موسى"، بدأت الدولة تضعف، بل وتزداد ضعفاً يوماً بعد يوم، نتيجة انتشار الانحرافات العقدية، مما فتح الباب ـــ في النهاية ـــ للدول والإمارات التي كانت خاضعة للمملكة بالاستقلال الذاتي من طرف واحد، مع ضم أجزاء كبيرة من أملاك مالي المتداعية إلى دولتهم.

كما تعرضت مالي لغارات سنغي وكانم، واستطاعت قوات سنغي الصاعدة التي كانت تقود أخطر الهجمات، أن تستولي على جميع أراضيها، وتقيم على أنقاضها مملكة أخرى باسم مملكة سنغي الإسلامية، وذلك في النصف الثاني من القرن (١٠هـ/١٦م)[3].

ثم ما لبثت مملكة سنغي أن أصابها مثل ما أصاب مالي، من ضياع وتفكك وانحراف عقدي خطير. إذ بعد موت سلطان "آسكيا محمد" الذي كان يضرب به المثل في العدل والورع

(١) انظر: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٥٥).

(٢) انظر: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية، د. مهدي رزق الله أحمد،(ص ٢٢١ــ٢٢٣)، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المرجع السابق (٦/٢٤٦)، وحركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية،المرجع السابق (ص ٢٢١).

والزهد والاستقامة والصلاح، خلفه على كرسي الحكم جيل من الأمراء الذين كان ينقصهم هذا الإخلاص، وهذه الرغبة في الجهاد والعمل الصالح، بل كانوا يميلون إلى الدِّعــة، والإغــراق في الترف، والصراعات الداخلية على الحكم، والمؤامرات ضد بعضهم بعضاً[١]، وقد تطورت هــذه النزاعات إلى عدوان متبادل، واشتباك مسلح بين أفراد الأسرة المالكة، غير واعين بحركة العالم من حولهم، ولم يستيقظوا من سباتهم العميق، إلا على أصوات أقدام المغاربة يغزوهم في عقر دارهم، بقيادة زعيمهم منصور سلطان مراكش[٢].

إلا أن المغاربة في النهاية عجزوا عن بسط سيطرتهم السياسية على كافة أرجاء المملكــة، فبمجرد تفكك جيش سنغي، تقطعت أوصال المملكة، واضطربت الأوضاع السياسية والأمنية، وأصبحت المملكة تعيش في حالة من الضعف والشتات والتخلــف، أدى إلى ســقوطها ســنة (١١٩٤هـــ/١٧٨٠م) لتصبح أثراً بعد عين. وقد أتاحت ذلك كله الفرصة الــسانحة للقــوى الاستعمارية المختلفة الذين كانوا متمركزين على شواطئ الأطلسي يتحينون الوقت المناســب، للانقضاض على أملاك هذه الممالك المتمزقة بحجة الحفاظ على الأمن، والدفاع عن الأقليات غير مسلمة، وليمدوا نفوذهم في تلك الأرجاء[٣]. وقد تم لهم ذلك على مدن المملكة واحدة تلــو أخرى دون مقاومة كبيرة تذكر[٤]. إذ كان الواقع السياسي الذي أفرزتــه تلــك الانحرافــات

---

(١) وقد دفعت الأمة ثمن هذا الانحراف غالياً، دفعته أولاً تخلفاً عقدياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً مريعاً، ودفعته ثانياً يــوم تلقفها الأعداء يقودونها بعيداً عن الإسلام وقيمه العليا. انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب،(ص ٢٥١)، مؤســسة المدينــة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

(٢) ولا بد أن نشير هنا إلى ضعف الجهود التي بذلتها مملكة سنغي الإسلامية في هذه المرحلة في مقاومة الأعداء المتربصين بهــا، وإلى عدم وعي القائمين بتلك الجهود بمدى حجم التآمر الداخلي والخارجي ضدها، بالإضافة إلى عشوائية تلــك الجهــود وعدم تنظيمها، وانطلاقها في أكثر الأحيان من عواطف مندفعة أكثر من اعتمادها على عقيدة راسخة، ومقاومة مدروسة، وإستراتيجية منظمة. فهل كان لمثل هذه الجهود التي تفتقر إلى التخطيط والتنظيم والوعي، وفوق ذلك كلــه إلى العقيــدة الراسخة أن تقف في وجه ذلك الطوفان الاستعماري العاتي الذي أطبق عليهم الأرض بما رحبت؟! انظر: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية،د.حسن إبراهيم حسن،(ص ١١٢)،ط٣،مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٤م، والإسلام والثقافــة العربيــة في إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٥٠)، وحركة التجارة والإسلام والتعليم الإســلامي في غــربي إفريقيــة،المرجع الــسابق (ص ٢٣٦ــ٢٣٧)، وواقعنا المعاصر، المرجع السابق (ص ٨٦).

(٣) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي،المرجع السابق (٢٤٨/٦).

(٤) ذلك لأن حجم الانحرافات العقدية وثقلها، كان أكبر بكثير من الجهود التي بذلت في سبيل الإبقاء على ذلــك الكيــان المتداعي للمملكة، خصوصاً وقد كان كثير من تلك الجهود المبذولة مشوباً ببعض الانحرافات، ومتأثراً بها أيما تأثر. انظــر: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٢٢٢).

العقدية، سبباً جوهرياً في إلحاق الهزائم المتكررة بالمسلمين، وإضعاف شوكتهم[1]، لأنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار قول الله تعالى:﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[3]، وإنما أضحى كل جزء يسعى إلى الاستقلال بنفسه على حساب الجزء الآخر، وأصبح كل واحد من الأمراء لا يفكر إلا في مصلحته الخاصة، مع الركون إلى ملذات الدنيا وشهوات النفس، وإهمال مصالح الأمة، فتفشت مظاهر الشرك، وانتشرت البدع والخرافات في حياة المسلمين، وشغلت أوقاتهم بإحياء الموالد، وهيمنت الأضرحة والقبور على حياتهم، وتفاخروا بها، وتعلقوا بالكرامات والخوارق عن الأخذ بالأسباب والجهاد في سبيل الله، فانتابهم ذلك الضعف السياسي الرهيب، وغشيهم ذلك الانحطاط العقدي الخطير، فكانوا لقمة سائغة أمام مختلف القوى الاستعمارية الكافرة [4]، لقد «ظلت القوى الاستعمارية الغاشمة تتآمر على الممالك الإسلامية في غربي إفريقية حتى قضت عليها في النهاية وأسقطتها، وفتتتها إلى دويلات صغيرة هزيلة ضعيفة، تتصارع فيما بينها، وتتشاحن بما يحقق مصالح الأعداء دائماً، ويحقق لهم السيطرة على مقدرات المسلمين»[5].

وهكذا تمكنت القوى الاستعمارية الأوروبية من وضع يدها على كافة ممالك السودان الغربي، وشرعت في تنفيذ خططها الاستعمارية المتمثلة في محاولة تغيير بناء المجتمع المسلم، بجميع مؤسساته الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، إلى تابع للمؤسسات الأوروبية الوافدة، ليتحول بذلك مجرى تاريخ المنطقة كلياً حسب الخطة الاستراتيجية المعدَّة لذلك مسبقاً إلى وجهة مضادة، تمثلت في:

---

(١) وكانت النتيجة لهذا الضعف هي وقوع الكثير من الدول الإفريقية إن لم نقل كلها في براثن القوى الاستعمارية البغيضة، فأصبحوا يتحكمون في مقدراتها،ويرسمون سياساتها، ويخططون لها ويوجهون قادتها بما يضمن مصالحهم عن طريق الخداع بما يسمى: تقديم الاستشارة أو الإفادة من الخبرات، أو عن طريق استسلام القادة وخنوعهم لأولئك الأعداء، بل وإعجابهم بهم، وسيرهم في ركابهم، والنظر إليهم بإكبار وإجلال، وهذا في حد ذاته مظهر من مظاهر الانهزام السياسي المريع. انظر: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبد الله بن حمد الشبانة، (ص ١٠٠ــ١٠١)، دار طيبة، ١٩٨٩م.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠. وقد دفعت الأمة الإسلامية في غربي إفريقية، الثمن باهظاً حيال تفريطها في إعداد القوة، وبذل الأسباب المادية اللازمة. انظر: حاضر العالم الإسلامي، وثروب ستوارد، ترجمة: عجاج نويهض، وتعليق: شكيب أرسلان،(ص ٢٣٩)، ط٤، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٣٧٣م.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان،(ص ٦٢٦)، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

(٥) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب،(ص ١٨٣ــ١٨٤)، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، د.ت.

١ ــ تمزيق أوصال غربي إفريقية ــ التي كانت تمثل قوة إسلامية كبرى، وتجد لها صدى في مسلمي شمال إفريقية والجزيرة العربية ــ إلى دويلات صغيرة هزيلة مع وضع حدود مصطنعة بينها، ليسهل السيطرة عليها سياسياً، ووضعها تحت سلطان الاحتلال الأوروبي، فانقسم بذلك المسلمون أشتاتاً بعد أن كانوا مجتمعين تحت كيان مملكة إسلامية واحدة.

وقد أدت هذه التجزئة لمناطق غربي إفريقية ــ بعد رحيل المستعمرين ــ إلى وجود مشاكل حدودية معقدة بين دول الجوار(١)، كما هي الحال بين مالي وبعض جيرانه، مثل: السنغال، وبوركينا فاسو، والنيجر، وكذلك الحال بين ساحل العاج وليبيريا وغانا، وبين السنغال وموريتانيا، وغامبيا، وبين نيجيريا وبنين وتوجو؛ وهكذا حتى ليغلب على الظن أنه لا توجد دولتان متجاورتان في غربي إفريقية، إلا والخلاف على الحدود قائم بينهما، والغريب أن كثيراً من تلك الحدود لم تسوَ ولم ترسم بصورة نهائية في كثير من المناطق حتى اليوم. وفي هذا مدعاة لدخول أطراف أخرى لتفجير النزاع في أية لحظة، لتكسب هذه الأطراف نتيجة النزاع لصالحها. وأما الحدود التي ــ يُعتقد أنها ــ قد سويت(٢)، فإن النزاع لا يزال قائماً من أجلها، لأن كلا الطرفين غير راضٍ بهذه التسوية، والواقع المعاصر خير دليل على ذلك.

٢ ــ تغيير لغة التعامل الإداري من العربية إلى اللغة الفرنسية أو الانجليزية أو غيرهما، وإلى طمس جميع معالم الإسلام،وسلخ المسلمين من هويتهم الإسلامية،وتنحية الشريعة الإسلامية(٣)

---

(١) نشبت بسببها حروب دامية بين مختلف دول الجوار في المنطقة، كما حصل في سبعينيات القرن الماضي بين مالي وجارتها بوركينا فاسو والتي كانت تسمى حينها بـ "فولتا العليا"، وبين السنغال وجارتها موريتانيا ...، وقد هدأت الحروب، ولكن مسألة ترسيم الحدود لم تحسم حتى الآن، فهي قنبلة موقوتة تملك فتيلة تفجيرها تلك الدول الامبريالية متى وكيف وحيثما شاءت ... والله المستعان.

(٢) وذلك من الناحية الصورية فقط.

(٣) وكان من وراء تنحيتهم للشريعة الإسلامية عن الحكم مآرب عدة،إذ كانوا يريدون أن تعمل حركة التنصير في غربي إفريقية،وهي آمنة مطمئنة،لتفتن من تستطيع فتنته عن دينه،ولن تجد هذه الحركة مجالاً لذلك لو بقيت الشريعة الإسلامية قائمة،وتنفذ حدَّ الردة على المتنصر الذي ارتد عن الإسلام. وكانوا يريدون أن تشيع الفاحشة في المجتمع الإسلامي في غربي إفريقية، لتنحل أخلاق المسلم،فيفعل ما يشاء من المعاصي والمنكرات،ولم يكونوا ليستطيعوا أن يفتحوا بيوتاً رسمية للدعارة والبغاء،ولا أن يفتحوا الحانات لمعاقرة الخمور علانية ليلاً ونهاراً،ولا أن يفتحوا المراقص والنوادي الليلية للساقطات اللواتي أطلق عليهن اسم "الفنانات"،لتلهية الناس عن دنياهم وآخرتهم،باسم الحضارة والفن والديمقراطية والحرية الشخصية، ولم يتمكنوا أن يفعلوا ذلك كله، لو كانت الشريعة الإسلامية قائمة ... وهكذا. انظر: حول تطبيق الشريعة الإسلامية، محمد قطب،(ص ٦٤ــ٦٥)، مكتبة السنة، ١٩٩١م.

مع طرد العلماء من المحاكم، لتحل محلها النظم والقوانين الوضعية الغربية[1]، وإلغاء التقويم الهجري، وجعل العطل الرسمية لكافة دول المنطقة يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة، واستبدال الحروف العربية بالأحرف اللاتينية.

٣ ـــ إغلاق الجامعات والمعاهد الإسلامية، وإحراق المكتبات التي تحتوي على كنوز من مؤلفات علماء وفقهاء غربي إفريقية في شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى قتل بعض هؤلاء العلماء، وتشريد بعضهم أونفيِّهم، ممن أبوا الانضواء تحت لوائهم، مع وضع قوانين صارمة للحدِّ من انتشار عقيدة الإسلام، وللحيلولة دون تقدم الثقافة العربية والإسلامية وتطورها.

٤ ـــ السعي إلى تمكين الإرساليات التنصيرية التي بدأت أمواجها تتدفق إلى المنطقة، سعياً لتنفيذ الأهداف المشتركة المتمثلة في محو الثقافة الإسلامية من ذاكرة الأفارقة، واستبدالها بالثقافة النصرانية [2]. كما تسارعت بعض المؤسسات التنصيرية في شكل جمعيات تقدم خدمات إنسانية، وتبني المدارس والكنائس والمستشفيات في المدن والقرى والأرياف. و لم تجد هذه المؤسسات التنصيرية أية صعوبة في إحكام السيطرة الثقافية والدينية على الأقاليم الجنوبية من المنطقة، بسبب انتشار الوثنية فيها، وبالتالي لم تكن ثمة ما يمنع سكان هذه المناطق من قبول خرافات النصارى كحقائق ثابتة.

---

(١) لقد كانت الشريعة الإسلامية الهدف الأول الذي صوبت إليه سهام القوى الاستعمارية ـــ عن طريق الغزو الفكري ـــ وقد نجحت تلك الحملات في تنحية الشريعة الإسلامية،إذ لم تأت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلا وقد أبعدت الشريعة الإسلامية تماماً من كافة مناطق غربي إفريقية،واستبدلت بالمبادئ والقوانين الوضعية الأوروبية،لتصبح حياة الناس ومعاملاقم وكافة شؤونهم تدور في فلك التشريعات الوضعية،وتحتكم إلى قوانينها ولوائحها. كما لم تكتف حملاقم عن السخرية بأحكام الشريعة الإسلامية،والاستهزاء بمبادئها، فهاجموا الحدود في الشريعة الإسلامية،واعتبروا تنفيذها همجية ووحشية.وهاجموا الحجاب واعتبروه تخلفاً ورجعية.وهاجموا قعود المرأة في بيتها واعتبروه كبتاً وحرماناً، وتعطيلاً لنصف المجتمع.وهاجموا تعدد الزوجات، وعدوه امتهاناً لكرامة المرأة،وإطلاقاً لشهوانية الرجل على حسابها.وهاجموا قوامة الرجل واعتبروه تحدياً صارخاً على الحريات، وما ينادون إليه من مساواة.وهاجموا أحكام الميراث وقالوا عنها إنها غير عادلة.وهاجموا تحريم الربا،وعدوه عائقاً في سبيل نمو الاقتصاد العالمي وعدواً له،بل ومخالفاً لنظمه وقوانينه،وهكذا لم يكد يسلم أي حكم من ذلك الهجوم الذي يؤدي إلى تنفير الناس من تلك الأحكام الإسلامية،ومعارضتها دائماً،والوقوف في وجه كل من يدعو إليها،أو يحاول إظهار محاسنها على أنها أحكام إلهية ربانية. وما كان كل هذا ليحصل لولا ذلك الانحراف العقدي الذي كانت تمر به الأمة الإسلامية، وما كانت تعيشه من تخلف وانحطاط. انظر:حول تطبيق الشريعة الإسلامية، المرجع السابق (ص ١٠٢)، وواقعنا المعاصر، المرجع السابق (ص ٣٤٣).

(٢) انظر: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، المرجع السابق (ص ١٨٣).

أما الأقاليم الشمالية المسلمة والمتمسكة بالثقافة العربية والإسلامية منذ قرون، فقد كان من الطبيعي أن يختلف الوضع هناك، لذا فقد عمد المستعمرون وحلفاؤهم إلى دراسة أحسن الوسائل لغزو هذه المناطق فكرياً وثقافياً، بعد إدراكهم أثناء غزوهم العسكري ومقاومة المسلمين الشرسة، أن هذه المهمة الثانية لن تكون أسهل من سابقتها[1].

وبعد تبادل وجهات نظر الساسة حول الأمر، اتفقوا على وضع استراتيجية محكمة، تقضي بالاستعانة مع الوثنيين على ضرب مصالح المسلمين[2]، ومعرفة خفاياهم ونقاط ضعفهم، و العمل على تشكيك وزعزعة عقيدة المسلمين، بادعاء تعارض تعاليم الإسلام وعادات وتقاليد الأفارقة الموروثة، مع مراقبة تحركات الدعاة والأئمة، وتصنيفهم إلى فئات يحدد من خلاله نوعية العلاقة التي تقوم بينها، وبين مختلف إداراتها وأجهزتها الاستعمارية في المنطقة[3]؛ والحد من بناء المساجد الجديدة[4]، والعمل على إبعاد جميع الكتب العربية والإسلامية من الساحة الإفريقية[5]، واستبدالها بالكتب النصرانية التي يتم ترجمة بعضها إلى أهم اللغات الدائرة في المنطقة[6]، يقول في

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية،عمر فروخ،ومصطفى الخالدي، (ص ١٤٤)،بيروت، ١٣٩٠هـ.

(٢) لقد حرص الاستعمار الأوروبي في غربي إفريقية على عقد تحالفات مع زعماء الوثنيين ضد المسلمين ومصالحهم في المنطقة، فقربهم وأعلى شأنهم، ومنحهم فرص التعليم والتثقيف، كي يتمكنوا ــ فيما بعد ــ من تولي المناصب الهامة التي يرعون من خلالها مصالحه بعد رحيله، وتضييق الخناق على المسلمين ــ وهم الأغلبية ــ وسد جميع أبواب الرقي والحضارة الحقيقية في وجوههم، مما كان سبباً في أن تتجاوز نسبة الوثنيين والنصارى في الوظائف الحكومية، وفي الوظائف المتصلة بالأعمال المالية، والحسابية، والطب، والهندسة، والعلوم، وفي المؤسسات العسكرية والمدنية العليا في غربي إفريقية، نسبتهم العددية في السكان بقدر كبير، لكونهم أقلية صغيرة بالنسبة للمسلمين. انظر: العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي،(ص ٥٤)، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ، والإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر (ص ٢٩٨)، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م؛ و الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين،(١/١٢٧)، بيروت، د.ت.

(٣) وقد تم من خلال هذه السياسة الماكرة استغلال مشايخ الصوفية المختلفة، لضرب الصحوة الإسلامية التي كانت تقاوم القوى الاستعمارية الغاشمة في المنطقة.

(٤) انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ٨٤ــ٨٦).

(٥) ما عدا الكتب التي تحتوي على أذكار وأدعية وصلوات الصوفية المبتدعة.انظر: الإسلام والمسلمون في السنغال (ص ٨٦).

(٦) مثل الهوسا، وماندنغو، وديولا، والفلاتا، والأشانتي، والصوصو، والبمباره ونحوها. ولم يأتِ سنة (١٩٢٥م)، إلا وكان الإنجيل وبعض الكتب التنصيرية الهامة، قد تُرجمت إلى أكثر من ثمانين لغة محلية، وبحروف لاتينية، ليتمكنوا بذلك من خداع الأفارقة على أن الديانة النصرانية هي التي تتناسب مع طبيعتهم وموروثهم الشعبي. انظر: نيجيريا عملاق إفريقيا التائه، د. سامي منصور،(ص ٧١ــ٧٢)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، تاريخ غانا الحديث، زاهر رياض،(ص ١٢١)، دار المعرفة، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ذلك الحاكم الفرنسي العام "وليام بونتي" سنة (١٩١١م)، ما نصه: «إن أي كتب أو نشرة تمثل شكلاً معادياً لثقافتنا وعقيدتنا النصرانية، أو تكون مشجعة لنشاط الدعاة المسلمين، يجب تحطيمها وإحراقها فوراً، إذ لا ينبني دورنا ـــ بطبيعة الحال ـــ على تشجيع نمو العقيدة المحمدية، ولا على مساعدة الجاليات الإسلامية، وإنما العكس هو المطلوب، إذ لا ينبغي أن يطلع مسلمو غربي إفريقية على ما يجري في شمال إفريقية والجزيرة العربية، حتى لا تصل إليهم عدوى الأفكار الهدامة من النهضة الإسلامية[1]، كما نريد أن نبعد التشجيع على استخدام اللغة العربية»[2].

وهكذا بقيت الدول الاستعمارية في غربي إفريقية، تحمل لواء التنصير وتحمي حماه[3]، حتى تسليمه زمام الأمور لتلامذتها من أبناء المنطقة، الذين تربوا على مائدتها عن طريق تلك المدارس التنصيرية المنتشرة على طول غربي إفريقية وعرضها. وقد قام هؤلاء الحكام الدُّمى بدورهم على تنفيذ مخططات أساتذتهم من المستعمرين والمنصِّرين خير قيام ولا يزالون[4]، «وفي معظم دول غربي إفريقية، خرج الاستعمار مخلفاً وراءه حكومات نصرانية، تحكم شعوباً تصل نسبة الإسلام في بعضها إلى ٩٩%، وتتصف بالتبعية السياسية في مجال الحكم والاقتصاد والفكر والثقافة وغيرها، وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة على الإطلاق ...»[5].

---

(١) على حدِّ زعمه الباطل.

(٢) التعليم الإسلامي في السنغال، د. محمد أحمد لوح،(ص ٤٢)، مطبوع بالحاسب الآلي، وانظر: مشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية الأهلية بالسنغال، شيخ صعب،(ص ٢٦)، رسالة دكتوراه، غير منشورة، لجامعة إفريقية العالمية بالخرطوم، السودان، ١٤٢١هـ.

(٣) مما يدل على أنه ليست ثمة فرق بين الاستعمار والتنصير، بل إن التنصير جهاز من أجهزة الاستعمار، يعمل بوجه خاص على تنفيذ مخططات الاستعمار حيث لا تفيد القوة العسكرية، وعلى ضمان استمرار هيمنة الاستعمار ومصالحه فيما لو قدر لتلك البلاد المستعمرة أن تحصل على استقلالها الصوري يوما ما. ولهذا فما يقوم به المنصِّر في الظاهر من الأنشطة الدينية وغيرها، إنما هو في الواقع من باب التمويه على الناس، إذ الهدف الأساس من هذا كله هو تهيئة الجو المناسب أمام المستعمر ليحقق أهدافه بيسر وسهولة. وبالتالي فلا غرو أن نجد الاستعمار والإرساليات التنصيرية يعملان جنباً إلى جنب في غربي إفريقية، حتى إن المسلم العادي، لا يكاد يفرق بين موظفي الدولة،وبين الأساقفة المنصِّرين، وذلك لما بينهم من انسجام وتفاهم. المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، المرجع السابق (ص ٩٧ــ٩٩).

(٤) ذلك لأن الاستعمار الأوروبي لم يخرج إيماناً منه بأن شعوب غربي إفريقية غدت قادرة على قيادة نفسها،أو أن لها حق تقرير مصيرها كما يحلو لبعضهم أن يقول، كلا ولكنه ما خرج إلا بعد أن خلف وراءه طابوراً أميناً من النخبة الوطنية التي تقوم بتنفيذ مآربه، وتسهر على حفظ مصالحه؛ فإذا علمنا هذا أمكننا أن نقدر ما تفعله فرنسا وبريطانيا وغيرهما من الدول الكبرى في إفريقية من مخططات سياسية خبيثة، وتدخلٍ سافر أثناء انتخابات رئاسية وغيرها، وإعطاء المناصب العليا لمن يريد، ومن يعطي يستطيع أن ينزع، ولهذا لا تزال تعيش دول غربي إفريقية في فوضى سياسية، وتخبط فكري دائم، مما يجعلنا نقطع بيقين أن الاستعمار ما غادر بلاد غربي إفريقية، إلا بعد أن ترك وراءه استعماراً أدهى وأمر وأخطر منه، قد جعل شرعية وجوده، ما يقوم به من خدمات لأعداء الأمة. انظر: حاضر العالم الإسلامي، المرجع السابق (ص ١٧٣ـــ١٧٤)، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، المرجع السابق (ص ٩٦)، و العلمانية، المرجع السابق (ص ٥٤٢).

(٥) العلمانية،المرجع السابق (ص ٥٤٠)، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، المرجع السابق (ص ٢٣٩ــ٢٤٠).

يضاف إلى ذلك سعي مختلف القوى الاستعمارية إلى عقد تحالفات مع زعمـاء الطـرق الصوفية المختلفة[1]، بغية تسخيرها للحصول على مآربها بأقصر الطريق، واستغلال التنافس القائم بين أتباع هذه الطرق وزعمائها لتجنيد بعضهم ضد بعض، وذلك بناء على القاعدة الـسياسية المعروفة: "**فرقْ تسدْ**[2]". وبهذا فقد استطاعت السلطة الاستعمارية أن تكسب حلفاء من أتباع الطريقة القادرية والتجانية للتعامل معها على ضرب الصحوة الإسلامية الناشئة، التي كانت تفنِّد خزعبلات مشايخ الصوفية، وتقاوِّم رياح التغريب والاستعمار.

وقد تمادى الضعف السياسي بالمسلمين حتى بلغ من إخلاص بعض زعماء الطرق الصوفية للمستعمرين النصارى، أن انضموا إلى صفوفهم للقتال ضد إخوانهم المسلمين، كما فعل زعـيم القادرية الشيخ محمد الكنتي سنة (١٨٦٠م) عندما انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي، بقيـادة جنرال "فيدهرب"، وقاتل معه ضد إخوانهم المسلمين المعارضين للاحتلال الأوروبي لمنـاطقهم؛ وكما فعل زعيم الطريقة التجانية الشيخ مالك سي، عندما دعا أتباعه إلى الاستسلام و الخضوع التام للجيش الفرنسي المحتل، بل والتعاون معهم في محاربة كل من يقف ضدهم من أبناء المنطقة، كما أنه كان يأمرهم بالدعاء في زواياهم، للجيوش الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية كل ذلك يبرز لنا مدى الضعف السياسي، الذي كانت الأمة الإسلامية غارقة فيه في غربي إفريقية[3].

وفي أواخر عهد الاستعمار، زادت التحالفات بين المستعمرين وزعماء الصوفية اتـساعاً وقوة، حيث تحوَّل معظم مشايخ الصوفية من مجاهدين ضد الاسـتعمار إلى حلفـاء ووسـطاء حقيقيين له، كما أصبحت زعامات الصوفية ــ بعد الاستقلال ــ ركـائز رجـال الـسياسة العلمانية، ولا تزال الحال كذلك حتى اليوم[4].

---

(١) مثل القادرية والتجانية المهيمنتان في المنطقة، حيث عمل الاستعمار طوال فترة حكمه، على رفع مستوى كـل الطوائـف المعادية للإسلام الصحيح من فرق وأديان وغيرها، ودأب على إيثارهم بالتعليم والوظائف،وبكل ما من شـأنه أن يقـوي جانبهم، ليقضي بذلك على الكثرة الساحقة من المسلمين،وقد نجح الاستعمار في تلك الخطوات المدروسة بفضل اسـتغلال هذه الطوائف الفرص الممنوحة لهم من قبل المستعمر الذي لم يغادر المنطقة حتى سلم اقتصادها ووظائفها الهامة لهذه الأقليات الحاقدة التي لا ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، فأصبحت مصير الأمة الإسلامية وثرواهم مكبلة بأيدي تلك الأقليات التي تعبث بها كما تريد. انظر: العلمانية، المرجع السابق (٥٤١) بتصرف يسير.

(٢) وهو مصطلح سياسي عسكري اقتصادي، والأصل اللاتيني له هو: "divide & impera" وتعني: تجزئة قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة، لتصبح أقل قوة، وهي غير متحدة بعضها مع بعض، مما يسهل التعامل معها. كذلك يتطـرق المـصطلح للقوى المتفرقة التي لم يسبق أن اتحدت، والتي يراد منعها من الاتحاد، وتشكيل قوة كبيرة يصعب التعامل معها. ويُترجم ذلك قول الشاعر العربي: تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً * وإذا افترقن تكسرت آحادا. انظر: موسوعة ويكيبيـديا الحـرة على موقعها في الشبكة العنكبوتية (نت)، والشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، المرجع السابق (ص ٢٤ــ٢٥).

(٣) انظر: التصوف والطرق الصوفية في السنغال، المرجع السابق (ص ١٢٤ــ ١٢٥).

(٤) انظر: المرجع نفسه (ص ١٢٦).

المطلب الثاني
الضعف الاقتصادي للمسلمين

لقد كان لزاماً من تفاقم الانحرافات العقدية وتراكمها في واقع المسلمين في غربي إفريقية، أن يغشى الضعف الاقتصادي حياة الناس، وأن تتدهور الأوضاع الاقتصادية والتجارية، وإن كانت هناك أسباب أخرى قوية أسهمت بشكل أو بآخر في هذا التخلف، ولكنها وحدها لا تبرره، ولا تفسره.

وكانت القوى الاستعمارية الأوروبية تسعى منذ أعوام، لتطويق الممالك الإسلامية في غربي إفريقية وإضعافها، بل والقضاء عليها بكل الوسائل الممكنة. وكان من بين الوسائل التي اتخذوها، السعي الدائب لتحويل وجهة تجارة الذهب والألماس إلى أيديهم، وانتزاعها مهما كان الثمن من يد سلاطين الممالك الإسلامية الذين كانوا يمسكون بزمام تجارتها مع شمال إفريقية[1]، التي كانت تجوب بها أسواق شمال إفريقية وأوروبا وغيرها عبر البحر الأبيض المتوسط، فتدر عليهم أرباحاً طائلة.

ولما حلَّ الاستعمار الأوروبي ضيفاً ثقيلاً على غربي إفريقية، وتمكن من الاستيلاء على الممالك الإسلامية وخيراتها وكنوزها، بدءوا ينهبون تلك المعادن النفيسة، وينقلونها على متن سفنهم عن طريق المحيط الأطلسي، والبحر الأبيض المتوسط، ولم يمض القرن التاسع عشر الميلادي، حتى أصبح الأوروبيون هم الذين يسيطرون على تجارة الذهب والألماس سواء في دول إفريقية، أو في أوروبا؛ وذلك بفعل الانحرافات العقدية التي ــ وقد بسطنا القول عنها آنفاً ــ أصابت تلك الممالك الإسلامية. وكان لها دور مباشر في تردي أحوال الأمة الاقتصادية وانحطاطها «فسلب تجارة الذهب من أيدي المسلمين، واستيلاء القوى الاستعمارية عليها، له أسبابه الكامنة في التخلف العقدي الذي أصاب هذه الأمة في مجموعها ...»[2].

فالصوفية التي أطبقت ــ كما تقدم ــ على غربي إفريقية من أدناه إلى أقصاه، وسيطرت بعقائدها الباطلة، وطقوسها المبتدعة، كان لها أكبر الأثر في اتساع هوة هذا الضعف الاقتصادي. وحسبنا أن نعرف أن الشخص الذي يقعد عن العمل والإنتاج، بل عن أي نشاط بشري دنيوي مفيد، ويدَّعي أنه يتفرغ بالكلية للذكر الصوفي في خلوة أو زاوية أو غيرها، حتى يرقى إلى

---

(١) التي كانت تهيمن على معادن الذهب والألماس في كل من أودغست، وبوندوكو وغيرها.

(٢) واقعنا المعاصر، المرجع السابق (١٨٠ــ١٨١).

المستوى الذي يرتفع به عن ألسنة النقد أو الاعتراض عليه، وإنما ينظر إليه بالإعجاب والهيبة، ويحاط بهالة من القداسة والصلاح، ويكون مثلاً وقدوة يتمناها كثيرون من ضعاف النفوس[١].

إن هؤلاء الفقراء والطرقية[٢] الذين أسهموا بشكل كبير في ارتفاع معدل البطالة، وانخفاض الإنتاج في غربي إفريقية كانوا ــ و لا يزالون ــ عند كثير من الحكام والرعايا المسلمين، هم أهل الله وخاصته من عباده. فيتسابق الناس وبخاصة التجار وأرباب المال والثراء، إلى الإغداق والإنفاق عليهم، لنيل بركاتهم، وطيب دعواتهم، مما أدى ببعض الجهال[٣] إلى وسم الإسلام بأنه دين كسل وخمول ودروشة، ذلك لأن البطالة التي تحرص كل أمة ــ تريد النهوض ــ على القضاء عليها، وتُعد اليوم من المشكلات الاقتصادية العويصة التي تعاني منها أكثر دول العالم، وتسعى إلى تخفيفها وإنهائها بكل وسيلة ممكنة، هي ــ أي البطالة ــ تُعد في غربي إفريقية أمراً طبيعياً، ومرغوباً فيه في كثير من الأحيان، بل ومنسجماً مع الحالة المزرية التي أوجدتها الصوفية.

كما تحظى الصوفية بكل عون وتشجيع من قبل بعض الساسة، والزعماء السياسيين في غربي إفريقية، مما جعل التصوف ينتشر، والبطالة تتفشى، والضعف الاقتصادي يستشري في عروق المسلمين ودمائهم، بسبب التقاعس والتواكل ووهن العزائم، والانصراف عن عمارة الأرض، والرضا بالفقر على أنه قضاء وقدر، لا ينبغي السعي إلى تغييره خوفاً من الوقوع في جُرم التمرد على قدر الله وقضائه[٤].

يُضاف إلى ذلك كله، فكرة الإنفاق من الغيب، والوصول إلى الحضرة الإلهية التي تهيئ لصاحبها كل ما يسمو به ويتمناه من عطايا وهبات وصدقات، وكذلك انتشار التسول، وذلك «بعد أن استهجنوا السعي، وقبحوا العمل، زاعمين أن المتسولين والشحاذين الذين يطوفون على الأبواب، إنما يحملون عن المحسنين ذنوبهم وخطاياهم، لأن هدية الله تعالى للمؤمن، وقوف السائل

---

(١) وذلك عندما يصل إلى مرتبة الولاية (الصوفية)، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وتجري على يديه الكرامات والخوارق، على الرغم من وجود أدلة الكتاب والسنة التي تنسف ذلك البرج العاجي الذي يعيشون فيه.

(٢) أعني بهم أرباب الطرق الصوفية المختلفة.

(٣) من الوثنيين ومن شايعهم وسعى في ركابهم من اليهود والنصارى.

(٤) هكذا تفكر مشايخ الصوفية في غربي إفريقية، ويحللون تصرفاتهم المبتدعة بدعوى عدم الاعتراض على الله. انظر: واقعنا المعاصر، المرجع السابق (ص ١٨١).

أو الدرويش على بابه!، فإذا كان التسول بهذه المثابة مباحاً ومحبوباً لدى الصوفية، وذلك لأن الدنيا دار فناء، ولا قيمة لما تنطوي عليه من لذات فانية، والإنسان فيها يشبه المريض الذي حانت ساعته، فكما أن المريض لا يفكر في تعليم نفسه أو تحسين معيشته، وترقية مستوى حياته، لأن ذلك انصراف لأتفه المطالب، واهتمام برغبات دنيوية تافهة. إن الإنسان الذي يعرف مكانته وصلته بربه، هو الذي لا يبيت على دينار حتى يتصدق به، وحسبه من دنياه التوكل على الله. وما أخيب التاجر الذي يصرف وقته في تجارته، والزارع الذي ينفق جهده في زراعته، والصانع الذي يبذل نشاطه في صناعته، وما أفشل من سافر منهم طلباً لكسب، أو رغبة في مال، فإن الرزق في طلب صاحبه دائر، والمرزوق في طلب رزقه حائر، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر، فالله يرزق عباده من حيث لا يحتسبون ... والإخلاص في العبادة كفيل باكتساب شتى الهبات، والظفر بمختلف المطالب، وإن العبد ليدخل الخلوة جاهلاً فقيراً معدوماً، ويخرج منها عالماً فقيهاً واسع العلم، ثرياً طائل الثراء، قوياً موفور القوة»[1]، هكذا تفكر الصوفية، وهكذا يبررون كسلهم وخمولهم عن العمل والإنتاج، بدعوى التفرغ للعبادة، والزهد عن الدنيا وشهواتها.

وقد نسي هؤلاء المتصوفة[2] أو تناسوا أن هذه الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الإسلام إنما شُرعَ للدنيا والآخرة، وإن من أهمل أحد الشقين في هذا فهو آثم، كما لو أهمل الشق الآخر، وبالتالي فلا بد من التوازن والاعتدال في جميع الأمور فيها، فلا إفراط ولا تفريط، فنعمل للآخرة، ولكننا لا ننسى نصيبنا من الدنيا التي أوجدنا الله فيها للعبادة والعمارة[3] والتنمية والإنتاج والتمكين، كما قال تعالى:﴿ **وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا** ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال، و التقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا و الآخرة، (**ولا تنس نصيبك من الدنيا**) أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه»[5].

---

(١) التصوف في مصر إبان العصر العثماني، د. توفيق الطويل،(ص ٢١١)، مطبعة الاعتماد، مصر.

(٢) الذين أوصلوا الأمة إلى هذا الخزي والهوان بكسلهم وخمولهم، مستدلين بدلائل مستوحاة من خرافات سخيفة، واستدلالات منحرفة، حتى جعلوها ألعوبة في أيدي هؤلاء الخبثاء من اليهود والنصارى وأذنابهم.

(٣) بالفكر والعلم والجسم.

(٤) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٢/٥٢٩).

وهكذا وفي ظل هذه النظرية الصوفية المتخلفة التي يتشدق بها القوم، باسم التوكل والزهد، تمكن الاستعمار الأوروبي من بسط سلطانه على كافة أراضي الممالك الإسلامية في غربي إفريقية، حيث فرض نظامه ونظرياته الاقتصادية، حتى لم تعد أبواب الرزق لتفتح إلا لمن يختار مبادئ هذا النظام الاقتصادي الوضعي، فأكل المسلمون السحت، ثم محا من عقولهم ما كان من تمييز بين الحلال والحرام[1].

وفي خضم هذه الأحوال الاقتصادية الضعيفة، ومع شيوع النظرة الصوفية المنحرفة نحو كسب المال، وتوفير الاقتصاد، كان الكثير من الوثنيين الموجودين في المناطق الجنوبية من مختلف مناطق غربي إفريقية، يحكّمون السيطرة على جلّ الجوانب الاقتصادية ومجالاتها المختلفة. فحينما انشغل المسلمون بما ذكرناه من بدع وشركيات وخرافات، كان هؤلاء الوثنيون في مناطقهم يعملون بكل وسيلة مع المستعمرين المحتلين على إحكام قبضتهم على الاقتصاد والتجارة والصناعة والعلوم المدنية ونحوها، ويتحكمون من خلالها في مصير المجتمعات المسلمة الفقيرة، فلا يوظفون في مصانعهم ومؤسساتهم التجارية، إلا أهل ملتهم من النصارى أو الوثنيين، الأمر الذي زاد من تفاقم البطالة، وغلاء الأسعار، وتقلبها بين برهة وأخرى، لعدم وجود التوازن الاقتصادي، وانعدام الكثير من السلع الغذائية الضرورية، وانتشار الأوبئة الفتاكة، وتدني مستويات المعيشة، وشيوع الفقر، ومن ثمّ فتح باب التسول والشحاذة لدى المسلمين الشماليين بشكل لافت، على الرغم من محاربة الإسلام لهذه الآفة الخطيرة التي تنخر في جسم الأمة الإسلامية في كل مكان، ويدعو إلى العمل والإنتاج وعفة النفس عن المسألة من غير ضرورة، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: «**والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه**»[2]، و زاد الترمذي: «**ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ...**»[3].

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي، المرجع السابق (ص ٢٤٤).

(٢) صحيح البخاري (٢/٥٣٥)، رقم (١٤٠١)؛ ومسند أحمد (٢/٤٨٢)، رقم (٧٤٣٩).

(٣) صحيح البخاري (٢/٥١٨)، رقم (٥١٨)؛ وانظر: سنن الترمذي (٣/٦٤)، رقم (٦٨٠). وقال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث

الضعف الاجتماعي للمسلمين

مهما أنحينا باللائمة على الوضع الاجتماعي العام الذي كان سائداً في الممالك الإسلامية في غربي إفريقية قبل استعمارها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كما تقدم، فإن مظلة من قيم الإسلام الخلقية، وآدابه السلوكية، وما يحيط بها من أعراف وعادات وتقاليد أخلاقية، كانت تهيمن على المجتمع الغرب الإفريقي، وتوفر له الوقاية والوحدة والتماسك، لذلك كان اختراق تلك المظلة هاجساً كبيراً، وهدفاً ضخماً تقض مضاجع الاستعمار الأوروبي، لأنه يعلم يقيناً أن امتداد سياسته الاجتماعية وتسربها إلى الحياة الاجتماعية المسلمة، تشل أوصال تلك الحياة، وتقلبها رأساً على عقب، لما تتضمنه سياسته الاجتماعية من تناقض صارخ لقيم الإسلام.

ولقد خطط الاستعمار الأجنبي للسيطرة على تلك الحياة الاجتماعية الهادئة منذ أمد، وحاول بشتى الطرق الممكنة حتى تسنى له أخيراً أن يستهوي فئة من أبناء إفريقية إلى آدابه وعاداته وأعرافه وثقافته، وأن يزيل من نفوسهم التحرّج من الانحراف عن نهج الدين والقيم، من أجل استمراء صنوف الملاهي والمفاسد، ثم أن تجعل مظاهر الانحلال الغربي ظاهرة اجتماعية معلنة، تحميها القوانين الوضعية المزعومة[1].

إن أغلب القبائل في غربي إفريقية كانت — قبل عهد الاستعمار الأوروبي — تعيش في سلام ووئام وأمن وأمان، وذلك بناء على العهود والمواثيق التي كانت تعقد بينها، وتوطّد قواعد حسن الجوار، والتعاون، والتآزر بين تلك القبائل المختلفة. فالمسلمون في المناطق الشمالية كانوا على صلة دائمة اجتماعياً واقتصادياً وتجارياً وثقافياً مع جيرانهم الوثنيين في المناطق الجنوبية. كما كان الملوك وسلاطين الوثنيين يستعينون بعلماء وفقهاء المسلمين في تنظيم شؤون الممالك إدارياً وسياسياً واقتصادياً وغيرها. وكان ذلك فرصة سنحت لهؤلاء العلماء المسلمين في دعوة سواد الوثنيين — سراً — إلى العقيدة الإسلامية. واستمر الحال كذلك حتى انهيار تلك الممالك الوثنية، واستيلاء المسلمين عليها، وتحويلها إلى ممالك إسلامية تحكم بشريعة الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ[2]. وبقي الحال كذلك ردحاً من الزمن بأيدي المسلمين، ثم ضعفت تلك

---

(١) مثل: السماحة بفتح النوادي الليلية، وتوزيع التصاريح الرسمية لممارسة البغاء والدعارة علناً، وفتح خانات الخمور ونحوها، باسم الديمقراطية والحرية الشخصية الزائفة.

(٢) كما كان الحال في مملكة غانا الوثنية، التي تحولت إلى مملكة مالي وسنغي الإسلاميتين بعد استيلاء المسلمين عليها. انظر: تاريخ غانا الحديث، المرجع السابق (ص ٢١).

وفي رواية عنه ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يفتح إنسان على نفسه باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر، ولأن يعمد الرجل حبلاً على حبل، فيحتطب على ظهره، ويأكل منه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»(1).

ولا شك أن هذا الواقع الاقتصادي المتردي قد أثر تأثيراً بالغاً على سير نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وعلى وضع المسلمين بصورة عامة، إذ لو كانت كفة الاقتصاد قوية ومرجحة لصالح المسلمين، لانعكس ذلك إيجاباً على حسن سير الدعوة الإسلامية، ونشر العقيدة الصحيحة كما كان عليه الحال اقتصادياً في ظل الممالك الإسلامية التي حكمت المنطقة لقرون، إذ كانت الأسواق مزدهرة، والتجارة مربحة، والثروة متوفرة بأيدي المسلمين، يقول المؤرخ البريطاني "كلابرتون" الذي زار غربي إفريقية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وقبل سقوط مملكة سنغي بقليل ما نصه: «إن أسواق مدن غربي إفريقية تُعد من أحسن الأسواق، لها أنظمة وقوانين خاصة، تنظم عملية البيع والشراء، وتحديد أسعار البضائع والمنتجات، بعيداً عن الغش والربا، مما زاد من ثروة التجار المسلمين، حتى بنوا المساجد والمدارس ودور العلم، وشجعوا العلماء وطلبة العلم بالإنفاق عليهم،وتلبية رغباتهم فيما يخدم العلم والتعلم»(2)، وهكذا كان حال المسلمين قبل دخول تلك الانحرافات العقدية المدمرة، لتبقى الأمة الإسلامية في تلك الديار الإفريقية، عرضة للذل والهوان على أيدي أعداء الإسلام.

---

(1) صحيح ابن حبان (١٨٢/٨)، رقم (٣٣٨٧).

(2) الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم،(ص ١٧١—١٧٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، وانظر: حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء (ص ٦٣)، الهادي المبروك الدالي، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م.

المطلب الثالث

الضعف الاجتماعي للمسلمين

مهما أنحينا باللائمة على الوضع الاجتماعي العام الذي كان سائداً في الممالك الإسلامية في غربي إفريقية قبل استعمارها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كما تقدم، فإن مظلة من قيم الإسلام الخلقية، وآدابه السلوكية، وما يحيط بها من أعراف وعادات وتقاليد أخلاقية، كانت تهيمن على المجتمع الغرب الإفريقي، وتوفر له الوقاية والوحدة والتماسك، لذلك كان اختراق تلك المظلة هاجساً كبيراً، وهدفاً ضخماً تقض مضاجع الاستعمار الأوروبي، لأنه يعلم يقيناً أن امتداد سياسته الاجتماعية وتسربها إلى الحياة الاجتماعية المسلمة، تشل أوصال تلك الحياة، وتقلبها رأساً على عقب، لما تتضمنه سياسته الاجتماعية من تناقض صارخ لقيم الإسلام.

ولقد خطط الاستعمار الأجنبي للسيطرة على تلك الحياة الاجتماعية الهادئة منذ أمد، وحاول بشتى الطرق الممكنة حتى تسنى له أخيراً أن يستهوي فئة من أبناء إفريقية إلى آدابه وعاداته وأعرافه وثقافته، وأن يزيل من نفوسهم التحرّج من الانحراف عن نهج الدين والقيم، من أجل استمراء صنوف الملاهي والمفاسد، ثم أن تجعل مظاهر الانحلال الغربي ظاهرة اجتماعية معلنة، تحميها القوانين الوضعية المزعومة[1].

إن أغلب القبائل في غربي إفريقية كانت ــ قبل عهد الاستعمار الأوروبي ــ تعيش في سلام ووئام وأمن وأمان، وذلك بناء على العهود والمواثيق التي كانت تعقد بينها، وتوطّد قواعد حسن الجوار، والتعاون، والتآزر بين تلك القبائل المختلفة. فالمسلمون في المناطق الشمالية كانوا على صلة دائمة اجتماعياً واقتصادياً وتجارياً وثقافياً مع جيرانهم الوثنيين في المناطق الجنوبية. كما كان الملوك وسلاطين الوثنيين يستعينون بعلماء وفقهاء المسلمين في تنظيم شؤون الممالك إدارياً وسياسياً واقتصادياً وغيرها. وكان ذلك فرصة سنحت لهؤلاء العلماء المسلمين في دعوة سواد الوثنيين ــ سراً ــ إلى العقيدة الإسلامية. واستمر الحال كذلك حتى انهيار تلك الممالك الوثنية، واستيلاء المسلمين عليها، وتحويلها إلى ممالك إسلامية تحكم بشريعة الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ[2]. وبقي الحال كذلك ردحاً من الزمن بأيدي المسلمين، ثم ضعفت تلك

---

(١) مثل: السماحة بفتح النوادي الليلية، وتوزيع التصاريح الرسمية لممارسة البغاء والدعارة علناً، وفتح خانات الخمور ونحوها، باسم الديمقراطية والحرية الشخصية الزائفة.

(٢) كما كان الحال في مملكة غانا الوثنية، التي تحولت إلى مملكة مالي وسنغي الإسلاميتين بعد استيلاء المسلمين عليها. انظر: تاريخ غانا الحديث، المرجع السابق (ص ٢١).

الممالك[1] بسبب الضعف السياسي والاقتصادي، مما أدى في النهاية بتطرق الضعف إلى الجوانب الاجتماعية عندما تفككت المملكة إلى أجزاء، وانفرد كل أمير بجزء منها بعد حروب ومناوشات دامية بين أفراد الأسرة المالكة؛ مما فتح المجال على مصراعيه للاستعمار الأوروبي بالانقضاض عليها وابتلاعها[2].

وبعد استيلاء الأوروبيين على غربي إفريقية، ونظراً إلى هذا الواقع الاجتماعي الذي يوطّد علاقة حسن الجوار بين المسلمين والوثنيين[3]، ويعمل في زيادة عدد المنتسبين إلى الإسلام، وترجيح كفة قوتهم، فما كان من هؤلاء المحتلين إلا أن خططوا لإيقاف هذا الزحف الإسلامي في أوساط القبائل الوثنية، لتحلَّ محلها العقائد النصرانية المحرفة التي جاءت في ركابهم. وقد سعوا ـــ من أجل تحقيق ذلك ـــ إلى أساليب ووسائل خبيثة ومدمرة، منها:

١ ـــ بثّ بذور الخلافات والفرقة بين القبائل المتجاورة، فبدءوا بمحاباة الوثنيين، وتقريب زعمائهم إليهم، مع تقديم الهدايا والهبات لهم، وتقليد أبنائهم المناصب الإدارية الرفيعة، والعمل ـــ سراً ـــ على إبطال كل العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين جيرانهم المسلمين، معتمداً في ذلك على المثل القائل: "**الغاية تبرر الوسيلة**"[4].

وقد أحست بعض القبائل في غربي إفريقية بخطورة هذه السياسة الاستعمارية على وحدتها وتماسك أفراد مجتمعها، فحاولت القيام بالتحذير من مغبة هذا الأمر على مستقبل شعوب المنطقة، لكن قوة الإغراءات، وضعف زعماء بعض القبائل، حالت دون إحباط تلك المؤامرة الخبيثة في صفوفهم. وبذلك نجح المستعمرون في تحقيق ثاني انتصاراتهم بعد الانتصار العسكري، وذلك بشق صفوف الأفارقة، وتفكيك وحدتهم، والعمل على إسقاط هيبة زعماء القبائل أمام رعاياهم بأساليبه القمعية المتكررة[5] التي كانت جديرة بتطرق الضعف إلى الجوانب الاجتماعية

---

(١) واحدة تلو أخرى بفعل تفشي الانحرافات العقدية الخطيرة التي أدت في النهاية إلى تفكك هذه الدول ثم انهيارها كلياً.

(٢) انظر: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية،المرجع السابق (ص ٢٢١).

(٣) مما أدى في النهاية إلى إسلام ملك مملكة غانا الوثنية، و وجود جالية إسلامية معتبرة تقوم بشعائر دينها في أمن وأمان وسلام في ظل المملكة الوثنية كما بيّنا في موضع سابق.

(٤) مما أدى في بعض المناطق إلى نشوب العداوات والحروب بين القبائل المتعايشة، وبعدها يكون دور المستعمر بمثابة الحامي للسلام، ومسانداً للقبائل الضعيفة من بطش القوية، مما يزيد من حدة هذه العداوات، ويضغط على القبائل الضعيفة، ويضطرهم إلى الخضوع لحماية المستعمر الدائمة، والرضوخ التام لمطالبه. انظر: غانا أرضا وشعباً ودولة، المرجع السابق (ص ٢٠٥).

(٥) حيث كانوا يقتلون زعماء بعض القبائل التي ترفض تنفيذ أوامرهم، أو ضربه أو التشهير به علناً أمام أفراد قبيلته.

المتأصلة في تلك الشعوب، الأمر الذي قلل من نشاط الدعوة إلى العقيدة الإسلامية بين القبائل المسلمة، وبين جيرانهم الوثنيين(١).

٢ ـــ تغيير القوانين والنظم الإسلامية وتعديلها، ليتمشى مع تنفيذ الخطة الرامية إلى تدمير الأخلاق والقيم الاجتماعية الأصيلة، وتحويل المجتمع الغرب الإفريقي عن عاداته وتقاليده وأعرافه، فنتج عن ذلك: تخلى المرأة المسلمة عن حجابها، و عن عملها الأساس في الاعتناء بالزوج وتربية الأولاد، بل أصبحت تزاحم الرجال، وتختلط بهم في مجالات العمل المختلفة حتى الأعمال التي لا تتناسب مع فطرتها الأنثوية(٢)، بدعوى ممارسة حق العمل التي حرمت منه على حدِّ زعم المفسدين في الأرض. وقد ترتب على هذا السلوك المنحرف للمرأة، مفاسد وانحرافات عقدية مدمرة، أدت إلى زيادة حدة الضعف الاجتماعي، منها على سبيل المثال: انتشار الزنا، والسفور، و أولاد الشوارع، وشيوع الدعارة، والتشجيع على إدمان المسكرات والمخدرات، ونوادي الليلية وغيرها.

٣ ـــ سَن قوانين وضعية تقضي بمنع الرجال ـــ مسلمين كانوا أو غير مسلمين ـــ من الزواج بأكثر من امرأة واحدة، كما هو الحال في النظام الأوروبي(٣). والهدف من هذا في المقام الأول، هو محاربة الشريعة الإسلامية التي تبيح التعدد، وذلك حماية لكرامة المرأة وشرفها أن تهان أو تهدر(٤).

---

(١) انظر: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية،المرجع السابق (ص ٢٢٣ـــ٢٢٤).

(٢) كانشغالها مع الرجال في حفر الخنادق في الطرقات، تحت حرارة الشمس المحرقة، أو سياقة السيارات الكبيرة (تريلات) بين مدن العالم لوحدها، أو ... إلخ، مما جعلها عرضة للاعتداء والابتلاءات والظلم من ذوي أصحاب النفوس الضعيفة.

(٣) وقد صاحب هذا الادعاء تشويه صورة المسلمين بأنهم شهوانيين،وأن نظرتهم إلى المرأة تقتصر فقط على أنها أداة للمتعة الجسدية فحسب. لكن هذه المحاولات الاستعمارية كلها باءت بالفشل الذريع،حيث لا يزال المسلمون في غربي إفريقية وغيرها يطبقون أوامر ربهم عز وجل في التعدد إلى أربع للمستطيع،وذلك حماية للمرأة،وحفاظاً على كرامتها،وتقليلاً لنسبة العنوسة في المجتمع الإسلامي.بينما نجد نسبة العنوسة عالية جداً في المجتمع الأوروبي،وذلك لأن النظام عندهم لا يسمح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، لكنه ـــ أي النظام ـــ في المقابل،يسمح له أن تكون تحته عشرات من الخليلات،مما أدى إلى شيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن،وإلى انتشار أنواع من الأمراض الخطيرة في مجتمعاتهم،مثل: الإيدز،والزهري،والسفلس وغيرها؛نسأل الله تعالى السلامة والعافية من الزلل.انظر للتوسع:حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والقوانين المقارنة، قيس عبد الوهاب الجبالي،(ص٣٢٠) وما بعدها،دار الحامد،٢٠٠٨م،و المرأة بين الفقه والقانون، د.مصطفى السباعي،(ص ٨٠ ـــ٨١) وما بعدها وما بعدها،ط٦،الكتب الإسلامي،بيروت، ١٤٠٤هـ، وهداية المرشدين على طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ،(ص ٣١٦ـــ٣١٧)، ط٥، مكتبة دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٧١هـ.

(٤) انظر: المرأة في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق (٣٢٠ـــ٣٢٣).

٤ ــ سَن قوانين ونظم وضعية، تتيح للمرأة الإفريقية حق المطالبة بمساواتها مع الرجل في كل شيء[(١)]، وذلك أسوة بالمرأة في المجتمعات الغربية.

٥ ــ عمدوا إلى حيل ماكرة تحث الأسر المسلمة على تغيير أسماء أبنائها الإسلامية إلى أسماء محلية أو نصرانية، بحجة أن تلك الأسماء العربية ليست لها أي جذور إفريقية فضلاً عن أن يكون لها تعلق بحقيقة المتسمين بها، بل الأولى لهم هو الافتخار والاعتزاز بقوميتهم الإفريقية التي لها جذور عميقة في المنطقة. وقد وقع كثير من المسلمين في غربي إفريقية تحت طائلة هذه الحيل، فغيروا أسماء أولادهم إلى أسماء إفريقية وطنية ونصرانية، حتى تفتح لهم أبواب فرص عمل إما في الحكومة أو في المؤسسات والشركات التابعة للساسة السياسيين العلمانيين والنصارى.

٦ ــ الضغط على المرأة المسلمة وإغرائها على التخلي عن الحجاب الشرعي، والتوجه إلى التبرج والسفور، وإقامة العلاقات غير شرعية؛ والخروج عن الآداب الإسلامية التي تحافظ على كرامة المرأة وشرفها، وكل ذلك تقليداً أعمى لما تقوم به النساء في الدول الغربية الكافرة باسم الحرية الشخصية.

وقد زاد من حدة هذا الضعف الاجتماعي الذي تطرق إلى المجتمع الغرب الإفريقي، ما وقع من انحرافات أخرى خطيرة، وعلى رأسها الشِّرك الأكبر المتمثل في عبادة الأولياء والأضرحة، وهيمنة الصوفية بطقوسها وعقائدها على حياة الناس، وانشغال الناس بالبدع والخرافات، وازدياد التعصب بين أرباب الطرق المختلفة، وما يحدث بينهم من فسق وفجور واختلاط في بعض الاحتفالات الدينية كالموالد وغيرها، وما يقوم به بعض الدجالين من أدعياء الغيب من هتك للحرمات، وتعدٍّ على الأخلاق والقيم، وظهور الفواحش كشرب الخمور، والسماح لبيوت الدعارة والبغاء بممارسة تلك الجريمة، حتى إنهن يقعدن في بعض مناطق غربي

---

(١) وكانت المرأة المسلمة في النظم الإسلامية السابقة، ترضى بنصيبها من الميراث، وبحسب ما تقضي به الشريعة الإسلامية الغراء، كما في قوله تعالى:﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ سورة النساء (آية:١١)، أي أن ميراث المرأة على نصف من نصيب الرجل. لكن بعد موافقة برلمانات دول غربي إفريقية على هذه القوانين بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث، وترويج الكفار والعلمانيين لها، مع تشكيكهم في أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها ظالمة للمرأة ومجحفة لحقوقها كإنسانة؛ أصبحت المرأة الإفريقية نفسها تنظر إلى تلك النظم الإسلامية بأنها ظالمة في حقها. وليس الأمر كذلك في الحقيقة، بل إن الإسلام قد أنصف المرأة حين جعل نصيبها نصف ميراث الرجل، ولم يعتبر الإسلام ذلك نقصاً في إنسانية المرأة،وإنما شرعه نظراً لكثرة مسؤوليات الرجل تجاه الأسرة المكونة أساساً من زوجة وأبناء وأقارب، فالرجل هو المكلف وحده بالإنفاق على هؤلاء جميعاً،كما أنه هو الذي يتحمل أعباء المهر الذي يدفعه للمرأة، لقاء زواجه منها، كما قال تعالى:﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ سورة النساء (آية:٤). انظر: المرأة في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق (ص ٣٢٣).

إفريقية على قارعة الطرق لإغراء الناس بالفاحشة في وضع النهار ــ دون حياء أو خجل ــ مقابل دراهم معدودة[1]. وقد تسبب هذا الضعف الاجتماعي السافر، في ضعف إحساس الناس بمخالفة القيم والمبادئ الأصيلة، فلم تعد مخالفتها تثير في نفوسهم من الكره والاشمئزاز ما كانت تثيره من قبل، أو بعبارة أخرى، فقد طغى الفساد والتحلل على المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية، وأصبح هو الغالب عليها، والمسيِّر لحياتها إلا ما رحم ربي، وانحصرت القيم الخلقية، والمثل الاجتماعية في أضيق نطاق، فكأن الفساد والانحلال هو الأصل والمتفق عليه، والصلاح والاستقامة هو الغريب والشاذ، كما يبدو ذلك واضحاً من خلال النظرة إلى تلك المجتمعات، «فهناك فارق كبير بين مجتمع لا تقع فيه الجريمة إلا شذوذاً يستنكر، وتنال عقوبتها الرادعة حين تقع، ومجتمع يعج بالفاحشة حتى تصبح العفة فيه هي الشذوذ المستنكر»[2].

إن المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية التي وصفنا بعض حالها، لا تزال في غفلة تامة عما يراد بها من شر وفساد بسبب انشغالها بما تقدم من انحراف وباطل، حتى إذا بدأت دعوات التنصير والتغريب والعلمنة في تصويب سهامها القاتلة ضدها، وجدت الثغرات خالية تماماً من حراسها الذين كانوا غارقين في حمأة تمزق وشتات، و وجد وتصوف، مما عجل بنهاية المعركة، وارتفاع لواء العلمنة والتنصير فوق تلك المجتمعات، التي لم تفق ــ حتى الآن ــ من وجدها وهيامها وانحرافها إلا على أنظمة الاستعمار، وتلامذتهم العلمانيين، ومؤسساتهم التنصيرية، تقرع رؤوسهم وتحكمهم، وتسير بهم إلى هاوية التغريب والانسلاخ من الدين والقيم النبيلة.

يُضاف إلى ذلك كله، ما جبل عليه الإنسان من ضعف وتفلت إزاء ما أمر به من تكاليف وأوامر، مع غياب شعيرة أو فريضة إسلامية عظيمة، كان من الممكن ــ لو أنها مورست واستخدمت ولو على نطاق ضيق في تلك الفترة ــ أن تخفف من حدة ذلك الضعف المستشري. هذه الفريضة العظيمة، هي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الشعيرة التي كانت شبه غائبة عن حياة الأمة، و لم يكن أسوأ من هذه القضية سوى تقاعس العلماء والدعاة عن القيام بواجبهم في التذكير والتوعية والإرشاد. فأين كان هؤلاء العلماء والدعاة وقت توالي هذه

---

(١) وفي قلب بعض الأحياء الإسلامية العامرة بدور أهل العفة والنزاهة،ومنازل الأشراف والأعيان المسلمين،كما غضت الإدارة الاستعمارية والسياسية الغاشمة الطرف ــ رغم شكاوى الغيورين المتعددة ــ كأنها فهمت عكس ما طلب منها،عن كبح جماح أهل الفساد و الخلاعة والمجون من الرجال والنساء، الذين انتهزوا الفرصة فزادوا في غيهم، وتطاولوا إلى درجة خطيرة، حتى إنه يتعذر أحياناً على ذي مروءة المرور من عدة شوارع مهمة بوسط المدينة، لكي لا يصدم بما يؤذي بصره أو سمعه، ويخدش كرامته، وعلى مرأى ومسمع بعض العلماء والدعاة الذين عجزوا وتثاقلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) واقعنا المعاصر، المرجع السابق (ص ٢٩٤).

الانحرافات الخطيرة، وتتابع الشرور والفتن على الأمة؟ ماذا كان موقفهم من التعالي على القيم و المبادئ ومحاربتها؟ ومن تفشي الرذائل والمنكرات والجهر بها ؟!

لقد كان موقف العلماء والدعاة ضعيفاً جداً لا يكاد يُذكر في بعض الأحيان، ولا يزال الحال كذلك حتى الآن في كثير من مناطق غربي إفريقية. وكيف يمكن لعلماء ودعاة غشيت عقولهم التفكير في مصالح ذاتية بعيداً عن هموم الأمة، وهامت أرواحهم في خيالات التصوف وأوهامها، أن يتصدوا لذلك الزحف المتواصل والعنيف من قبل أعداء الإسلام على الدين والقيم الاجتماعية؟!

إن غياب شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الغرب الإفريقي بشكل مكثف ومتواصل، كان يعمل على إضعاف الجوانب الاجتماعية بين شعوب المنطقة، وإلى انتشار الفساد في تلك المجتمعات، وإلى الجرأة على اقتراف المعاصي والمنكرات، وإلى صعوبة الإصلاح والتغيير المنشود[1].

ولكن الأمل معقود ــ بإذن الله ــ على أولئك الشباب من طلبة العلم الشرعي من أبناء المنطقة الذين يفدون أفراداً وجماعاتٍ إلى دول المشرق العربي وبخاصة المملكة العربية السعودية ــ حرسها الله من كل سوء ــ لتعلم العقيدة الصحيحة، ثم العودة إلى ديارهم للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد بدأ جهود بعض هؤلاء الشباب تظهر على الساحة، رغم محاولات زعماء بعض الفرق الهدامة المتكررة لتنفير الناس منهم، واتهامهم بالوهابية[2]، وانتقاص مقام الأولياء والعلماء، وتغيير مُثلِ الإسلام العليا.

فهذه هي أهم الآثار السلبية المدمِّرة التي ترتبت على مجمل الانحرافات العقدية في غربي إفريقية، ولكن يا تُرى ما دور علماء الأمة الإسلامية (أفراداً وجماعات) في مواجهة هذه الانحرافات العقدية التي فصلنا فيها القول آنفاً؟.

وهل كان لهم جهود علمي ودعوي بارز في الإصلاح وتقرير مسائل العقيدة المنبثقة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لإعادة الناس إلى الجادة السوية ؟.

هذا ما سيجيب عنه الباحث في الباب الثاني من هذه الدراسة، مع تقويم ما قام به هؤلاء العلماء والجماعات ما أمكن ذلك في ضوء الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله.

---

(١) انظر: مجتمعنا المعاصر، أسباب ضعفه ووسائل علاجه، عبد الله بن سليمان المشوخي، (ص ١٨٥ــ١٨٦)، مكتبة المنار، ١٩٨٧م.

(٢) فالوهابية ليست طريقة أو مذهباً، وإنما كانت دعوة خالصة للتوحيد، وتجديد ما اندثر من معالم الدين.

الباب الثاني

جهود العلماء والجماعات الدعوية في تقرير المسائل العقدية في غربي إفريقية

الفصل الأول: جهود علماء غربي إفريقية في الدعوة لتقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثاني: وسائل علماء غربي إفريقية وأساليبهم في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثالث: جهود الجماعات الدعوية في غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الرابع: وسائل الجماعات الدعوية في غربي إفريقية وأساليبهم في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الأول
جهود علماء غربي إفريقية في الدعوة لتقرير مسائل العقيدة

المبحث الأول: ترجمة علماء غربي إفريقية.

المبحث الثاني: منهج علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثالث: جهود علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الرابع : جهود علماء غربي إفريقية في التحذير من الشرك وأهله.

المبحث الخامس: جهود علماء غربي إفريقية في محاربة مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية.

المبحث الأول

ترجمة علماء غربي إفريقية

لقد قضى الله تبارك وتعالى بحفظ دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، حين قال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1]، فكان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ، حين قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمرَ دينها**»[2].

فقد تأتي على الناس عصور يكثر فيها الزيغ، وتشيع الزندقة، وتنتشر البدع والانحرافات، وتضمحل السنة، وتشوش العقيدة الصحيحة، وتنخر بنيانها، وتحدث فيها ما لم يأذن به الله، من الخرافات والترهات والشركيات؛ وعندئذ يقيِّض الله تعالى لهذه الأمة المباركة من يحفظ لها أمر دينها، وينسف الأهواء، ويكشف عوار أهلها، ويمحو البدعة، ويحارب المحدثات، ويحيي السنة، ويزهق الباطل، ويعلو الحق، ويعود للدين مجده ومكانته.

وقد تحدث الباحث في الباب السابق عن الانحرافات العقدية، وأسباب انتشارها، ومظاهرها، وأصحابها، ودعاتها، والآثار السلبية المترتبة عليها في غربي إفريقية. وسوف يتناول الحديث في هذا الباب عن جهود أهم العلماء والمصلحين الذين حملوا لواء تقرير العقيدة، وتطهيرها من كل ما علق بها من الشوائب، ومن الأفكار الوافدة عليها، ويحذرون الأمة من الوقوع في حبائلها، وذلك بكل الوسائل والأساليب الممكنة. فما من انحراف أو بدعة إلا قيَّض الله تعالى لها من يردها، ويكشف عوارها، وما من رأس من رؤوس الكفر والضلال، إلا قيَّض الله من أعلام السنة وأئمة الهدى في ديار غربي إفريقية من يتصدى له، ويفضحه على رؤوس الخلائق حياً أو ميتاً، ويبين أمره، ويرد عليه بدعته، ويقرر العقيدة الصحيحة، وينصر السنة، ويقيم الحجة[3]،

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) من حديث أبي هريرة ﷺ رواه أبو داود في سننه (٢/٥١٢)، رقم (٤٢٩١)؛ ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٦٧)، رقم (٨٥٩٣)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/١٥٠)، رقم (٤٤١٢) .

(٣) انظر: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس و اليوم، المرجع السابق (ص ٢٢٣ــ٢٢٥).

يقول الإمام البغوي رحمه الله: «فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً»[1]، وبين رحمه الله أن هذا هو منهج سلف هذه الأمة تجاه أهل البدع وعلى رأسهم المتصوفة ومن شايعهم، فقال: «وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجتمعين على معاداة أهل البدع والأهواء ومهاجرتهم»[2]. وهذا هو الواجب على المسلم تجاه المبتدعة في الدين في كل عصر ومصر.

ويُعدُّ نهاية القرن التاسع عشر مع بداية القرن العشرين الميلاديين، البداية الحقيقية لانتشار البدع والانحرافات العقدية على نطاق واسع في غربي إفريقية، لكن العلماء والمصلحين ــ وعلى رأسهم مجدد الإسلام المعروف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ــ ما فتئوا يحملون هَمَّ حماية العقيدة الصحيحة، وطفقوا يجاهدون بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم وأقلامهم، حتى وقفوا سداً منيعاً، وسهماً مسموماً في نحور أهل البدع والأهواء، و أنصار الكفر والضلال من الصوفية وغيرهم، ينكرون عليهم صنيعهم المخالفة، ويبينون لهم الحق على هدي من تعاليم الكتاب والسنة اللذان توزن بهما الأعمال والأقوال، فما وافقهما قبل، وما خالفهما ردَّ على صاحبه كائناً من كان، فكان لتطبيقهم لذلك المنهج أثره الواضح في المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية، فعظم شأن أهل السنة والجماعة، وقمع أهل الزيغ والاختلاف.

ثم خلف من بعدهم كوكبة من العلماء والدعاة، اتبعوا آثار من سلف في الإصلاح، وقاموا بالجهاد والدعوة إلى تصحيح العقيدة، والأخذ بأيدي الشباب المسلمين نحو فهم الإسلام فهماً صحيحاً، شاملاً لكل نواحي الحياة، والتصدي للأوضاع العقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية الفاسدة، فكانت نداءات هؤلاء المشايخ صحوة مباركة، شملت جميع مناطق غربي إفريقية في مدة وجيزة[3]، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله متحدثاً عن تفاني علماء غربي إفريقية ــ جيلاً بعد جيل ــ في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

---

(١) شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (١/٢٢٤)، ط١، المكتب الإسلامي، ١٩٧١م.

(٢) شرح السنة، المرجع نفسه (١/٢٢٧).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٢٩).

«وكان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وظيفة كل عالم بالدين، تقي ورع يقوم بهذه الوظيفة المباركة على وجه النصح والإرشاد، في كل بقعة من بقاع بلادنا، تحقيقاً لقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]»[2].

ويحسن بالباحث أن يذكر في المطالب التالية ترجمة لأبرز هؤلاء الأعلام، والدعاة المؤثرين في تاريخ غربي إفريقية الحديث، وقد نقش هؤلاء بكتاباتهم وأصواتهم المسجلة، وجولاتهم وحركاتهم الدعوية والإصلاحية على صفحات تاريخ الدعوة الإسلامية في المنطقة بأحرف من نور، وقد أصبحوا اليوم نماذج حية يقتدي بهم الألوف من أبناء إفريقية رجالاً كانوا أو نساء في نشر الوعي الإسلامي الصحيح، ونبذ الخرافات وأشكال البدع.

فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة لما قدموا من غال ونفيس في سبيل رفع راية "لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ" خفاقة، وأسكنهم فسيح جناته.

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغربي إفريقية، آدم عبد الله الألوري،(ص ١٢)، مكتبة دار النور، نيجيريا، ١٤٢٧هـ.

المطلب الأول

الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله[1].

- **اسمه ونسبه ومولده ونشأته:**

هو الشيخ عثمان بن محمد فودي بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبو بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى جاكلو[2].

ولد الشيخ "عثمان بن فودي[3]"بقرية "طاغل" بأرض غوبر من ولاية سوكوتو في شمال نيجيريا، وذلك على الأرجح يوم الأحد في آخر يوم من صفر عام ١١٦٨ للهجرة، الموافق ١٥ ديسمبر (كانون الثاني) من عام ١٧٥٤م.

هاجر أجداده الذين هم من قبيلة الفلاتا من شمال إفريقية إلى منطقة فوتاتورو التي تقع حالياً بين دولتي السنغال وغينيا، واستقروا هناك، كما استقر بطن منهم في منطقة القبائل الهوسوية، واختلطوا بأهلها واستوطنوها، وهناك ولد الشيخ عثمان بن فودي[4].

وقد نشأ الشيخ عثمان بن فودي في حجر والدين صالحين، فكان لهما فضل كبير ـ بعد الله ـ في تهذيبه وتربيته، وتشجيعه على طلب العلم، والتفاني فيه، والجدّ في العبادة، والزهد في الدنيا. فكان البيت الذي تربى فيه الشيخ عثمان رحمه الله، بيت دين وعلم، لدرجة أن النساء فيه كان يؤخذ عنهن العلم والفقه وعلوم اللغة والتاريخ ... إلخ[5].

---

(١) لا يمكن الحديث عن أعلام غربي إفريقية في مجال الدعوة و الإصلاح والسياسة والحكم في نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين وما بعده، دون أن نستهل ذلك بالشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، ذلك الرجل الحكيم، والعالم الفذّ، والداعية المتفاني، والكاتب السيال بقلمه، والمجاهد الشجاع، والسياسي المتقن، والملك العادل، والخطيب المفوَّه، الذي بهَرَ العالم الإسلامي بذكائه، وعبقريته، وعلمه، وإتقانه للغة العربية تحدثاً وكتابة إلى حدٍّ الملكة التامة فيها، على الرغم من انشغالاته الكثيرة في طلب العلم، والجهاد، وإصلاح المجتمع، بالدعوة إلى الله ومحاربة كل أصناف البدع و المنكرات التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي الإفريقي آنذاك، حتى وصفه بعض الباحثين في شؤون الدعوة الإسلامية في غربي إفريقية بـ "مجدد الإسلام في السودان الغربي بلا منازع". انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ٩٣).

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني للشيخ آدم عبد الله الألوري، المرجع السابق (ص ٩٣)، وسيرة عثمان بن فودي مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، للأستاذ عبد اللطيف سعيد، ضمن البحوث المقدمة في الندوة العالمية التي عقدها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك احتفاء بذكر الشيخ عثمان بن فودي (ص ٣٣)، الخرطوم، جمادى الآخرة (١٤١٦هـ)، نوفمبر (١٩٩٥م).

(٣) واسم فودي الذي اشتهر به والده يعني بلغة الفولانيين: الفقيه، أو العالم، أو المفتي.

(٤) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ٩٤)، و(ص ٣٣).

(٥) وقد نبغت منهن ذوات علم وفقه ولغة وتفسير وأدب، حتى أصبحت لهن مجالس علم يأتي إليه الناس من كل مكان، لطلب العلم والاستزادة من علمهن وفقههن، وكان من بين هؤلاء والدة الشيخ عثمان بن فودي السيدة: حواء، وجدته السيدة رقية. انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ٩٣)، و موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٦٠).

- **طلبه للعلم ورحلاته:**

بدأ الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله تعليمه على يد والده الشيخ محمد فودي،ومن والدته حواء، وجدَّته رقية، وكانت نشأته في مثل هذا الجو العلمي المتميز، من العوامل الأساسية التي ساهمت في تكوين شخصيته العلمية والسياسية والدينية والجهادية [1].

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً كثيراً عن رحلاته العلمية، كعادة أقرانه الطلاب في ذلك الوقت. وأهم الفترة التي قضاها الشيخ عثمان خارج بلدته "غوبر" هي فترة ذهابه مع أخيه وساعده الأيمن، الوزير الأكبر الشيخ عبد الله بن فودي إلى مدينة "أغدس" في النيجر الحالية، وذلك للاستزادة من علم الشيخ جبريل بن عمر[2] الأغدسي الذي كان عالماً بارزاً في عصره، وواحداً من أهم منارات العلم، والفكر الإسلامي الرصين في منطقة السودان الغربي والأوسط[3]، وقد وصفه المؤرخون بأنه: العالم والداعية الورع.

- **شيوخه:**

بدأ الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله تعليمه بحفظ القرآن الكريم، والعلوم العربية على يد والده محمد فودي، ووالدته حواء، وجدته رقية، ثم الشيخ عثمان بندور الكبرى.

---

(١) انظر: موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق (ص ٩٤)، وسيرة الشيخ عثمان بن فودي مع الإشارة للعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته (ص ٣٤)، و إنفاق الميسور في ذكر تاريخ بلاد التكرور، المرجع السابق (ص ٢٤).

(٢) هو جبريل بن عمر الأغدسي، شيخ شيوخ زمانه في العلم والورع والدعوة والجهاد في سبيل الله، كان أشعري العقيدة، مالكي المذهب، قادري الطريقة، حج بيت الله الحرام مرتين، وقد أكسبته رحلته إلى الحج الغيرة على أحوال مجتمعه في السودان الغربي، فعاد من الحج وهو مفعم بالحيوية على مواصلة الجهاد والدعوة بغية تغيير الأوضاع القائمة في بلاد الهوسا وما جاورها. ولما رأى الشيخ ما يقوم به عثمان بن فودي من دعوة إلى الإسلام، ومحاربة براثن الشرك والوثنية المنتشرة في تلك البلاد، وأن الله تعالى قد بارك في جهوده، حثه على ذلك. توفي خلال العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري. انظر: إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٥٤ـــ٥٦)، و دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، محمد ابن علي محمد السكاكر،(ص ١٦٥)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٣) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي: الإستراتيجية، المنهجية، الأهداف، لأحمد محمد كاني (ص ١٧)، ضمن البحوث المقدمة في الندوة العالمية التي عقدها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك احتفاء بذكر الشيخ عثمان بن فودي (ص ٣٣)، الخرطوم، جمادى الآخرة (١٤١٦هـ)، نوفمبر (١٩٩٥م).

كما أخذ علوم اللغة والبلاغة والأدب عن الشيخ عبد الرحمن بن حمد [(١)]، وسمع الفقه من محمد ثنبو بن عبد الله، والتفسير من الشيخ أحمد بن محمد بن هاشم الزنفري[(٢)]، و أخذ الصِّحاح السِّت عن الحاج محمد بن راجي[(٣)] [(٤)].

ويبدو أن أكثر أساتذته تأثيراً في حياته بصورة عامة، هو الشيخ جبريل بن عمر الأغدسي، فقد لازمه نحو عام كامل، يأخذ عنه العلم والفقه واللغة، ويحاول الاقتداء به في كل حركاته وسكناته سواء في مجال البحث العلمي، أو العبادة أو السلوك. وكانت الفترة التي قضاها الشيخ عثمان وأخوه عبد الله بن فودي عند الشيخ جبريل، من أهم فترات حياتهما العلمية والفكرية والدينية والسياسية والجهادية[(٥)]. وكان الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله يشير إلى ذلك دائماً في المناسبات العلمية والدعوية، ليؤكد للناس أنه ما كان ليصل إلى ما وصل إليه، لولا توفيق الله، ثم تفاني الشيخ جبريل رحمه الله في تربيته وتهذيبه، فهو الذي يعود إليه الفضل في توجيه ابن فودي وتنبيهه إلى محاربة المنكرات، ومظاهر الشرك في بلاد السودان الغربي[(٦)].

فهؤلاء هم شيوخ الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، الذي أخرج الناس في بلدان غربي إفريقية من ظلمة الجهل والشرك، إلى نور العلم والإيمان، وهؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ عثمان، كلهم من أبناء السودان الغربي من الفولانيين، والهوساويين والبرناويين وغيرهم، وليس من

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) هو الحافظ المتقن محمد بن ثنب بن عبد الله بن محمد بن سعد، من علماء الفولانيين المشهورين، كان بحراً في علوم الدين واللغة العربية، خرج إلى الحج وأقام في بلاد الحجاز نحو بضعة عشرة سنة ثم عاد إلى موطنه عالماً وداعياً، توفي سنة (١٢٠٧هـ) في مدينة أغدس ودفن فيها. انظر: دعوة محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة،المرجع السابق (ص ١٦٥).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) هو محمد بن راجي بن مودبو بن حم بن عال،من علماء الفولان، ومن أئمة علم الحديث واللغة، رحل إلى الحج، وأقام في المدينة المنورة مدة طويلة يطلب علم الحديث، حتى نقل عن أئمة الكبار هناك الصحاح الست، ولما عاد إلى موطنه عمل بالتدريس والدعوة. انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودعوة الشيخ عثمان بن فودي،المرجع السابق (ص ١٦٣ــ١٦٤).

(٥) انظر: سيرة عثمان بن فودي، عبد اللطيف سعيد،(ص ٣٤)، ضمن البحوث المقدمة إلى الندوة العلمية التي عقدها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، في جمادى الآخرة، سنة ١٤١٦هـ، والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ٩٤).

(٦) انظر: مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي، د. بهيجة الشاذلي،(ص ٢٤ــ٢٥)، (ضمن بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

بينهم عربي واحد، مما يدل واضحة على أن الأفارقة قد وصلوا في تلك المرحلة في العلوم العربية والإسلامية، فاقوا فيها كثيرين من معاصريهم من علماء المشرق العربي والإسلامي[1].

- **تلاميذه:**

تتلمذ على يد الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ثلة من العلماء في شتى العلوم والمعارف الإسلامية، واللغوية وغيرها من أبناء السودان وغيرهم، نذكر منهم على سبيل المثال:

ـــ أخوه عبد الله بن فودي، صاحب التصانيف الكثيرة والمفيدة، كان عبقرياً متبحراً مثل أخيه في شتى الفنون والمعارف، وكان يلقب بـــ "تونغا بلاربين هارسا" أي عربي بلاد الهوسا، كما لقب بـــ "علامة السودان" لعبقريته، له من المؤلفات ما يربو على مئتي مصنف.

ـــ نجلهُ الكبير محمد سعد بن فودي.

ـــ ابنه محمد بللو بن فودي.

ـــ ابنه محمد ثنبو بن فودي.

ـــ ابنته أسماء بنت فودي.

ـــ الشيخ عبد السلام بن إبراهيم.

ـــ الشيخ محمد بن محمد الونكري التمبكتي ... وغيرهم.

- **نشاطه العلمي والعملي:**

إن الأعمال الكبيرة التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله كثيرة جداً يحتاج حصرها إلى بحوث مستقلة، وكيف لا؟! وهو العالم الفذّ، والمجاهد الورع، والسياسي المحنك، والزعيم الإسلامي المجدد، الذي كانت دعوته الإصلاحية من أنشط الدعوات التي ظهرت في بلاد السودان الغربي حتى الآن، مما دفع ببعض الباحثين إلى إجراء دراسات مقارنة بين منهجه الدعوي، ومنهج العلامة والداعية الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله.

كانت حياة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في إمارة "غوبر" التي كانت تُعد من أقوى إمارات "الهوسا" يومَها، وقد شاهد رحمه الله ما كان يسود المجتمع الغرب الإفريقي، من فساد ديني وخلقي وسياسي وثقافي واجتماعي، ورغم أن بلاد غربي إفريقية قد دخلها الإسلام في وقت مبكر، وعمل بعض سلاطينها على تحكيم الشريعة الإسلامية في شؤون حياتهم السياسية

---

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ٩٤).

والاجتماعية والاقتصادية ونحوها(١)، إلا أنه مع مرور الزمن، بدأ تيار وثني يصاحب حركة التحول الواسعة التي شهدها المنطقة إلى الإسلام عبر مراحلها المختلفة، يؤكد ذلك ما صرح به الشيخ محمد بللو رحمه الله، حين قال: «... لقد حدّثونا(٢) أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها، ويذبحون بها، ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة، فيها حيّات، وأشياء يذبحون لها، ويفعلون للبحار والأنهار، كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية، ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها، هم وقراؤهم(٣) وسلاطينهم وعامتهم لا يحضرها غيرهم، ويُسمون ذلك عادة البلد، ويزعمون أن ذلك صدقات ليستعينوا بها على جلب المصالح، ودرء المفاسد، فإذا لم تفعل تلك العادة، بطلت معايشهم، وقلَّت أرزاقهم، وضعفت شوكتهم، وعمَّهم البلاء والفتن. وقد توارثوا تلك العوائد الباطلة كابراً عن كابر ...»(٤).

وقد قسم الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، سكان غربي إفريقية في عهده إلى ثلاثة أقسام، هي:

الأول: من لم يشمَّ رائحة العقيدة الإسلامية النيِّرة، ولم يدخلوا في دين الله؛ فهؤلاء كفار بالأصالة، لا تجري عليهم أحكام الإسلام.

الثاني: من آمن بالله، ويعمل أعمال الإسلام، ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر، ولا يُسمع منه شيء مما يُناقض الإسلام أو يخالفه، فأكدَّ صحة عقيدة هذا النوع من الناس.

والثالث: مُخلِّط أي: من آمن بالله رياء أو سمعة، ويعمل بعض أعمال الإسلام، ولكنه يظهر أعمال الكفر والشرك، ويسمع منه ما يناقض جوهر الإسلام؛ فَحَكم على مثل هؤلاء بالكفر، والخروج من الملة(٥).

اختط الشيخ عثمان رحمه الله لنفسه ـ في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية في غربي إفريقية ـ منهجاً علمياً خاصاً، يتركز على ثلاثة أهداف رئيسة:

---

(١) كما كانت الحال في الممالك الإسلامية: غانا، ومالي، وسنغي وغيرها.

(٢) يعني: المجتمع الغرب الإفريقي في عهده.

(٣) لعله يقصد بهم علماء السوء، الذين زاغ قلوبهم عن منهج الحق، المتمثل في منهج أهل السنة والجماعة.

(٤) إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٢٤) وما بعدها.

(٥) انظر: نور الألباب، المرجع السابق (١ـ٣).

الهدف الأول: التحذير من البدع الشيطانية، والعادات المخالفة لجوهر العقيدة الإسلامية.

الهدف الثاني: العناية بتعليم العامة أصول العقيدة الصحيحة، وإبعادهم عن كل ما يناقض هذه الأصول، أو ينافي كمالها، فحذَّر من عادات جاهلية، وممارسات وثنية، كالسحر والشعوذة والكهانة ونحوها.

الهدف الثالث: محاربة فساد السلاطين والأمراء، والعمل على تحرير الشعوب، ورفع الظلم والاضطهاد عنهم.

وكان للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، مجلسان للدعوة والإفتاء:

أحدهما: يخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدرِّس التفسير، والحديث، والفقه، والأخلاق، وسائر فنون اللغة العربية.

وثانيهما: للتوعية والإفتاء، يخرج له كل ليلة جمعة، ويحضره خلق كثير، يستمعون إليه، ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم.

كما كان رحمه الله يخرج إلى الآفاق القريبة، والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياماً، ثم يعود إلى بلدته حتى نال ثقة الجميع، وظهر له صيت وشهرة، وأضحى يقصده القاصي قبل الداني، وقد تكونت من المستمعين إليه، والحاضرين لمجلسه العلمي فئة مؤمنة منتظمة، كان معظمهم من غير قبيلته[1]، سماها "الجماعة[2]"، استطاع رحمه الله أن يبث فيهم أفكاره، وآراءه، وتعاليمه الإصلاحية، حتى بايعوه على نصرة الدعوة، والجهاد في سبيل الله [3].

وجدير بالإشارة إلى أن الشيخ وجماعته، قد اتبعوا في بداية دعوتهم أسلوب اللين والتدرج مع العامة، والابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات الحاكمة، أو عدم الاختلاط بها حتى لا تفرض عليهم هيمنتها،وسطوتها السياسية، ومنهجها الوضعي الذي يخالف الشريعة الإسلامية، وحتى لا تدخل أيضاً حالة من المواجهة المباشرة مع هذه السلطات، يكون ضحيتها الشيخ نفسه أو جماعته.

وتُعدُّ هذه المرحلة من البدايات الأولى التي مرت بها دعوة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، وهي تحديداً ما بين (١٧٧٤م ــ١٨٠٣م). ومن السمات المميزة لهذه الفترة، تركيز الشيخ

---

(١) كما أشار إلى ذلك أخوه عبد الله بن فودي رحمه الله. انظر: تزيين الورقات، الشيخ عبد الله بن فودي،(ص ٢٣ ــ ٢٤)، مكتبة دادا للنشر والتوزيع، زاريا، نيجيريا.

(٢) أي جماعة المسلمين، وذلك للتفريق بينهم وبين علماء السوء، الذين لا يعرفون من الإسلام وعقيدته السمحة إلا اسمه.

(٣) انظر: الإسلام في نيجيريا ....، المرجع السابق (ص ١٠٤ــ١٠٦).

عثمان رحمه الله على دعوة الناس بكافة طبقاتهم إلى الله، وتعليمهم المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية، ومحو الأمية الدينية، ورفع مستوى الوعي الاجتماعي والأخلاقي(١).

ويأتي في سياق هذه المرحلة، مطالبة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، من حاكم مملكة "غوبر" في أول لقاء معه، بعد صلاة عيد الأضحى في الفترة ما بين (١٨٨٩ـ١٩٠٠م)، بما يلي:

أ ـ أن يحترم الحاكم مقام العلماء وطلبة العلم.

ب ـ ألاً يقف الحاكم في طريق أي شخص، أو جماعة تريد الاستجابة لدعوته الإصلاحية.

ج ـ أن يطلق سراح المسجونين ظلماً.

د ـ أن يمتنع الحاكم عن فرض الضرائب الباهظة على الشعوب المغلوبة على أمرها.

وكان الشيخ رحمه الله يرمي من وراء هذه المطالب، إلى تحقيق مكاسب سياسية بعيدة المدى، إذ لم يكن في استطاعته القيام بأكثر من الدعوة إلى الله، ثم إن مستوى التفكير، والاعتقادات الدينية الموروثة، والمخلوطة بالعادات والعوائد الوثنية الجاهلية، لا تسمح له بالخطاب السياسي في تلك المرحلة؛ لأن عامة الناس تحتاج في تلك الفترة إلى تربية إسلامية صحيحة، تبين لهم طبيعة وأركان دين الإسلام، ثم إن الدخول في معركة خاسرة مع دولة "غوبر" القوية، وبقية ولايات "الهوسا"، تعني وأد حركة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في مهدها، مما يعني إخفاقها في الوصول إلى الأهداف السياسية التي رسمها لنفسها من قبل(٢).

والمرحلة الثانية التي رافقت دعوة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله سنة (١٨٠٤م/١٨١٠م)، بدأت بدخول الشيخ رحمه الله في معركة مع سلاطين بلاد "الهوسا"، بعد أن قويت شوكته، واستجاب لدعوته الجماهير الغفيرة، وأصبح محبوباً بين القاصي والداني(٣).

وكان الشيخ عثمان رحمه الله، لا يتصل بالملوك والأمراء في أول الأمر، ولا يزورهم ولا يذكرهم(٤)، لكن لما سمع ملك "غوبر" بأمره، وبكثرة أنصاره، أرسل إليه يستحضره في جملة

---

(١) انظر: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقية في القرن التاسع عشر الميلادي، أحمد محمد كاني،(ص ٢١ـ٢٢)، ضمن البحوث المقدمة في الندوة العالمية التي عقدها جامعة إفريقية العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة بالخرطوم، جمادى الآخرة، ١٤١٦هـ.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام الدولة الفولاني، حسن عيسى عبد الظاهر،(ص ١٢٧ـ١٣٠)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.

(٣) و أصبح في عيون ملوك وأمراء المنطقة ممن يحسب له ألف حساب.

(٤) خشية هيمنتهم، أو سيطرتهم على مسار الدعوة الإصلاحية.

من العلماء والفقهاء وطلبة العلم، فحضره في جملة من حضر، ووعظه، وطالبه بإقامة العدل بين رعيته، وتطبيق الأحكام الشريعة الإسلامية، فاستجاب له الملك وأدناه، وقلده مستشاراً ومفتياً عاماً للبلاد [١]. ومن هنا بدأ علماء السوء يضمرون له العداء والكراهية، لما ناله من حظوة ومكانة لدى الملك وأعوانه؛ لكن مع ذلك استمر نجم الشيخ رحمه الله يعلو، وارتفع صيته في جميع أرجاء غربي إفريقية، وبدأت جماعته تزداد يوماً بعد يوم، ويزداد تقديرهم له، وطاعتهم إياه حتى بدأ الملك يتوجس منه خيفة، فبدأ يُغري الشيخ عثمان بالمال، ويستهويه بالعطاء والهدايا ليثنيه عن دعوته؛ لكن الشيخ رحمه الله أبى أن ينساق وراء تلك المغريات الجوفاء. فحاول اغتيال الشيخ رحمه الله في يوم عيد بعد أن استدعاه وبعض جماعته إلى قصره، لكن الله تعالى كفاهم شره، فنجوا منه سالمين[٢]. لكن الملك لم ييأس، بل استمر في استفزاز الشيخ رحمه الله حتى دخل معه في معركة مسلحة. فهاجم جماعة الشيخ عبد الله الفلاني أحد كبار تلاميذ الشيخ رحمه الله، ونكل بهم، وقتل منهم عدداً كبيراً، ونهب أموالهم، وسبى نساءهم وذراريهم؛ ثم هدَّدَ الشيخ عثمان رحمه الله، بأنه سيفعل به مثل ذلك إما عاجلاً أم آجلاً ، لكنه توفي قبل ذلك سنة (١٧٨٩م)، فخلفه نجله يعقوب، وبعد وفاته سنة (١٧٩٤م)، ورَّث عرش الإمارة ابنه "نَفَاتَا"، و لم يخف هذا الأخير عداوته وبغضه الشديد للشيخ عثمان رحمه الله على غرار والده، مما حدا به إلى التفكير في قتله غيلة، لكن الله تعالى دحض خطته، وعاجلته المنية سنة (١٨٠١م)، فخلفه نجله "يُونْفَا"، وكان أشدَّ عداءً وبغضاً لمنهج الشيخ الدعوي، وأكثر كراهة للنهج الإصلاحي الذي كان يسعى إليه الشيخ عثمان رحمه الله، فأعلن عداءه السافر للشيخ، وطالبه بمغادرة الأمارة هو وجماعته فوراً. فخرج الشيخ رحمه الله مع جماعته من بلدة "طَاغِل" سنة (١٢١٨هـ) إلى بلدة "قُودُو" ومعه خمسة آلاف شخص، ثم تتابعت الهجرة إلى الشيخ حتى بلغوا عدداً كبيراً لا يستهان به[٣]. لذا أرسل الملك إلى الشيخ رحمه الله يعلن عليه الحرب، فبايعت الجماعة الشيخ رحمه الله على الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن كيان العقيدة الإسلامية، فأصبح الشيخ رحمه الله عسكرياً وقائداً وأميراً، بعد أن كان معلماً، وداعياً، وإماماً.

---

(١) تزيين الورقات، المرجع السابق (ص ١٠–١٢).

(٢) المرجع نفسه (ص ١٥–١٦).

(٣) انظر: إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٩٦–٩٧).

فبدأت المعركة بين الشيخ رحمه الله، وبين هذا الملك الظالم حتى كتب الله له النصر، فأقام دولة إسلامية، عاصمة خلافتها "سوكوتو"، ثم أذعنت له باقي إمارات "الهوسا"، بعضها عنـوة، وبعضها سلماً. ظلَّ الشيخ رحمه الله يحكم ويدعو ويعلِّم، ويجاهد في سبيل الله، حتى وافته المنية سنة (١٨١٧م). وقد استمرت هذه الدولة الإسلامية بغربي إفريقية بخلفائها وأمرائها زهاء مئة عام، حتى أسقطها الاحتلال الأوروبي سنة (١٩٠٣م)[١].

ويمكن إجمال نشاط الشيخ عثمان رحمه الله، العلمي والعملي في النقاط التالية:

١ ـ أسس حركة علمية ودعوية وفكرية، قامت على تحرير العقلية الإسلامية الإفريقية من السلطة اللادينية، مما أدى إلى بعث قيم الدين في الشخصية الإفريقية،وإشاعة المعارف الإسلامية، ومحاربة الأمية الدينية والفكرية وسط الذكور والإناث على السواء، الأمر الذي أدى إلى تدني مستوى الأمية وبخاصة في أوساط النساء المسلمات اللائي أصبحن سند الرجال في الدعوة إلى الله، ونشر الثقافة الدينية الصحيحة في المجتمع، في وقت ساد فيه الجهل والخرافة، واعتماد السحر والشعوذة في مناطق أخرى مختلفة في إفريقية.

٢ ـ قام بواجب الجهاد في سبيل الله أحسن قيام، وأحيا هذه الفريضة العظيمة التي كادت أن تنسى في العالم الإسلامي آنذاك، ووضع لها منهجاً منضبطاً برز آثاره في كتبه وأحاديثه؛ وللشيخ عثمان رحمه الله قرابة مئة كتاب، من أشهرها: "بيان وجوب الهجرة على العباد، وبيان نصب الإمامة، وإقامة الجهاد في سبيل الله".

٣ ـ اعتمد الشيخ عثمان رحمه الله اللغة العربية التي كان يجيدها كتابة وتحدثاً، لغة رسمية تتداول في مملكته، سواء في مجال العبادة أو الثقافة أو التجارة أو السياسة أو الفكر ... إلخ، وذلك لما كان يكنُّه لهذه اللغة المقدسة وأهلها، من احترام وإجلال[٢].

٤ ـ أسس دولة إسلامية على غرار الممالك الإسلامية الغابرة، استمرت زهاء مئة عام (١٨١٧ـ١٩٠٣م)، وذلك عندما قام باحتلالها وتخريبها الاستعمار الانجليزي الغاشم. ولكن مع ذلك كله فلا تزال آثار جهوده باقية إلى اليوم، ويلاحظ ذلك في وجود التمكين لكل ما هو إسلامي وعربي في شمال نيجيريا وما جاورها.

---

(١) انظر: إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ١٩٠).

(٢) ولا تزال الحال كذلك حتى اليوم في أكثر مناطق غربي إفريقية، على الرغم من سيطرة لغة المستعمرين الأوروبيين من إنجليزية وفرنسية وغيرها على كافة النواحي الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ونحوها.

٥ ــ عَدَّ مملكته بوصفها ثغرة من ثغور الإسلام، وكان يسعى لوضع النواة الأولى، تهيئ غربي إفريقية للالتقاء بالمدِّ الإسلامي النشط، والمتنامي في مراكز العالم الإسلامي آنذاك في كل من: الحجاز، والشام، وشمال إفريقية(١).

٦ ــ بذل كل ما في وسعه من قوة البيان، وجودة الأسلوب، ومعرفة الأحكام، لمحاربة البدع والانحرافات العقدية المنتشرة في مجتمعه، وقد جاهد بقلمه، ولسانه، وأخيراً بيده في سبيل نصرة دين الله في تلك البقاع؛ وألَّف كثيراً من الكتب والرسائل في هذا الصدد، كما خصص بعض مجالسه بالدرس والوعظ، لبيان شناعة الشرك، وكذلك في تنقلاته وتجواله بين المدن وقرى بلاد الهوسا وغيرها من مناطق غربي إفريقية (٢).

كما استخدم الشيخ عثمان رحمه الله، جميع الوسائل والأساليب الممكنة لإصلاح مجتمعه، فقد قام بالوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وسلك طريق الاتصال بالزعماء والملوك والأمراء في عهده، وهاجر من بلدته (طاغل) إلى مدينة (قودو) في أطراف بلاد "غوبر" يدعو الناس إلى دين الله، وأخيراً حمل السلاح ضد الأعداء، للدفاع عن عقيدته وكيانه(٣).

---

(١) انظر: مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام،المرجع السابق (ص ٢٠٠ــ٢٠١).
(٢) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ١٩٢ــ١٩٣).
(٣) المرجع نفسه (ص ١٨٧).

- **آثاره ومؤلفاته ومكانته العلمية:**

وأحسن ما نفتتح به الحديث هنا، هو ما قاله الشيخ عثمان بن فودي نفسه في خاتمة كتابه: "نجم الإخوان[1]"، عندما تحدث عن أسلوبه في التأليف، فقال:« وتآليفنا كلها تفصيل لما أُجمل في تآليف العلماء المتقدمين، وتآليف العلماء المتقدمين، تفصيل كذلك لما أُجمل في الكتاب والسنة ...» [2].

فهذا الكلام إن دل على شيء، فإنما يدل على تواضعه، واعترافه بالحقيقة، وردِّ الفضل إلى أهله، وهو أنه لم يأت بجديد لم يذكره السلف المتقدمون، وإنما قام ـــ فقط ـــ بتوضيح ما أجمله المتقدمون، وشرح الغامض منه لتقريبه إلى فهم القراء وطلبة العلم.

وإذا أمعنا النظر في مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله التي بلغت في مجموعها نيفاً ومئة وأربعين، ما بين المطبوع والمخطوط، وباللغتين: العربية والفلانية[3]؛ نجد أنها تنحصر في العلوم التالية: أصول الدين، والتصوف، والفقه، والتفسير، والصرف، واللغة، والتاريخ، والسياسة. والدور الذي قام به الشيخ ابن فودي رحمه الله إزاء هذه الفنون المختلفة، هو دور الباحث الذي يورد آراء العلماء المتقدمين، ليتخذه حجة في تدعيم آرائه، وتوجهاته الدينية والسياسية. وإذا كان هناك اختلاف بين العلماء المتقدمين في مسألة ما، نجده يذكر ذلك الاختلاف، ثم يشير إلى القول الراجح أو المشهور، أو الذي عليه العمل لدى فقهاء المالكية في غربي إفريقية، دون أن يقدم رأياً خاصاً به؛ لأن مسؤوليته كمقلِّد لا تخوِّله إبداء رأي ينفرد به، كما لا تخوِّله الخروج عن آراء العلماء، اللهم إلا ما يكون في كتب التفسير، حيث يسع المجال للتعرض إلى المذاهب والآراء الأخرى[4].

ومن مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله:

ـــ بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية (مطبوع).

ـــ حصن الأفهام من جيوش الأوهام (مطبوع).

---

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً حتى الآن.

(٢) الثقافة العربية في نيجيريا، د. علي أبوبكر، مؤسسة عبد الحفيظ البساط،(ص ٢٤٦)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٣) وإن كانت أكثرها باللغة العربية الفصيحة نظراً لتمكنه منها،وتفوقه على غيره من العلماء فيها.

(٤) انظر: الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٢٤٧).

- إحياء السنة وإخماد البدعة (مطبوع).
- وثيقة الإخوان لتبيين دلائل الكتاب والسنة (مطبوع).
- هداية الطلاب إلى طريق الصواب (مطبوع).
- بيان وجوب الهجرة على العباد، ووجوب نصب الإمامة وإقامة الجهاد.
- نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان.
- ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل.
- عمدة البيان في الأمور التي وجبت على الأعيان.
- تمييز أهل السنة وأنصار الرحمن.
- رفع الأشباه في التعلق بالله وبأهل الله.
- شمس الإخوان يستضيئون بها في أصول الأديان.
- تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة.
- مرآة الطلاب في مستند الأبواب لدين الله الوهاب.
- نور الألباب.
- طريق الجنة.
- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان.
- أصول الدين.
- أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل.
- إعداد الداعي إلى الدين.
- الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين.
- تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان.
- أجوبة محررة عن أسئلة مقررة.
- تمييز أهل السنة وأنصار الرحمن.
- سوق الأمة إلى اتباع السنة.
- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
- تعليم الإخوان بالأمور التي كفَّرنا بها ملوك السودان.

ـــ السلاسل الذهبية للسادات الصوفية.

ـــ تقريب ضروري للدين.

ـــ عمدة العباد.

ـــ السلاسل القادرية... إلى غير ذلك من الكتب التي ألّفها الشيخ ابن فودي رحمه الله.

وللشيخ عثمان بن فودي رحمه الله عدة مقالات متنوعة، وكلها تكاد تتميز بالطابع الديني والدعوي، والسياسي، منها: أصول الدين، وهي تتناول بعض أمور العقيدة، ومنها عمدة المتعبدين المحترفين،وهي مقالة مختصرة في أصول الدين، وعلم الفروع، ومنها مصباح المهتدين، تناول فيه مبادئ علم الكلام، وأصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، ومنها هداية الطلاب، تناول فيها أمور الدين والتصوف. كما أن له مقالات أخرى أسماها الفتاوى للسائل، تناول فيها حكم الإسلام في بعض الممارسات التعبدية، من جواز، وحرمة، وكراهة ... إلخ، ومنها المسائل المهمة التي تحدث فيها عن السياسة الإسلامية التي انتهجها بعد فتحه لبلاد الهوسا، ومنها: مرآة الفرائض، تناول فيها عدة أمور دينية، كالصوم والنكاح والعدة والبيوع، فضلاً عن مسائل الميراث وغيرها[1].

كما كان للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله مكانة علمية مرموقة سواء على مستوى غربي إفريقية، أو على مستوى العالم الإسلامي، وتخرَّج على يديه أكثر من مئة فقيه وعالم، ممن بلغوا شأو الاجتهاد المذهبي في الفقه المالكي في غربي إفريقية وما جاورها.

وهكذا، فالخلاصة التي يمكن أن نصل إليها في ترجمة هذا العالم الرباني الفذّ الذي يأتي على رأس هرم العلماء المجددين في نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين الميلاديين في غربي إفريقية، هي: أن الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله عالم وفقيه وواعظ، وداعية ومربٍّ ومصلح وزعيم،وقائد وأمير وحاكم وإمام، بل كان الشيخ رحمه الله إماماً جامعاً لخصال الخير كله[2].

---

(١) انظر: الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٢٦٢ـــ٢٦٣).

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ٩٥).

- **عقيدته:**

كان الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله أشعري العقيدة، قادري الطريقة[1]، ولهذا فقد خالف منهج السلف في كثير من المسائل العقدية التي أوردها في مؤلفاته، يقول عنه ابنه محمد بللو في ذكر ما كان يُحدّث الناس به من أصول الدِّين: «... والعالم حادث وصانعه الله تعالى، واجب الوجود، قديم لا أول له، مخالف للحوادث، ما هو بجرم ولا صفة للجرم، ولا جهة له ولا مكان، بل هو ما كان في الأزل قبل العالم، غني عن المحل والمخصص، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، قادر بقدرة، مريد بإرادة، عالم بعلم، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مختار في فعله وتركه، والكمال الإلهي كله كامل له، والنقص الذي هو ضد هذا الكمال الإلهي مستحيل عليه»[2]، وغير ذلك من المسائل العقدية التي كانت له آراء فيها مخالفة لنهج أهل السنة والجماعة رحمهم الله، ولعل السبب في ذلك ـــ والله أعلم ـــ يعود إلى نشأته الأولى وتأثره العميق بالبيئة المحيطة به، وعدم احتكاكه بعلماء آخرين من المشرق العربي الإسلامي، وبخاصة في مكة والمدينة المنورة، حيث منبع الدعوة السلفية في التاريخ الإسلامي. وسيأتي تفصيل ذلك كله ـــ إن شاء الله ـــ عند تقويمنا لنهجه الدعوي والإصلاحي.

- **وفاته:**

فبعد نشاط علمي ودعوي حافل، وبعد جهاد متواصل فاق جميع التوقعات لنصرة دين الله، فقد تكللت جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في النهاية بتأسيس الدولة الإسلامية التي كان يحلم بها منذ صباه، وقيامها على مفهوم دار الإسلام، والأمة الإسلامية الواحدة.

وبعد كفاح عريض في سبيل الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على إصلاح مجتمعه: اجتماعياً ودينياً وثقافياً وسياسياً ... إلخ، توفي الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله سنة ١٨١٧م في مدينة سوكوتو بشمال نيجيريا الحالية، وقد استمرت الدولة الإسلامية التي أسسها بعد وفاته، زهاء قرن من الزمان، قبل أن يحتلها الانجليز، ليحوِّلوها إلى دولة علمانية تحكم بالقوانين الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية التي حكمت تلك البلاد. فرحم الله تعالى عالماً كرَّس حياته لنشر العلم، وجمع القلوب على حبِّ الله ورسوله ﷺ، وكان صداعاً للحق بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم.

---

(١) المرجع نفسه (ص ١٠١).

(٢) إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٧٤).

المطلب الثاني

الشيخ آدم بن عبد الله الألوري رحمه الله

- **اسمه ونسبه ومولده ونشأته:**

هو الشيخ آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الأويوي الألوري النيجيري، كان والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله، كثير الترحال، وعشيق الانتقال، خرج من مسقط رأسه إلى قرية "واسا" في دولة بنين المجاورة بحثاً عن لقمة العيش، حيث استقر به المقام، فوفقه الله تعالى ومكّن له حتى تولى إمامة البلدة. ونظراً لما كان للعلماء من مكانة اجتماعية وثقافية رفيعة في ذلك الوقت عند الملوك والرعايا، لما كانوا يتمتعون به من أخلاق إسلامية عالية، فقد تزوج الشيخ عبد الباقي السيدة عائشة بنت زعيم البلدة من قبيلة "بربرة" رغبة في إسلامها، فأسلمت وحسن إسلامها، فهي أم الشيخ آدم عبد الله الألوري[1].

ولد الشيخ الألوري سنة (١٩١٧م) في بيت علم وفضل، إذ كان أبوه عالماً زاهداً ورعاً. فنشأ تحت كنف والده في بلدة "واسا" حتى ناهز ثلاث عشرة سنة من عمره. ثم قدر الله تعالى لهم العودة إلى مدينة "الورن" مسقط رأس والده سيراً على الأقدام كعادة المسافرين في ذلك الوقت[2]. وكان الشيخ آدم في عنفوان شبابه، يحب السفر والترحال مع والده دائماً، يقول عن والده في ذلك الوقت: «ولما استقر به المقام في "الورن" اتخذ لنفسه أستاذين يتعلم منهما: أحدهما يتعلم منه القصائد والأشعار في الزهد والورع، والمدائح النبوية، وهو الشيخ ألاهوسا. وثانيهما يتعلم منه علوم التفسير، والحديث والفقه ونحوه، وهو الشيخ أحمد الهاشمي أركيهويو، ولم يزل كذلك حتى صرفه طلب العيش لأهله، والعمل الدؤوب عن مواصلة الدروس. فبدأ الترحال والتنقل في القرى والمدن البرناوية من مدينة "الورن"، و"أوشويو"، و"أويو"، و"إبادن"، و"إجيبوا"، وكان يأخذني معه في حله وترحاله منذ نعومة أظفاري، يهتم بتربيتي على الأسلوب القاسي الشديد، ويعلمني مما علمه الله من العلوم اللغوية والدينية إلى أن وصلنا مدينة "إبادن" سنة ١٩٣٤م، وهناك أرسلني إلى

---

(١) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري: نسبته، وشخصيته، ووصيته، مشهود رمضان جبريل الأميري،(ص ١٣ـــ١٥)، ط١، مكتبة الله نور، لاغوس ١٤٢٥هـ.

(٢) لعدم توفر وسائل النقل المريحة كما هي الحال عليه في يومنا هذا،من سيارات فارهة،وطائرات وقطارات سريعة ومريحة وغيرها.

مجلس الشيخ صالح سبط أستاذه مالك ألاهوسا لأواصل تعليمي عنده، وبهذا انفتح أمامي منهج آخر جديد في الحياة غير تلك التي كنت أسير عليها عند والدي رحمه الله»[1].

وقد رُزق الشيخ آدم بن عبد الله الألوري رحمه الله بأولاد كُثر ذكوراً وإناثاً، نذكر منهم على سبيل المثال:

- من الرجال:

١ ـــ رضوان الله.

٢ ـــ حبيب الله: مدير مركز تعليم الإسلامي حالياً.

٣ ـــ جمال الدين: مؤسس جمعية الروضة الجمالية الإسلامية.

٤ ـــ محمد ثوبان: إمام وخطيب مسجد الجامع الذي بناه والده رحمه الله، ومدير مركز العلوم أوتوبو بأغيغي لاغوس.

٥ ـــ عبد الله المحامي.

- ومن الإناث، نذكر منهن: مريم، وحليمة، وغير هؤلاء كثير من الذكور و الإناث[2].

- **طلبه للعلم ورحلاته:**

لقد بدأ الشيخ آدم عبد الله الألوري حياته العلمية على يد والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله[3] بحفظ القرآن الكريم، والعلوم الدينية و اللغوية، ولازمه في أسفاره وإقامته حتى صار ساعده الأيمن. ثم انطلق إلى مدينة "إبادن" واجتمع مع الشيخ صالح بن محمد الأول الداعية المعروف في مدينة "إبادن"، والذي أنشأ "كُتّاباً" لتعليم أبناء المسلمين في منزله، فأخذ عنه العلوم الإسلامية، واستفاد من طريقته في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي سنة ١٩٣٥م انتقل الشيخ آدم الألوري إلى مدينة "لاغوس" ليتدرب على فنون الوعظ والإرشاد من خلال المشايخ والدعاة المعروفين هناك، فالتقى بالشيخ عمر أحمد الأبجي، وكان

---

(١) من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت، آدم عبد الله الألوري،(ص ٣)، مطبعة الثقافة الإسلامية، لاغوس، ١٤١١هـ.

(٢) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته، المرجع السابق (ص ١٨ـ١٩).

(٣) هو الشيخ عبد الباقي حبيب الله بن عبد الله والد الشيخ آدم الألوري، من مدينة إلورن بنيجيريا الحالية، كان كثير السفر و الترحال، وقد مكث في بلدة واسا، الواقعة في جمهورية بنين الحالية ردحاً من الزمن، فزوجه سلطان البلدة ابنته التي صارت فيما بعد أماً للشيخ آدم، أخذ منه الشيخ آدم مبادئ العلوم الشرعية واللغوية ونحوها، توفي في أغيغي بمدينة لاغوس سنة ١٣٧٥هـ. انظر: من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت، المرجع السابق (ص ٢ـ٣).

يراجعه في كل ما يتصدى له من المسائل المتعلقة ببعض الأحكام الشرعية التي لم يطلع بعد عليها[1]، حتى أصبح الشيخ عمر رحمه الله أستاذاً له يتردد إليه كلما زار مدينة "لاغوس" ليتزود من علمه الغزير.

وقد تأثر الشيخ آدم الألوري برجال الطرق الصوفية، وبخاصة القادرية التي كانت مسيطرة على الساحة الإسلامية في وقته، ومنها تعرف على عالم من أهل شمال نيجيريا من قبيلة الهوسا، وهو الشيخ آدم نماجي الكنوي، فأخذ عنه علوم البلاغة والعروض وغير ذلك[2]. وهو من أحفاد العرب المغاربة الذين استوطنوا مدينة "كانو" في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد لقيه الشيخ آدم الألوري سنة ١٩٤١م، عندما كان يريد الانتساب إلى الطريقة القادرية، فيقول عنه في سيرته: «ولما أدركته وجدته بحراً لا ساحل له في مختلف العلوم الدينية واللغوية، لذا انتظمت في سلك تلاميذه، وبدأت أتثقف عليه بتقويم الإنشاء الصحيح»[3].

كما ترسخت لدى الشيخ آدم الألوري أثناء حياته العلمية المبكرة قناعة، بأنه لا بد من السفر والارتحال والاتصال بأعلام الفكر الإسلامي، والثقافة العربية والإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وذلك للاجتماع بهم، والاقتباس من معين علومهم وفنونهم؛ خرج سنة ١٩٤٦م عازماً على زيارة المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والسودان العربي. فالتقى خلالها في مكة المكرمة بالشيخ السيد علوي مالكي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ موسى الكشناوي، والشيخ عثمان عمر الفلاتا، والأمير بِينو حفيد عثمان بن فودي. وفي المدينة المنورة اجتمع مع الشيخ الكتا الكانمي، والشيخ محمد طاهر العقلي من المدرسة الشرعية. وفي السودان التقى بالسيد علي الميرغني، والسيد عبد الرحمن المهدي، والشيخ محمد المبارك، والشيخ أحمد الفاتح قريب الله. وفي مصر قابل شيخ الجامع الأزهر الدكتور مصطفى عبد الرازق، والشيخ محمود أبو العيون، والشيخ محمد شلتوت، والشيخ حسن البنا مرشد جماعة الإخوان المسلمين، وقد تركت هذه اللقاءات أثراً كبيراً في مسار تفكير الشيخ آدم الألوري واتجاهاته العلمية والدعوية فيما بعد، يقول عن نفسه في ذلك: «أما أساتذتي من العرب الأقحاح فلا أستطيع إحصاءهم

---

(١) كبعض المسائل المتعلقة بالفرائض، وأحكام المعاملات، والأحوال الشخصية وغيرها.
(٢) انظر: من هنا نشأت وهكذا تعلمت، المرجع السابق (ص ١١).
(٣) المرجع نفسه (ص ١١ــ١٣).

عدداً، ومنهم من استفدت منه موضوعاً كاملاً من مواضيع العلوم والبحوث، ومنهم من راجعته لحلِّ مشكلة من فصول وأبواب في كتاب أو كتب، ولما سافرت إلى مصر، لازمت الشيخ محمود أبا العيون الذي كان شيخ علماء الإسكندرية، ثم تولى مهام السكرتير العام للمعاهد الأزهرية، ومنهم الشيخ شلبي يحيى، والشيخ عثمان مريزيق، ومنهم الشيخ محمود شلتوت قبل أن يتولى المشيخة الأزهرية وبعد توليه، ومنهم الإمام حسن البنا المرشد العام للإخوان...» [1].

- **شيوخه:**

لقد تتلمذ الشيخ آدم عبد الله الألوري على أيدي كوكبة من العلماء والفقهاء من العرب وغيرهم، ونذكر منهم: والده الشيخ عبد الباقي بن حبيب الله، والشيخ صالح بن محمد الأول [2]، والشيخ عمر بن أحمد الإمام الأبجي [3]، والشيخ آدم نمعاجي الكنوي [4].

كما أن له أساتذة من العرب، سواء من السعودية، أو من السودان، أو من مصر، وكانت جمهورية مصر العربية أكثر دولة عربية قام الشيخ بزيارتها أكثر، والاستفادة من علمائها وفقهائها في ذلك الوقت، رحمهم الله جميعاً [5].

---

(١) من هنا نشأت وهكذا تعلمت، المرجع السابق (ص ١٥ــ١٦).

(٢) هو الشيخ صالح بن محمد الأول من حي أبيجي بمدينة إلورن، تعلم على يد جده من جهة أمه الشيخ مالك، ثم انتقل منها بأمر من الشيخ مالك إلى مدينة إبادن، وأنشأ معهداً، استفاد منه أعداد غفيرة من أبناء غربي إفريقية، وكان الشيخ آدم يحضر دروسه، ومجلس علمه ووعظه، ومنه أخذ طريقته في الوعظ والإرشاد، توفي سنة ١٩٨٥م رحمه الله . انظر: من هنا نشأت ...، المرجع السابق (ص ٥ــ٧).

(٣) هو عمر بن أحمد الإمام الأبجي ولد في بيت علم ودين، وكان والده عالماً نجيباً لكنه توفي وهو صغير، فتربى في كنف إخوانه وأعمامه، لما زار الشيخ آدم مدينة لاغوس أول مرة للتدريب على الوعظ والإرشاد، كان يراجعه باستمرار في كل ما يتصدى له من مسائل الدين، وكان يباهي به مشايخ البلدة أن يأتوا بمثله من تلاميذهم، حج الشيخ عمر سنة ١٩٦٠م،وتولى منصب جده في الإمامة في الأبجي سنة ١٩٧١م، وبقي فيها حتى وافته المنية سنة ١٩٧٤م رحمه الله. انظر: من هنا نشأت ..، المرجع السابق (ص ٨ــ٩).

(٤) هو الشيخ آدم بن محمد العربي بن آدم الكنوي الفندكي العطار، كان أجداده من العرب المغاربة، سكنوا مدينة كانو حيث ولد الشيخ آدم، تلقى تعاليمه الإسلامية واللغوية من عدة مشايخ عصره في كانو، كما تلقى من عدة مشايخ عرب مغاربة، له مؤلفات يزيد على ستين كتاباً، من منثور ومنظوم في مختلف الفنون، وكان قادري الطريقة، توفي في مدينة مدغوري سنة ١٩٤٤م، وهو في طريقه إلى الحج. انظر: من هنا نشأت ..، المرجع السابق (ص ١١ــ١٣).

(٥) انظر: المرجع نفسه (ص ٣ــ١٥).

● **تلاميذه:**

لقد تجول الشيخ آدم الألوري كثيراً داخل موطنه وخارجه طلباً للعلم، وأمضى في ذلك مدة غير يسيرة، تحمَّل فيها المتاعب، وقدَّم أثناءها كثيراً من التضحيات الجسيمة، صابراً محتسباً. ولما أوقف الترحال، وألقى عصا التسيار، باشر عملية التدريس والدعوة إلى الله، فكان من تلاميذه ألوف من أبناء غربي إفريقية وغيرها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ محمد راجي سليمان الإمام، والشيخ أحمد المحلي بخاري، الأستاذ عبد الغني صلاح الدين، الشيخ يحيى مرتضى، الشيخ مصطفى زغلول السنوسي (مدير دار الدعوة والإرشاد بنيجيريا)، الأستاذ عيسى بللو، والشيخ إبراهيم حمدي كوفوردي، والأستاذ حامد إبراهيم، الشيخ ذو الكفل يوسف جبريل، والشيخ محمود إبراهيم أينيدي، والشيخ محمد مشكور يوسف، والشيخ مسعود مصطفى أبوبكر المغربي، والأستاذ أحمد الفاتح شئث ثاني الخليفة، والشيخ عبد السلام مصطفى (الشيخ المقري)، والأستاذ محمد مرتضى ناصر، والأستاذ محمد مرتضى مصطفى[1].

● **نشاطه العلمي والعملي:**

لقد قدم الشيخ آدم بن عبد الله الألوري كثيراً من الخدمات الجليلة للإسلام والمسلمين داخل موطنه بنيجيريا وخارجها، ويمكن تلخيص تلك الأعمال المباركة في النقاط التالية:

أولاً: السعي الدؤوب لتوحيد صف الأمة الإسلامية في غربي إفريقية انطلاقاً من نيجيريا أُمِّ دول غربي إفريقية اقتصادياً وسكاناً، فقد نهضت همة الشيخ آدم رحمه الله، فقام أولاً بالعمل المضني لتوحيد صفوف علماء وفقهاء نيجيريا، إدراكاً منه بأن صلاح الأمة وتوحيد صفها لن يتأتى إلا بوحدة صف علمائها ودعاتها، مع إيجاد نقطة التفاهم والالتقاء بينهم مهما كانت الفجوة كبيرة، واستطاع بحنكته وذكائه أن يزيل التمييز العنصري بين مسلمي شمال نيجيريا وجنوبها إلى حدٍّ ما، يقول في بعض محاضراته عن خطته لربط مسلمي الشمال مع إخوانهم في الجنوب، وعن سبب إنشائه لمركز التعليم العربي النيجيري بما نصه: «لقد عملتُ أعمالاً كثيرة، بعد أن نشرتُ أقوالاً في تحقيق الوحدة بين الجهتين المسلمتين، وذلك للخطة التالية:

الأولى: ففي عام ١٩٤٩م اتصلت بأئمة بلاد يوروبا، وبعلماء وسلاطين بلاد الهوسا، إلا أنهم جميعاً قابلوا عملي هذا بالبرودة والكسل، وشجاعتي النادرة بالجبن والخور، لذا رجعت وعزمت على إنشاء هذا المركز سنة ١٩٥٢م ليكون مركز إشعاع للأجيال الصاعدة من الجهتين.

---

(١) انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته، المرجع السابق (ص ٧١ ــ ٧٤).

الثانية: وفي عام ١٩٥٨م تعاونت مع مجموعة من الشباب الهوساويين على إنشاء جمعية شباب الإسلام، برئاسة الشيخ صالح غرباء، فكان من آثار هذه الجمعية المباركة، قيام علماء بلاد الهوسا بإنشاء مدارس إسلامية في بلاد يوروبا في "أغيغي، وشاغومو" وغيرها، تُعنى بنشر تعليم الإسلام الصحيح في تلك المناطق.

الثالثة: وفي عام ١٩٦٢م اجتمعت مع عشرين إماماً من أئمة بلاد يوروبا في مدينة "إلورن" باعتبارها همزة وصل بين شمال البلاد وجنوبها، وتم على أثر ذلك إنشاء رابطة الأئمة والعلماء. وقد تم بناء مقر لها في مدينة "إبادان" فيما بعد، وذلك بعد أن حاول بعض المغرضين والمناوئين نسف جهود الرابطة وإبطالها، في جمع شمل المسلمين في مدينة "إلورن".

الرابعة: في عام ١٩٨٢م تعاونت مع الزعيم القبلي الشيخ إسحاق رابح الكنوي، على نشر الدعوة الإسلامية في كل مناطق غربي إفريقية انطلاقاً من نيجيريا بلد الأم، في محاولة لتوحيد صف الأمة الإسلامية في غربي إفريقية، و العمل على ربط الشمال بالجنوب ثقافياً ودينياً واجتماعياً. وكان من نتائج هذه الدعوة المباركة وآثارها الطيبة، تأسيس وبناء "جامعة الشعوب" سنة ١٩٨٢م. وقد دُعي لافتتاحها عام ١٩٨٣م إلى نيجيريا، كل من: الأمير فيصل آل سعود، والشيخ الأزهر آنذاك، ولا تزال هذه الجامعة قائمة حتى الآن تعطي أكلها في نشر العلوم الإسلامية، واللغة العربية بين أبناء الشمال والجنوب على سواء»[1].

ثانياً: تأسيس المركز لتعليم العربي والإسلامي:

أنشأ الشيخ آدم عبد الله الألوري مركز التعليم العربي والإسلامي سنة ١٩٥٢م، وبدأ العمل فيه على أشده منذ إنشائه، وذلك في منزل صغير تم استئجاره بالتعاون مع جماعة أنصار الدين في مدينة "أبيوكوتا"، ثم انتقل هذا المركز ــ فيما بعد ــ إلى مقره الدائم في مدينة "لاغوس" حيث لا تزال حتى اليوم، وقد كلل الله تعالى جهود الشيخ آدم الألوري بالنجاح، وكافأه على إخلاصه وبذله وعطائه، فقد أصبح هذا المركز يخرِّج الآلاف سنوياً من طلبة العلم من أبناء غربي إفريقية وغيرهم.

ثالثاً: كان يدير المركز التعليم العربي الذي أسسه في مدينة أغيغي، ويخطب كل جمعة في مسجد هذا المركز، ويلقي الدروس الدينية، وتفسير القرآن الكريم في ليالي شهر رمضان المبارك

---

(١) الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٣١ــ٣٢).

ـــ من كل عام وحتى وفاته ـــ التي كان يحضرها نحو ثلاثة آلاف من الرجال والنساء، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[1].

- **آثاره ومؤلفاته ومكانته العلمية:**

ومع هذه الجهود الكبيرة التي تأكل الأعمار بمرور الأيام والليالي، كان الشيخ آدم رحمه الله يحب التأليف والكتابة، وكان يرغب في ذلك، ويحث عليه أبناءه وتلامذته، وذلك بعد أن ألف للإسلام رجالاً ونساء، وعمل على تحرير عقولهم من الشبهات والخرافات المنتشرة في المجتمع الإفريقي الغربي آنذاك، تمهيداً لتصحيح عقيدتهم وانقيادهم لربهم تبارك وتعالى، يقول في نصيحته وتوجيهه لبعض تلامذته: «ونصيحتي إلى هؤلاء الشباب أن يجدوا ويجتهدوا في الكتابة، وأن لا يخافوا من الوقوع في الخطأ، ولا يكترثوا بالمادح والقادح، كما فعلتُ أنا حتى ظهرتُ بالكتابة» [2].

وقد ألَّف الشيخ آدم الألوري رحمه الله كتباً كثيرة في مختلف فنون الدعوة، والتاريخ، واللغة العربية، والفلسفة، و التصوف، والشعر، والزهد، وفي المدائح النبوية، نذكر منها:

- تاريخ الدعوة الإسلامية.
- تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم.
- توجيه الدعوة والدعاة.
- موجز تاريخ نيجيريا.
- الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا.
- الإسلام وتقاليد الجاهلية في نيجيريا.
- الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي.
- فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة.
- نظام التعليم العربي وتاريخه.
- دور التصوف والصوفية.
- الإسلام بين الحقيقة والواقع.
- الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين الميلادي.
- آثار العلم والفلسفة والتصوف.

---

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ١٨٤).

(٢) الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٦٧).

ـ فلسفة الولاية، بالإضافة إلى كتب مدرسية أخرى كثيرة [1].

وعن مكانته العلمية، فإن للشيخ آدم الألوري رحمه الله شخصية فذة بين الشخصيات الإسلامية في غربي إفريقية، فهي شخصية برزت في ميدان يمكن وصفه بأعجوبة غربي إفريقية في ذلك الوقت، حيث لم يمنعه التأليف من مباشرة وظيفته الأساسية في التدريس يومياً سواء في المركز، أو في منزله، أو في مسجده، إضافة إلى أعماله الفكرية والثقافية والاجتماعية الأخرى من إمامة، ومحاضرات، ومراسلات لعدد من العلماء والأمراء والأدباء، ورجال الفكر في العالم العربي والإسلامي، إضافة إلى مشاركاته العديدة في المؤتمرات الإسلامية العالمية، وفي المناسبات الدينية المختلفة بالتوعية، والوعظ والإرشاد هنا وهناك في ربوع البلاد وخارجها [2].

ونظراً لما تميز به الشيخ آدم الألوري من مكانة علمية مرموقة، ولما قدمه من جهود علمية بارزة في مجال نشر الثقافة العربية والإسلامية في غربي إفريقية، فقد كافأه الأزهر الشريف بمنحه وسام العلوم والفنون من الطراز الأول، تقديراً لجهوده باسم جمهورية مصر العربية. وقد قام بتقليده هذا الوسام لأول مرة في تاريخ كلية الآداب بجامعة الأزهر، الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك في قاعة محمد عبده بالأزهر، صباح يوم الخميس الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ، الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٩م. كما كان الشيخ آدم رحمه الله يتمتع بعضوية كل من: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومجمع البحوث الإسلامية بجمهورية مصر العربية [3].

- **عقيدته:**

كان الشيخ آدم الألوري رحمه الله أشعري العقيدة، قادري الطريقة، يقول في ذلك عن نفسه: « ... وأنا كواحد من الذين تربوا على أيدي العلماء الأفارقة المالكين والأشاعرة والصوفية القادريين والتجانيين الذين أخذت عنهم التربية الإسلامية، والعلوم العربية ... حتى صرتُ ممن يشار إليه بالبنان في الدعوة إلى الإسلام في غربي إفريقية» [4]، ولهذا فقد خالف منهج أهل السنة والجماعة في مسائل عقدية عديدة، وبخاصة تلك التي أوردها في مصنفاته، مثل قوله في:

---

(١) وقد أوصل بعضهم أعداد هذه الكتب المدرسية على أكثر من عشرين كتاباً. انظر: الشيخ آدم عبد الله الألوري نسبته وشخصيته ووصيته، المرجع السابق (ص ٦١).

(٢) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ١٨٤).

(٣) انظر: المرجع نفسه (ص ٦٣).

(٤) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٨).

"توجيه الدعوة والدعاة" ما نصه: « فالدعوة إلى مذهب السلف في العقيدة لا ينبغي إنكارها، بل تجب إجابة من دعا إلى إحيائها، وفي الوقت نفسه، لا ينبغي محاولة القضاء على المذاهب الاعتقادية الأخرى، فإنها صارت تراثاً ثقافياً علمياً فكرياً للإسلام يجب التزوُّد به، وإذا كان الاكتفاء بالأدلة القرآنية واجباً للمسلم العادي أو الطالب المبتدئ، فليس من الحكمة أن يمنع طلاب العلم من النظر في علم الكلام والمذاهب الاعتقادية الأخرى في الإسلام»[1]، وغير ذلك من المسائل العقدية التي كانت له آراء فيها شاذة ومخالفة لنهج أهل السنة والجماعة، وسيأتي تفصيل ذلك كله في الباب الثالث، عند تقويمنا لنهجه الدعوي والإصلاحي.

قلتُ: إن القول بأنه لا ينبغي القضاء على المذاهب الإسلامية الأخرى، لكونها تراثاً إسلامياً فكرياً يجب التزود به ... وأنه ليس من الحكمة منع طلاب العلم من النظر في علم الكلام والمذاهب الاعتقادية الهدامة الأخرى ...

فيجاب عليه: بأن الاكتفاء يجب أن يكون فقط بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لأن فيهما الحق الذي يغني طالب العلم من النظر في خزعبلات الفلاسفة والمتكلمين، وفي المذاهب الاعتقاد الأخرى الباطلة.

ولعل هذا الغلط ناتج عن تأثر الشيخ آدم الألوري الشديد بأئمة الأشاعرة في بلده نيجيريا، وقلة احتكاكه بعلماء أهل السنة من خارج إفريقية[2]، وبصفة خاصة أئمة الدعوة السلفية بالمملكة العربية السعودية (حرسها الله، وأدام عليها وعلى أهلها نعمة الأمن والرخاء).

- **وفاته:**

توفي الشيخ آدم بن عبد الله الألوري رحمه الله فجر يوم الأحد الخامس من شهر إبريل سنة ١٩٩٢م، أثناء علاجه بأحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن، لينهي بذلك رحلة نضال استمرت قرابة الخمسين عاماً، بعد حياة حافلة بالعطاء والبذل والكفاح، والإنجازات الكبيرة للإسلام والمسلمين في تلك الديار الإفريقية، تغمده الله تعالى بواسع رحمته ومغفرته، وأسكنه فسيح جناته[3].

---

(١) المرجع نفسه (ص ٣٧—٣٨).

(٢) وسيأتي ذكر مزيد من أخطائه من الناحية العقدية عند الحديث عن آرائه الاعتقادية في بعض المسائل التي تحدث عنها في خطبه ومؤلفاته المختلفة.

(٣) انظر: مجلة الكوثر، العدد (٦١) رمضان، شوال سنة (١٤١٥هـ)، نوفمبر سنة (٢٠٠٤م)، ص (٥٢—٥٤) تحت عنوان: (آدم الألوري مناضل من أجل التعريب)، وانظر: موقع إسلام أون لاين، مقالة للأستاذ الخضر عبد الباقي محمد، بعنوان: نظام الشيخ آدم الألوري في تعليم التأليف باللغة العربية في نيجيريا، وقصيدة الزهد للشيخ آدم الألوري (ص ٣—٥)، وانظر: مجلة=

المطلب الثالث

الشيخ أبو بكر بن محمود غومي رحمه الله

- **اسمه ونسبه ومولده ونشأته:**

هو الشيخ أبوبكر بن محمود بن أحمد بن الشيخ علي بارو البدوي الغومي النيجيري، ولد رحمه الله في قرية "غومي Goumi" في إمارة سوكوتو (بولاية زامفرا النيجيرية)، في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤هـ، الموافق ٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٤م.

كان جده رحمه الله من العرب الرُّحل، الذين يتنقلون بحثاً عن المراعي الجديدة والخصبة لدوابهم، وقد هاجر إلى مدينة "سوكوتو" بعد دخول الإسلام إليها [(١)].

نشأ الشيخ أبوبكر غومي في حجر والده الشيخ محمود غومي الذي كان يعمل قاضياً، وكان أعلم زمانه في مدينة "سوكوتو" وما حولها، حتى لُقب بـ "ملام" بمعنى علامة[(٢)]، وقد اشتهر الشيخ بهذا الاسم الجديد حتى أصبح الناس لا يعرفونه إلا بهذا الاسم "ملام نا غومي" أي "علامة بلدة غومي"، سواء داخل بلدته أو خارجها.

وقد بارك الله تعالى في حياة الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله، ورزقه من زوجاته الأربع تسعة وعشرين ولداً، منهم الذكور والإناث، وكلهم أحياء يرزقون [(٣)].

فمن أولاده الذكور: حمزة، عبد القادر، عبد العزيز، حسن، يوسف، عباس، أحمد، إبراهيم، عثمان، علي، عبد الرحمن، أبوبكر... إلخ.

ومن الإناث: خديجة، أم الخير، عائشة، حفصة، حواء، بركة، زبيدة، أسماء، سعدية ...إلخ.

كما وُفق الشيخ غومي رحمه الله في تربية أولاده تربية مثالية، إذ لا يكاد يوجد فيهم مَن ليس له تعمق في العلوم الإسلامية، إضافة إلى تميزهم وإلمامهم في تخصصاتهم في ميادين العلوم المدنية المختلفة، فمنهم أطباء، ومهندسون، ومحامون، وأساتذة جامعيون، وموظفون في الدوائر

= الفيصل عدد (٢٨٠٤)، شوال سنة (١٤٢٠هـ)، مقالة لأستاذ آصف فورلان أحمد، بعنوان: (من أعلام الإسلام في نيجيريا)، ص (٧٣ـ٨٠).

(١) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٤)، وانظر: توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا، عبد رفيع أديسا بلو،(ص٦١)، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

(٢) ولا تزال هذه الألقاب مشهورة في المنطقة حتى اليوم، يُلقب بها العلماء والدعاة والعبّاد.

(٣) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٢٠٢).

الحكومية المختلفة، وفي الجيش ونحوه، يقول عن نفسه: « إنه لا تكاد توجد مهنة مـــن المهـــن، أو حرفة من الحرف الدنيوية إلا وفيها ممثل من أفراد أسرتي» [1].

من أكبر أولاده الذكور الدكتور حمزة أبوبكر غومي، وهو طبيب يعمل حالياً مـــع وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية، وأحمد أبوبكر غومي كـــان في الجـــيش النـــيجيري ســـابقاً، ويدرس الآن في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية، ويعدُ خليفة الشيخ بعد وفاته رحمه الله.

- **طلبه للعلم ورحلاته:**

لقد أظهر الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله رغبة شديدة في تحصيل العلوم منذ صغره، فقـــد حفظ القرآن الكريم، ومبادئ الدين على يد والده، الذي كان يتعهده بالعناية، وحسن التربيـــة، وكان يداوم على اصطحابه معه إلى مجالس العلم، ومنازل العلماء، وكان يتعمد سؤاله في بعـــض المسائل والقضايا الفقهية الدقيقة، ليتيح له فرصة بناء الثقة والاعتزاز بالنفس. وكان قد ألحقه أبوه بالتعليم الابتدائي بقرية "دوغن داجي" على نهج التعليم الغربي النصراني، وعلى الرغم من المعارضة الشديدة لهذا النوع من التعليم في المجتمع الإسلامي في بلاد الهوسا[2]، فإن أباه أصر على ذلـــك رغبة منه في أن يجمع الشيخ أبوبكر بين التعليم الإسلامي والغـــربي، ثم المدرســـة الوســـطى في سوكوتو، وحصل منها على شهادة المعلمين "المرتبة الرابعة".

ونظراً لذكائه الشديد، التحق بعد تخرجه بـــ "المدرسة الوطنية للموهـــوبين" في شمـــال نيجيريا، ثم التحق بعدها بكلية القضاء الشرعي التابعة لمدرسة العلوم العربية بمدينة "كانو"، وفيها تعلم العربية والدراسات الإسلامية بعمق لمدة خمس سنوات، حتى تخرج فيها سنة (١٩٤٧م)، ثم حصل على منحة دراسية في معهد التربية في مدينة "بخت الرضا" بالسودان، وحصل على شهادة الدبلوم العالي في القضاء الشرعي سنة (١٩٥٥م) [3].

---

(١) WHERE I STAND، للباحث: إسماعيل تسيغا (ص ٢٠٢).

(٢) وذلك من شدة غيرتهم وحرصهم على أبنائهم من أن يتحولوا إلى النصارى فيما بعد، وقد حصل شيء من ذلك لبعض من انتسبوا إلى تلك المدارس التنصيرية من أبناء المسلمين في المنطقة.

(٣) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٤).

• **شيوخه:**

تتلمذ الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله أولاً على يد والده الشيخ محمود غومي الذي كان يُعد من أشهر علماء البلاد في ذلك الوقت، وقد تولى القضاء والفتيا في بلدته غومي، كما تتلمذ أيضاً على يد كوكبة من علماء محليين نيجيريين، أمثال: الشيخ جنيد بن محمد البخاري وزير سوكوتو السابق، والشيخ ناصر الدين كوبرى، زعيم الطريقة القادرية في نيجيريا، والشيخ ملام شيهو يابو، كما أخذ عن عالم عربي من أصل لبناني، وهو الشيخ سعيد بن ياسين رواية حفص عن أبي النجود في علم القراءات والتجويد[1].

• **تلاميذه:**

لقد تتلمذ على يد الشيخ غومي رحمه الله عدد غفير من أبناء غربي إفريقية وغيرهم، نذكر منهم: ملام إبراهيم طاهر من كاتشينا (نيجيريا)، وملام ريان، وملام محمد دنبري، وملام محمد إدريس من (زاريا)، والعقيد عثمان جبرين، والحاج محمد علي كيتا من مالي[2].

• **نشاطه العلمي والعملي:**

اشتغل الشيخ غومي رحمه الله في مجال التعليم والتدريس ردحاً من الزمن، ثم انتقل بعد ذلك إلى ميدان القضاء، فشغل منصب قاضي القضاة الشرعيين في إحدى القرى التابعة لمدينة "سوكوتو" سنة (١٩٤٧م)، ثم عاد إلى التدريس مرة أخرى في مدرسة العلوم الشرعية بكانو سنة (١٩٥١م)، وبعدها انتقل إلى مدينة "مَرْوَ" للتدريس، ثم عاد مرة ثانية إلى مجال القضاء، فعين نائباً لقاضي القضاة الشرعيين لإقليم شمال نيجيريا، ثم تولى منصب قاضي القضاة في المنطقة الشمالية كلها، واستمر في العمل الدؤوب حتى لقب بـ "كبير القضاة"، ومكث في هذا المنصب من عهد الاستقلال سنة ١٩٦٠م إلى عهد جنرال مرتضى محمد سنة ١٩٧٦م، كما تولى منصب المستشار الديني لرئيس وزراء إقليم شمال نيجيريا في عهد أحمد بللو، ثم عين مديراً عاماً لمجلس الشورى للشؤون الدينية بإقليم شمال نيجيريا، واستمر في ذلك حتى أحيل إلى التقاعد. فأصبح متفرغاً للعمل الدعوي تحت إطار جماعة نصر الإسلام التي أسسها الداعية أحمد بللو سنة ١٩٦٤م، وهي أول جمعية إسلامية تعترف بها الحكومة الاتحادية في شمال نيجيريا[3].

---

(١) انظر: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٤)، وانظر: جريدة عكاظ السعودية عدد (٩٣٤٩)، في ٢٣ من شهر شعبان سنة ١٤١٢هـ، ص (١٠)، تحت عنوان: (الشيخ غومي عالم نيجيريا: التعليم الصناعي ضرورة لتقدمنا)، حوار أجراه معه الصحفي الأستاذ/ محمد عبده عداوي.

(٢) انظر: WHERE I STAND، للباحث: إسماعيل تسيغا (ص ١٣٦ــ ١٥٣).

(٣) انظر: المرجع نفسه (ص ١٣٤).

• **جهوده الدعوية:**

لقد شكلت جهود الشيخ غومي رحمه الله وأفكاره محطات بارزة في مسيرة الدعوة الإسلامية في غربي إفريقية عامة، فقد ضرب بعصاه في عمق القوالب الجامدة المتمثلة في البدع والشركيات التي كانت تنتشر تحت عباءة التصوف، وقد تمثل حركة الشيخ غومي رحمه الله هذه، امتداداً للدعوة التجديدية الإصلاحية التي تزعمها وغرس بذرتها الأولى، الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ـــ من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين الميلادي، لنشر الإسلام وحضارته في المنطقة ـــ فقد تأثر بها بكل معطياتها البيئية والدينية والثقافية والاجتماعية وغيرها، لذا كان منطلق دعوته مرتكزاً على مجال الإصلاح العقدي، والتجديد الفكري من خلال تصحيح المفاهيم المغلوطة في الأفكار والممارسات، بالتركيز على مظاهر البدع في العبادات، وتسليط الأضواء على التجاوزات والمغالطات، وشطحات غلاة الصوفية، وقد دخل معهم الشيخ غومي رحمه الله في سجالات فكرية وعلمية حاسمة، تحت شعار "إزالة البدعة وإقامة السنة"، وكانت مجالس دروسه للدعوة والتدريس تعج بجماهير غفيرة من مختلف شرائح المجتمع، حيث جذبهم أسلوبه المميز في الإلقاء، ومنهجه الفريد في شرح المسائل وطرح الأفكار، والتي ظلت تذاع بين فينة وأخرى عبر إذاعة "كادونا" بنيجيريا لمدة أكثر من ربع قرن، وهو ما جعل لها أكبر الأثر في توسيع دائرة الانتشار والاستفادة من علمه الغزير، وثقافته الدعوية، وقد شملت جهوده الدعوية القادة السياسيين، والمثقفين المسلمين وغير المسلمين، فاهتدى عن طريقها إلى الإسلام، عدد كبير من النصارى والوثنيين.

وقد تُوِّجت جهوده الدعوية في هذا المجال بإنشاء منظمة دينية، تكون مهمتها القيام بتنظيم وتنسيق الجهود العلمية والدعوية في هذا الاتجاه، تحت راية: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة"، والتي انتظمت تحت لوائها مئات آلاف من الأتباع والمؤيدين، كما حمل الشيخ غومي رحمه الله بشدة على ظاهرة التقليد الأعمى، والتقديس المفرط للمشايخ في أوساط طلبة العلم في نيجيريا، ودعا إلى نبذها، والابتعاد عنها لما في ذلك من أمور منافية للدين، قد تفضي بصاحبه إلى الشرك الأكبر، والعياذ بالله [1].

---

(١) انظر: مجلة البشرى (ص٤٦)، العدد (٤٠)، سنة (١٤١٢هـ)، وانظر: موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية (نت) .

- **آثاره ومؤلفاته ومكانته العلمية:**

دعَّم الشيخ غومي رحمه الله مشروعه التجديدي والإصلاحي بتأليف عدد من الكتب والرسائل الصغيرة باللغتين: العربية والهوسا، وشملت مجالات العقيدة، والفقه، والتفسير، والحديث، والأدب. وفي التفسير كتابه المشهور: "رد الأذهان إلى معاني القرآن"، ومن أهم ما كتبه في العقيدة، كتاب: "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة" الذي نصر به السنة، وقاوم به البدع والعوائد الضالة، والخرافات المفسدة للعقول والأفهام. وقد أثار هذان الكتابان جدلاً واسعاً في أوساط العلماء وطلبة العلم، بسبب هجومه السافر على المفسرين في الأول، تحت عنوان: "تهافت بعض المفسرين"، وذلك على خلفية إيراد بعض هؤلاء المفسرين القصص الإسرائيلية، واعتمادهم على الروايات الموضوعة في تفسير آيات الذكر الحكيم. وبسبب استهدافه في كتابه الثاني: للغلاة المبتدعة من الصوفية، حيث تصدى فيه للرد على ضلالاتهم، وتزييف ما يحتجون به لتأييد بدعهم وخرافاتهم، مما أثار حفيظة مشايخ الصوفية ضده في غربي إفريقية عامة.

كما تناول فيه بالتفصيل المسائل العقدية التي أخطئوا فيها، مثل: رأيهم في مفهوم الإيمان، ومفهوم الولاية، والاعتقاد بأن النبي ﷺ والأولياء والصالحين ينفعون في حياتهم وبعد مماتهم، وبالتالي يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم أحياء وأمواتاً من دون الله، إضافة إلى أنواع من البدع والخرافات التي أحدثوها في باب الذكر، مثل الأوراد والأدعية المبتدعة، والرقص والوجد أثناء الذكر إلى غير ذلك، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري واصفاً تلك الأجواء المتكدرة التي أحدثها كتاب "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة" بين الشيخ غومي، وبين مناوئيه من مشايخ الطرق: «كان الجوُّ كله بينه وبين العلماء هادئاً وسلاماً إلى أن خرج كتابه المسمى بـ (العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة)، هجم فيه على مشايخ الطريقة القادرية والتجانية المعاصرين له في غربي إفريقية، وانتقد بلهجة شديدة ما في كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية، وما جاء في جواهر المعاني من كتب التجانية، واعترض على الشطحات الصوفية وكفَّرهم بها، فقام أولئك بردِّ الفعل العنيف ضده»[1].

وفعلاً كانت ردود الأفعال من قبل أصحاب الطرق عنيفة جداً، ولكن الشيخ رحمه الله صبر وصابر وثبت ثبات الجبال، حتى انقشعت الظلمات، وأشرقت دعوته نوراً يهدي الناس إلى

(١) الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٥)، وانظر: مجلة البشرى (ص ٤٤ـ٤٥)، العدد (٤٠)، السنة (١٤١٢هـ).

إخلاص العبادة لله وحده، والتمسك بالكتاب والسنة؛ وما كان عليه سلف هذه الأمة. و لم يترك مناوئوه أية وسيلة ممكنة إلا استخدموها معه، يريدون صدَّ دعوته، ويحاولون وأدها في مهـــدها؛ وذلك انتصاراً للحق على حدِّ زعمهم الباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... مـــا أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه، ظانة أنها تفعله طاعة لله»[1].

وقد نتج عن تلك المحاولات الخثيثة ـــ لإسكات صوته ـــ كتابان يردان عليه رحمـــه الله بعنف، ويصفانه بالوهابية، والنفاق، وجرأته البالغة في انتقاص مقام الأولياء والمشايخ، وغيرها من الصفات الذميمة التي هو أبعد عنها كل البعد. فالكتاب الأول بعنوان: "النصيحة الصريحة في الرد على العقيدة الصحيحة" للشيخ محمد الناصر الكبرى القادري. والثاني بعنوان: "المنح الحميـــدة في الرد على فاسد العقيدة" للشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي التجاني؛ وغير ذلك من الكتـــب والرسائل التي أُلِّفت للرد عليه، بغية الحفاظ على ماء وجه المشايخ، ولإطفاء نار الغضب والهوى التي كانت تحرق قلوبهم «فأهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء والزندقة لا يكتبون إلاَّ ما لهم»[2].

ولكن الشيخ غومي رحمه الله صبر وثبت واحتسب، حتى انتصر عليهم في النهاية، وأصبح خصومه بالأمس أبرز أنصاره اليوم، وذلك بعد أن هداهم الله إلى اتباع الحق والسنة بعيداً عن الهوى والعاطفة. وقديماً قيل: «كل ما خرج من القلب، فإنه لا يستقر إلا في القلب»[3]. كما أن الحق إذا قام به أهله قياماً صحيحاً، وإن كانوا قلة، فإنه سوف ينتصر لا محالة، ولو لم يكن على الحق إلا واحد صادق ثابت، فإن الله تعالى ينصره على أهل الباطل كلهم وإن تعاونوا وتعاضدوا عليه، لأن الحق لا يقف أمامه باطل،﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾[4].

هكذا كان موقفه رحمه الله من أهل الباطل والمبتدعة، أما بقية مؤلفاته بالعربية والهوســـا، فهي كالتالي:

---

(١) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٨/٢٠٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المرجع السابق (ص ٨٥). بتصرف يسير.

(٣) انظر: فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبد الحميد البلالي،(ص ٥٠) وما بعدها ، دار الدعوة، ١٩٨٧م.

(٤) سورة الأنبياء، آية:١٨.

أ ــ بالعربية:

ــ نور الإسلام.

ــ الاقتصاد في الإسلام.

ــ حل النـــزاع في مسألة نزول عيسى بن مريم (عليهما السلام).

ــ الاقتصاد العصري في المعاملة البنكية.

ــ الورد العظيم من الكتاب والسنة.

ــ ديوان غومي.

ــ مناسك الحج والعمرة.

ب ــ بالهوسا:

ــ الإسلام ونواقضه.

ــ مراتب الإسلام.

ــ قضايا في الاقتصاد والتعامل مع البنوك الربوية.

ــ بالإضافة إلى قصائد وأبيات كثيرة باللغة العربية الفصيحة في موضوعات شتى، وأخرى باللغة المحلية (الهوسا). كما خصص جزءاً من مؤلفاته للعكوف على ترجمة بعض الكتب العربيـــة إلى لغة الهوسا، لا سيما بعض مؤلفات العلامة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، ومنـــها: نـــور الألباب في مسائل التوحيد والعقيدة، وأصول الدين في مسائل الاعتقاد، وهداية الطلاب في أهـــم مسائل الدين وغير ذلك.

ويأتي في مقدمة أعمال الشيخ غومي رحمه الله وإنجازاته العلمية: جهده المتميز في ترجمـــة معاني القرآن الكريم كاملاً إلى لغة "الهوسا"، وهي أول ترجمة من نوعها تشهدها لغة الهوسا على مستوى الغرب الإفريقي. وتتسم هذه الترجمة بالجودة والإتقان، وقد روعي فيها مميزات الأسلوب القرآني، والقواعد العربية، فلم تكن مجرد ترجمة حرفية، و لم يخرج بالتطويل في شرح المعاني عـــن المقصود، فقد ألهمه الله ووفقه للقيام بهذا العمل الجليل بمفرده، ثم تعاون معه بالمراجعة والتدقيق ثلة من علماء غربي إفريقية المتقنين للغة الهوسا، المتمكنين في قواعدها وأساليبها، إضافة إلى إجـــادتهم الفائقة للغة العربية من علماء قبائل الهوسا في منطقة شمال نيجيريا وما حولها، وقد ساعد الـــشيخ غومي رحمه الله على تنفيذ هذه المهمة غير يسيرة، تمكنه وإجادته الفائقة للغات الثلاث: العربيـــة، والانجليزية،ولغته الأم "الهوسا"، حيث لم تستغرق هذا العمل ومراجعته وطبعه سوى سبع سنوات فقط، وتحديداً من شعبان سنة (١٣٩١)، حتى المحرم سنة (١٣٩٨هـــ).

وقد طبعت منها حتى الآن أربع طبعات: الأولى سنة (١٩٧٩م)، والثانية على نفقة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود سنة (١٩٨٢م) من طباعة الدار العربية للنشر بـــبيروت، ثم ظهرت الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٧هـــ)، ثم الطبعة الرابعة سنة (١٤١٤هـــ) بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بالمملكة العربية السعودية.

وتعدُّ هذه الترجمة من أهم الكتب المتداولة بين عموم الشعب الهوساوي في كل منـــاطق إفريقية عامة، حيث تنتشر وتسود فيها لغة الهوسا التي يتكلم بها ما يزيد عن مئة مليون شـــخص، كما وفرت هذه الترجمة مادة علمية دسمة لطلبة العلم والباحثين من أبناء غربي إفريقية، فضلاً عن كونها مرجعاً للعامة في فهم نصوص الأحكام، والتوجيهات الربانية السديدة التي وردت في القرآن الكريم.

كما تميز الشيخ غومي رحمه الله بأسلوبه الفذّ في الدعوة وإقناع الخصم، على جميع أقرانه ومعاصريه لإتقانه للغة العربية ولغة الهوسا، بالإضافة إلى إجادته للغة الانجليزية التي هـــي اللغـــة الرسمية لأكثر بلاد غربي إفريقية، وبذلك استطاع أن يوصل دعوته إلى علية القوم وأشرافهم مـــن أصحاب الثقافة الغربية من المسؤولين والسياسيين والحكام والمثقفين وغيرهم، فكان له برنـــامج إذاعي في إذاعة "كادونا"، يلقي فيه المحاضرات والخطب، كما كان له دروس ومحاضرات مسجلة على أشرطة كاسيت وفيديو في مختلف الموضوعات التي تمس حاجة المجتمعات الإسلامية إليها[1].

كذلك من آثاره العلمية والدعوية التي لا ينبغـــي التغاضـــي أوالتغافـــل عنها،رئاســـته لـــ"جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" التي تُعد بحق من أكثر الجمعيات الإسلامية الدعوية نـــشاطاً وانتشاراً في ربوع غربي إفريقية،ومن أشدها تمسكاً بمنهج أهل الـــسنة و الجماعـــة،لكن أغلـــب أعضائها من قبيلة الهوسا والفلاتا،وهي لا تزال تعمل إلى الآن في ساحة الدعوة والتوعية الإسلامية الصحيحة. وتضم هذه الجمعية إلى كنفها أصنافاً من طبقات المجتمع الإسلامي، سواء من المدنيين، والعسكريين، والعلماء، والمثقفين،ورجال الأعمال،وأصحاب المراكز العليا في الدولة.

---

(١) انظر: Polemical literature for and against sufisme, p. 552-554.

● **أما مكانته العلمية** فقد بلغ الشيخ رحمه الله درجة "كبير القضاة" حينما كان يعمل في القضاء، وكان مستشاراً دينياً للسيد أحمد بللو في حياته، وكان محترماً عند جميع علماء بلاد هوسا أيام أحمد بللو، ولما أنشئ مجلس الشورى للشؤون الدينية في شمال نيجيريا، شغل الشيخ غـــومي رحمه الله منصب المدير العام للمجلس(١).

وفي سنة ١٩٧٦م عين الشيخ غومي رحمه الله مفتياً عاماً للبلاد، وشارك السيد أحمد بللو في إنشاء منظمة جماعة نصر الإسلام، كما كان عضواً في المجلس العالمي لشؤون المساجد، وعضواً بارزاً في المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، وعضواً في مجمع البحوث الإسلامية في القـــاهرة، وعضواً في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة، وعضواً مؤسساً لجامعة أحمـــد بللـــو بنيجيريا، وعضواً في مجلس كبار العلماء في غربي إفريقية، وعضواً لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس مجلس مركز التعليم التربوي بنيجيريا(٢).

ونظراً لجهوده في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع والخرافـــات المنتـــشرة في المجتمع الإسلامي الإفريقي بأقلامه السيالة في التأليف والتصنيف على منهج أهل السنة والجماعة، فقد حظي الشيخ غومي رحمه الله بالعديد من الأوسمة والجوائز التقديرية، منها: الدكتوراه الفخرية في كل من : جامعة أحمد بللو بزاريا في شمال نيجيريا، وجامعة إبادان بجنوب نيجيريـــا، ووســـام الدرجة العثمانية من دولة رئيس وزراء لشمال نيجيريا، وجائزة الدولة التقديرية مـــن حكومـــة نيجيريا الفدرالية، ثم جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام، فتشرف بالسفر إلى المملكـــة العربية السعودية لتسلم الجائزة، وذلك سنة ١٤٠٧هـــ.

كما منحه السيد أحمد بللو وساماً ذهبياً أمام الجماهير الغفيرة تكريماً وتقديراً له، ثم أعطته حكومة نيجيريا الفيدرالية وسام الشرف من الدرجة الأولى(٣)، كل ذلك بفـــضل الله تعـــالى ثم بجهوده في نصر السنة، ونشر العقيدة السلفية الصحيحة بكل صدق وإخلاص وتفان.

---

(١) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٤ــ٨٥).

(٢) انظر: جريدة المسائية السعودية، عدد (٣٩٦٥)، رمضان (١٤١٥هــ)، ص (٣)، بعنوان: "للنجاح كلمة".

(٣) انظر: جريدة عكاظ السعودية عدد (٧٥٥٩)، في رجب ١٤٠٧هــ، (١٠)، بعنوان: "جائزة الملك فيصل العالمية".

• **عقيدته:**

كان الشيخ أبوبكر غومي سلفي العقيدة علماً وعملاً ودعوة، فقد عرف بتمسكه الشديد بمنهج السلف الصالح في الدعوة إلى العقيدة، ومحاربة البدع والتقاليد البالية في المجتمع، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، يدل على ذلك قوله: «... ولا تكون العقيدة صحيحة إلا بموافقة الشريعة أي الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله»[١].

ويقول الشيخ محمد الثاني عمر موسى عن عقيدته رحمه الله: «كان الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله رائد الدعوة السلفية في بلاد الهوسا وما جاورها من بلاد غربي إفريقية، فقد كانت دروسه في ترجمة "صحيح البخاري" إلى لغة الهوسا، التي كانت تبث في كبرى إذاعة في شمال نيجيريا، وهي إذاعة "كادونا" الفيدرالية، قد كان لها أكبر أثر في إحياء السنة المحمدية، ومحاربة بدع الصوفية التي عمت بلواها ربوع بلاد الهوسا قبل بزوغ دعوة خطيب المصلحين، وسيف السنة، وعَلَمُ الموحدِّين: الشيخ غومي رحمه الله»[٢].

• **وفاته:**

توفي الشيخ أبوبكر غومي في الحادي عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٢م، بعد سنوات عدة أمضاها في سبيل نصرة السنة، والدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، وبعد عمل دؤوب في ميدان القضاء لتقرير العدل والإنصاف، وبعد الدخول في صراع مرير مع أرباب الطرق الصوفية المختلفة رغبة في إخراج الناس من ظلمة البدع والخرافات، إلى نور الإيمان، والكتاب والسنة؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناته[٣].

---

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥).

(٢) قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا، مخطوط (ص ١٦).

(٣) انظر: الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٨٤ـ٨٥).

المطلب الرابع

الشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار رحمه الله

- **اسمه ونسبه ومولده ونشأته:**

هو الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار الكشني الغاني، ولد سنة ١٩٢٣م في حي "زنغو" بمدينة كوماسي بغانا الحالية، ونشأ وترعرع في كنف والده الشيخ حبيب الله المختار، وذلك في زمن ملام صالح رحمه الله [١].

- **طلبه للعلم ورحلاته:**

بدأ الشيخ عبد الصمد رحمه الله تعليمه على يد عالم موريتاني، يدعى طالب أحمد الموريتاني، و الملقب بـ "إمام العرب"، على نظام الكتاتيب، حيث حفظ على يديه القرآن الكريم.

وكانت العلوم الدينية تدرس في الكتاتيب والمساجد وعلى مستوى المجالس، ومن العلماء البارزين في مجال التدريس والقيادة الدينية في ذلك الوقت، ملام بابلي، وملام غربامي تنبي، وملام عبد الله دنتانو «الذي كان له أكبر أثر في مدينة كوماسي وما جاورها في مجال الدعوة والتدريس، وقد اتصل الشيخ عبد الصمد رحمه الله بهذا العالم الأخير، وأخذ عنه كثيراً من فنون العلوم الدينية واللغوية، ومما يذكر هنا أن هذا العالم قد أحب الشيخ عبد الصمد كثيراً لما لاحظ عليه، من علامات الذكاء الفائق، والطموحات الكبيرة، ولذلك بذل مجهوداً كبيراً في تعليمه وتهذيبه» [٢].

وبعد وفاة هذا العالم، افتتح الشيخ عبد الصمد رحمه الله مدرسة في حي سابون، وسماها: "المدرسة الصمدانية"، فبدأ بتدريس العلوم الإسلامية والأدبية، مع متابعته الحثيثة لما يجري على الساحة السياسية في البلاد [٣].

وفي الأربعينات دخل الشيخ في سلك الطريقة التجانية، واستمر فيها حتى تعمق في معرفة أسرار الطريقة. وفي عام ١٩٦١م، سافر الشيخ عبد الصمد إلى السنغال للاتصال بالشيخ إبراهيم

---

(١) كان الشيخ صالح أميراً لزنغو سنة ١٩١٩م ــ ١٩٣٢م، وصالح لقب،واسمه الحقيقي الحاج حسين. انظر: تاريخ زنغو في غانا وحياة أهلها، (ص ١٣ــ١٤)، دار صادر، بيروت.

(٢) الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٢٥).

(٣) انظر: المرجع نفسه (ص ١٢٦).

أنياس، شيخ مشايخ الطريقة التجانية بمدينة "كولخ"، ثم أصبح بعد عودته إلى غانا من العلماء الذين ذاعت صيتهم في سلك الدعوة الصوفية، وقام بتنظيم قصيدة بلغة الهوسا، يمدح فيها شيخه إبراهيم أنياس السنغالي، وسماها "غونجي برهام" أي مزمار الشيخ إبراهيم أنياس، يقول ـــ وبعد أن أنقذه الله تعالى من براثن هذه الطريقة الضالة ـــ في معرض بيانه لأباطيل وضلالات الصوفية التجانية: « وهذه هي المعرفة عند أنصار الفيضة التجانية، أتباع الشيخ إبراهيم أنياس، أخبرتك بها عن خبرة، لأني تعلمتها من أولها إلى آخرها على يدي سفير الشيخ إبراهيم، سيد الهادي الموريتاني الذي بث هذه العقيدة الضالة في غانا وما جاورها، مثل: نيجيريا، وتوجو، وسيراليون،وبنين وغيرها. ولقد خدمت هذه العقيدة الشركية حوالي ثلاثين سنة حتى تبحرت فيها،وصرت مقدماً وشيخاً فيها، ثم أنقذني الله تعالى منها، لأتبع منهج أهل السنة والجماعة، فلله الحمد والمنة على التوفيق، والشكر على الهداية والإكرام» (1).

ويعود أسباب توبة الشيخ عبد الصمد رحمه الله، وخروجه من ضلالات الطريقة التجانية ـــ بعد توفيق الله تعالى له ـــ إلى ظهور الحاج عبد الله ميكنو في مدينة كوماسي، وهو من العلماء الصوفيين المعروفين، فقد نزل هذا الشيخ بمدينة كوماسي قادماً من بلدة "بري" في "إقليم برنغ أهافو" بدعوى أنه حصل على إذن من الشيخ إبراهيم أنياس، بأن يقوم بالدعوة لنشر الطريقة التجانية في جميع أرجاء البلاد. وكانت أسس دعوته لهذه الطريقة تتلخص في:

ـــ الاعتقاد بوحدة الوجود.

ـــ الاعتقاد بوحدة الأديان.

ـــ الاعتقاد برؤية الله تعالى في الدنيا.

ـــ الاعتقاد برؤية النبي ﷺ يقظة لا مناماً.

ـــ أن الاستغفار مرة واحدة تمحو كل الخطايا ولو مع الإصرار عليها... إلى غير ذلك من الخرافات والأكاذيب التي كان يسعى لنشرها بين المسلمين. وقد سكت عنه جميع العلماء في المدينة، ولم يجرؤ أحد منهم على مجابهته، أو على الأقل استنكار أو رد على ما يقوم به هذا الرجل في أوساط المسلمين لإفساد عقيدتهم ومبادئهم الدينية. لذا فقد وجد الشيخ عبد الصمد رحمه الله

---

(1) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، عبد الصمد حبيب الله المختار،(ص ٣٩)، ط١، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

ضيقاً في نفسه من هذه التصرفات الشنيعة التي لا تمت إلى تعاليم الصوفية بأدنى صلة. فشرع في البحث عن حقيقة مذهب أهل السنة الذي يدعو إليه السلفيون، فعكف على قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً، ثم اقتنع أخيراً بأن طريقة السلف هي الطريقة الصحيحة التي كان عليها الرسول ﷺ وصحابته الكرام، فاعتنقها سراً، ثم بدأ يبحث عن أنسب فرصة ممكنة[1] يعلن فيها رجوعه من التجانية إلى طريقة السلف أهل الحق.

ففي يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٣م، استدعى الشيخ عبد الصمد كبار تلاميذه، ثم فاجأهم جميعاً بأنه يعتزم القيام بمحاربة الطريقة التجانية، معلناً بأن ما يحدث في داخلها من ممارسات وطقوس تعبدية، ليس لها أدنى صلة بالإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، ثم شرح لهم بأنه لم يجمعهم للمشورة فحسب، وإنما ليعلن توبته، وخروجه من الطريقة التجانية كلياً[2]. ثم وضع خطة دعوية للقيام بما عزم عليه، وقد حاول مراراً وتكراراً مع بعض تلاميذه في إيجاد مكان مناسب ليصدع بالدعوة، أو إلقاء أول محاضرة له ضد الصوفية، لكن محاولاته كانت كلها تبوء بالفشل، وذلك لسيطرة الطرقية على الساحة الدعوية، ولأن الشيخ عبد الله ميكنو الداعية التجاني، كان قد سيطر على الساحة سيطرة تامة، ووجد تجاوباً وقبولاً منقطع النظير في الأوساط الشعبية وبخاصة: لدى النساء والعامة، مما زاد صعوبة إيجاد مكان مناسب للانطلاق بالدعوة السلفية المضادة، التي يعتزم الشيخ عبد الصمد وتلاميذه القيام بها.

ولكن الشيخ رحمه الله ما فتئ يواصل المحاولات تِلوَ الأخرى حتى وجد منفذاً لدى أمير غونجا الذي سمح له بساحة أمام قصره لإقامة أول محاضرة من هذا النوع ضد أباطيل الشيخ ميكنو الصوفي، وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة كبيرة في صفوف علماء كوماسي ـــ الذين كان أكثرهم ينتمون إلى الطريق التجانية ـــ ما بين مؤيد ومعارض؛ وأخيراً اتفق العلماء المحايدون على إبرام صلح بين الفريقين، فاشترط عليهم الشيخ عبد الصمد رحمه الله ضرورة العودة عما هم عليه إلى الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله فرفضوا جميعاً، وهددوا الشيخ وأتباعه

---

(١) ليتفادى بذلك الاصطدام المباشر مع مشايخ الصوفية المتربصين بأهل السنة والجماعة.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٢٧).

إما بالقتل أو النفي إن هم استمروا على ما هم عليه. فآثر الشيخ رحمه الله المضي قدماً في دعوته صابراً محتسباً على الرغم من المعوقات والتحديات الجسيمة، لا يخاف في الله لومة اللائم.

وفي عام ١٩٧٤م أعلن الشيخ عبد الصمد رحمه الله براءته الكاملة من الطريقة التجانية، وطلب من جميع تلاميذه ومريديه أن يحذوا حذوه، بضرورة الإقلاع عن عقائد الصوفية كلياً، والتمسك بمذهب السلف، أهل السنة والجماعة.

وقد زاد موقف الشيخ رحمه الله رسوخاً وثباتاً بمجيء كوكبة من سلفي المنطقة، أمثال: الشيخ عمر بن إبراهيم إمام، والشيخ حمزة عبد السلام، والشيخ شعيب أبي بكر، الذين وفدوا إلى مدينة كوماسي سنة ١٩٧٥م للمشاركة في تشييع جثمان إمام السلفيين والد الشيخ آدم بابا، حيث انتهز هؤلاء المشايخ فرصة وجودهم بالمدينة، في إلقاء عدة محاضرات بينوا فيها حقيقة عقيدة أهل السنة والجماعة، ومؤكدين أن ما يدعو إليه الشيخ عبد الصمد رحمه الله في أوساطهم، إنما هو عبارة عن دعوة إصلاحية لعقائد المسلمين، يقصد منها إعادة الناس إلى ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان، فكان ذلك دعماً معنوياً قوياً للشيخ رحمه الله وأعوانه.

وفي عام ١٩٧٧م قام الشيخ عبد الصمد رحمه الله يرافقه الشيخ عمر إبراهيم إمام، بزيارة للمملكة العربية السعودية،وذلك للمشاركة في المؤتمر العالمي بعنوان "توجيه الدعوة وإعداد الدعاة"، الذي نظمته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد وجد الشيخ رحمه الله في هذه الزيارة فرصة مقابلة أبرز رجالات الدعوة في العالم الإسلامي، وأفاد كثيراً من خبراتهم الدعوية، وتوجيهاتهم القيمة، ومنذ ذلك الحين، أصبح للشيخ علاقة قوية مع مختلف الدول العربية والإسلامية، وبخاصة المملكة العربية السعودية [1].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٢٨ـــ١٢٩).

● **شيوخه:**

تتلمذ الشيخ عبد الصمد رحمه الله على عدد من الشيوخ في عصره، منهم:

ـ الشيخ طالب أحمد الموريتاني.

ـ والشيخ ملام بابلي.

ـ والشيخ ملام غربامي تنبي.

ـ والشيخ ملام عبد الله دنتانو الذي أحبه كثيراً، وشرح له صدره حتى أصبح عالماً بارعاً متمكناً في العلوم الإسلامية والأدبية المختلفة [1].

● **تلاميذه:**

لقد اشتغل الشيخ عبد الصمد رحمه الله بالتدريس في مدرسته بمدينة كوماسي، وتعلّم على يديه خلق كثير من أبناء غربي إفريقية، وقد تخرجوا من مدرسته ينشرون العقيدة الصحيحة في ربوع المنطقة، وقد اشتهر منهم في مجال الدعوة، والبذل للعمل الإسلامي الشيخ آدم بابا محمد رحمه الله [2].

● **نشاطه العلمي والعملي:**

بعد أن أسس الشيخ عبد الصمد رحمه الله مدرسته الصمدية، وبعد أن أعلن توبته، ورجوعه التام من الطريقة التجانية، انتصب للتدريس والدعوة إلى الله تعالى، فشرع في إلقاء المحاضرات والدروس العلمية لطلبة العلم والعامة، داعياً إلى اتباع السنة، ومحاربة كل أشكال البدع والانحرافات العقدية المنتشرة آنذاك في المجتمع الغاني، حتى ذاع صيته في ربوع غربي إفريقية.

وكانت أسس دعوته السلفية تتركز على:

---

(١) انظر: المرجع نفسه (ص ١٢٥).

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٢٥ـ١٢٦).

- إخلاص توحيد العبادة لله تعالى وحده دون سواه.
- بيان حقيقة التوسل، والردُّ على حجج أصحاب الطرق في جواز التوسل بجاه النبي ﷺ والأولياء و الصالحين أحياء كانوا أو أمواتاً.
- الدعوة إلى منع شدِّ الرحال إلى قبور مَن يُسمون بالأولياء[١]، بقصد الدعاء و الاستغاثة والاستعانة وغيرها.
- الدعوة إلى إنكار ما كانت تدعو إليه الصوفية من الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وَالأولياء.

كما بين الشيخ رحمه الله فضائح الصوفية المبتدعة في كثير من الأمور التي كانوا يتمسكون بها.

وكان الشيخ رحمه الله على صلة وثيقة بالطلاب الخريجين من الدول العربية، وبخاصة المملكة العربية السعودية، الذين كانوا يشاركونه في نشر الدعوة السلفية بعد عودهم إلى البلاد، فاستفاد منهم الناس، وأفادوا كثيراً من خبرات الشيخ الطويلة في هذا المجال[٢].

---

(١) ذلك لأن أتباع الطريقة التجانية في غربي إفريقية يعتبرون شد الرحال إلى مدينة "كولخ" حيث ضريح الشيخ إبراهيم أنياس عبادة، بل هو من أجل العبادات لديهم.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٢٩)

- **أهم التحديات التي واجهت الشيخ رحمه الله أثناء دعوته:**

كما تقدم أن علماء مدينة "كوماسي" في تلك الفترة كان أكثرهم على الطريقة التجانية، وعندما بدأ الشيخ رحمه الله بالدعوة إلى عقيدة السلف، حاولوا في البداية أن يتصالحوا معه مقابل أن يتخلى عن هذا الأمر، لأنهم يعرفون يقيناً أن الشيخ يعلم كل أسرار هذه الطريقة، فتركه لهذه الطريقة والدعوة إلى طريقة أخرى، إنما يشكل ذلك خطراً كبيراً على مستقبل الطريقة التجانية في غربي إفريقية، لأنه ربما جرَّهُ هذا الأمر إلى إفشاء تلك الأسرار الخفية للعامة. فيتخذون ذلك ذريعة للتخلي عن الطريقة.

ولكن هذه المحاولات من قبل مشايخ الطرق قد باءت بالفشل، وبالتالي بدءوا بتوجيه انتقادات لاذعة ـ كعادتهم مع السلفيين ـ للشيخ رحمه الله، فقد وصفوه بالنفاق، والوهابية، وانتقاص مقام العلماء والأولياء، وأنه إنما يعمل ذلك مقابل مبالغ طائلة يتقاضاها من حكام المملكة العربية السعودية، وأمرائها الوهابيين.

من هنا بدأ مشايخ الطرق يقاومون الشيخ، ويحاولون مجادلته بالباطل والشبه الواهية، فأقام عليهم الحجج القوية، المدعمة بالقرآن والسنة. وعندما عجزوا عن مقاومة الشيخ في ميدان الحجج والبراهين، لجأوا إلى أسلوب التحريض والشتم والضرب، فأغروا مجموعة من سفهائهم برمي الشيخ وأتباعه بالحجارة، وشتمهم بالقصائد، كما أظهروا لضعاف النفوس من العامة أن الشيخ لا يحب الرسول ﷺ، وأنه يدعو إلى عدم الصلاة عليه، إضافة إلى انتقاصه لمقام الأولياء والصالحين من مشايخهم المتوفين على حدِّ زعمهم(١).

ولما رأى الشيخ رحمه الله مكابرة هؤلاء القوم، ومعاندتهم لقبول الحق، بل وإصرارهم على عقيدة وحدة الوجود، وجواز رؤية الله عياناً في الدنيا، والنبي ﷺ يقظة، إضافة إلى طائفة من البدع والمنكرات التي يؤيدونها ويؤمنون بها؛ امتنع الشيخ رحمه الله عن الصلاة خلف أئمتهم،

---

(١) انظر: المرجع نفسه (ص ١٣٠).

وحذر أتباعه من ذلك أيضاً. وعندما كثر أتباع جماعة أهل السنة، أشار بعض الشباب من جماعة "غاو[1]" إلى ضرورة افتتاح الجمعة في مسجد لهم في حي "أويا"، وهي تبعد عن مقر الشيخ بحوالي (٦كم)، فوافق الشيخ رحمه الله على ذلك.

ولما سمع مشايخ الصوفية بما عزم عليه الشيخ رحمه الله وأنصاره، اشتكوه إلى مأمور مركز شرطة المدينة وهو مسلم، لكي يمنع الشيخ وجماعته من إقامة جمعتين في وقت واحد في المدينة نفسها، لأن ذلك يجلب النحس والشقاء للمدينة، ويؤدي إلى توهين شوكة المسلمين، وتفريق جماعتهم على حدِّ زعمهم.

ولما استدعى المأمور الطرفين للتفاوض وبيان الموقف، وجد أن الأمر ليس كما ذكر، فرد على خصوم الشيخ بإجابة حكيمة، مفادها: «إنني يمكنني منع أي فرد منكم من إحداث الفتنة، ولكني لا أستطيع أن أمنع إقامة الجمعة، فهذا أمر يكبر علي فعله، ولا أظنني مسلماً إن فعلت ذلك»[2].

ولما يئس منه مشايخ الصوفية، رفعوا القضية إلى ملك الأشانتي لكونه صاحب السلطة العليا في البلاد، ولكنهم أيضاً لم يفلحوا، بل باءوا بغضب على غضب، إذ كانت إجابة الملك الأشانتي الوثني لمطالبهم، كالتالي: «إنني لا أستطيع أن أمنع المسلمين من أداء صلواقم حيث كانوا، وحيثما أرادوا، لأن البلد للجميع، وكلنا أحرار فيما نمارسه من شعائر ديننا دون أي قيد أو شرط»[3].

وهكذا بدأ الشيخ رحمه الله صلاة الجمعة في مسجده، وأخذت الجماعات تتدفق إليه من كل حدب وصوب، للسماع خطبة الجمعة التي كان يفسرها الشيخ رحمه الله — لأول مرة — باللغة المحلية التي يفهمها الجميع[4]، ومتناولاً مختلف الموضوعات والقضايا التي تهم كافة شرائح المجتمع في دينهم ودنياهم.

---

(١) هذه الجماعة هم أصلا من دولة مالي المجاورة، هاجروا إلى غانا بحثاً عن العمل ورغد العيش، واستوطنوا فيها، وكانوا جميعاً على مذهب أهل السنة والجماعة. انظر: المرجع نفسه (ص ١٣١).

(٢) الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٣١).

(٣) المرجع نفسه (ص ١٣١ — ١٣٢).

(٤) وذلك خلافاً لمساجد مشايخ الصوفية الذين يقومون بترديد نفس الخطبة الواحدة على طول العام، بلغة عربية ركيكة غير مفهومة،ولا تفسر أيضاً باللغة المحلية.وبالتالي لا يدري المتعلمون ماذا قرأ الإمام ولا يفهمونه، فضلاً عن غيرهم من عامة الناس.

فوجد بذلك الشيخ رحمه الله الفرصة متاحة لترسيخ مفهوم العقيدة الصحيحة في نفوس الناس. كما كانت خطبه ودروسه الدينية التي كان يلقيها عقب صلاة الجمعة، تهز مشاعر الناس، مما جعل الكثير ـــ ولا سيما الشباب ـــ يلتفون حوله، ويتأثرون بأفكاره وآرائه التي تقوم على مناصرة السنة، ومحاربة البدع والخرافات بكافة أشكالها. وكذلك دروسه في تفسير القرآن الكريم التي يلقيها طيلة أيام شهر رمضان المبارك، مما أتاح له فرصة الاتصال بالجماهير الغفيرة التي كانت تحضر هذه المجالس. فأخذ يوضح للناس حقيقة الصوفية، ويكشف عوارهم، ويفضح حججهم واحدة تلو أخرى،إضافة إلى تلك الطقوس المبتدعة التي يروِّجونها لإغراء العامة،وضعاف العقول[1].

- **آثاره ومؤلفاته:**

لم تثن الانشغالات الكثيرة ـــ من دروس علمية، ومحاضرات، ومناظرات مع أصحاب الفرق الهدامة وغيرها ـــ التي كان يقوم بها الشيخ عبد الصمد رحمه الله، عن التأليف والتصنيف، فقد ألَّف مجموعة من الكتب والرسائل لتوضيح العقيدة الصحيحة، ودحض كل أصناف البدع والمنكرات التي كانت تروِّج لها الصوفية وأذنابهم في المجتمع الإسلامي الغرب الإفريقي، ومن أشهر كتبه في ذلك:

ـــ كتاب "ما دعا إليه دين الله"في عام (١٩٦٧م)،وقد ألف الشيخ رحمه الله هذا الكتاب وهو على الطريقة التجانية،إلا أنه لم تظهر فيه أي سمة من سمات هذه الطريقة،فالكتاب يحث على فضائل الأعمال،والأخلاق العالية،كما يتناول الأحوال الاجتماعية السائدة في الإسلام[2].

ـــ "رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة" في عام (١٩٧٦م) ، وقد ألَّف الشيخ رحمه الله هذا الكتاب بعد رجوعه إلى عقيدة السلف، ويرد فيه على المبتدعة وانحرافاتهم في توحيد العبادة، واعتقاداتهم الباطلة في النبي ﷺ، والأولياء والصالحين[3].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، المرجع السابق (ص ١٣٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ١٣٣ــ١٣٤).

(٣) انظر: نفسه (ص ١٣٤).

- **عقيدته:**

كان الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار رحمه الله في بداية حياته العلمية والدعوية أشعري العقيدة، تجاني الطريقة، إلا أنه استمر في القراءة والبحث حتى اطلع ـ بعد توفيق الله له ـ على مجموعة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وبعض مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، فتأثر بها أيما تأثر، ثم ما لبث أن أعلن رجوعه وتوبته من الطريقة التجانية، إلى طريقة أهل السنة اعتقاداً وقولاً وعملاً وسلوكاً، يقول في ذلك عن نفسه: «.. إني قد تبرأت من الطريقة التجانية التي لازمتها حوالي ثلاثين سنة، جاهلاً بما تضمنته هذه الطريقة من العقائد الشركية الفاسدة الخارجة عن الملة الإسلامية، فتبتُ إلى الله توبة نصوحاً، بعد أن أنقذني الله منها، وطهرني من رجسها بمنه وكرمه، فإني لازمتُ كتاب الله تلاوة وتدبراً، كما لازمت الكتب العقدية والحديثية القيمة، فهداني الله إلى التمسك بالكتاب والسنة، والعمل بمقتضاهما، فضلاً منه وكرماً تبارك وتعالى، فله الحمد والشكر ... ولم تمض سبعة أيام من تبرئي، حتى قمت بالدعوة السنية ضد الدعوة البدعية، وكشفت للناس كثيراً من تلبيسات التجانية، فرجع عدد غير قليل عنها، لأني قبل ذلك كنت في الطريقة التجانية مقدماً وشيخاً مربياً، لذلك لم يسعني القعود والسكوت، بعد ما بيَّن الله لي الحقيقة، فقمت وبينت للناس ضلالاتها، وكشفت لهم كثيراً من تلبيساتها، وما احتوت عليه من العقائد الفاسدة، عقيدة وحدة الوجود، وعقيدة الحلول، وما اشتملت عليه من تلبيسات الباطنية، والعقائد الفلسفية، وعقيدة غلاة الشيعة، والملامتية، والبراهمية، والهندوكية، والبوذية، والبهائية، والبابية، والكيسانية .. فالعقيدة التجانية شاملة لهذه العقائد الفاسدة كلها، فلذلك تعدُ التجانية شر الطرق المحدثة، عصمنا الله من شرها ...آمين»[1].

وأما حياته الجديدة في السلفية: فكان متبعاً لمنهج السلف الصالح رحمهم الله،داعياً إلى الكتاب والسنة،ومعتمداً عليهما، فيقول: «إن ما وافق الشرع من الأعمال والأقوال فصحيح، وما خالف الشرع منها فباطل. فكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ هما ميزان المسلم الموحَّد، فعليهما يعرض

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٣١ــ٣٣).

أفعاله وأقواله وإرادته، فما وافقهما عمل به، وثبت عليه، وما خالفهما نبذه وأعرض عنه، وضرب به عرض الحائط؛ ولا يعارض قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ بقول أحد أياً كان ...»[1].

ويقول في موضع آخر: «.. ولا نقول إلا ما وافق الكتاب والسنة، ولا نفعل إلا ما وافقهما، ولا نعتقد إلا اعتقاداً يوافقهما...»[2] وهكذا.

- **وفاته:**

بعد حياة حافلة بالبذل والعطاء، والدعوة إلى الله لنصرة السنة ومحاربة البدع، لبَّى الشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار نداء ربه عز وجل، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في الخامس من شهر نوفمبر سنة ١٩٨٦م، تاركاً وراءه مجموعة كبيرة من آثاره العلمية والدعوية تزدهر بها المكتبات الإسلامية في العالم الإسلامي، فرحم الله الشيخ عبد الصمد رحمة واسعة،وأسكنه فسيح جناته[3].

---

(١) المرجع نفسه (ص ٦ــ٧).

(٢) نفسه (ص ٩).

(٣) نفسه (ص ١٠ــ١٢).

المبحث الثاني
منهج علماء غربي إفريقية في عرض مسائل العقيدة

لقد سلك علماء غربي إفريقية منهجاً خاصاً في الدعوة إلى الله عز وجل لعرض مسائل العقيدة الإسلامية، والرد على المخالفين عامة، والصوفية على وجه الخصوص. وقد ألزموا أنفسهم بهذا المنهج، وساروا عليه خلفاً عن سلف، يوضحون من خلاله العقيدة الصحيحة التي كان يسير عليها السلف الصالح رحمهم الله، ولا يزالون يقررونها، ويذوبون عنها البدع والخرافات التي أدت إلى انحراف كثير من المسلمين عن الجادة المستقيمة.

وقد نفع الله تعالى بهم وبدعوتهم، إذ يرجع الفضل إليهم ــ بعد الله ــ في تنشيط الصحوة الإسلامية المباركة التي عمَّت المنطقة بأسرها[1] حتى أضحت نسبة المسلمين في بعض بلدان غربي إفريقية، تضاهي نسبتهم في بعض مناطق المشرق العربي والإسلامي ولا تزال. فجزاهم الله عن أمة محمد ﷺ ــ بما قدموه من غال ونفيس في سبيل رفعة شأن الإسلام والمسلمين ــ خير الجزاء وأوفاه.

وكان من أبرز ما وضعوها نصب أعينهم للانطلاق في الدعوة إلى الله، ومحاربة الشرك، النقاط التالية:

١ ــ الدعوة إلى معرفة الله تعالى وتوحيده.

٢ ــ الدعوة إلى معرفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٣ ــ تطهير عقائد المسلمين وسد ذرائع الشرك.

٤ ــ الحث على اتباع الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح (رحمهم الله).

٥ ــ الاهتمام بالعلم والعلماء.

٦ ــ العناية باللغة العربية.

وسوف أتناول كل واحدة منها على حدة، لأبينها وأذكر بعض الأمثلة عليها، ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً، وذلك في المطالب التالية.

---

(١) على الرغم من حجم تلك التحديات الكبيرة التي كانت تعترضهم هنا وهناك سواء داخلياً أو خارجياً.

المطلب الأول

معرفة الله تعالى وتوحيده

إن الدعوة إلى معرفة الله تعالى والإيمان به وتوحيده، وإخلاص العبادة له وحده، ونبذ كل ما كان عليه الآباء والأجداد، تعني الاعتقاد الجازم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة دون من سواه، وصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

والدعوة إلى معرفة الله تعالى والإيمان به وتوحيده عزَّ شأنه، هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي والمميت، وأنه الذي له الأمر كله، والقادر على كل شيء، ليس له في ذلك شريك ولا معين.

والدعوة إلى معرفة الله تعالى والإيمان به وتوحيده بأسمائه وصفاته، هو الإقرار بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ليس له في ذلك كله شبيه ولا مثيل، كما قال تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾[1]، وأن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تبديل، ولا تعطيل[2].

وهذه الأنواع الثلاثة للتوحيد متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب[3].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) انظر تكملة الكلام على أنواع التوحيد عند ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٨) وما بعدها، وعند الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص ٣٣) وما بعدها، وعند الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد (ص ٢٥) وما بعدها، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٣هـ. وعند الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ١٧) وما بعدها، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ. وعند الشيخ عبد العزيز السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص ٤١) وما بعدها، ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، حمد بن علي بن محمد ابن عتيق (ص ١٤)، دار أطلس الخضراء، ٢٠٠٩م.

وكان منهج علماء غربي إفريقية في بيان أنواع التوحيد بالتعريف بالله عز وجل أولاً، ثم الدعوة إليه ثانياً، ذلك لأن العلم بالله تعالى هو أول واجب على المكلف[1]، لقوله تعالى:﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾[2]، فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟** ﴾[3]؛ وأكمل الناس في هذا الجانب رسول الله ﷺ حين يقول: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فو الله، إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»[4]. والعلم بالله، هو العلم بأسمائه وصفاته، وثوابه وعقابه، والعلم بقدرته ورحمته، ونحو ذلك مما يدعو إلى الإيمان به. ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وتأمل معانيها السامية، والإيمان بها، تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات، ونحو ذلك من أنواع العبادات.

ولأهمية هذا العلم، وعظم قدره، يقول إمام المصلحين والدعاة في غربي إفريقية، الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله: «إن غايتنا في الدعوة إلى الله، والحدّ الأخير الذي يحدده التاريخ لدعوتنا، هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلهم في بلادنا ... ولا سلطان على

---

(١) قال الإمام الجويني رحمه الله: «أجمع العلماء على وجوب معرفة الله تعالى، واختلفوا في أول واجب، فقيل: المعرفة، وقيل: النظر... »، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المرجع السابق (١/٧٠)، وقال الشيخ عبد العزيز ابن باز في تعليقه على الفتح: «والصواب ما ذكره المحققون من أهل العلم، أن الواجب هو شهادة أن لا إله إلا الله علما وعملا، وهو أول شيء دعا إليه الرسل عليهم السلام»، والعيني في عمدة القاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (١/١٦٥)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٢م.

(٢) سورة محمد، جزء من آية: ١٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٤) صحيح البخاري (٤/٣٦٣)، رقم (٥٧٥٠)؛ وصحيح مسلم (٤/١٨٢٩)، رقم (٦٠٦٤)؛ من حديث عائشة رضي الله عنها، وسبب الحديث هو قول عائشة (رضي الله عنها): «**صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه، وتنزه فيه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ...**»، وذكرت الحديث ... .

أرواحهم إلا الله الحي القيوم، ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلا الإيمان الصحيح تنشأ عنه الأعمال الصحيحة ... فلا يعبدون إلهاً غيره، ولا يدعون سواه، ولا يسلمون وجوههم إلا إليه، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله»[1].

ويقول الشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار الكشني رحمه الله في معرض تعريفه بالله سبحانه وتعالى، ووصفه له: « فعلى المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه، لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، وأنه الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء، وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ... وأنه حي لا يموت، بل هو متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقصان، ... وحسبك أن تؤمن بأن الله تعالى متصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، على ما يليق بجلاله سبحانه، وأنه ليس كمثله شيء، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]»[3].

وبهذا، يتبين أن منهج علماء غربي إفريقية في الدعوة إلى معرفة الله تعالى، يتركز أولاً على الإيمان الخالص به خالقاً ورازقاً ومدبراً لأمور العبد كلها، مع توحيده بالعبادة دون مَن سواه، وتوحيده كذلك بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

(١) إحياء السنة وإخماد البدعة ، الشيخ عثمان بن فودي،(ص ١٤٢ــ١٤٣)، ط. الزاوية التجانية، القاهرة، ١٣٧٧هــ.

(٢) سورة الإخلاص، آيات: من ١ــ٤.

(٣) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٤٧).

المطلب الثاني

معرفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

ونعني بذلك الدعوة إلى الإيمان بأن لله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين، وأنهم مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وأنهم من عباد الله، أكرمهم الله تعالى بتبليغ وحيه، ووصفهم بالعبودية[1].

والمقصود بالدعوة إلى الإيمان بالأنبياء في منهج علماء غربي إفريقية بعامة، هو الدعوة إلى الإيمان بخاتم الأنبياء والرسل نبينا محمد ﷺ، وأنه عبد الله ورسوله، أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2]، والإيمان به ﷺ يقتضي تصديق أخباره، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، والقيام بحقوقه، وبيان سيرته العطرة، وشمائله الفريدة، إذ ليس من خلق كريم، وطبع قويم، إلا ولنبينا محمد ﷺ منه الحظ الأكبر، والنصيب الأوفر، ومن شأن ذلك أن يقرب المدعوين إليه، ويحببهم فيه، مما يكون عوناً على تبليغ رسالته، وقبول دعوته،واتباع سنته،ولزوم هديه ﷺ[3]، يقول الشيخ عبد الصمد ابن حبيب الله المختار رحمه الله مبيناً مهمَّة رسل الله، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، وفي معرض رده على التجانيين الضُّلال الذين زعموا أنهم أخذوا طريقتهم من النبي ﷺ يقظة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى: «... الله تعالى يرسل الرسل للإنذار والتبشير، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

---

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد الصالح العثيمين،(ص ٢١-٢٢)، جامعة الإمام، ١٤٠٤هـ.

(٢) سورة الفرقان، آية: ١.

(٣) انظر: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منها في العصر الحاضر، د. سليمان بن قاسم العيد،(ص ١٠٦)، (١١٠)، ط١، دار الوطن، ١٤٢٢هـ.

﴿ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]، والإنذار والتبشير لا يتأتى إلا من حي لحي، فالله تعالى حي، أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام، وجبريل حي، وهو أوحى إلى محمد ﷺ وهو في قيد الحياة، ومحمد ﷺ بلغ ما آتاه به جبريل عليه السلام أمته وهم أحياء ... وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... إلى أن قال: فهذا دين الله وشريعته، وذلك ورد التجاني وتلك طريقته»[2].

فيتبين بذلك أن دعوة علماء غربي إفريقية إلى معرفة الأنبياء، تعني الإيمان الجازم بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ويأتي على رأسهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ، حيث إن دعوتهم واحدة، وربهم واحد، وهدفهم واحد، ألا وهو: إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، كما قال تعالى حكاية عنهم جميعاً لأقوامهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[3].

(١) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٠، و٢١).

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

المطلب الثالث

تطهير عقائد المسلمين وسد ذرائع الشرك

لقد أخذ العلماء والدعاة المصلحون في غربي إفريقية على عاتقهم ـــ منذ أن فشت الانحرافات العقدية ـــ مسؤولية الدعوة إلى تطهير العقيدة، وسدِّ كل الذرائع التي تؤدي إلى الشرك بالله. ذلك لأن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة ورقيها منوط بسلامة عقيدتها، وسلامة أفكارها، وهي أحوج ما يحتاج إليه مسلمو غربي إفريقية.

ولعظم المنزلة التي تحتلها العقيدة في حياة المسلم، كان تصحيحها، والدعوة إليها، والاهتمام بها، وسد جميع الذرائع المفضية للشرك، هي القضية المركزية الأولى التي تصدى لها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. فكان أهم المهمات، وأولى الواجبات التي قاموا بها تجاه أقوامهم، هي الدعوة إلى تحقيق التوحيد لربهم ومعبودهم الحق، الذي ليس لهم معبود سواه، وينزهونه عن كل ما يضاد ذلك، كما قال عزَّ من قائل:﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾[1]، وقال تعــالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية الأخيرة: «يقول الله تعالى ذكره: ولقد بعثنا إلى الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً، كما بعثنا فيكم رسولاً يرشدكم: أن اعبدوا الله وحده لا شريك الله، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة [**وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ**] أي وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا...»[3].

وقد أمضى إمام الدعاة و المصلحين محمد بن عبد الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها إلى الإقرار بـــ "لا إله إلا الله" وحده لا شريك له. فالتوحيد إذاً هو أساس الأمر، وأول الأمر، وآخر الأمر، بل هو أصل الدين، وقاعدته العظمى التي لا تصلح الحياة البشرية في أصولها وفروعها إلا به، فإن الناس إذا عرفوا الله تعالى، وآمنوا به، ووحدوه، سهل عليهم الانقياد والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، رغبة في الثواب، وخشية من العقاب.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٣) تفسير الطبري، المرجع السابق (٥٨٢/٧).

ولهذا كانت الدعوة إلى التوحيد، والاهتمام بنشره وتعليمه، والعمل على سدِّ ذرائع الشرك، هو الغرض الأساس الذي ندب علماء غربي إفريقية أنفسهم لتقريره وتطهيره، من خلال الجهاد في سبيل الله، وإنشاء المدارس الإسلامية النموذجية في جميع أنحاء غربي إفريقية، وتأليف الكتب والرسائل المختلفة لبيان العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلف الأمة؛ فأسلم على أيديهم الألوف من الناس، وقد تمكن بعضهم ــ بعد توفيق الله له ــ من تأسيس دولة إسلامية في تلك المرحلة تحكم بشريعة الله تعالى[1]، فهذا الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله يقول في إحدى محاضراته: «إن العقيدة الحقة لها ميزان دقيق ومنضبط، وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإذا عرضنا أكثر عقائد المسلمين اليوم في بلادنا[2] على ذلك الميزان العادل، وجدناها طائشة مشوشة، فما هو إذن السبيل الذي يمكن أن نسلكه لتقويمها؟ إن اقتصرنا فقط على بيان العقيدة، واجتهدنا في إقامة الأدلة والبراهين، فإن التأثير سوف يكون محدوداً، لأن النفوس قد انطبعت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والفطر قد فسدت بما لابسها من خرافات وأوهام. لذا فالواجب هو أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة، تقرب من أذواق الناس، وتنسجم مع طبائعهم ومستوى فهمهم، فإذا ماتت البدع والخرافات، وصفَّت الفطر من ذلك الشوب، سهل تلقين العقيدة الصحيحة، وتلقتها الأمة بالقبول والإذهان»[3]، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار، بل إن كلاهما غرض حسن، وسنة محمودة لا يعدل عنها الساعون إلى الخير في كل زمان ومكان[4].

وقد قام علماء غربي إفريقية بالدعوة إلى الله في وقت اشتدت فيه وطأة الاستعمار الأوروبي على المنطقة بأسرها، إذ كان قد مرَّ على انهيار الممالك الإسلامية التي حكمت المنطقة قرن كامل من الزمان، ذاق أثناءها شعوبها تحت ظل احتلال القوى الأوروبية المختلفة، ألوان العذاب والهوان، ومع هذا كله، فإن جهود العلماء في الدعوة إلى الله، وتطهير عقائد الناس، لم تتوقف يوماً من الأيام، بل كان من الحكمة التي انتهجوها في هذه المرحلة، هي الإعراض عن هذا الاستعمار المادي الذي يعتمد على الحديد والنار، وتوجيه نشاطها وضرباتها إلى الاستعمار

(١) كما مرَّ بنا في ترجمة الداعية العلامة عثمان بن فودي رحمه الله.

(٢) لعله يقصد نيجيريا وما حولها من بلاد غربي إفريقية، والله أعلم.

(٣) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٤٥).

(٤) انظر: تهذيب الشرك ومظاهره، المرجع السابق (ص ٥١).

الروحي، الذي كان يمثله مشايخ الطرق الصوفية المورَّثون في الشعب، والمتغلغلون في جميع أوساطه[1]، المتَّجرون باسم الدين، المتعاونون مع الاستعمار المادي عن رضى وطواعية، من أجل تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم والهداية، فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير والحكمة، البدء بمحاربة الاستعمار الثاني، لأنه أشد خطراً، وأهون دفاعاً[2].

وفي ذلك يقول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله: «إن الأوساط الإصلاحية قد ترددت في طريقة عملها، بين وجهتين لا ثالث لهما:

الأولى: توجيه الجهود الدعوية إلى التعليم المثمر، وتكوين طائفة من الشباب المتعلمين، مطبوعة بالطبع الإصلاحي عقيدة وسلوكاً، علماً وعملاً، مسلحة بالأدلة والبراهين المنبثقة من الكتاب والسنة، حتى إذا كثر سوادها استخدمت في الحرب على البدع وأهلها في أرجاء البلاد[3].

الثانية: الهجوم على أهل الباطل والأهواء، وإسماع العامة المغرورة بهم صوت الحق الذي صدع به آيات الكتاب الحكيم، وصفحات السنة المطهرة، لأن البدع والأهواء قد تغلغلت في الأمة، وطال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد، وشبَّ عليها الولد، فلا بد من صيحة مخيفة، ورجة عنيفة تصدِّع بنيان البدع، وتزلزل أركانها، وتضعف في النفوس هيبة أهل الباطل ورهبتهم»[4].

وقد عاب بعض الباحثين على العلماء اشتغالهم بالرد على المنحرفين في العقيدة، وصرف جلِّ الجهود والأوقات في ذلك، على حساب غيره من مباحث العلم والتعليم والأخلاق والصنائع، مقللاً من أهمية نشاطهم في الدعوة إلى سد ذرائع الشرك، والعمل في تخليص العقيدة وتطهيرها.

وفي ردِّه على أمثال هؤلاء وغيرهم، يقول الشيخ غومي رحمه الله: « وقد يظن ظان، وينطلق لسانه بهذا الظن، أن هذه المنكرات والأهواء التي نحاربها، ونشتد في حربها هي قليلة الخطر، ضعيفة الأثر، وأننا غلَّونا في إنكارها، وأنفقنا من الأوقات والجهود في حربها، كان يجب أن

---

(١) بحيث كان هناك اتجاه دعوي واحد، ألا وهو اتجاه الدعوة الصوفية المبتدعة.

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٨٩).

(٣) وكان الشيخ نفسه في البداية يميل إلى هذا الرأي.

(٤) وقد رجح الشيخ هذا الرأي الثاني، لمقتضيات من ورائها حكمة: موقع إسلام أون لاين، مقالة بعنوان: أبوبكر غومي مناضل من أجل الدعوة السلفية.

تصرف في ناحية أخرى أهَّم، كالإصلاح العلمي والأخلاقي ونحوه، وقد فات هؤلاء أن اللوازم القريبة لتلك المنكرات والأهواء التي نشتد في الدعوة إلى محاربتها وإزالتها، التزهيد في العلم، وإفساد الفطر السليمة، وفشل العزائم، وقتل الفضائل النفسية، وإزالة الثقة بالنفس، وتضعيف المدارك، وتخدير المشاعر، وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملكة علمية صحيحة، فكيف بها إذا اجتمعت؟! لذا كان من الحكمة أن نبدأ بتطهير النفوس من الرذائل أولاً، وأن نجعل من صرخاتنا عليها نذيراً للجيل الصاعد أن تتلطخ نفوسهم بشيء من أوضارها... إلى أن قال: وكيف يخلص في عبادة ربه مَن يعتقد أنه لا يصلح هو لمناجاته، وأنه لا بد من واسطة من الأولياء والمشايخ تقربه إليه زلفى، أو تشفع له عنده؛ بل والاعتقاد أيضاً أن تلك الواسطة تنفعه أو تضره، وتسعده وتشقيه، وتعطيه وتمنعه؟ وكيف تتهذب أخلاق مَن يعتقد أن كل ما هو عليه من عوائد جاهلية فاسدة هو من الدين، ومن سنة المتقدمين من الآباء والأجداد؟ أم كيف تستقيم أعمال مَن يعتقد أن الشيخ الفلاني ينجيه يوم القيامة من النار، وأن الذكر الفلاني أو الصلاة الفلانية قد محيت عنه كل الأوزار والخطايا، وزجَّ به في زمرة الأخيار والصالحين، وأن شد الرحال إلى ضريح شيخه تعدل عبادة سبعين سنة، أو أن الطواف حول قبره كالطواف بالبيت الحرام؟ أم كيف ينتصر مَن بُغي عليه وهو يعتقد أن ذله واستعباده أمر مقدر عليه، لا يسعه إلا الصبر حتى يأتي أجله، أو يأتي فلان من الأولياء الأموات، فيتصرف له، ويخلصه مما هو عليه؟؛ أو يعتقد في المقابل ـــ زوراً وبهتانا ـــ أن ما أصابه من البلايا و المحن، إنما هي عقوبة له على تقصيره في حق ذلك الولي من الأولياء..إلخ؟»[1].

هذا ما حمل العلماء والمصلحون والدعاة على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد لله رب العالمين، وتخليصه من براثن الشرك، وتطهيره من خرافات المتصوِّفين، فكتبوا الكتابات، ونشروا الفتاوى، وعقدوا المحاضرات، ونظموا مجالس الذكر، والوعظ والإرشاد هنا وهناك في

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٣ ـــ ٥٤).

ربوع بلاد غربي إفريقية، الأمر الذي زعزع كيان خرافات كانت تحسب من صميم الدين، وهدم صروحاً مشيدة من البدع والأوهام، ووضع الأسس المتين للإصلاح الديني والعقدي في هذه الديار، وزرع البذور الأولى لتطهير العقائد والأفكار؛ يقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله في إحدى خطبه موجهاً النصيحة إلى عموم مسلمي غربي إفريقية، وبخاصة أولئك الذين تأثروا بخرافات الصوفية: «عباد الله، صححوا عقائدكم في الله، وحسِّنوا علاقتكم مع ربكم، وأعلموا أنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، هو المتفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، والضر والنفع، فاخلصوا له الدعاء والعبادة، ولا تدعوا معه أحداً، وطهِّروا أنفسكم وعقولكم من هذه العقائد الباطلة، الرائجة بين المسلمين اليوم، فإنها أهلكتهم وأضلتهم عن سواء السبيل،وإياكم والبدع في الدين، فإنها مفسدة له، وكل ما خالف السنة الثابتة عن نبينا محمد ﷺ فهو بدعة، وصححوا عباداتكم بمعرفة أحكامها وشروطها، وكيفياتها وأوقاتها، ومعرفة ما هو مشروع وما هو غير مشروع، فإن الله تعالى لا يقبل منكم إلا ما شرعه لكم على لسان رسوله ﷺ»[1].

وهكذا كان ديدن علمائنا الأبرار هو الاهتمام بتطهير العقيدة، ثم الدعوة إلى إقامة التوحيد، وتخليصه من شوائب الشرك، وضلالات أرباب الطرق والفرق الضالة، وذلك اقتداءً بجميع رسالات الله، وسنن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، عبد اصمد حبيب الله المختار، (ص ١٠ ـــ ١١)، ط١، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

المطلب الرابع

الحث على اتباع الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح (رحمهم الله)

من الواضح أن الكتاب والسنة هما مصدرا التلقي عند أهل السنة والجماعة، وهما الأصلان العظيمان، والموردان الصافيان اللذان لا يشوبهما أية شائبة، بل فيهما الكفاية والهدى والنور لمن تمسك بهما. وقد أمر الله تعالى بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ في كثير من الآيات، وطاعة الله تكون باتباع كتابه، وطاعة الرسول ﷺ تكون باتباع سنته ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، وهذا من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أن لا إله إلا الله، وجب عليه أن يطيعه، ويتبع كتابه؛ ومن شهد أن محمداً رسول الله، وجب عليه كذلك أن يطيعه، ويتبع سنته ﷺ.

ومن منهج الشيخ عبد الصمد رحمه الله في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، الحث على اتباع الكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما، ومن ذلك قوله: «وإن الحلال بيِّن وهو ما أحل الله ورسوله ﷺ، والحرام بيِّن وهو ما حرم الله ورسوله ﷺ، وإن الكتاب والسنة هما المصدر التشريعي للدين الإسلامي، والشريعة الإسلامية، وليس للمسلم مستند غيرهما، ولم يكلفنا الله إلا وسعنا، ولا نقول إلا ما وافق الكتاب والسنة، ولا نفعل إلا ما وافقهما، ولا نعتقد إلا اعتقاداً يوافقهما...»[2].

ويقول في موضع آخر وهو يحث أتباعه على التمسك بالكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة الذين سعدوا بالقرآن والسنة: «الله الله يا أمة الإسلام، عليكم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، ولا يضل من تمسك بهما، ومن تمسك بهما فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلال وغرور، كما قال تعالى:﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ فَمَنِ

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٨-٩).

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣.

ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا یَضِلُّ وَلَا یَشۡقَىٰ ﴾[1]، فقد وعد أن من تمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وعمل بهما، ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ... إلى أن قال: إن المسلمين الأولين سعدوا بالقرآن، واتباع الرسول ﷺ، فهذا لا جدال ولا مراء فيه ... وحتى يحصل لنا ما حصل لأسلافنا من الصلاح، والإصلاح، والمجد، والعزة، والتمكين، أن نرجع إليهما علماً واعتقاداً وعملاً، وتدبراً وتفسيراً، وفهماً وتطبيقاً» [2].

وهكذا، فمن أراد الهداية في دينه، والسداد في عمله، والتوفيق في الدنيا والآخرة، فليطلب ذلك من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال الشيخ غومي رحمه الله مؤكداً على أن السنة صنو القرآن الكريم في الحجية، وفي بيان أحكام الدين، وتفصيل شرائعه، فقال:« إن السنة حجة بنفسها، فهي شارحة للقرآن، مبينة لمعانيه، مفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مؤكدة لمحكمه، موضحة لمتشابهه ... فالصلاة مثلاً قد فرضها الله علينا بقوله:﴿ وَأَقِیمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[3] هكذا مجملاً، فتولى رسول الله ﷺ تفصيلها بعمله، ثم قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[4]، وكذلك الزكاة، والصوم، والحج كلها، فلولا بيانه ﷺ لها لما فهمنا المراد بها، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وكذلك جميع العبادات، قد فصلها لنا بكيفياتها وزمانها ومكانها[5] ... إلى أن قال: ولا نفتأ أبداً ندعو الناس إلى ما أمر الله أن يدعى إليه من دينه، واتباع نبيه ﷺ، وإحياء سنته، وإماتة ما أحدثه المحدثون تدريساً ودعوة ومذاكرة في كل مجلس يحسن فيه الكلام عن سيرته العطرة، وسلوكه القويم، وهديه العظيم الذي كان مثالاً ناطقاً لهدي القرآن، وتطبيقاً لكل ما دعا القرآن إليه بالأقوال والأفعال والأحوال[6]، مما هو المثل الأعلى في الكمال، والحجة الكبرى عند جميع أهل الإسلام...»[7].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٣.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٤٢).

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) صحيح البخاري (١/٢٢٦)، رقم (٦٨١٩).

(٥) انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٦).

(٦) يدل على ذلك قول عائشة (رضي الله عنها) عندما سئلت عن خلقه ﷺ؟ فأجابت: «**كان خلقه القرآن**»، مسند أحمد (٧/٢٣٤)، رقم (٢٥٢٨٥)؛ المعجم الأوسط للطبراني (١/٦٥)، رقم (٧٢).

(٧) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (٧٦ــ٧٧).

ويقول الشيخ غومي رحمه الله واصفاً ما يقول ويعتقده بعض المشايخ المتعصبين من المالكية في غربي إفريقية: «... ومن العجب أن جلَّ الناس اليوم، قد استولى عليهم الجهل والجمود حتى حال بينهم وبين الكتاب والسنة، وصاروا إذا تناول معهم إنسان في أي حديث كان، وأقام عليهم حجة من الكتاب والسنة، رأى على وجوههم عرق الغضب، ويقولون: "نحن لسنا أهلاً لفهم القرآن والسنة" وإنما نرجع لكلام فقهائنا ومشايخنا المالكيين ... وفي الحقيقة إنما هو تقليد وتعصب مذهبي أعمى لهذا الشارح أو ذاك من شراح المذهب نفسه ... حتى اتخذ بعضهم شعاراً مؤداه: "نحن خليليون، إن أخطأ خليلٌ أخطأنا، وإن أصاب أصبنا[1]" ... إلى أن قال: والقرآن والسنة حجة على غيرهما، وليس غيرهما حجة عليهما، فبئس ما يفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية، وجعل الآراء الفقهية غير المعصومة أصلاً، والقرآن والسنة فرعاً ... إن هذا لهو الضلال البعيد»[2].

ويقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله في السياق نفسه، وذلك رداً على مَن يعتمد أقوال المشايخ ويفضلها على سنة النبي ﷺ:« إن ردَّ السنة النبوية ــ قولية كانت أو فعلية ــ لمجرد مخالفتها لمذهب معين من المذاهب، محادة لله ولرسوله ﷺ، وخروج عن امتثال أمر رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3]، وعصيان لوصايا أئمة الإسلام الثابتة عنهم بأصح الأسانيد، وفي مقدمة هؤلاء: الإمام مالك بن أنس ﷺ الذي روى عنه أصحابه، قوله: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق السنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[4]"، وكم له ولغيره من عبارات في هذا المعنى منادية بعرض أقوال الرجال على

---

(١) للاستزادة من النظر في هذه المسألة، انظر: رواية الشيخ أحمد بابا التمكتي في حديثه عن الشيخ خليل ومختصره الفقهي، أن الشيخ ناصر الدين اللقاني، كان يقول: (نحن خليليون إن ضل ضللنا ... إلخ)؛ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المرجع السابق (ص ١٧١ــ١٧٢).

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع نفسه (ص ٦٦).

(٣) صحيح مسلم (٢/٢٠٦)، رقم (١٦٧).

(٤) وفي الرواية: «وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا ...»، يؤثر هذا القول عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، ونقله عنه مجاهد رحمه الله، ونقله عن مجاهد الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ونقله عن مالك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ... وهكذا. انظر: صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، محمد ناصر الدين الألباني (ص ٢٦ــ٢٧)، ط١٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

سنة خير الأنام ﷺ، ولكن وصاياهم عطّلها، بل نبذها بعض المتعصبين لهم، والمنتسبين إليهم انتساباً، ولو قدِّر لمالك ﷺ أن يبعث حياً من قبره، لقال في نسبة هؤلاء إليه، والمخالفين لوصاياه، والمعطِّلين لروح مذهبه، ما قال عيسى ابن مريم ﵇ في أولئك الذين كذبهم بقوله:﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، فالله تعالى يشهد، وأولوا العلم يشهدون أن مالكاً ﷺ بريء من كل نابذ لسنة رسول الله ﷺ، بدعوى المتمذهب بمذهب مالك ﷺ. ومن تأمل في الكتب المالكية لوجد ما يخالف تلك الدعاوى الفارغة؛ وحاشا مالكاً أن يقول: صدِّقوا ما أقول في كتابي فقط، واكفروا بصحيح المنقول الذي يرويه البخاري، ومسلم، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان ...إلخ عن رسول الله ﷺ»[2].

ويضاف إلى هذين الأصلين العظيمين، أصل آخر ثالث، به تفارق الفرقة الناجية أهل الأهواء والانحراف، وتتميز عنهم، وهو اتباع منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدِّين، وهذا المنهج هو سبيل المؤمنين الذي حذرنا الله تعالى من مخالفته، أو اتباع الهدي في غيره، كما قال تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3].

فعلى هذه الأصول الثلاثة[4]، بنى العلماء والدعاة في غربي إفريقية منهجهم في الدعوة إلى الله، يقول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله: «إن الإسلام الذي ندعو إليه، إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة، المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق ﷺ، فصمدنا ندعو الأمة بالرجوع إلى هذه الأصول، وطرح كل ما يخالفها من قول أو عمل أو اعتقاد ...»[5].

كما جاء تصريحه بالدعوة إلى هذه الأصول العظيمة في أول خطبة له عند بداية أعمال جماعة "إزالة البدعة وإقامة السنة" ما نصه: «إن من أهم ما أسست له هذه الجماعة، الإصلاح الديني، وتطهير العقيدة من نزغات الشرك، وباطل الانحرافات، ودحض أنواع البدع القولية

(١) سورة المائدة، آية: ١١٧.

(٢) من شريط محاضرة ألقاها الشيخ رحمه الله في أحد مساجد مدينة كوماسي بدولة غانا.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٤) المتعلقة بعبادة الله وحده، واتباع سنة نبيه ﷺ، والاقتداء بمنهج السلف الصالح رحمهم الله.

(٥) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٦).

والفعلية، والإشادة بلزوم الاهتداء بالكتاب والسنة، وعمل السلف الصالحين، والأخذ بكل ما وافق هذه الأصول، والطرح لكل ما خالفها ... وسنخطو هذه الخطوة إن شاء الله على ما عرفه الناس من مبدئنا في الإصلاح الديني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال، تصحيحاً وتهذيباً وتنويراً وتقويماً لكل ذلك في دائرة الإسلام، كما نزل به القرآن الكريم، وبينته السنة الشريفة، ومضى عليه سلف الصالح من هذه الأمة...»[1].

كما بين الشيخ عبد الصمد رحمه الله، منهج العلماء السلفيين في المنطقة رحمهم الله في اتباعهم الكتاب والسنة، ومنهج السلف في الدعوة إلى الله لتصحيح العقائد، والتحذير من البدع المخالفة، فقال: «إن الدعوة الإسلامية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في غربي إفريقية، تتلخص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، والسير على منهاج الأئمة في أخلاقهم وعباداتهم، وتطبيق ما هم عليه من عقائد وأعمال وسلوك على ما كان في عهد السلف الصالح، فما وافقه عددناه من دين الله، واعتبرنا القائم به قائماً بدين الله، وما لم يكن معروفاً في عهد الصحابة والتابعين، عددناه ليس من دين الله في شيء»[2].

ويقول في موضع آخر وهو يحث تلاميذه وأتباعه على تطبيق هذا المبدأ العظيم، ويبين لهم كيفية ذلك، بقوله: «... وكل قول يراد به إثبات معنى ديني لم نجد في كلام السلف أهل الحق، نكون في سعة من ردِّه وطرحه وإماتته، كما وسعهم عدمه، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، وكل فعل ديني لم نجده عندهم، وكذلك كل عقيدة، فلا نقول في ديننا إلا ما قالوه، ولا نعتقد فيه إلا ما اعتقدوه، ولا نعمل فيه إلا ما عملوا به، ونسكت عما سكتوا عنه»[3].

وهكذا، كان اهتمام علماء غربي إفريقية في الحث على اتباع الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، ونبذ كل ما سواها، لأنها الطريق الأسلم، والنهج الأقوم، الذي أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، قال جلَّ شأنه: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[4]، وقول النبي ﷺ: « ... **المهديين عضوا عليها بالنواجذ** ...»[5].

---

(١) المرجع نفسه (ص ٦ــ٧).

(٢) الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٦).

(٣) المرجع نفسه (ص٨).

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(٥) تقدم تخريجه.

المطلب الخامس

الاهتمام بالعلم والعلماء

لقد خلق الله تعالى الإنسان مفطوراً على حبِّ المعرفة، ويبدأ المرء في السؤال والكشف عن كل شيء يراه ويحس به في بيئته وما حولها منذ نعومة أظفاره، يفعل ذلك ابتداء من أبسط الأشياء حتى تركب العلم، وتراكم وارتقى إلى ما هو عليه اليوم، كل ذلك بعناية الله تعالى وهدايته له، قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(١).

وقد أثنى الله تعالى على العلماء في كتابه الكريم ثناء عطراً، كفى به لهم شرفاً وميزة، فقال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢)، فذكر سبحانه وتعالى شهادة أهل العلم مع شهادته، وشهادة ملائكته على أجل مشهود به وهو التوحيد، فدل ذلك على فضل العلم وأهله. وقال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٣)، فالله تعالى نفى التسوية بين الجهال والعلماء، لعظم الفرق بينهم. وقال أيضاً سبحانه:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾(٤)؛ فأخبر سبحانه أن العلماء هم أهل الخشية لله، لأن العلم يُعرِّف بالله، ويبين عظمة الله، ويبين أسماءه وصفاته، ويبين جزاءه وعقابه، ويبين أشياء عظيمة، وهذا يكسب العبد خشية الله، لأن من كان بالله أعرف، كان منه أخوف، فالجاهل يكون أقل خشية وإن كان عابداً ورعاً، لكنه بسبب جهله بالله يكون أقل خشية لجهله به، وقد صدق رسول الله ﷺ حينما أثنى على العلماء قائلاً: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٥).

ولهذا فقد كان من منهج علماء غربي إفريقية ــ كما تقدم من ترجمتهم ــ الاهتمام والعناية بتعلم العلوم الإسلامية منذ الصغر، وألزموا أنفسهم بعد أن تبحروا فيها بتعليم أبناء المنطقة صغاراً وكباراً، و العمل على إعداد الأئمة، والكوادر المدربة في فنِّ الدعوة والإرشاد من الشباب الغيورين، الذين يقومون بتوجيه الأمة في دينها ودنياها، وحفظ مقوِّماتها من عقيدة وتراث وثقافة

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) صحيح البخاري (١/٣٩)، رقم (٧١)؛ وصحيح مسلم (٥/٢٨)، رقم (٤٩٣٣).

إسلامية أصيلة؛ يقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله موجهاً نصيحته لعموم طلاب العلم من أبناء المنطقة:« ... ويا من تريد القيام بالدعوة إلى الله، عليك بالاجتهاد في طلب العلم حتى تحصل على علوم الشريعة، والبصيرة فيها، لتكون أنت على بصيرة فيما تدعو الناس إليه، لقوله تعالى:﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[1]»[2].

وقد جاء في الأسس التي قامت عليها السياسة التعليمية للمدرسة الصمدية التي كان الشيخ عبد الصمد رحمه الله يديرها في غانا، عدَّة مواد تدل على اهتمامهم وعنايتهم بهذا الجانب، بدءاً من تعليم القراءة والكتابة، إلى محاربة الأمية الدينية، والتبحر في علوم الكتاب والسنة، وقد ورد فيها ما يلي:

- تحتوي برامج التعليم في المدرسة الصمدية على تعليم القراءة والكتابة، وحفظ الكتاب والسنة مع تفهيم معانيهما ومفرداتهما، وفهم ضروريات الدين والأخلاق الإسلامية السامية، ويتم الاختيار من كتب التعليم أقربها للإفادة، ويحرص الأساتذة والمعلمين على تنفيذ ذلك على وجه الدقة.
- تحارب المدرسة الصمدية الأمية الدينية بكل صورها وأشكالها، وذلك بكل ما يملك من قوة ووسائل لتحقيق هذه الغاية.
- ترغِّب المدرسة الصمدية أعضاءها العاملين في مجال الدعوة والتدريس في اقتناء الكتب النافعة، كأمَّهات كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب، والأخلاق والتاريخ ...إلخ[3].

كما اهتم العلماء والدعاة في غربي إفريقية، بإصلاح التعليم بنوعيه: المجلسي[4]، والمدرسي[5] وتطوير أساليبه، يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله: «أما في البيوت

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٣٧).

(٣) المرجع نفسه (ص ٤٥).

(٤) يقصد به دروس الوعظ والإرشاد والتفسير والفقه و العقيدة وغيرها، والتي يقوم العالم بتقديمه في منزله أو مسجده، حيث يقصده طلبة العلم، وكبار السن والوجهاء وغيرهم.

(٥) نعني به التعليم الابتدائي في المدارس الإسلامية النموذجية، التي تختلف تمام الاختلاف عن الكتاتيب القرآنية المنتشرة في قرى ومدن بعض مناطق غربي إفريقية.

والمجالس: فطريقتنا في التدريس والوعظ والإرشاد هي طريقة السلف، حيث نقوم بتفسير معاني القرآن، واستجلاء عبره، حسب فهمنا وتمكُّننا من اللغة العربية وأساليبها وآدابها، وبالصحيح من سنة رسول الله ﷺ التي تبيِّنها وتجلِّيها، وبسيرته العطرة تجلوها، وتدل الناس على مواضع التآسي بها، ثم سير الصحابة وهديهم، ثم سير حملة السنة النبوية، وحملة الهدي المحمدي من التابعين وتابعيهم في أقوالهم وأعمالهم.

أما التعليم المدرسي: فيعتمد على تلقين التلاميذ قواعد اللغة العربية في أسهل التراكيب، وتمكينهم على إتقانها بالتمرينات التطبيقية، وكذا تعليم القرآن والحديث والتفسير من كتب الأحاديث الصحيحة، وأمهات التفسير. أما الدروس الأخرى، فنختار لها أقرب الكتب للإفادة، وأبعدها عن الجمود والتعقيد»[1].

كما كان من منهج علماء غربي إفريقية التأكيد على أن صلاح الأمة بصلاح علمائها، وأن تكوين هؤلاء العلماء أساسه: إصلاح التعليم ومناهجه، يقول في ذلك الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله: «إن مسلمي ديارنا لن يصلحوا حتى يصلح علماؤهم وفقهاؤهم، ولن يصلح العلماء والفقهاء إلا إذا صلح تعليمهم، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا لتعليم سلف هذه الأمة الأخيار، في شكله وموضوعه، وفي مادته وصورته»[2].

ويقول الشيخ آدم الألوري رحمه الله:«ونعني بالتعليم: التعليم الذي يكون به المسلم عالماً ربانياً من علماء الإسلام، الذي يعبد ربه على بصيرة، فيأخذ عنه الناس دينهم، ويقتدون به»[3].

ولهذا فقد أولى علماء غربي إفريقية جلَّ اهتمامهم في إنشاء وتأسيس المدارس النموذجية الإسلامية في كل مكان من ربوع المنطقة، كمعهد التعليم العربي الذي أسسه الشيخ آدم الألوري رحمه الله في نيجيريا، والمدرسة الصمدية التي أسسها الشيخ عبد الصمد رحمه الله بغانا، ومدرسة دار الحديث التي أسسها الشيخ موري موسى كمارا رحمه الله بساحل العاج، ومدرسة أنصار السنة المحمدية التي أسسها الشيخ الدكتور مصطفى سي يعقوب في مسقط رأسه بدلوا في ساحل العاج وغيرها كثير، وهكذا حتى بلغ عدد هذه المدارس الإسلامية النموذجية في يومنا هذا أكثر من ألف مدرسة، مجهزة بكل ما تحتاجها، وقد سعت جلُّ هذه المدارس إلى اعتماد شهاداتها لدى أكثر جامعات الدول العربية والإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وقبول المتخرجين منها

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٣٥ـ٢٣٦) بتصرف.

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٧).

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٣٦).

لمواصلة دراساتهم فيها، في مجال الدعوة ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، فكان لها ذلك. إذ لا توجد في الإسلام وظيفة أشرف قدراً، وأسمى منزلة، وأعظم عند الله أجراً من وظيفة الدعوة، فالدعاة هم الوارثون لمقام النبوة، وآخذون بأهم تكاليفها، وذلك بالدعوة إلى الله، وتوجيه عباده إليه، وتزكيتهم وتعليمهم، وترويضهم على الحق حتى يفهموه ويقبلوه، ثم يعملوا به، ويعملوا له[1].

فهؤلاء الدعاة المصلحون إذا فُقد الواحد منهم، حدث في الإسلام ثلمة لا تسد، وكان ذلك إيذاناً بقبض العلم، ونقص الأرض من أطرافها، وكان في ذلك ضرر على الإسلام وأهله، يقول الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «إذا فقدت الأمة العالم الرباني، والدليل الناصح، والمرشد المهتدي، والداعية المخلص، تراكمت على عقولها سحائب الجهالات، وران على بصيرتها قبائح العادات، وسهل عليها الإيمان والتمسك بالخيالات، فانقادت لعالم طمَّاع، وجاهل كذَّاب، ومرشد دجَّال، ودليل محتال، وازدادت بهم حيرتها، واختلت سيرتها، وبعثرت أوراقها، والتبست عليها الطرائق كلها، وانعكست لديها الحقائق، فتتهم العقل، وتقبل المحال، وتشرد من الصواب، وتأنس بالسراب، وفي هذا جاء حديث الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال:"**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**"[2]»[3].

فتبين من ذلك أن دور العلماء والدعاة في الإسلام كبير، لأنهم ورثة الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة والسلام في بيان الحق، وفي دعوة الناس إليه. ولهذا فقد اهتم علماء غربي إفريقية بنشر العلوم الشرعية من عقيدة، وتفسير، وفقه، و ... إلخ، عن طريق تأسيس المدارس والمعاهد الإسلامية، ولا تزال مآثرهم الطيبة صدقة جارية مستمرة بإذن الله تعالى في جميع أرجاء المنطقة.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٤٧—٤٨).

(٢) صحيح البخاري (١/٥٠)، رقم (١٠٠)؛ وصحيح مسلم (١٦/٤٤٠)، رقم (٦٧٣٧).

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٢٨—٢٢٩).

المطلب السادس

العناية باللغة العربية

كان من منهج علماء غربي إفريقية في الدعوة إلى الإسلام، العناية باللغة العربية تعليماً وتعلُّماً وتأليفاً، حتى أتقنوها إتقاناً، وتفوقوا فيها على بعض أهلها في أكثر من صعيد، وتأتي هذه العناية، وهذا الاهتمام البالغ من هؤلاء الأفارقة في خدمة اللغة العربية، لتعلقها بدين الإسلام، فهي لسان الإسلام؛ ولسان قرآنه، وسنة نبيه ﷺ، ولسان عبادته، ولسان التفاهم المشترك بين علمائه في كل مكان. والعروبة هي وعاء الإسلام؛ ورسول الإسلام عربي؛ وصحابته الكرام الذين تربّوا في مدرسة النبوة عرب، ومنطلق الإسلام من أرض العرب، ومساجد الإسلام الكبرى التي لا تشد الرجال إلا إليها في أرض العرب. ومن هنا فإن اللغة العربية هي المكوِّن الرئيس للثقافة الإسلامية، وضرورة لا غنى عنها لفهم الإسلام، وفهم تكاليفه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه بالكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، فصارت معرفته من الدين،وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفته دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم»[(1)].

وقد أخبر الله تعالى ــ في غير ما آية ــ أنه قد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[(2)]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(3)]، وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[(4)]، وقوله: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[(5)]، وقوله:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، المرجع السابق (٢٠٧ــ٢٠٨).

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٣.

(٣) سورة يوسف، آية: ٢.

(٤) سورة الشعراء، آيات: ١٩٣ــ١٩٥.

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٨.

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]؛ إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد المعنى الذي يفهم منه أن الكتاب والسنة اللذان هما مصدر التلقي في الإسلام، لا يفهمان إلا إذا فُهم اللسان العربي، وكذلك لا تفهم الشريعة على حقيقتها، ولن تستخرج أصولها وقواعدها من هذين الوحيين، إلا بمعرفة قواعد اللغة العربية، وإدراك ألفاظها ومعانيها، وبيان مفرداتها وأساليبها، والكشف عن أسرارها ومصطلحاتها. وقد ورد من أقوال بعض السلف رحمهم الله في فضل اللغة العربية، ووجوب العناية بها لمن يريد فهم الكتاب والسنة، وعلوم الشريعة وأحكامها الشيء الكثير؛ ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2].

وقد ذكر الإمام الشافعي ﷺ أن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم، الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتهم، التي بها يتم التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار، وأقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغريبة، والمخاطبات العربية، فإن من جهل سعة لسان العرب، وكثرة ألفاظها ... جهل علم الكتاب والسنة، ومن علمها ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوَّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه[3].

وهكذا نجد أن الإسلام قد ارتبط باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً، يقول الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «أما الإسلام فقد التزم العربية كل الالتزام، فللعربية تاريخ متصل بالإسلام، وللإسلام جذور عميقة في العربية، وهي التعبد بتلاوة القرآن داخل الصلاة وخارجها ... إلى أن قال: ولذا، فرض الإسلام على كل مسلم ومسلمة أن يؤدي صلواته خمس مرات كل يوم إماماً كان أو مأموماً، وأن يؤذن ويقيم ويكبر ويهلل ويتشهد ويدعو كل ذلك باللغة العربية، ورتب ثواباً جزيلاً لكل من يقرأ القرآن بالعربية، سواء فهم معناه أو لم يفهم، فامتزجت العربية بالإسلام امتزاج الروح بالجسد»[4].

---

(١) سورة فصلت، آيات: ٢ـ٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، المرجع السابق (ص ٢٠٣ـ ٢٠٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د. عبد الحليم النجار،(١/٥)، نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت.

(٤) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٣٩).

وكان من شدة اهتمام العلماء ورعايا الأفارقة حكاماً ومحكومين باللغة العربية في غربي إفريقية قديماً[1]، أن كانت هي اللغة الوحيدة المتداولة في الأوساط الإدارية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية وغيرها، إلى أن حلَّ الاستعمار الأوروبي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وقد عمل المستعمرون بكل ما أوتوا من قوة وسلطة ونفوذ على طمس معالم اللغة العربية والثقافة الإسلامية على كافة الأصعدة في المنطقة، بل ومحو كل ما هو عربي من الألسنة، وقلعها من الأفئدة، لتحل محلها الانجليزية والفرنسية؛ وسنَّ في ذلك القوانين الصارمة، وأجبر على التعليم الأوروبي، وجعلها اللغة الرسمية في جميع الدوائر التي تعمل تحت سلطتها، وضايق على مدارس وكتاتيب العربية ومشايخها، مع دعوتهم للعلماء وأئمة المساجد إلى تجريد الإسلام من العربية، ليصبح كالنصرانية التي لا تتقيد بلغة في طقوسها وصلواتها. ولكن العلماء والمصلحين فطنوا لمكايد المستعمرين ومخططاتهم، فلم يستسلموا لتلك المضايقات، بل عملوا بكل ما أعطوا من صبر وتحمل واحتساب على إفشالها بإحياء التعليم العربي، وبثه في صفوف الأجيال الناشئة[2]، ونشره في كتاتيب القرآن، وإنشاء المدارس العربية النموذجية الحرة التي لا تتبع للإدارة الاستعمارية، وقطعوا في ذلك شوطاً رغم العراقيل والمعوقات؛ يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله متحدياً تهديدات الاستعمار، وعقوباته وقوانينه الجائرة: « لقد فهمنا ما يراد بنا، وإننا نعلن صراحة لأعداء الإسلام، وخصوم العربية، أننا قد عقدنا العزم على المقاومة، وأننا سنمضي قدماً في تعليم ديننا وتراثنا الإسلامي، رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء ... وإننا على يقين من أن العاقبة لنا، وأن النصر سوف يكون حليفنا، لأننا قد عرفنا أن الإسلام واللغة العربية قد قضى الله تعالى بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم والأعداء كلهم على محاربتها، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[4]،

---

(١) أي في ظل الممالك الإسلامية التي حكمت المنطقة لقرون، وقبل ظهور الاستعمار الأوروبي الغاشم.

(٢) وذلك حفاظاً على دينهم وتراثهم وثقافتهم الإسلامية الأصيلة، انظر: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٤٢).

(٣) سورة الحجر، آية: ٩.

(٤) سورة التوبة، آية:٣٣.

وهكذا حتى أصبحت بعض مناطق غربي إفريقية اليوم، تُفاخر بعض أمصار العربيـــة الكـــبرى، ومنابتها الأصلية بعلمائها، وأدبائها، وكُتَّابها، وشعرائها، وخطبائها، ومثقفيها ...»[1].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «إن ما قام به العلماء من جهاد وتضحية في حفظ كيان اللغة العربية في غربي إفريقية، كان لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل مسلم مكانة لا تـــساويهما مكانة، وهما: إحياء مجد دين الإسلام، وإحياء مجد اللغة العربية وتراثها الغزير»[2].

ويقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله مبيناً فضل اللغة العربية على سائر لغات العالم: «إنهـــا أي اللغة العربية هي ترجمان أفكار الأمة الإسلامية، وخزانة أسرارها، والأمة الإسلامية في غـــربي إفريقية ترى في اللغة العربية، أنها حفظة لدينها وتراثها، ومصححة لعقائدها، ومدونة أحكامهـــا، وأنه الصلة بينها وبين خالقها، وما تود أن لها بها لغات الدنيا كلـــها وإن زخرفـــت بـــالآداب، وفاضت بالمعارف، وسهلت سبل العيش في الحياة، وكشفت عن مكنونات العلم، وإن أخـــذت بشيء من تلك اللغات[3] فذلك وسيلة إلى الكمال في أسباب الحياة»[4].

وهكذا كان منهج علماء غربي إفريقية في الدعوة إلى الإسلام، والعمل على فهـــم تراثـــه وثقافته الأصيلة، عن طريق العناية باللغة العربية، وهي ـــ أي هذه العناية ـــ تـــستحق الفخـــر والاعتزاز، وما مئات المدارس العربية والإسلامية النموذجية المنتشرة هنا وهناك في ربوع المنطقة، وما العشرات من أبناء المنطقة المنتشرين في مختلف الدول العربية والإسلامية بغية الاستزادة مـــن الثقافة العربية والإسلامية، إلا دليل حيّ، لحبٍّ هؤلاء الأفارقة، واهتمامهم باللغة العربية، وإيمانهم العميق بالإسلام وتراثه الأصيل.

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٢٤٠).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٤٠ ـــ ٢٤١).

(٣) كما هي الحال مع اللغة الفرنسية والانجليزية.

(٤) الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة،المرجع السابق (ص ٥٧ـــ٥٨).

المبحث الثالث

جهود علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة

المطلب الأول

جهود علماء غربي إفريقية في بيان أقسام التوحيد

عندما نتأمل في كتب السلف الأوائل، نجد أنهم قد قسموا التوحيد إلى أقسام عدَّة، وخلاصة تلك الأقسام، هي: أن التوحيد منقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء و الصفات.

ومن العلماء من قسَّمه إلى قسمين:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات،وهو توحيد الربوبية المتمثل بالإقرار بالخالق،وانفراده بالخلق والتدبير، والإحياء، والإماتة، وجلب الخير، ودفع الشر، وهذا النوع لا يكاد ينازع فيه أحد من الخلق، حتى إن المشركين كانوا يقرون به مع شركهم ولا ينكرونه، كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله:﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾[١]، وأمثالها من الآيات كثيرة، وفيها البيان الواضح بأن المشركين كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد.

الثاني: وهو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة المتمثل في إفراد الله في الطلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة، كما تدل عليه وتعبر عنه كلمة "لا إله إلا الله". إن هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده، وتنفيها عمن سواه. ولهذا لما طلب النبي ﷺ من المشركين أن يقولوها[٢] امتنعوا، وجحدوا بها، وقالوا:﴿ **أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ** ﴾[٣]، لعلمهم أن من قالها، فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله،وأثبت العبادة كلها لله وحده، فإن الإله معناه المعبود، فمن نطق بهذه الكلمة وهو مع هذا يدعو غير الله،

---

(١) سورة يونس،آية: ٣١.

(٢) كما في السنن قوله ﷺ: «**قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ...**»، مسند أحمد (٤٩٢/٣)، رقم (٢٢٦٤٠).

(٣) سورة ص،آية: ٥.

فقد تناقض مع نفسه. والعلاقة بين توحيد الربوبية،وتوحيد الألوهية هي التلازم، يعني: أن الإقرار بتوحيد الربوبية، يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية، والقيام به ظاهراً وباطناً،ولهذا كان الرسل (عليهم السلام) أجمعين، يطالبون أممهم بذلك، ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية، كما قال تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[1]، وقوله:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾[2].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ثابت بالفطرة، ولا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين، ولم يعرف عن أحد من الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة إنكار هذا النوع من التوحيد إلا الدهرية الذين يجحدون الخالق،ويزعمون أن العالم يسير بنفسه من غير مدبر له، كما قال تعالى عنهم:﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[3]، فرد الله تعالى عليهم بقوله:﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[4]؛ فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دلهم عليه، بل على مجرد الظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً، كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[5]، ولا عن قوله:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[6]، وقوله:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[7]. ومن تظاهر بجحد هذا النوع من التوحيد كفرعون، فهو مقر به في قرارة نفسه، كما قال تعالى:﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[8]، وقوله:﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٨.

(٣) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

(٥) سورة الطور، آية: ٣٥ــ٣٦.

(٦) سورة لقمان، آية: ١١.

(٧) سورة الأحقاف، آية: ٤.

(٨) سورة الإسراء، آية: ١٠٢.

وَعَلُوًّا ﴾[1]،وقال عن الأمم السالفة:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[2].

وهكذا فإن هذا النوع من التوحيد محل وفاق، والشرك قليل فيه،ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك أن يأتي بلازمه وهو توحيد الألوهية، والمستقرئ لآيات القرآن يجد أنها تطالب بتوحيد الألوهية، وتستدل عليه بتوحيد الربوبية، فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب، وتوحيد الربوبية في سياق الخبر. وأول أمر جاء في كتاب الله يحث العباد على عبادة الله بهذا السياق، كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]، وكثيراً ما نجد في القرآن الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به، والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد، لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يعبد من دونه،وهذا هو توحيد الألوهية، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة،وهذا جزاء توحيد،وإما خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد،وإما أحكام وتشريع،وهذا من حقوق التوحيد، فإن التشريع حق لله وحده.

وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة، هي: "لا إله إلا الله"، فإنها تتضمن نفياً وإثباتاً، نفي الألوهية الحقة عن كل ما سوى الله،وإثباتها لله وحده. كما تتضمن ولاءً وبراءً، ولاءٌ لله، وبراءٌ مما سواه[4]، ودين التوحيد قائم على هذين الأصلين، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم

---

(١) سورة النمل، آية: ١٤.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٣٨.

(٣) سورة البقرة، آيات: ٢١ــ٢٢.

(٤) الولاء والبراء مفهوم شرعي، ذو صلة بعقيدة المؤمن في علاقته مع غيره. وهناك جدل قائم حول معناه ومبناه. كما أن هناك تفسيرات قد يظهر عليها التشدد، وأخرى عليها التسامح في التعامل مع الآخر، لا سيما مع أولئك الذين هم ليسوا في حالة حرب مع المسلمين. انظر للتوسع في الموضوع: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد القحطاني (ص ٤٧٦)، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ.

عليه السلام أنه قال لقومه:﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[1]، وهذا منهاج كل رسول يبعثه الله إلى قومه، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2]،وقال تعالى:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[3]، فمن قال: "لا إله إلا الله"، فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله والتزم بعبادة الله وحده،وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه:﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

فشهادة "أن لا إله إلا الله"، إعلان لتوحيد العبادة، لأن معناه المعبود، والمعبود الحق هو الله وحده. فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك،وإثبات الوحدانية لله مع اعتقاد ذلك، والعمل به فهو المسلم حقاً. ومن قالها، وعمل بمقتضاها ظاهراً من غير اعتقاد في القلب فهو المنافق. ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لمدلولها فهو الكافر. ولو قالها مراراً وتكراراً، كحال عبّاد القبور اليوم في ديار غربي إفريقية، الذين ينطقون بهذه الكلمة ولا يفقهون معناها،ولا يكون لها أثر في تعديل سلوكهم، وتصحيح أعمالهم، فتراه يقول: "لا إله إلا الله"، ثم يقول: "المدد يا الشيخ عبد القادر"، أو "المدد يا الشيخ التجاني" أو يا الشيخ إبراهيم انياس،أو يا الشيخ أحمد بامبا، أو ... إلخ يستنجد بالأموات، ويستغيث بهم في الملمات، فمثل هذا لا ينفع أبداً.

إن المشركين الأولين قد عرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه بعض المنتسبين إلى الإسلام اليوم[5]، حيث أدركوا أن الرسول ﷺ حينما قال لهم: "قولوا: لا إله إلا الله ..."[6]، فقد طلب منهم ترك عبادة الأصنام، وأراد منهم عبادة الله وحده، ولهذا استغربوا الأمر حتى قالوا بملء أفواههم:﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[7]، وقال قوم هود:﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ

(١) سورة الزخرف، آيات: ٢٦ــ٢٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٥) مثل أتباع بعض الطرق الصوفية وغيرهم من الفرق الهدامة.

(٦) مسند أحمد (٤٩٢/٣).

(٧) سورة ص، آية: ٥.

﴿وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[1]، وقال قوم صالح له: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[2]، وقال قوم نوح له من قبل:﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[3]؛ هذا ما فهمه الكفار من معنى: "لا إله إلا الله" أنه ترك لعبادة الأوثان، وإقبال على عبادة الله وحده، فلهذا أَبَوْا النطق بها، لأنه لا يجتمع مع عبادة اللات والعزى ومناة وغيرها.

أما عبَّاد القبور اليوم في ديارنا، فلا يدركون هذا التناقض، إذ هم ينطقون بها مع بقائهم على عبادة الأموات، وبعضهم يفسر "الإله" بأنه القادر على الاختراع و الخلق والإيجاد، فيكون معنى "لا إله إلاّ الله" عنده، لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا من أفحش الخطأ. فإن من فسرها بذلك لم يزد على ما أقر به الكفار، فإنهم كانوا يقرون بأنه لا يقدر على الاختراع والخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا الله، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم و لم يصيروا به مسلمين. نعم هذا المعنى الذي يذكرونه داخل في معنى "لا إله إلا الله"، لكن ليس هو المقصود من هذه الكلمة حقيقة[4].

قال الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار رحمه الله:« فعلى المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، ومالكه ومدبره، وأنه واحد فرد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد في ملكه وربوبيته وألوهيته»[5]، فقد سمى هنا قسمي التوحيد.

وأما عن توحيد الأسماء والصفات، فقال:«وحسبك أن نؤمن بأن الله تعالى متصف بما وصف به نفسه، ووصف به رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله سبحانه:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[6]»[7].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٧٠.

(٢) سورة هود، آية: ٦٢.

(٣) سورة نوح، آية: ٢٣.

(٤) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان،(ص ١١ـــ ١٧)، طبع تحت إشراف إدارة بحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية. وانظر: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (٥٠ــ٥٥)، و ذكره شيخ الإسلام في التدمرية، تحقيق إثبات الأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، حققه: محمد بن عودة، (ص٥)، ط١، ١٤٠٥هـــ؛ وابن القيم في مدارج السالكين،المرجع السابق (١/٣٣).

(٥) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة،المرجع السابق (ص ٧ـــ٨).

(٦) سورة الإخلاص، آيات: من ١ـــ٣.

(٧) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٤٧).

وقال في موضع آخر: « وقد تفرد الله تعالى بالكمال المطلق، وتنزه عن المماثلة للمخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال والحكم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]»[2].

وأردف أيضاً رحمه الله قائلاً: « وأنه ـ سبحانه ـ حي لا يموت، وقيوم دائم لا يزول، وقادر ومريد وسميع وبصير ومتكلم وعالم بكل شيء جليلها وحقيرها، بل هو متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقصان، وأنه ليس كمثله شيء ... وأنه كما وصف نفسه في كتابه، وأخبرنا به رسوله ﷺ»[3].

وممن نص على أهمية التوحيد، وقسمه كذلك إلى ثلاثة أقسام تبعاً لنهج السلف في ذلك: الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله، وذلك في معرض تفسيره للآية الكريمة ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[4]، فقال: «لقد اشتملت هذه الآية على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وانتظمت مع الآية السابقة ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[5]، التوحيد العلمي، والتوحيد العملي، فالأولى نهي عن أن تعتقد الألوهية لسواه، وهو يتضمن النهي عن اعتقاد ربوبية من سواه، وهذا من باب العلم. والثانية أمر بأن تكون عبادتك مقصورة عليه، لأنه هو ربك وحده، وهذا من باب العمل.

فمن وحَّد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته علماً وعملاً، فقد استكمل به مقام هذا الأساس العظيم، ومن أخلَّ بشيء من ذلك كان ذلك نقصاً فيه بقدر ما أخلَّ، حتى ينتهي الأمر إلى خُلص المشركين»[6].

كما بين الشيخ غومي رحمه الله معاني أقسام التوحيد، وأدلة كل قسم منها من القرآن والسنة، فقال: «التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلماً إلا بهما معاً، لقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٦٤).

(٣) المرجع نفسه (ص ٧ـ ٨).

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٢٢.

(٦) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٦٦ـ٦٧)، وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، المرجع السابق (١/٥٥).

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[2].

وقال في معنى توحيد الربوبية: " الرب: هو الخالق الرازق المتفضل بالنعم، ومن توحيده تعالى: توحيده في ربوبيته وهو العلم بأن لا خالق غيره، ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه، لقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[4]"، ولقول رسول الله ﷺ: "... **لا مانع لما أعطيتِ، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ** [5]"»[6].

وقال في معنى توحيد الألوهية: «الإله: هو المعبود الحق، ومن توحيده تعالى في ألوهيته: وهو العلم بأنه تعالى هو المستحق بالعبادة وحده دون من سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه، لقوله تعالى: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[7]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[8]، ولقول النبي ﷺ: "**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ...** [9]"»[10].

وقال في معنى توحيد الأسماء والصفات: «نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه، على لسان رسوله ﷺ ... وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من

---

(١) سورة الإخلاص، آيات: ١ـ٤.

(٢) سورة الكافرون، آيات: ١ـ٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٤) سورة السجدة، آية:٥.

(٥) صحيح البخاري (١/٢٨٩)، رقم (٦٢٤١)؛ وصحيح مسلم (٤/٤١٧)، (١٣٤١).

(٦) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة،المرجع السابق (ص ٦٧)، وانظر: محاضرات في العقيدة و الدعوة، المرجع السابق (١/٥٦).

(٧) سورة الأنبياء، آية:٢٥.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٢١٦)، رقم (٧٨١٠)؛ والطبراني في الأوسط (٥/٤٧٢)، رقم (٥٤١٧).

(١٠) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٨)، وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة،المرجع السابق (١/٦٦).

مخلوقاته، ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأن ظاهرها المتعارف في حقه غير مراد، لقوله تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[1]، ولقول رسوله ﷺ: "**اللهم إني عبدك ابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضي فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك،أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي**[2]"»[3].

كما بين رحمه الله العلاقة المباشرة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال في تفسير قوله تعالى:«﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾[4] معناها: "وجيء باسم الرب في مقام الأمر بقصر العبادة عليه، تنبيهاً على أن الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك والإنعام، وليس ذلك إلا له تعالى وحده، إذن فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه. فهو هنا تنبيه بوحدانية الربوبية التي من مقتضاها انفراده بالخلق والأمر الكوني والشرعي، على وحدانية الألوهية التي من مقتضاها استحقاقه وحده عبادة جميع مخلوقاته ... ووحدانيته في ربوبيته تعالى، تستلزم وحدانيته في ألوهيته، فالمنفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والعطاء والمنع، والضر والنفع، هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة كلها التي هي غاية الخضوع والذل، والفقر والحاجة للعزيز الغني القادر، لقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ... فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[5]"»[6].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) صحيح ابن حبان (٣/٢٥٣)، رقم (٩٧٢)؛ ومسند أحمد (١/٦٤٦)، رقم (٢٧٠٤)؛ ومستدرك حاكم (١/٦٩٠)، رقم (١٨٧٧).

(٣) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة،المرجع السابق (ص ٥٥).

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٥) سورة البقرة، آيتان: ٢١ـــ٢٢.

(٦) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٦)، وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، المرجع السابق (٢/٧٠).

وقال في موضع آخر: «اعلم أن التوحيد الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء و الصفات»[1].

كما أشار ـــ أيضاً ـــ إلى هذا التقسيم، الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله، حين قال: « وكذلك خلق الإنسان مفطوراً على الاعتقاد الجازم بوجود خالقه، وخالق هذا الكون، وعلى اعتقاد بوجوب عبادة هذا الخالق، وأنه موصوف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن كل نقص، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]»[3].

وأقسام التوحيد الثلاثة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية والأسماء والصفات، كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية و الأسماء والصفات، وهكذا.

قال الشيخ غومي رحمه الله مؤكداً على هذه العلاقة بين أنواع التوحيد: « ... هي في الحقيقة متلازمة غير منفكة، بحيث لا يتم الإيمان إلا بها جميعها... إلى أن قال: فالدعاء مثلاً: هو العبادة، فمن دعا غير الله، فقد أشرك في توحيد العبادة، وهو توحيد الإلهية، وهذا الداعي حينما دعا غير الله، ظن أن ذلك المدعو يملك الضر والنفع، وهذا شرك في الربوبية، لأنه اعتقد أن هناك من يملك الضر والنفع غير الله. كما أن هذا الداعي حينما يدعو فإنه لا بد أن يثني على المدعو بما يستحق من الثناء والمدح، و هذا الثناء شرك في توحيد الأسماء والصفات»[4]؛ فتبين من ذلك، أن من أخلّ بواحد من أقسام التوحيد، فقد أخلّ بها جميعها... وهكذا.

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٤ـــ٧٥).

(٢) سورة الروم،آية: ٣٠.

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٣٣ـــ٣٤).

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٧).

المطلب الثاني

جهود علماء غربي إفريقية في بيان أهمية توحيد العبادة

وتوحيد العبادة أو توحيد القصد والطلب، هو أهم أنواع التوحيد، وأعظمها وأشرفها، وهو الغاية من خلق الخلق، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١)، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): يعبدون: أي يوحِّدون (٢)؛ وبقية الأقسام الأخرى من التوحيد دالة عليه، ومفضية إليه، وهو محطُّ الخصومة والاختلاف بين الأنبياء وأممهم، ذلك لأن الاعتراف بوجود خالق للكون، يكاد يكون غريزة مركوزة في الفطر، كما قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾(٤).

وحقيقته إفراد الله تبارك وتعالى بأفعال العباد التي تعبدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر ودعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة وغير ذلك من أنواع العبادة التي ينبغي صرفها وتوجيهها لله وحده، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فهو مشرك.

ولهذا كانت أول دعوة الرسل لأممهم أن يأمروهم بتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له، كما قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٥).

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (١/١٢٤).

(٣) سورة الزمر، آية: ٣٨.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٨٤ــ٨٩.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

وقد بين علماء غربي إفريقية أهمية هذا التوحيد، وأنه أعظم أنواع التوحيد الثلاثة، ولعل أوضح من جلى هذه الأهمية، هو: الشيخ آدم الألوري رحمه الله في عبارات مطوَّلة، يمكن تلخيصها في جملة من النقاط التالية:

أ ـــ أن توحيد الألوهية هو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق[1]، وأرسلت الرسل، وأنزلت عليهم الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحِّدين فلهم الفوز والنصر والتمكين في الدنيا، ولهم الجنة والنعيم المقيم في الآخرة. وإلى مشركين كفرة لهم الخزي والهوان والذلة والخسران في الدنيا، ولهم النار والجحيم، والعذاب الأليم في الآخرة.

ب ـــ أن الجاهل بمعنى "لا إله إلا الله" يكون جاهلاً بحقيقة التوحيد، ومن كان كذلك يخشى عليه أن يكون مشركاً وهو لا يشعر. أو أن يعرض له الشرك فيقبله وهو لا يدري، أو يرمي غيره من المسلمين بالشرك والكفر بغير بينة، وكلا الأمرين خطره عظيم، وأمر الشرك لا هوادة فيه لأحد، كما قال تعالى محذراً نبيه ﷺ، وأمته من ارتكاب شيء من ذلك: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2].

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على هذا النوع من التوحيد، فقال: «والأدلة على وجوب توحيد العبادة كثيرة جداً، فمن القرآن: قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[3]، وقوله:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[4]، وقوله:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[5]؛ ثم قال: ومن السنة، قوله ﷺ لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: "... **إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما**

---

(١) كما قال تعالى: (**وما خلقت الجن .. ليعبدون**) سورة الذاريات (آية: ٥٦)، فحصرت هذه الآية خلق الجن والإنس في غاية العبادة، لأن الاستثناء من أهم العلل، أي لا سبب لخلق الله لهم إلا إرادة أن يوحِّدوه سبحانه وتعالى.

(٢) سورة الزمر، آية:٦٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ... [1]" وفي رواية:" **إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يوم وليلة، فإن أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم،واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**[2]"، وقوله ﷺ له في رواية أخرى: "**أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: لا. قال: حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله، إذا فعلوا ذلك أن لا يعذهم**[3]"» [4].

ومما يدل أيضاً على أهمية توحيد الألوهية ما أكده الشيخ عبد الصمد حبيب الله رحمه الله، قوله: إن قبول الأعمال متوقف عليه، وأنه هو النوع الذي يتضمن بقية أنواع التوحيد وبيانه، لأن من عبد الله تعالى وحده، ولم يشرك به شيئاً، لا بد أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه، أنه إنما يعبد إلهه الذي خلقه، وأوجده من العدم، ورباه بالنعم وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، وحياته وموته، ولهذا استنكر الله على المشركين عبادهم للأصنام والأوثان التي لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فقال تعالى:﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾[5]، ويقول:﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[6]؛ كما أنه متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، لأن من أخلص لله في عبادته،لا بد أن يثبت لله جميع الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تمثيل، لقوله تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[7][8].

---

(١) صحيح البخاري (٥٢٩/٢)، رقم (١٣٨٩)؛ ومسلم (١٤٨/١)، رقم (١٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٤٤/٢)، رقم (١٤٢٥)؛ وصحيح مسلم (١٤٦/١)، رقم (١٢١).

(٣) صحيح البخاري (١٠٤٩/٣)، رقم (٥٦٢٢)؛ وصحيح مسلم (١٧٦/١)، رقم (١٤٢).

(٤) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٥٠ـ٥٩)، وانظر: توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغربي إفريقية، آدم عبد الله الألوري،(ص ١٥ـ١٦)، مكتبة دار النور، نيجيريا، ١٤٢٧هـ. بتصرف.

(٥) سورة النحل، آية: ٧٣.

(٦) سورة المائدة، آية: ٧٦.

(٧) سورة الشورى، آية: ١١.

(٨) انظر: رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٧،٨)، و (ص ٤٩)، و (٥٩)، و (٦٤)، وانظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٥٩).

المطلب الثالث

جهود علماء غربي إفريقية في تقرير توحيد العبادة

لقد اشتد حديث علماء غربي إفريقية واهتمامهم بتوحيد العبادة، لأنه مناط سعادة العبد في الدنيا والآخرة، فلا بد من تحقيقه، ولا بد من الدعوة إليه، ولا بد من بيانه للناس، وضرورة إخلاصه لله وحده، فالذي يقول: "لا إله إلا الله" بلسانه، ولكنه يعبد القبور، ويعبد الأشجار والأحجار، ويتقرب إلى الأولياء والمشايخ والجن والملائكة بشيء من العبادات، فهو مشرك كافر بالله تعالى، يجب أن يدعى إلى التوحيد الخالص، فإن أقر به، وإلا قتل، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[١].

قال الشيخ الفوزان في معنى هذه الآية: «وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي لا يوجد شرك ويكون الدين كله لله، لا يكون فيه شيء للقبر ولا للصنم ولا للولي ولا للملك ولا للإنس...، بل يكون الدين كل الدين الذي هو العبادة من صلاة وصيام وخوف ورجاء ورهبة ورغبة وذبح وغير ذلك كله لله تعالى ... والله تعالى يقول في الحديث القدسي: **"أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**[٢]**"**، و في رواية: **"فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**[٣]**"**»[٤]. وهكذا فالله تعالى لا يقبل العمل الذي فيه شرك، ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم، الموافق بالضرورة لشرعه، وسنة رسوله ﷺ.

ومن خلال تتبع الباحث لمؤلفات علماء غربي إفريقية، وجد أن المسائل المتعلقة بتوحيد العبادة التي قرروها قليلة جداً[٥]، ولا يعني هذا القول أنهم لم يقرروا التوحيد بأنواعه الثلاثة وغيره

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٩ــ٤٠.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٨٥)، رقم (٧٤٠٠)؛ ومسند أحمد (٤٦٦/٣)، رقم (١٧٤٣١).

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٠٢)، رقم (٤٢٠٢).

(٤) محاضرات في العقيدة والدعوة، المرجع السابق (ص ١٨/١).

(٥) وذلك لأن جلَّ العلماء والفقهاء والباحثين في غربي إفريقية قديماً، لم يفردوا مسائل العقيدة في أبواب وكتب مستقلة، كما فعل علماء المشرق العربي والإسلامي، أمثال الشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم رحمهم الله، وإنما جاءت مسائلها متناثرة هنا وهناك في ثنايا كتبهم أخرى في الفقه، والتفسير، والزهد، والشعر ... إلخ، لأنهم كانوا يعدُّون علم العقيدة والسنة ضمن علوم الفقه والتفسير. و لم يبدأ التأليف ــ بصورة موسعة ــ في إبراز جناب العقيدة، ومحاربة البدع والانحرافات العقدية المختلفة في المجتمع الإسلامي في السودان الغربي على وجه التحديد، إلا في عهد الملك العادل، والمجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، وذلك ضمن مؤلفاته التي سنشير إليها لاحقاً في ثنايا هذه الدراسة.

من المسائل العقدية، بل قرروا مسائل عقدية متعددة، ودافعوا عن توحيد العبادة بكل قوة، لكنهم فعلوا ذلك عبر وسائل أخرى كثيرة، مثل: إلقاء الدروس، والمحاضرات، والندوات، والخطب المنبرية، وفي مجالس الوعظ والإرشاد، وفي المناظرات، والمناقشات العلمية وغير ذلك، إلا أن أغلبها لم تطبع ككتب أو مراجع[1].

ويمكن ذكر مسائل توحيد العبادة التي قررها مَن تمكنوا منهم من الكتابة والتأليف في هذا المجال وإن كان محدوداً، أمثال: الداعية الشيخ عثمان بن فودي في عدد من مؤلفاته الكثيرة[2]، والشيخ آدم عبد الله الألوري، في كتابه:"الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا"، والشيخ أبوبكر غومي في كتابه القيم: "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة"، والشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار في كتابه: "الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة"، وقد جاء تفصيل مواقفهم في ذلك على النحو التالي:

أولاً: موقفهم ممن يدعو غير الله:

لقد تحدث علماء غربي إفريقية في مسألة الدعاء والاستغاثة بغير الله، وطريقتهم في عرض ذلك أن يذكروا الانحرافات التي وقع فيها الناس، ثم الإقرار بأن هذه الأمور من البدع المذمومة في الشرع، بل هي من المحرمات التي جاء الإسلام بإنكارها، والنهي عنها؛ يقول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله: « ومن البدع المذمومة: اتباع شيخ أو عالم في الباطل مع التعصب، وذلك كالاستمرار على قراءة الدعاء الذي يسمونه بـ "جوهرة الكمال" بعد ما تبين لهم أنها تخالف الشريعة الإسلامية نقلاً وعقلاً، ثم ذكر ألفاظ هذه الصلاة المبتدعة[3]، ثم قال: فإن هذا الدعاء فيه غموض في المعنى، وتعقيد في الأسلوب، فلا يشبه كلام النبوة ... وإنما نقلته لئلا يستدل به أحد علماء

---

(١) سيأتي حديثنا مفصلاً عن ذلك عند الكلام عن الوسائل والأساليب التي اعتمدوها لتقرير العقيدة الصحيحة في غربي إفريقية.

(٢) وقد مرَّ بنا ذكر بعضها، مثل: بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، و إحياء السنة وإخماد البدعة، ونور الألباب، وأصول الدين...إلخ.

(٣) ولفظها هو: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني،ونور الأكوان المتكونة نورها الآدمي، صاحب الحق الرباني، البرق المسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صل وسلم على عين الحق التي منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم، صراطك التام الأسقم، اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق، الكنز الأعظم، إفاضتك إليك إحاطة النور المطلسم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه" انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٠).

السوء، ليدحض به الحق، فأخلاق أعداء الدين في الأيام الأولى موجودة بنفسها اليوم،كما ظهــر من هذا الدعاء المشؤوم، يدسون في الدين ليخربوه، أو ليستهزءوا بأهله» (١).

ويَسْخَرُ الشيخ غومي رحمه الله، مما يفعله بعض المنتسبين للعلم الشرعي عندما يداهم أحدهم أمراً ما، أو يفاجئه ما يكرهه. فتجده ينادي بأسماء الجن أو الملائكة، أو بعض المتوفين من الآباء والأولياء، فيستنجد ويستغيث بهم، ويقدم لهم النذور والقرابين لدفع هذا المكروه، أو لجلب منفعة ما. أو يدعو بأدعية غير مفهومة المعنى، أو يأتي إلى بعض السحرة والعرافين وغيرهم من أدعياء الغيب للاستعانة بهم في كشف أمر ما، أو لغرض الانتقام من الخصوم، أو الاعتماد على ما يعملونه له من رقى وتمائم ... إلخ، فقرر بأن هذه الأعمال كلها من البدع المذمومة التي قد تفضي بصاحبه إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله، ثم يضيف رحمه الله بعد ما ذكر أنواع السحرة، الذين يأتي إليهم الناس للاستعانة وطلب الحوائج، فقال:« فهذه الأنواع كلها من السحر ... وقد استغلها علماء السوء، وخدعوا بها الناس، فأكلوا أموالهم بالباطل باسم الدين، فضلوا وأضلوا، وخسروا الناس مرتين، فسلبوا الدين والدنيا، أعاذنا الله من اتباع الشيطان والهوى، ووفقنا باتباع الكتاب والسنة (٢)؛ ثم قال: وقراءة أوراد غير مفهومة المعنى وغير ذلك، فكلها من البدع المذمومة، وداخلة في معنى قوله تعالى:﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ﴾ (٣)، ثم إن تلاوة الأدعية والصلوات بدون معرفة معناها لا ينفع شيئاً، وهي كما قال تعالى عن مشركي مكة:﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً** ﴾(٤)، وربما تجد من يتلو أدعية أو أسماء لا يعرف معانيها يضر نفسه بدلاً أن ينفعها، كما قال تعالى:﴿ **وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا** ﴾(٥)، ثم قال: وقال مالك ﷺ: لرجل رآه يدعو بأسماء لا يعرف معناها: وما يدريك لعلها كفر !» (٦).

---

(١) المرجع نفسه (ص ٤٩ــ٥٤).

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٣٤).

(٣) سورة الشورى، آية: ٢١.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

(٥) سورة الإسراء، آية: ١١.

(٦) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٥ــ٥٦).

ثانياً: موقفهم من الملوك المتألّهون:

لقد شنَّ الشيخ آدم الألوري رحمه الله هجوماً عنيفاً على ما كان يفعله بعض الملوك والسلاطين في غربي إفريقية، حيث كانوا ينصبون أنفسهم لرعاياهم آلهة يُعبدون من دون الله، فقال:« وكذلك كان رؤساء بعض القبائل والرعايا والعبيد يخلعون جميع ما عليهم من علامات التفاضل والامتياز والكرامة قبل دخولهم على ملوكهم وسلاطينهم، بل ويتجردون من كل زينة حتى الخواتم، ثم يرتمون بأنفسهم على الأرض، وهم يتململون ويتمرغون، ويضعون حفنات التراب على رؤوسهم وأكتافهم، ويزحفون على هذه الصورة حتى يقتربوا من الملك فيراهم عليها، فيعترف بولائهم وعبوديتهم له، كيف لا؟! وهم يتخذونه أنداداً[١] من دون الله، ويزعمون ـ زوراً وبهتاناً ـ أنه هو الإله الأصغر، رب الأرض الذي يفيض عليهم بالبركات و النماء، وينوب عن الإله الأكبر رب السماء، والذي يتعذر الوصول إليه ... وهذا كله شرك أكبر لا محالة»[٢].

وقال في موضع آخر: « وكان ملوك غربي إفريقية القدامي من طراز الفراعنة والأباطرة، تساموا بأنفسهم إلى مقام الألوهية والربوبية من دون الله، وأنزلوا الناس منزلة العبودية المطلقة؛ وساووا بين الرعية والأنعام، حتى أصبحوا يقدمون ضحايا البشر مع ضحايا الأنعام إلى آلهتهم في

(١) الند: كما قال الأزهري رحمه الله هو: الضد والشبه، كما في قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾ سورة إبراهيم، آية: ٣٠، أي أضداداً وأشباهاً، وفلان ند فلان ونديده أي مثله وشبهه.وقال الراغب: نديد الشيء مشاركه في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ند مثل، وليس كل مثل نداً، وقد قال تعالى:﴿ **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ سورة البقرة، آية:٢٢. وقد وردت هذه الكلمة في عدة آيات من الذكر الحكيم كمرادف للشريك المزعوم، كما في قوله:﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا** ﴾، سورة البقرة، آية: ١٦٥، وقوله:﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾، سورة الزمر، آية: ٨، وقوله:﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾، سورة فصلت، آية: ٩. وفي الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، صحيح البخاري (١٣/٤٩١)، رقم (٦٤٢٦)، وصحيح مسلم (٢/٢٦٦)، رقم (٢٥٣). وانظر: تهذيب اللغة (١٤/٥١)، والمفردات (ص ٤٨٦).

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٨).

الأعياد والمواسم، إضافة إلى أكل لحوم العبيد كما تؤكل لحوم الأنعام[1]. وكان واحد منهم إذا مرض، افتدى نفسه من الموت بعدد كبير من رؤوس العبيد والإماء»[2].

ثم أرشد الشيخ آدم الألوري رحمه الله إلى حقيقة التواضع الذي يجب أن يكون عليه المسلمون سواء مع الملوك أو الكبار، أو فيما بينهم، والذي لا يؤدي أبداً إلى صرف ما هو من خصائص الألوهية التي لا يستحقها غير الخالق عز وجل للمخلوق الضعيف، فقال: «وينبغي للمسلم الصحيح أن يقتصر في الأدب مع الملوك والكبار أو غيرهم، على آداب الصحابة مع النبي ﷺ،وذلك بألا يتقدم عليه في الكلام، والأخذ والترك، وألا يرفع صوته فوق صوته، وألا يجاهر في الكلام، ولا يناديه من بعيد حتى يدنو منه، ولا يناديه إلا بأحب الأسماء إليه ككنيته أو لقبه، وأن يطيعه في كل ما يأمر به إلا في المعصية، وأن يلتزم الوقار والسكينة والاحترام في مجلسه، وحسن السؤال والمودة والإخلاص»[3].

ثالثاً: موقفهم ممن يُنذر لغير الله:

يقول الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله منتقداً من سمّاهم بأرباب التناقض الذين يعدون أنفسهم مسلمين، مع أنهم يقومون بأعمال وممارسات تناقض الإسلام، وتخالف مبادءه وقيمه؛ فقال: «ومنهم من يزعم أنه مسلم، يعمل أعمال الإسلام[4]، وهو مع ذلك يضع ثوباً أو طعاماً أو نحو ذلك على قبر الولي أو العالم أو العابد على طريق النذر، ويظن لجهله أنه بهذا يوفي نذره، وهذا أيضاً كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام»[5].

وقال رحمه الله في موضع آخر: مبيناً حكم الإسلام فيما يقوم به بعض المنتسبين إلى الإسلام، من تعظيم لبعض الجمادات من أشجار وأحجار ونحوها، والذبح عندها، أو تقديمها بعض النذور والقرابين، تقليداً للآباء والأجداد، فقال: «... فمن أولئك المخلطين[6]، مَن يزعم أنه

(١) وقد مر بنا قصة ذلك الملك الذي أهدى ضيفه من شمال إفريقية فتاة جميلة ليأكل لحمها، وذلك لإظهار فرحته وتكريمه لجنابه.

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٣١).

(٣) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ٢٥).

(٤) لعله يقصد أنه يؤدي فرائض الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج ... إلخ.

(٥) نور الألباب، المرجع السابق (ص ٤).

(٦) الذين يخلطون بين أعمال الإسلام، وأعمال الكفر بسبب الجهل والأمية الدينية.

مسلم يعمل أعمال الإسلام[1]، وهو مع ذلك كله يعظم بعض الأشجار والأحجار بالذبح عندها، وتقديم النذور والقرابين إليها، أو بصب العجين والدماء عليها، فهذا كافر لا تجري عليه أحكام الإسلام»[2].

رابعاً: موقفهم ممن يَذبح لغير الله:

قال الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «ومن الخرافات التي أبطلها الإسلام ما كانت الجاهلية تفعله، وتسميه العقر، وذلك أن يذبحوا عند القبر بقرة أو شاة أو جملاً، ويقولون: إنه كان يعقرها للضيوف في حياته، فيكافأ بذلك بعد الموت، وبعضهم يزعمون أن من مات فربطت على قبره دابته التي كان يركب عليها حال حياته، وتركت حتى تموت حشر عليها يوم القيامة. ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً، فجاء الإسلام منهياً عن مثل هذا العمل كله، بقوله: **"لا عقر في الإسلام** [3][4]".

ولهذا ذهب العلماء إلى النهي عن التصدق عن الميت بذبيحة من بقرة أو شاة أو غيرهما حتى لا تشتبه بهذا العقر، وذلك من باب سدِّ الذرائع، أو من باب ترك الشبهات[5]، لقوله ﷺ: **"ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام.."**[6]».

والذبح المنهي عنه بنص الحديث السابق **"لا عقر في الإسلام"** فهو الذبح الذي يكون لصاحب القبر، لأن ذلك شرك أكبر، وكذلك الذبح لله تعالى عند القبر أو في المقبرة، لأن ذلك من الوسائل التي قد تفضي بفاعله إلى الشرك بالله، إذ ليست هناك عبادة قد شرعت عند القبر، أو المقبرة.

---

(١) يقصد بذلك: أنه يصلي ويصوم وربما أدى فريضة الحج،ولكن مع كل ذلك فإنه لا يزال يجهل كثيراً عن دينه وعقيدته، وقد يأتي بما يناقضها ويفسدها وهو لا يدري.

(٢) نور الألباب، المرجع السابق (ص ٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٤/٥٧)، رقم (٧١٦٨)؛ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٤٣٦).

(٤) انظر: الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٢٥).

(٥) انظر: المرجع نفسه (ص ١٢٣).

(٦) صحيح البخاري (١/٢٨)، رقم (٥٢)؛ وصحيح مسلم (١١/٢٩)، رقم (٤٠٧٠).

أما ما يفعله كثير من مسلمي غربي إفريقية من الذبح لله تعالى عند القبر، أو في المقابر بنية الصدقة عن الميت، فإنه منهي عنه كذلك، بل هو بدعة منكرة وشنيعة، ووسيلة مفضية إلى الشرك، وهو شبيه بفعل المشركين المسمى بالعقر، إضافة إلى ما يؤدي إليه مثل هذه الممارسات من الرياء والسمعة.

وعليه فأيما مسلم ينوي في الصدقة عن ميت من الأموات بالذبح، فإنه يجب عليه أن يكون قصده التقرب إلى الله تعالى قبل كل شيء، مع رجاء الثواب للميت، وألا يحصل الذبح عند القبر أو نحوه.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية عن سؤال مفاده: يقول ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[1]، ما المقصود من ذلك، ونحن في الجنوب[2] إذا ذبح شخص لضيف أو لأهل بيته، يقول: باسم الله، وعلى ملة رسول الله، صدقة لوجه الله، اللهم اجعل ثوابها لي ولأهل بيتي؟

فأجابت: المقصود من الحديث تحريم الذبح لمن مات من الأنبياء والأولياء، رجاء بركاتهم، والذبح للجن إرضاء لهم، ورجاء قضائهم للحاجات، أو دفعاً لشرهم، فإن هذا شرك أكبر، يستحق فاعله لعنة الله وغضبه.

أما الذبح للضيوف إكراماً لهم، أو للأهل توسعة عليهم، أو الذبح تقرباً إلى الله من أجل أن تجعل صدقة على الأموات يرجى ثوابها من الله للحي والميت، فهذا جائز؛ بل هو إحسان يرجى ثوابه من الله، وهكذا الضحايا يوم النحر عن الأموات والأحياء»[3].

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: «وقد صرح العلماء بتحريم الذبح في المقبرة، لما فيه من مشابهة المشركين، ولأنه وسيلة إلى الشرك بالذبح للموتى، والتقرب إليهم، ولا يخفى أن الذبح لغير الله تعالى، كالذبح للأموات، والجن، والشياطين شرك وكفر بالله رب العالمين، وأدلة ذلك واضحة، لما رواه أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ، قال: "**لا عقر في الإسلام**"، وقال

---

(١) صحيح مسلم (١٤٢/١٣)، (٥٠٩٧).

(٢) لعل السائل هنا يقصد جنوب المملكة العربية السعودية، حرسها الله.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٩٥/١ـ١٩٦)، الفتوى رقم (٥٢٧٦)، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

عبد الرازق: "كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة في الجاهلية"، قال أحمد: "كانوا إذا مات لهم ميت، نحروا جزوراً فنهى النبي ﷺ عن ذلك".

قال العلماء: وفي معنى الذبح عند القبر للصدقة، فإنه محدث وفيه رياء. قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: "ويحرم الذبح عند القبر".

وقال في موضع آخر: "وإخراج الصدقة مع الجنازة بدعة مكروهة، وهي تشبه الذبح عند القبر، ولا يشرع شيء من العبادات عند القبور، لا الصدقة ولا غيرها"»[1]، وهكذا.

خامساً: موقفهم ممن يحلفُ بغير الله:

ذكر الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ما أحدثه الناس في غربي إفريقية، من البدع في باب الأيمان، من الحلف بالآباء والأسلاف، أو بالكعبة المشرفة، أو بذات النبي ﷺ، أو الأولياء، أو غيرهم مما اعتاده الناس في تلك المجتمعات الإسلامية، فقال: «ومما أحدثه الناس كذلك في باب الأيمان، الحلف بالنبي والكعبة والولي ونحو ذلك، فهو بدعة محرمة»[2].

ويرى العلماء أن الأصل في هذه المسألة، هو أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، فإذا حلف العبد بغير الله، فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات، مثل تعظيم الله، فهو شرك أكبر. وأما إذا حلف بغير الله بلسانه، ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به، فهو شرك أصغر، لقول النبي ﷺ:« **لا تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله**»[3]، وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**، وفي رواية: **فقد كفر** »[4].

وهكذا، فقد نهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله، أياً كان ذلك المحلوف به، والأصل في النهي هو التحريم كما تقدم بيانه، وقد حمله بعض العلماء على الشرك الأصغر، وكونه شركاً

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب: ابن قاسم،(١/١٢٤)، المطبعة الحكومية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

(٢) نور الألباب، المرجع السابق (ص ٤ــ٥).

(٣) صحيح البخاري (٦/٢٤٥٠)، رقم (٥٧٥٧)؛ وصحيح مسلم (١١/١٠٩)، رقم (٤٢٣٣).

(٤) مستدرك الحاكم (١/٦٥)، رقم (٤٥)؛ ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وإنما أودعته كتاب الإيمان للفظ الشرك فيه، وفي حديث مصعب بن المقدم عن إسرائيل فقد كفر.

أصغر في هذه الحالة، لا يعني أن المسلم يجوز له أن يتساهل فيه، فإن الشرك الأصغر من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، كما قال ابن مسعود ﷺ:«**لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً**»[(١)].

وهكذا يتبين لنا أن الحلف بغير الله سواء كان المحلوف به نبياً أو ملكاً أو ولياً أو غيرهم من مخلوقات الله محرَّم، وليس في المسألة سوى هذا القول عند سلف الأمة رحمهم الله.

سادساً: موقفهم ممن يَذكر بغير الله:

قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: «وأفضل الذكر تلاوة القرآن وتدبر معانيه، والعمل بمقتضاه، كما ورد في الحديث "**إن فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه**[(٢)]"، ومن عكس ففضل كلام غير الله على كلام الله، كأنه فضل غير الله على الله؛ نعوذ بالله من ذلك. وعلى العاقل، العكوف على قراءة القرآن الكريم،وتدبر معانيه، آناء الليل وأطراف النهار، لينال رضا الله وجزيل ثوابه، قال تعالى:﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾[(٣)]، وقد ورد:"**من قرأ القرآن فله بكل حرف منها حسنة**[(٤)]" وعند تلاوته تنزل البركات والسكينة، لأنه كتاب مبارك، قال تعالى:﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ** ﴾[(٥)]»[(٦)].

وفي رده على المنحرفين في الذكر والصلاة على النبي ﷺ من المتصوفة الذين يرون تفضيل "**صلاة الفاتح لما أغلق**" على القرآن، ويزعمون أن المرة الواحدة منها، تعدل ستة آلاف ختمة من

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٨/٤٦٩)، رقم (١٥٩٢٩)؛ ومصنف ابن أبي شيبة (٣/١٤٨٠)، رقم (٧)؛ وأخرجه الطبراني في الكبير (٩/١٨٣)، رقم (٨٩٠٢).

(٢) سنن الدارمي (٢/٨٩٨)، رقم (٣٢٣٥)؛ والترمذي (٥/١٦٩)، رقم (٢٩٢٦)؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٤) صحيح البخاري (١/٢٨)، رقم (٤٤٥٢)؛ وصحيح مسلم (١١/٢٩)، رقم (٦٥٢١)؛ والترمذي في سننه (٥/١٦١)، رقم (٣٢٥٢)؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وغريب من هذا الوجه.

(٥) سورة ص، آية: ٢٩.

(٦) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٩).

القرآن الكريم. قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: « والله تبارك وتعالى يقول:﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: "**فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه**[2]"، وقال ﷺ: "**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة الكرام، والذي يقرأ ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق فله أجران**[3]"؛ وقراءة القرآن والتعبد به يكون بالصيغة التي وردت عن الشارع ﷺ، وإلا فلا يعتبر قراءة ولا تعبداً، وكذلك الصلاة على النبي ﷺ مأمور بها شرعاً، ولكن لا يعتد بها إلا إذا كانت بالصيغة التي وردت عن الشارع، وهي فوق الأربعين وردت بها الأحاديث، منها: "**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**[4]".

وهكذا، فمن عاش طول حياته، ولم يصل على النبي ﷺ بالصيغة التي وردت عن الشارع، فإنه ما صلى على النبي ﷺ أبداً، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه صلى بصيغة "**صلاة الفاتح لما أغلق**" ولا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين،والله لا يعبد إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى:﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[5]»[6].

وكذلك انتقد الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله الطرقية الذين يضعون أجوراً خيالية لأورادهم المبتدعة، بغية استغلال العامة والبسطاء، وأكل أموالهم بالباطل. وقرر رحمه الله أن ذكر الله عبادة، وأن العبادة التي أمر الله عباده أن يتعبدوه بها، إنما تكون عن طريق رسوله

---

(١) سورة الإسراء، آية:٨٨.

(٢) سنن الدارمي (٨٩٨/٣).

(٣) صحيح مسلم (٣٢٥/٦)، رقم (١٨٥٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي (٢١/٥)، رقم (٤١٥٨).

(٤)صحيح البخاري (١٨٠٤/٤)، رقم (٣١٨٩)؛ وصحيح مسلم (٣٤٥/٤)، رقم (٩٠٧))؛ ومطلع الحديث كما رواه أبو حميد الساعدي ﷺ، أنه قالوا يا رسول الله، كيف نصلي عليك، فقال: قولوا: "**اللهم صل ...**" الحديث.

(٥) سورة آل عمران، آية:٣١.

(٦) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢١ــ٢٢).

الأمين ﷺ، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتعبد الله تعالى بشيء أتى به أحد كائناً من كان بعد موته ﷺ، فضلاً عن أن يكون هذا الشيء الذي أتى به، أفضل وأثقل في الميزان عند الله، مما جاء به رسول الله ﷺ في حال حياته.

ثم ذكر "**صلاة الفاتح لما أغلق**" التي يفضلها الصوفية على صيغة الصلاة المشروعة، وبين أن ذلك كله من البدع المذمومة التي اعتاده الناس في بلاد غربي إفريقية عند الدعاء والذكر، فيقولون: نقرأ "الفاتحة، وصلاة الفاتح" ... إلى أن قال: فهذا الكلام وأمثاله، وإن كان أسند إلى النبي ﷺ، إلا أنه قد جاوز حدود الشريعة المطهرة، وكل ما لم يكن شريعة فباطل لا يعمل به، إذ دلَّ الكتاب والسنة على أنه ﷺ اتبع أمر الله في تبليغ ما أنزل إليه ... وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن اتباع كل بدعة تحدث بعده، وحذر بأنها ضلالة. ولم يُروَ عن أحد من أئمة أهل الحديث لفظ "صلاة الفاتح"، ولم يسنده أحد إلى النبي ﷺ في حياته، ولا إلى أحد من أصحابه أو التابعين لهم بإحسان. وعمل لم يؤخذ عن هؤلاء فبدعة، وكل بدعة دعت إلى ترك ما صح عن النبي ﷺ في حال حياته، فهي تبديل في الدين، وتغيير فيه، وكل من بدَّل شيئاً في الدين وغيَّره فلا يشرب من ماء الكوثر، لقول النبي ﷺ: «**ألا ليذادن رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً**»[1]... فمثل هذا الكلام في أمر "صلاة الفاتح" وغيره مما يخترعونه، وينسبونه إلى النبي ﷺ كثير في كتبهم، فلا يجوز العمل به، فمن ترك الكتاب و السنة، واتبع الهوى فقد ضل ضلالاً مبيناً [2].

وقد أورد الشيخ عبد الصمد رحمه الله قول الشيخ أحمد التجاني في شحذ همم أتباعه على التزام صلاة الفاتح لما أغلق لما في ذلك من الخير والأجر والنجاة في الآخرة؛ فقال: «قال أحمد التجاني: " أعمار الناس كلها ذهبت مجاناً إلا أعمار أصحاب "صلاة الفاتح لما أغلق" فإنهم فازوا بالربح دنيا وأخرى،ولا يشغل بها عمره إلا السعيد ... وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار".

ثم أردف الشيخ عبد الصمد رحمه الله قائلاً: فلنستمع إلى ما قال الله تعالى، وإلى ما قال رسوله ﷺ في هذا، قال تعالى:﴿ **ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ**

---

(١) صحيح البخاري (٥/٢٤٠٤)،رقم (٢٢٠١)؛ وصحيح ابن خزيمة (١/٧)، رقم (٧١).

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٢١ــ٢٣).

﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾[1]، وقال تعـالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ ﴾[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنه أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، معهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**"، ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله،وقال بعضهم: فلعلهم هم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم الرسول ﷺ فأخبروه. فقال:"**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**". فقام عكاشة بن محصن، فقال يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "**أنت منهم**". وفي رواية: "**اللهم اجعله منهم**"، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "**سبقك بها عكاشة**"[4].

فانظر أيها الأخ الكريم إلى من ذكرهم الله، ووعدهم بالجنة، وإلى من وصفهم رسول الله ﷺ بنيل دار الكرامة. لقد مضى على ملايين من المسلمين قرون عديدة، وليس لـ "صلاة الفاتح لما أغلق" ذكر ولا أثر، وفيهم من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، وغيرهم من أهل الفضل والخير والصلاح، فكيف يجترئ إنسان، ويقول: أعمار هؤلاء كلها ذهبت مجاناً ؟!»[5].

---

(١) سورة البقرة، آية:٢ـ٥.

(٢) سورة الكهف، آية:١٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية:١١١.

(٤) صحيح البخاري (٥/٢١٧٠)، رقم (٥٣٧٨)؛ وصحيح مسلم (٣/٨٧)، رقم (٥٢٦).

(٥) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٤ـ٢٦).

ويقول في موضع آخر: «وأما قول التجاني في الورد الذي نسبه ـ زوراً وبهتاناً ـ للرسول ﷺ: "وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار"!؛ هو كالذي قبله يرده ويبطله، إذ مجرد دخول الإنسان في الإسلام لا يحرره من النار، فكيف وكثير من المسلمين يدخلون النار، لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2]؟. وقد ذكر الله تعالى في أوائل سورة البقرة أناساً من المنافقين،وذمهم وتوعدهم، بل وفي القرآن عدة آيات في المنافقين،وما يؤول إليه أمرهم، فهؤلاء المنافقون مسلمون، وهم يدخلون النار، كما ذكر الله؛ فكونهم مسلمين لم يحررهم من النار، ولعل هذا غاب عن ذهن التجاني حتى زعم ما زعم»[3].

كما انتقد الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله ما يظهره الطرقية في حلقهم للذكر من ترديد للأذكار على نمط واحد، يرفعون فيه أصواتهم من غير أدب ولا حياء مع ربهم عز وجل، والناظر إليهم يرى العجب في تلاعب الشيطان بهم، وأنه كيف أوصلهم إلى هذه الحالة من الضلال المبين، يرقصون ويتمايلون ويصيحون ـ رجالاً ونساء ـ ثم يلقون بأنفسهم على الأرض،وكأنما أبصرهم الإمام ابن القيم رحمه الله حين تحدث عن أمثالهم، قائلاً: «... وبلغ منهم الشيطان أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وجلب عليهم برجله وخيله،ووخز في صدورهم وخزاً،وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدَّباب ترقص وسط الدِّيار...»[4].

ويضاف إلى ما تقدم، ما يقوم به أتباع الطريقة القادرية من ضربهم بالدفوف، وآلات الطرب في المساجد والشوارع، على أن ذلك قربة إلى الله تعالى، بل هي قربة إلى الشيطان ليس إلا.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٢) سورة المنافقون، آية:١.

(٣) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٧ـ٢٨).

(٤) نفسه (ص ٢٧).

سابعاً: موقفهم ممن يُقدمون محبةَ غير الله عليه:

لقد أدى غلو المتصوفة في حبِّ الرسول ﷺ، والأولياء والمشايخ إلى عبادهم، واتخاذهم أرباباً من دون الله، قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: «وأما تخصيص التجاني نفسه ومن تبعه وشايعه بمحبة رسول الله ﷺ، فهو قول مخالف للشريعة، فأحمد التجاني أحدث حدثاً في الإسلام،ونسبه للنبي ﷺ، فحمل جريمتين: جريمة الاختراع، وجريمة الكذب على النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: "**من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار**[1]"، إذن فكيف يكون التجاني ومن معه على بدعته، حبيب الله ورسوله ﷺ ؟!»[2].

ثامناً: موقفهم ممن يعتقدُ في الرُّقى والتَّمائم:

قال الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «ومن المزاعم الباطلة: الرقى والتمائم والتِّولة، لما ورد في الحديث: " **إن الرقى والتمائم والتولة شرك**[3]"... إلى أن قال: غير أن الإسلام قد رخص في هذه الأشياء إذا كان من القرآن، ولا تنتمي إلى الكفر والوثنية،ولعل هذه الرخصة هي التي حملت لفيفاً من علماء غربي إفريقية على استبدال آثار الوثنية بما كانوا يستدلون به، من قول بعضهم: "خذ من القرآن ما شئت لما شئت" لأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، ولكنهم تغالوا فيه، فضلوا وأضلوا»[4].

ثم عرف الرقى، فقال: «الرقى: هي كلمات تقال للتعوذ والتحصُّن من الشياطين وشرورهم، وقد نهى النبي ﷺ عما كان منها غير مفهوم، أو كان مما يستعان فيه بالجن ... أما ما كان من القرآن فجائز، لما رواه عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: "**أعرضوا علي رقاكم، لا بأس ما لم يكن فيه شرك**[5]"»[6]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن جبريل ﷺ أتى النبي ﷺ فقال: اشتكيتَ ؟ قال: نعم. قال: "**باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك**[7]"، وهكذا.

---

(١) صحيح البخاري (١/٤٣٤)، رقم (١٢٢٩)؛ وصحيح مسلم (١/٢٧)، رقم (٤).
(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٧ــ٢٩).
(٣) سنن أبي داود (٤/٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤/٣٦٥).
(٤) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٢٣ــ١٢٤).
(٥) صحيح مسلم (١٤/٤٠٨)، رقم (٥٦٩٦)؛ والمعجم الكبير للطبراني (١٨/٤٩)، رقم (٨٨).
(٦) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٢٤).
(٧) صحيح البخاري (٥/٢١٦٧)، رقم (٥٤٦٠)؛ وصحيح مسلم (١٤/٣٩٣)، رقم (٥٦٦٤) واللفظ له.

وعرف التميمة، بقوله: «وأما التميمة فهي الخرزة التي كانت العرب تعلقها على أولادهم لمنع العين عنهم، وتكون من الثعلب أو الهر أو الكلب أو نحو ذلك؛ وكانوا يعتقدون أن ذلك إذا علق على الطفل لم تقدر الجن على خطفه أو إصابته، فيسلم من كل آفة، فتلك خرافة من الخرافات، لأن هذه الحيوانات لم تدفع عن نفسها الجن في حياتها، فكيف تدفع عظامها الجن بعد مماتها؟! ... إلى أن قال: فجاء الإسلام ونهى عنها، وقال النبي ﷺ: "**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له**[1]"»[2]؛ وذلك لإبطال اعتقاد التأثير لما لا تأثير له.

أما الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، فقد بين حكم الإسلام فيما اعتاده بعض المسلمين في غربي إفريقية، من التداوي بأشياء نجسة، كالخمر وجثث بعض الحيوانات النجسة، أو عظامهم وجلودهم، أو رجيعهم وفضلاتهم، وكذلك ما يعقدونه من خيوط بألوان مختلفة، يقرأ عليها رقيات شركية غير مفهومة، ثم يربط إما بالمعصم، أو تعلق على أعناق الأطفال والرضع، اعتقاداً منهم أنها تحفظهم من شر العين والشياطين، فقال: « ومما أحدثوه كذلك في باب التعالج والرقى: التداوي بالنجاسة، كالميتة ونحوها، وهو بدعة محرمة على الإجماع إن كان في بطن الجسم، وعلى المشهور إن كان في ظاهره. ومن ذلك التداوي بكلام أعجمي لا يعرف وهو بدعة محرمة على مذهب الإمام مالك ﷺ[3]، ومن ذلك ـــ أيضاً ـــ التداوي بالعقد، وهو بدعة مكروهة»[4].

ويفهم من هذا أنه إذا كان يحرم على المسلم الانتفاع بلحوم الحيوانات الميتة، فمن باب الأولى أن يكون التداوي بها محرماً، لأن الله تعالى لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا، ويؤكد على ذلك ما رواه ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه قال:«**إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**»[5]، وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ، قال: « **إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتداووا يا عباد الله، ولا تتداووا بحرام**»[6].

---

(١) السنن الكبير للبيهقي (٣٦٦/١٤)، رقم (٧٥٠١)؛ والمعجم الكبير للطبراني (٢٩٧/١٧)، رقم (٨٢٠)؛ والحاكم في المستدرك (٢٤٠/٤)، رقم (٢٠١٢٧).

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٢٥).

(٣) ولعله يقصد بذلك أنه محرم بإجماع سلف الأمة وأئمتها رحمهم الله.

(٤) بيان البدع الشيطانية، المرجع السابق (ص ٤٣ــ٤٤).

(٥) صحيح البخاري (٢١٢٩/٥)، رقم (٥٢٩١).

(٦) مسند أحمد (٦٣٠/٣)، رقم (١٣١٨٦)؛ ومصنف ابن أبي شيبة (٤٢١/٥)، رقم (٢).

وعليه فإن ما يفعله بعض الناس من التداوي بأشياء نجسة، أو بأجزاء من لحوم بعض الحيوانات الميتة، أو فضلاتهم كما هي الحال في غربي إفريقية، فإن كل ذلك محرم شرعاً لا يجوز تعاطيه، وكذلك التداوي والرقية بألفاظ أعجمية غير مفهومة معناها، فإنه محرم كذلك، خشية أن يجر صاحبه إلى الشرك بالله، لما ثبت في ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**[1]»[2].

أما التعالج أو التداوي بالعقد والخرز ونحوه مما يحيط بالعنق، أو يربط بالمعصم أو أي عضو من أعضاء الجسد، فإن كان من غير القرآن فهو محرم إجماعاً بل هو شرك، لقوله ﷺ: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[3]؛ وإن كان مما علقه من القرآن، فقد اختلف فيه العلماء، ولكن الصحيح أنه ممنوع كذلك[4].

تاسعاً: موقفهم ممن يَسجدُ لغير الله:

أشار الشيخ آدم الألوري رحمه الله إلى صور الركوع والسجود التي كان يقوم بها بعض المسلمين في غربي إفريقية للملوك والسلاطين، وأكابر الناس، باسم التواضع والاحترام، فقال: «ولا يزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع، والركوع، أو السجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس، ولكنها باقية ومحببة إلى الأمراء والملوك، وأكابر الناس»[5].

ويقول في موضع آخر منتقداً بشدة تلك العادات والتقاليد الجاهلية، التي يرى بعض الناس أنها من صور التحية، التي تمارس من أجل الاحترام والتواضع، وهي في الحقيقة تخالف ما ورد به الكتاب و السنة، وتقدح في توحيد العبادة، إذ الخضوع والتذلل كله لله، بل هو من خصائص الألوهية التي اختص الله تعالى بها وحده، فقال رحمه الله: «ومن التقاليد الجاهلية اعتبار خلع النعال، والسجود، والركوع، والجثو على الركب، والانبطاح، من التواضع والاستعطاف ... إلى أن قال: وكل ما تبقى اليوم من خلع النعال، والجثو على الركب، والانحناء، والسجود أمام الملوك

---

(١) صحيح مسلم (١٤/٤٠٨)، رقم (٥٦٩٦).

(٢) الفتاوى والأحكام الشرعية المتعلقة بالطب وأحكام المرضى، علي سليمان الرميخان،(١/٤٠١ــ٤٠٢)، دار الوطن، ١٤١٩هـ.

(٣) مسند أحمد (٥/١٥٦)، رقم (١٦٩٦٩)؛ عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٢).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٤٤ـ٢٤٥).

(٥) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٦٠).

والعظماء وأكابر الناس، فإنما هي من رواسب الجاهلية الممقوتة التي لم ينزل الله بها من سلطان، ولا قال أحد بها ببرهان، بل هي من نزوات الشياطين، وشهوات السلاطين[1] ... ومعلوم من ذلك كله أن جعل خلع النعال ضرورة يتقيد بها لدخول أي بيت من بيوت الناس، أو لتحية رجل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن غيره، همجية وجاهلية نكراء، لا تدخل في شرع السماء، ولا في حضارة أهل الأرض قاطبة، ولا في عقلية أهل العلم كذلك ... ولستُ أدري متى يقيِّض الله تعالى لغربي إفريقية من العلماء والمصلحين الأحرار مَن يتصدى لأجل تنوير عقول الناس، حتى تنجلي عنها غياهب هذه الجاهلية المقيتة، وحتى تستضيء بنور الكتاب والسنة، وتسلك سواء السبيل... وقد نظمتُ في ذلك أبياتاً، وألزمتُ الفوج الأول من طلاب مركز التعليم العربي بإتقانها وحفظها، فكانت أول حملة إصلاحية، نقوم بها في المجتمع الإسلامي الغرب الإفريقي، وهي:

ويح قومي جهلوا معنى الحياء * وأساءوا فيه ختماً وابتداء
هكذا قد جهلوا التواضعا * وبنوه في سجود وانحناء
خلع نعل جعلوه واجباً * لهم قبل وصول للفناء
كل من خالفهم في هذه * وصفوه بالذي منه براء
جعلوه كافراً لدينهم * واستعدوا لقتال واعتداء
والتواضع الذي نعرفه * مثل ما في العقل أو شرع السماء
بقبول الحق من كل أحد * واجتناب جرثومة الخيلاء
واحترام الغير في حد النهي * واحتقار النفس لا كالحمقاء
والحياء الحق أن تسألني * ما يقيك العار عند العقلاء
ويقي من كل فحش وخنا * غير هذا لا يسمى بالحياء»[2].

وعن حكم الإسلام في الركوع أو السجود لغير الله، قال الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «وأما السجود لغير الله فهو كفر صريح، بدليل قوله تعالى:﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[3]، وقوله:﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

---

(١) انظر: المرجع نفسه، (ص ١٧١ــ١٧٣).

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٦١ــ١٦٣).

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٧.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1] ... إلى أن قال: وليس كما يزعم بعض ضعاف النفوس من أن السجود المنهي عنه، هو وضع الجبهة على الأرض فقط، بل الركوع والجثو كلها تدخل في معنى السجود»[2].

ويقول الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله عن تلك العادات والتقاليد المخالفة للنهج الإسلامي الصحيح في باب السلام والتواضع، واحترام الوجهاء والملوك: « ... ومن ذلك الانحناء عند السلام أو التحية، فهو بدعة محرمة إجماعاً... وذلك لما روي عن أنس ﷺ قال: **«سمعت رجلاً يقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: لا»**[3] [4].

وهكذا فالانحناء للتحية والاحترام والتواضع بالركوع أو السجود محرم، سواء وصل إلى الحد الذي يعدُّ ركوعاً أو سجوداً شرعاً أم لم يصل، وذلك نظراً لما أفتت به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ونصه: «... لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر، لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس، لأن الانحناء تحية عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده»[5].

عاشراً: موقفهم ممن يَتخذُ المساجدَ عند قبور الأولياء:

ذكر الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ما أحدثه بعض المبتدعة من المسلمين، من اتخاذ المسجد عند قبور بعض مَن يُسمون بالأولياء والصالحين في غربي إفريقية للتبرك بهم، وطلب جاههم، فقال: « وأما البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في باب الجنائز والمقابر ... ومن ذلك اتخاذ المسجد عند القبر للتبرك بالصلاة فيه،وهو بدعة مكروهة،وقيل:جائزة، والصواب الأول»[6].

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٦٠ــ١٦١).

(٣) سنن الترمذي (٥/٧٠)، رقم (٢٧٢٨)؛ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. وانظر: مسند أحمد (٥٣/٤)، رقم (١٢٦٣٢)؛ والحديث بكامله كما رواه أنس ابن مالك في المسند، قال: **«قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا. قال: أ فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم»**.

(٤) إحياء السنة وإخماد البدعة، المرجع السابق (ص ٢١٨).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٣٣/١)، رقم (٥٣١٣).

(٦) بيان البدع الشيطانية،الشيخ عثمان بن فودي،نشر: معلم إسحاق غوساو، (ص ١٧)،سوكوتو، نيجيريا. وانظر: إحياء السنة وإخماد البدعة، المرجع السابق، (ص ١٢٦ــ١٢٧).

وقال في موضع آخر: «ومن ذلك ـــ أيضاً ـــ البناء على القبر، وهو بدعة مكروهة إن لم يقصد به الفخر، وإلا فهو بدعة محرمة إجماعاً»[1].

قلتُ: يجب تحقيق القول في بعض عبارات الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله الخاصة بـ "اللفظ الكراهة" على بعض البدع المذمومة، لأن إثبات حكم الكراهة في البدع على الحقيقة مما ينظر فيه كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله، حتى لا يغتر المغتر بإطلاق المتقدمين من الفقهاء لفظ الكراهة على بعض البدع، وإنما حقيقة المسألة هي أن البدع ليست على درجة واحدة في سُلم الذَّم. وأما تعيين-الكراهة التي معناها نفي إثم فاعلها وارتفاع الحرج عنه البتة، فهذا مما لا يكاد يوجد عليه دليل من الشرع، ولا من كلام الأئمة على الخصوص[2].

ومثل هذا هو الظاهر في طريقة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في الحكم على كثير من البدع، إذ كثيراً ما يطلق لفظ الكراهة على بدع تكاد تكون، أو تصل إلى مرتبة الشرك. وربما يعدُّ مثل هذا تساهلاً منه، أو الاغترار بإطلاق المتقدمين من الفقهاء كما أشار إليه الإمام الشاطبي رحمه الله. إذ الحقيقة هي أن الفقهاء إذا أطلقوا الكراهة في بعض الأمور المنهية عنها، لا يعنون بها كراهة التنزيه كما هو معروف فقط، فإنه إذا دلّ دليل في جميع البدع على أنها ضلالة، فمن أين يأتي فيها ما هو مكروه كراهة التنزيه؟! فالحاصل أن النسبة بين المكروه من الأعمال، وبين أدنى البدع بعيد الملتمس[3].

وبناء عليه فلا يقول أحد بجواز اتخاذ المساجد عند القبور إلا مبتدع ضال، لأن اتخاذ المساجد عند القبور بدعة، بل هو من الوسائل التي تفضي إلى الشرك والعياذ بالله، أما إذا أضفنا إلى ذلك قصد التبرك بالصلاة في تلك الأماكن، فقد وقع صاحبه في محذورين خطيرين، وإثمه أكبر وأغلظ، إذ المسألة هي حماية جناب التوحيد، والعمل على سدِّ كل الذرائع المفضية إلى الشرك، وبالتالي لا يمكن التساهل فيه أبداً[4].

---

(١) إحياء السنة وإخماد البدعة، المرجع السابق (ص ١٢٥ـــ١٢٦).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي، المرجع السابق (ص ٣٤٤).

(٣) المرجع نفسه، (ص ٣٤٨).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٠٤ـــ٤٠٥).

وكذلك البناء على القبور، فهو محرم البتة، لأنه ـــ كما تقول اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية ـــ باب واسع، قد يفضي إلى عبادة الأموات بالاستغاثة بهم، ودعائهم، وخوفهم، ورجائهم من دون الله، وسواء كان هذا البناء على القبر بقصد التبرك به، أو الفخر أو نحوه فإنه محرم، وذلك سداً لذرائع الشرك، وحماية لجناب التوحيد[1].

حادي عشر: موقفهم ممن يَتطَّيرُ أو يَتشاءمُ:

قال الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في بيانه لحكم الإسلام في بعض الممارسات والطقوس المنتشرة في غربي إفريقية، والتي تُعد من قبيل التطير، أو التشاؤم في بعض الأمور، قال: «وأما حكم ما يفعله بعض النساء من وضع العصا، أو السكين أو الحديدة التي قطعت بها سُرة المولود الجديد عند رأسه، كلما أرادت الأم أن تتركها لبعض حاجتها، تفعل هذا مدة أربعين يوماً، وتفعل ذلك لئلا يُصاب المولود بشيء من الجن أو المسِّ أو العين، فهذا كله بدعة مكروهة لا أصل له»[2].

ولا خلاف بين العلماء أن هذا العمل الذي يقوم به هؤلاء الناس في غربي إفريقية، اعتقاداً منهم أن ذلك يحمي المولود من أذى شياطين الإنس والجن، يعدُّ من التطير الممقوت شرعاً، بل هو محرم لما في ذلك من تعليق القلب على غير الله في جلب النفع أو دفع الضر، يقول صاحب تيسير العزيز الحميد معتبراً مثل هذا التطير من الشرك الذي ينافي كمال التوحيد: «ولما كانت الطيرة من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه، ووسوسته، ذكره المصنف رحمه الله في كتاب التوحيد تحذيراً منها، وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله، وأعلم أن من كان معتنياً بها، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس، فيما يسمعه ويراه ويعطيه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على المسلم التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك»[3]، والعياذ بالله.

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٩٨ـــ٣٩٩).

(٢) بيان البدع الشيطانية، المرجع السابق (ص ٢٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، (ص ٣١٧)، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.

المبحث الرابع
جهود علماء غربي إفريقية في التحذير من الشرك وأهله

المطلب الأول
بيان علماء غربي إفريقية لمفهوم الشرك

لقد بين الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله معاني واستعمالات لفظة الشرك في لغة العرب، ناقلاً عن أئمة اللغة، فقال: «تقول: شَرَكْتُه في الأمر أَشْرَكْتُه، من باب تَعِبَ، شَرْكاً وشِرْكَةً بفتح الأول وكسر الثاني فيهما، ويخففان بكسر الأول، وسكون الثاني، وذلك إذا صرت له شريكاً، وشاركته كذلك وأشركته، قال تعالى:﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[1]، أي اجعله شريكي فيه.

ومرجع مادة الشرك إلى الخلط والضمِّ، فإذا كان بمعنى الحصة من الشيء يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين، كما في قوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[2]، فالشريك مخالط لشريكه. ثم إن اجتماع الشركاء في شيء لا يقتضي تساوي أنصبتهم منه، ولا يمنع زيادة قسط على آخر. فموسى عليه السلام يسأل ربه مشاركة أخيه له في الرسالة، وقد أجيب سؤاله بقوله:﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[3]، وضروري أن حظ هارون من الرسالة، دون حظ موسى عليهما السلام. ولهذا يقال: فلان شريك لغيره، في دار أو أرض أو بضاعة، ولو لم يكن له منها إلا معشار العشر»[4].

أما تعريف الشرك في الاصطلاح عندهم:

فالشرك ضد التوحيد، فإذا كان معنى التوحيد: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ فالشرك هو: صرف شيء من العبادة لغير الله.

وأحسن تعريف للشرك في الاصطلاح الشرعي، ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أي ذنب أعظم عند الله؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[5].

---

(١) سورة طه، آية: ٣١.

(٢) سورة فاطر، آية: ٤٠.

(٣) سورة طه، آية: ٣٦.

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٨)، وانظر: الصحاح، المرجع السابق (١٥٩٣/٤)، المصباح المنير، المرجع السابق (٣١١/١)، المفردات، المرجع السابق (ص ٢٩٥).

(٥) صحيح البخاري (١٦٢٦/٤)، رقم (٤٢٠٧)؛ ومسلم (٢٦٦/٢)، رقم (٢٥٢).

قال الشيخ غومي رحمه الله: «أما الشرك في الشرع، فقد فسره صاحبا "الصحاح[١]" و"المصباح[٢]" بالكفر، وجعله الراغب على ضربين، فقال:

الأول: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر، لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...** ﴾[٣]، وقوله:﴿ **وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا** ﴾[٤]، وقوله:﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ** ﴾[٥].

والثاني: الشرك الصغير، أو الشرك الأصغر، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء، ومن هذا ما رواه أحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال:«"**يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**"، قيل له: كيف نتقيه؟ قال: "**قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**"» [٦].

ثم قال: وبيان الشرك بالكفر تساهل في المعنى، لقرب اتحادهما في الحكم، وقد فرق بين الشرك والكفر أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق اللغوية"، فقال: "الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها الشرك بالله، ومنها جحد النبوة، ومنها استحلال ما حرم الله ... ثم قال: والفرق بين الكفر و الشرك: أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر، فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة، وهو إيجاد ألوهية أحد مع الله، أو دون الله [٧]".

وكما لا تقتضي الشركة تساوي الشركاء في الحصص، لا يقتضي الشرك شرعاً مساواة الشريك لله في جميع صفاته، أو في صفة منها، بل يسمى المرء مشركاً بإتيانه شريكاً لله، ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً، كما قال تعالى عن المشركين:﴿ **مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ**

---

(١) انظر: الصحاح، المرجع السابق (١٥٩٣/٤).

(٢) انظر: المصباح المنير، المرجع السابق (٣١١/١).

(٣) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٤) سورة النساء،آية: ١١٦.

(٥) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٦) مسند أحمد (٥٤٩/٥)، رقم (١٩١٠٩).

(٧) انظر: الفروق اللغوية، المرجع السابق (ص ٨٩ـــ٩١).

زُلْفَىٰٓ ﴾[1]. فأما حكايته تعالى عن المشركين قولهم:﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، فالتسوية هنا، فيه تسوية في الطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، فهي كآية البقرة:﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[3].

إن الله تعالى لا يقبل أن يشرك به الأبرار ولا الفجار ولا الأشجار ولا الأحجار، ولا يرضى شركة عظيم في القدرة والمنزلة، كمن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشمس، والقمر، وسائر الكواكب. وقد رد الله في القرآن كل شرك، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف ... إلخ.

ولهذا قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله في تعريفه للشرك شرعاً: «... والناس في الحياة إما أن يتبعوا ما أنزل الله فهذا هو الإسلام، وإما أن يتبعوا من دونه أولياء، فهذا هو الشرك..»[4]، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[5][6].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٩٧ـ٩٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٤) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٥٩).

(٥) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٦) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٧٩ـ٨٠).

المطلب الثاني

بيان علماء غربي إفريقية لأنواع الشرك وأحكامه

وفي سبيل التمثيل لنموذج ممن تصدّى لبيان أنواع الشرك وأحكامه من علماء غربي إفريقية، يبرز قول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله في تفسيره لقوله جلّ شأنه:﴿ **قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ** ﴾[1]، قال: «... ولم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشرك، لأن الشريك إما في الملك، وإما في التصرف، والأول: إما أن يختار قسطه، أو إما أن يكون على الشياع؛ والثاني: إما أن يعين المالك، وإما أن يعين أحداً عند المالك»[2]، فهذه الأقسام الأربعة، مرتبة ترتيبها في الآية، والله تعالى منزه عنها جميعها. وهذا النوع الذي ذكره الشيخ غومي رحمه الله، باعتبار المشرك به مع الله.

وهناك تقسيم آخر باعتبار حكم الشرك، وقد تقدم نقل ذلك من كلام الراغب، وهو:

أ ــ الشرك الأكبر، ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[3]، وقوله:﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾[4].

ب ــ الشرك الأصغر، ومنه قول النبي ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ **قال**: «**الرياء**»[5].

وقوله ﷺ للذي قال: ما شاء الله وشئت:"**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**"[6][7].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٢٢ــ٢٣.

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ١٠٧ــ١٠٨).

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٦.

(٥) مسند أحمد (٤٣/٣)، رقم (١٤٤)؛ والبغوي في شرح السنة، المرجع السابق (٣٢٣/١٤ــ٣٢٤)، وغيرهما من حديث محمود بن لبيد ﷺ، وحسنه محققو المسند، ومحققا السنة، والألباني في الصحيحة (٦٣٤/٢).

(٦) مسند أحمد (٣٣٩/٣)، رقم (١٨٤٢)؛ وصححه محققو المسند، والألباني في الصحيحة (٢٦٦/١).

(٧) انظر :العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة،المرجع السابق(ص٩٢ــ٩٥)،وانظر: الشرك ومظاهره،المرجع السابق (ص ١٠٤).

وتقسيم ثالث باعتبار مقابلة أقسام التوحيد الثلاثة، وهو:

أ ــ الشرك في الربوبية: وهو اعتقاد خالق مع الله كما تعتقد المجوس في النور والظلمة، والقدرية في خلق العبد لأفعاله، أو اعتقاد متصرف في الكون مع الله أو دونه، كاعتقاد عبَّاد الكواكب، وكاعتقاد عبَّاد القبور في المقبورين من الأولياء والصالحين، واعتقاد الرافضة في أئمتهم.

ب ــ الشرك في الألوهية: وهو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، وهو الذي كانت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم، كما تقدم بيانه.

جـ ــ الشرك في الأسماء والصفات: كاعتقاد المشبِّهة الذين شبهوا الله تعالى بالموجودات، أو المعطلة الذين شبهوه بالمعدومات أو الممتنعات ... وهكذا[1].

---

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد،حافظ بن أحمد حكمي،(١/٤١٨)، المطبعة السلفية، الروضة، د.ت.

المطلب الثالث

موقف علماء غربي إفريقية ممن ينطق بالشهادتين مع التلبس بالشرك

من المعلوم أن المرء يدخل في الإسلام بنطقه بالشهادتين: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، فإذا قالها العبد عصم دمه وماله وعرضه، ثم يجب عليه بعد ذلك أن يأتي بحقها[1]، وهو العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها[2]. ولا يكفي في إسلامه مجرد التلفظ بالشهادتين مع التلبس بما يناقضها اعتقاداً أو قولاً أو عملاً، حتى يكون حاله كمن في واد، والتوحيد في واد آخر[3].

ونرى اليوم كثيراً من المسلمين في غربي إفريقية، من يجهل تماماً ما دلت عليه هذه الكلمة، وماذا يعني نطقه بها حقيقة[4]، ولهذا لم يقتلع التلفظ بالشهادتين من قلوب كثيرين منهم جذور عقائد الشرك بالله، ولا حال دون نفوذه إليها، فتجد أحدهم يردد ليل نهار في صلاته، قول الله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5]، حتى إذا سلم من صلاته، نهض واستعان بغير الله، وحلف بغير الله، ودعا واستغاث بغير الله، وذبح لغير الله إلى غير ذلك من الأقوال والأفعال المنافية لحقيقة "الشهادتين".

فهؤلاء الذين هذا حالهم، لا ينفعهم أن يتسموا بالمسلمين وهم يعتقدون عقائد المشركين، ويعملون أعمالهم، فإن الإسلام لا يفرق بين العقائد المتشابهة، والأعمال المتماثلة، لمجرد الافتراق في الأوصاف الظاهرة، والألقاب الاصطلاحية المسلوخة عن معناها الصحيح[6].

يقول الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «يظن كثير من المسلمين عندنا أن الإسلام هو عبارة عن إرث موقوف عليه، لا يغير ولا يبدل، أو تراث ثابت خلفه له آباؤه وأجداده الأقدمون، أو هو عبارة عن جنسية، فيكفي مجرد الانتساب إليها فقط.

---

(١) كما قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»، صحيح البخاري (١/١٧)، رقم (٢٥)؛ وصحيح مسلم (١/١٥١)، (١٢٥).

(٢) وهو الاستيفاء بشروطها التي ذكرها السلف في مصنفاتهم، وهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض.. وهكذا، انظر: فتح المجيد، المرجع السابق (ص ٩٧ــ٩٨).

(٣) انظر: تهذيب الشرك ومظاهره، المرجع السابق (ص ١٩ــ٢٠).

(٤) ولعل السبب في ذلك ــ والله أعلم ــ يعود إلى تقصير الدعاة و العلماء عن القيام بمهامهم في المجتمع كما ينبغي.

(٥) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٦) انظر: تهذيب الشرك ومظاهره، المرجع السابق (ص ٢٠).

وأنا أقول لهم: إن الإسلام أقوال وأفعال تطابق الاعتقاد الصحيح، فافهموا معنى الإسلام جيداً قبل كل شيء، حتى تكون نسبتكم إليه حقيقة»[1].

ويقول في موضع آخر رحمه الله: « إن مجرد النطق بالشهادتين لا يطرد عن القلب شبح الشرك، ولا سيما نطق من لُقنها تقليداً عادياً خالياً من فهم معناها، وإنما اعترف بهما بحكم الوسط، لا باضطرار العلم، ولم ينطق المشركون بالشهادتين، لما دعاهم النبي ﷺ، لأنهم علموا معانيها، ورأوا أن النطق بهما يعدُّ التزاماً لما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ، ونبذاً لما يخالف دعوته، وقد أصابوا في هذا الرأي. ثم اختاروا بعد ذلك الرأي الناشئ عن العلم باللغة ومعاني الكلام، والتمسك بما وجدوا عليه آباءهم، وقد أخطئوا في هذا الاختيار. ولو رأوا مجرد الشهادة كافياً في رفع وصف الشرك عنهم مع بقائهم على عقائدهم الباطلة، وعوائدهم القبيحة، لأقروا واستراحوا ...»[2].

ولقد قصَّ الله تعالى علينا في القرآن الكريم إنكاره على الأمم السالفة، عقائد وأقوالاً وأفعالاً مخالفة لما شرعه لهم، حتى نحذر من التشبه بهم فيها، أو الوقوع فيما وقعوا فيه، فقال تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** ﴾[3]، وقوله: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[5].

وقال النبي ﷺ: « **لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[6].

فليس ذكر قصص الغابرين لمجرد التسلية، بل للعبرة والموعظة والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[7].

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٥٥ــ٥٦).

(٢) المرجع نفسه (ص ٦٦).

(٣) سورة التوبة، آية: ٣١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٥.

(٥) سورة المائدة، آيتان: ٧٨ــ٧٩.

(٦) صحيح البخاري (١/١٦٨)، رقم (٤٢٥)؛ ومسلم (٥/١٦)، رقم (١٦٨٧).

(٧) سورة يوسف، آية: ١١١.

وقال أيضاً رحمه الله: «إن تنزيل الآيات النازلة فيمن قبلنا على أهل ديننا، هو تطبيق للنص على الحادثة، ونصيحة للمؤمنين أن يغتروا بالنعوت اللفظية، ويدَّعوا الصفات النفسانية التي هي أصل تلك النعوت، فلا يفيد المرء أن ينعت بالمسلم، وصفاته النفسانية صفات مشرك ضال، أو كتابي معاند»[١].

أما الشيخ غومي رحمه الله، فهو يرى: «أن نزول الآيات على الكافرين، لا يمنع من تطبيقها على من شاركهم في مثل الحال الذي أنكرته عليهم من المؤمنين، لأن الوصف المذموم مذموم، سواء أكان المتصف به مؤمناً أو كافراً»[٢].

ويقول في موضع آخر: «إن الآيات إذا نزلت في أمة سابقة على الإسلام، أو نزلت في أول بعثة، فإن المعنى الذي جاءت له مدحاً أو ذماً، ينطبق على وقتنا هذا أيضاً.. إلى أن قال: ثم إنك تجد الإسلام خاتمة الأديان السماوية، ونبيه خاتم النبيين، وكتابه آخر الكتب السماوية كلها، وهذه الأمة خاتمة الأمم، وهي من جنس تلك الماضية، تقسو قلوبها كما قست قلوبهم، وتفسد عقائدها كما فسدت عقائدهم، وتعصي كما عصوا، وتبتدع كما ابتدعوا، فهل من حكمة أحكم الحاكمين، ورحمة رب العالمين أن يقصر ما عاب به من قبلنا عليهم، ويدعنا سدى من غير دليل يعرفنا فسادنا، وقبيح أعمالنا، إذا نزل بنا ما نزل بالأمم قبلنا؟»[٣].

ثم يقول الشيخ غومي رحمه الله مشدداً إنكاره على ما يقوم به بعض المنتسبين إلى الإسلام في نيجيريا وما جاورها، فيقول: «إن أصل عقيدة الشرك عند العرب في الجاهلية، هو أنهم يعلمون أن الله تعالى هو خلقهم، وهو يرزقهم، وهو المالك لجميع مخلوقاته، ولكنهم كانوا يجعلون توجههم وتقربهم وتضرعهم إلى تلك الأصنام، اعتقاداً منهم أنها تقربهم إلى الله. وفي نيجيريا أناس وطوائف كذلك، تتوجه لبعض الأموات، وتتضرع إليهم وتناديهم، اعتقاداً منهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى.

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، المرجع السابق (ص ٦٧).

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧٠).

(٣) المرجع نفسه (ص ٨١).

ومن أفعال مشركي العرب في الجاهلية أنهم يسوقون النذور والقرابين من الأنعام لطواغيتهم، فينحرونها عندها، طالبين رضاها ومعونتها، وفي نيجيريا وما حولها كذلك أناس وطوائف تسوق النذور والقرابين من الأنعام إلى الأضرحة والمزارات والمشاهد، تنحرها عندها، إرضاء لها، وطلباً لمعونتها.

ومن أقوال مشركي العرب في الجاهلية، حلفهم بطواغيتهم تعظيماً وإجلالاً لها، وفي نيجيريا وما حولها كذلك أناس وطوائف يحلفون بالله فيكذبون، ويحلفون بمن يعظمونهم من الأحياء والأموات، فلا يجترؤون على الكذب بهم أبداً .. فهم لجهلهم يجمعون بين المتناقضات، وأولئك المشركون من قريش لعلمهم بمدلول الألفاظ، وفقههم لمقصود الرسالة، لم يجمعوا بين هذه المتناقضات، فإن كان هناك فرق بين الفريقين فهو إقدام هؤلاء المسلمين على الجمع بين المتناقضات، وإحجام أولئك المشركين عن هذا الهذيان الذي لا يعقل»[1].

ومثل هذا القول ما صرح به الشيخ عبد الصمد رحمه الله حين قال: «إن مسلمي غانا يرددون ليل نهار قول: "لا إله إلا الله"، و"إنا لله وإنا إليه راجعون"، و"لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، و "الله أكبر"، و"الله أحد"، "الله الصمد"، "وإياك نعبد وإياك نستعين"، وغير هذا من العبارات التي أودع الله لنا فيها سر وحدانيته وتوحيده، وإفراده بالعبادة دون غيره، وهي عقيدة المسلمين الموحِّدين، ولكن للأسف نجد الكثير ممن يتلفظ بهذه الجمل الكبيرة التي كان من واجبهم أن لا يعملوا إلا بمقتضاها، وأن لا يخالفوها بالفعل أو القول إلى ما سواها، بل نجدهم يدعون غير الله في السر والعلن لما لا يدعى له إلا الله، ويلجئون خاشعين ضارعين إلى سواه، ويصدرون لمن لا يستطيع كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، ويستعينون بالأموات، وحتى الجمادات والأشجار والنباتات والكهوف والمغارات،وقد ينسبون الحول والطول والضر والنفع والإعطاء والمنع لهذه الأشياء، أو لمشايخهم، أو للجن والشياطين، فيعظمون ويكبرون غير الله، حتى إنهم ليحلفون بالله ألف مرة كاذبين، ولا يحلفون بذلك المخلوق هيبة له وخوفاً منه، ويقولون بعد هذا كله إننا مسلمون، اعتماداً على تلك الألفاظ التي هم بها ينطقون، وإن كانوا لمعناها ومقتضياتها ــ بأفعالهم وأقوالهم ــ مخالفين»[2].

---

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٨٢).

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٧٧).

وكما هي الحال في كل زمان ومكان، فإن دعوة المصلحين الموحِّدين في غربي إفريقية لم تسلم من معارضة بعض علماء السوء من الطرقيين والقبوريين، ومن لفَّ لفَّهم من أهل الأهواء، بشبهات وضلالات يريدون بها صرف وجوه العامة إليهم، وإبعادهم عن الخير الذي أريد بهم، لأنها ـ على حسب ظنِّهم ـ تقضي على مصالحهم، ومصادر رزقهم عبر استغلال البسطاء، وأكل أموالهم بغير وجه حق، يقول في ذلك الشيخ غومي رحمه الله:«وما إن رفعنا أصواتنا بتلك الدعوة المباركة في أي مكان من ربوع قارتنا، حتى ثارت علينا زوابع ممن سلكوا للشرك كل الذرائع، وشوَّهوا للعامة غرضنا ومقاصدنا بما يجدون الجزاء عنه يوم القيامة»[١].

ويقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله مبيناً خطورة علماء السوء، وصدِّهم الناس عن الانتفاع بدعوة السلفيين: « وما إن أخذت الأمة تلمس نتائج دعوتنا الإصلاحية، وتجني من نفعها وخيراتها، حتى قام أولياء الشيطان، ودعاة الفتن والشرك من علماء السوء، يدعون الناس إلى التمسك بإرث الآباء والأجداد، ويصدونهم عن الدين، و عن اتباع الحق المبين»[٢].

وهكذا كان اتفاق علماء غربي إفريقية على القول بكفر من ينطق بالشهادتين، ثم يقوم بما يناقضها من الأقوال والأفعال المنافية لحقيقة التوحيد، إذ لا قبول ولا فائدة في جميع الأعمال مع وجود الشرك، لقوله جل شأنه:﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾[٣]. كما اتفقوا كذلك على كفر علماء السوء الذين يأمرون الناس بالباطل، ويصدونهم عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، وذلك اتباعاً للظن، وما تهوى الأنفس، وقولاً على الله بغير علم، وعصبية لمتبوعهم سوى رسول الله ﷺ، يعادون في ذلك ويوالون؛ قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ** ﴾[٤].

---

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٨٧).

(٢) المرجع نفسه (ص ٧٨).

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٤) سورة هود، آية:١٨ـ١٩.

المطلب الرابع

موقف علماء غربي إفريقية من الشرك والتحذير منه

ولن نجد أعظم تحذيراً من الشرك وخطورته، من قوله تعالى على لسان لقمان عليه السلام، وهو ينصح فلذة كبده: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

كما حذَّر النبي ﷺ أمته من الشرك غاية التحذير، وسدَّ أمامهم كل الطرق الموصلة إليه، وحمى جناب التوحيد. وعلى ذلك جرى تحذير علماء غربي إفريقية من الشرك ودواعيه ومظاهره، ومن ذلك ما صدع به الشيخ عبد الصمد رحمه الله محذراً إخوانه المسلمين في غربي إفريقية من مغبة الشرك بالله عز وجل وخطورته، ومفسراً معنى الظلم الوارد في الآية السابقة، فقال: «إن الشرك قد اجتمعت فيه جميع أنواع الظلم الثلاثة، وهي: الظلم في حق الله بعدم توحيده، والظلم للمعبود مع الله بإيذائه إن كان صالحاً، وتغليظه في نفسه إن كان جاهلاً، والظلم أيضاً للنفس الإنسانية ـــ التي أكرمها الله وشرفها ـــ بإذلالها، وتعبيدها لمن هو مثلها ـــ أو دونها ـــ في الافتقار والحاجة»[2].

ولما كان الشرك من الخطورة بهذه المنزلة، كان لزاماً على من يهتم لسعادته في الدار الباقية، أن يعترف بحاجته الشديدة إلى معرفة الشرك وأقسامه ومظاهره وأنواعه، وأن يعتني كل الاعتناء بالبحث عن كل ذريعة إلى هذا الداء ليقيه أيما اتقاء، فلا يسري على جنانه، ولا يعلق بلسانه، ولا يظهر على شيء من أركانه.

وكان من علامات الداعية النصوح، وأخص مظاهر نصحه: أن يجعل أولى ما يتقدم به إلى العامة وأول ما يقرع به أسماعهم، التحذير من الشرك ومظاهره، وبيان مدلوله وأنواعه، ثم الصبر على ما يلحقه لذلك من أذى جاهل متحمِّس، ومغرض متعصِّب، وضال متأوِّل[3].

قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: « لولا بُعد عهد الناس بأول الإسلام، وحال المهاجرين والأنصار ونقص العلم، وظهور الجهل، واشتباه الأمر على كثير من الناس، لكان هؤلاء

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٣٥).

(٣) انظر: محاضرات في العقيدة و الدعوة، المرجع السابق، (٢/٤٩).

المشركون، والآمرون بالشرك، مما يظهر كفرهم وضلالهم للخاصة والعامة، أعظم مما يظهر ضلال الخوارج والرافضة»[1]. وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية وذلك الاهتمام ظاهرة في تاريخ الدعوات الإصلاحية التي قامت في غربي إفريقية، حيث بيَّن هؤلاء العلماء والمصلحون خطورة الشرك بالله تعالى، وحذروا الأمة منها أشدَّ التحذير، مستندين في ذلك على الكتاب والسنة، وما فهموه من أقوال السلف رحمهم الله، وما ذلك إلا لكونه كما ورد في مؤلفاتهم، من:

- **أعظم أنواع الذنوب وأخطرها على الإطلاق**، لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ** ﴾[2]، ولما رواه البخاري عن ابن مسعود ﷺ، أنه قال: يا رسول الله، أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[3]. وذلك لأنه ـ أي الشرك ـ تَعدٍّ على حق من حقوق الله تعالى، قال الشيخ غومي رحمه الله مفسراً حديث النبي ﷺ: «..."**وحق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**". قال:فإن من دعا مع الله تعالى غيره،أو أشرك به سواه، فقد أبطل حق الله تعالى، وأعدم عبادته، وليستعد لأليم عقابه يوم الحساب»[4].
- **أنه محبط للأعمال كلها**، فلا يقبل منه عمل، ولا تصح منه عبادة، كما قال تعالى محذراً نبيه محمداً ﷺ من مغبة الشرك وخطورته: ﴿ **وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾[5]، وقوله تعالى:﴿ **وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾[6].

قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: « ويُفهم من هذه الآيات أن الله تعالى قد نهى نبيه ﷺ، ومن بعده أمته عن أن يعبدوا معه غيره في ألوهيته، وبين لهم أن من اعتقد معه شريكاً أو نداً، فإن عبادته باطلة، بل هي مردودة عليه كائناً من كان»[7].

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٢).

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٣) تقدم تخريجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٢٦٦).

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٩٥).

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٨٨.

(٧) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ١٠).

• **أنه سبب لشيوع الانحرافات العقدية التي تكون سبباً لانحطاط الأمم، وفساد الأخلاق، وحلول المصائب والنقم في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة**: قال الشيخ آدم الألوري رحمه الله: «كنت أبحث عن علل سقوط الممالك والسلطنات الإسلامية في غربي إفريقية، فلم أجد أشَّر من الشرك الذي خيَّم على تلك الممالك من خلال الغارات المتتالية التي شنتها الدول الوثنية المجاورة على أطراف تلك الممالك المتداعية، حتى استولت على جزء كبير منها وحولتها إلى مناطق وثنية خالصة، وكان ذلك إيذاناً لنشوب فوضى عقدية واجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها أدت في النهاية إلى سقوط المملكة، وانهيارها إلى الأبد... ثم قرأ قول الله تعالى:﴿ **وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ** ﴾[1]، ثم قال: لقد بينت هذه الآية أن مآل المشرك في الدنيا هو الخوف والفقر المدقع، وفي الآخرة هو الخزي والعذاب الأليم»[2].

قلتُ: إذا كان الشرك في هذا المستوى من القبح والخطورة، فهذا مما يوجب شدة الحذر من الوقوع فيه، ويوجب كذلك على المسلم أن يعرفه ليتجنبه، ويوجب على المسلمين في شتى بقاع المعمورة مقاومته، والقضاء عليه، وقد كانت مهمة الرسل عليهم السلام في الدرجة الأولى مقاومة الشرك، والنهي عنه، والتحذير منه، وجهاد المشركين باليد واللسان، كما قال تعالى عن كل رسول يقول لقومه:﴿ **ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾[3]، ذلك لأن الشرك هو أعظم الفساد الذي يصيب الأمم، وهو يناقض الخلق والأمر، ولا فائدة في جميع الأعمال مع وجود الشرك، مما يحتم على جميع أتباع الرسل من الدعاة والمصلحين أن تتجه دعوقم وإصلاحهم على مكافحة الشرك، وإصلاح العقائد أولاً وقبل كل شيء ... والله المستعان.

---

(١) سورة النحل،آية: ١١٢.

(٢) تاريخ الدعوة إلى الله، المرجع السابق (٢٥ــ٢٧).

(٣) سورة الأعراف، آيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

المطلب الخامس

موقف علماء غربي إفريقية من الصوفية التي هي بؤرة الشرك والوثنية في المنطقة

إن الحق والباطل، والإيمان والكفر، والسنة والبدعة، والهدى والضلال، والخير والشر، كل أولئك في بني البشر قديم لا يختص بعصر ولا بمصر، وإنما يمتاز أحد الأزمنة أو بعض الأمكنة بغلبة أحد المتقابلين فيه على الآخر، لأن لكل جهة دعاة إليها يدعون، وهداة يهدون، وأنصاراً لها يحمون، كما قال تعالى:﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾[1].

فهذا عصر النبي ﷺ أزهر العصور لم يخل من المنافقين أحط أصناف المبطلين، وهذا جيل الصحابة رضي الله عنهم، وعهد الخلفاء الراشدين، قد تلوثا بالمبتدعين، فقد حدثت البدع والانحرافات الكثيرة في عهدهم، فكانت على الجهَّال ظلمة وفتنة، ولأولي الألباب نوراً ورحمة، فمصيبة الجهال فيها أنها قديمة، وهم يقدسون كل قديم، ويرون أن ما تقدم جيلهم من الأجيال هو كمال محض، وخير خالص. أما العلماء المحققون فيستنيرون بآثار السلف الصالح في إنكارها، والاستعانة بأنظارهم في تخليص السنة منها.

ومصدر الانحراف والشرك في الإسلام: المنافقون والزنادقة، وأول انحراف أو بدعة تتصل بالشرك، إنما عرفت عن أحدهم وهو عبد الله بن سبأ اليهودي. وبدعته: التظاهر بحب واحترام آل البيت، والتشيع لعلي ، حتى إنه أتى في ذلك بما لا يتفق والإسلام بتاتاً، فطلبه علي في خلافته ليقتله ففرَّ منه. وقد غرس هذا اليهودي الخبيث أفكاره وتعاليمه في طائفة، نسبت إليه، فدعيت بـ "السبئية"، ومن بذوره نبتت الرافضة، والفرق الباطنية، وغلاة المتصوفة.

وكان ضلال الرافضة مكشوفاً للعامة والخاصة من المسلمين، فكانوا ممقوتين في المجتمعات، لا تروَّج لهم بضاعة في جميع الطبقات، إلا أن يجدوا غرة في بعض الجهات التي لا تعرف من الدين أكثر من التلفظ بالشهادتين، أو صور العبادة المتكررة المعروفة.

فدَّب في المسلمين مبدأ التصوف على قدمي الإفراط في العبادة، والتفريط في الدنيا، ولكن كان الغالب على رجاله العلم بالدين، والصدق في العمل وموالاة السلف، فكانوا في الاعتقادات محدثين سلفيين، أو متكلمين أشعريين وماتريديين، وفي العبادات مالكيين، أو حنفيين، أو شافعيين،

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٥٣.

أو حنبليين. فاشتهر منهم: أبو القاسم الجنيد، وانتسب إليه من بعده جماعة في آداب السلوك، وبهذا كان التصوف مقبولاً عند أهل السنة، لانتساب رجاله إلى الأئمة المرضيين.

فرضي الناس عن التصوف بذلك الانتساب، وأعجبوا بزهد رجاله أيما إعجاب، ثم غمرت الثقة بالألقاب، فسال لُعاب المبتدعين المنحرفين من هذه الثقة التي نعم بها المتصوفون الأوائل، فاندسوا تحت هذا الستار، ولا سيما الرافضة التي كانت لها مطامع سياسية، وكان التصوف والرفض كلاهما في العجم أشهر، وأكثر انتشاراً وشيوعاً، فسهل لذلك الامتزاج بينهما.

وكان من ثمرة امتزاج الرافضة الباطنية بالصوفية واتحادهما معاً في المبادئ: ظهور مذهب الحلول، والقول بالاتحاد؛ إذ كان هذا معروفاً في الباطنية، ثم ظهر على متأخري الصوفية، كابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض وغيرهم من الملاحدة المنتسبين للملة [1]، إضافة إلى تقديسهم المفرط للأولياء والشيوخ حتى عبدوهم أحياء وأمواتاً، وبنوا على قبورهم المساجد، وطافوا حول أضرحتهم، ودعوهم واستغاثوا بهم، وطلبوا الحوائج منهم، ظناً أن هذا من الدين.

وفي هذا يقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله: « إن المتأمل في أحوال المسلمين منذ عهد السلف رحمهم الله، فإنه لا يصعب عليه أن يرجع أمَّهات علل المسلمين الدينية والاجتماعية إلى هذه الطرق الصوفية الكاذبة الخاطئة، التي أصبحت فكرة تسود العالم الإسلامي، وتتحكم في دينه ودنياه، بل وتتدخل في حياته وسياسته، ثم تستحكم في طباعه فإذا هو في غمرة من الذهول مطبقة، أضاع معها آخرته ودنياه ... إلى أن قال: ومعلوم أن من نشر هذه المشاهد الوثنية كلها من بناء القباب على الأضرحة، أو بناء المساجد على القبور، وصرف عبادات لأصحابها من دون الله هم: المتصوفة.

ولذا فإن المتصوفة هم دعاة الشرك، بل هم وراء كل انحراف عقدي وقع في الأمة الإسلامية في غربي إفريقية، وبخاصة في توحيد العبادة»[2].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق، (٢/١٧٢، ١٧١)، و(٢/٤٦٩ــ٤٧٢)، وتهذيب الشرك ومظاهره، المرجع السابق (ص ١٣٩ــ١٤١).

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٧٣).

ويقول الشيخ غومي رحمه الله في السياق نفسه: «إن الطرق الصوفية المبتدعة في الإسلام من الطوام العظيمة، والأدواء الوخيمة، بل هي الداء العضال، والسم القتال للأبدان والعقول والأموال والأعراض والمروءات، فلا يبقى للمصابين به غير أجسام، كأنها خشب مسندة ... وهل أوقع المسلمين — في غربي إفريقية وغيرها — في الضلال البعيد، فأفسد عليهم عقولهم وأديانهم وأموالهم، فأذّلهم الله وأهانهم، وصاروا ضحكة للعالمين، إلا انتشار الطرق الصوفية فيها؟!»[1].

ويقول في موضع آخر: «تنقسم الجيوش المضادة لانتشار العقيدة السلفية الصحيحة في غربي إفريقية إلى ثلاث طوائف، وهي:

الأولى: المراءوُن — من علماء السوء — الذين اتخذوا الدين مطية لتحقيق أغراضهم الخبيثة، فيتلونون بلون الأواني، ويميلون مع الريح حيث مالت.

الثانية: الخرافيون الجامدون، المتمسكون بالإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والمختلقة في فهم الدين، إضافة إلى تعلقهم بترغيبات وتزهيدات الأحاديث الضعيفة، التي تجعل الإنسان ميتاً قبل أن يموت.

الثالثة: المتألّهون الذين نصبوا أنفسهم آلهة يعبدون، وقد انتحلوا لأنفسهم حق الوصاية على النوع الإنساني، وشاركوا الله تعالى في تصرفاته، وزعموا — زوراً وبهتاناً — أن الأمور بأيديهم، يهبون الحياة والرزق الوفير لمن أطاعهم، ويسلبونها عمن لا يطيعهم، وهذه الطائفة هي أعظمها خطراً على الإسلام والمسلمين، لأنه رجع بالأمة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية... ثم قال: هذه الطائفة الثلاثة تحسب نفسها من الإسلام، والإسلام منها براء، ولقد أضرت بالدين ضرراً فاحشاً، وفرقت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لتسهّل بذلك استيلاء جيوش الاستعمار والتنصير على كيان الأمة وعقيدتها»[2].

---

(١) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥—٦).

(٢) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٧).

المبحث الخامس

جهود علماء غربي إفريقية في محاربة مظاهر الانحراف العقدي عند الصوفية

المطلب الأول

موقف علماء غربي إفريقية من أتباع عقيدة وحدة الوجود

إن كلام القائلين بالحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود، متشابه ومتقارب، وهو في أغلبه غامض غير مفهوم المعنى[1]. ولهذا لا يأتي ذكر هؤلاء في كلام الأئمة إلا مقترناً بذكر أولئك لاختلاط عقائدهم وتمازجها[2]. وقد وقع كثير من الصوفية في غربي إفريقية في حبائل هذه العقائد الفاسدة. ويترقى المتصوفة في هذه العقيدة من خلال ما يمارسونه من شعائر وطقوس مبتدعة، منها: "التربية[3]"، "والحضرة[4]"، و"الخلوة[5]". وقد سَخِرَ علماء غربي إفريقية من غلاة الصوفية الذين يعتقدون هذه العقائد الفاسدة، وكفروهم، وسفهوا أحلامهم، مستندين في ذلك على ما ورد من أقوال السلف الصالح رحمهم الله، ومن ذلك ما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لأنه أمر مبهم»، انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢/٤٦٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢/١١٥، ٢٩٦)، وقال الشيخ بعد أن نقل شيئاً من كلامهم: «هذا الكلام يعود عند التحقيق إلى أن يكون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، وهم يصرحون بذلك لكن يدعون المغايرة بين الوجود والثبوت، أو بين الوجود والماهية .. فلهذا كانوا يقولون بالحلول، تارة يجعلون الخالق حالاً في المخلوقات، وتارة محلاً لها، وإذا حقق الأمر عليهم بعد المغايرة، كان حقيقة قولهم أن الخالق هو نفس المخلوقات»، مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٧/٥٩٣).

(٣) نقصد بذلك التربية التي يعتمد عليها أنصار الفيضة التجانية، حيث يصل المريد من خلالها إلى الاعتقاد الجازم بوحدة الوجود.

(٤) هي حلقة الذكر الجماعي عند المتصوفة بقيادة شيخ الطريقة أو من ينوب عنه، حيث يتواجد المشاركون أثناءها لدرجة الغيبوبة. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله،(٩/٩ــ١٠)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

(٥) هي انعزال الصوفي في مكان ما لمدة معلومة قد تقصر أو تطول، مع التزام الصيام،وترديد أذكار معينة. تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق (٤/١٢٩).

قوله: «وهؤلاء[1] أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون مازال الرب هو العبد، وغيره من المخلوقات ليس هو غيره. والثاني من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإن كان الله تعالى قد قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[2]، فيكف بمن يقول: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس ؟!»[3].

ويقول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله متحدثاً عن أولئك الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل لصفات الله تعالى: «... حتى خرجت به عدة فرق من الملة، بعضها باطناً وظاهراً، وبعضها الآخر باطناً، كالباطنية، وغلاة الصوفية الذين ذهبوا في التأويل إلى ما وراء العقل والنقل وأساليب اللغة، فادعوا أنهم يرون الله عياناً في جميع الصور، ويتلقون عنه كالأنبياء، وأن فيهم من هم أفضل من الأنبياء، وأعلم بالله منهم، ومنهم من ادعى رفع التكاليف عمن بلغ مقامهم في المعرفة، بل منهم من غلا في وحدة الوجود إلى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ... إلخ»[4].

ومثل هذا الكلام لا يصلح أن يحسب من آمن به في صف الإسلام، قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: «والعارف هو من عرف الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، لا كما يزعم التجاني أن من أخذ ورده صار ولياً لله، ويزعم أن العارف هو من تربى على يديه، واعتقد وحدة الوجود، وادعى رؤية الله كما في جواهر المعاني[5]، ناقلاً عن ابن عربي الذي

---

(١) يقصد بهم القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٧.

(٣) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١٧٢/٢ــ١٧٣).

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٤٧ــ٤٨).

(٥) انظر: (١٥٣/٢).

حكى الشيخ الفاسي الإجماع على كفره في تاريخ مكة، كما ذكره الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه "هداية الهادية"»[١].

ويقول في موضع آخر: «وقد اتفق أهل العلم على أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه، أو أنكر حكماً قطعياً مما جاء به الرسول ﷺ فإنه كافر الكفر الناقل من الملة، فانظر إلى من قال: "الرب عبد، والعبد رب"، وإلى من قال: "أنا أهوى ومن أهوى أنا"، وإلى القائل: "ما في الجبة إلا الله"»[٢].

قال الشيخ غومي رحمه الله مبيناً خطورة الحديث في مثل هذا الاعتقاد، ناهيك عمن يعتقدها ويؤمن بها، بل ويدعو الناس إليها: «... وإن سماع مثل هذا القول يزلزل الكيان، ومجرد روايته لإظهار شناعته، مما يهز الأعصاب، ويرهقها بالأوصاب، فكيف بمن يؤمن بها، ويدَّعي أنه يتقرب إلى الله باعتقادها، وأنه ينتظر ثواب الله عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٣].

وهكذا، يتبين لنا من خلال ما تقدم، أن القول بوحدة الوجود، أو الحلول أو الاتحاد، كلها أقوال كفرية فاسدة، تصدى لها علماء غربي إفريقية، ببث روح العقيدة الصحيحة والكشف عما يضادها. وقد تبين أنها كذب محض تفوّه به غلاة المتصوفة، والدين الإسلامي بريء من هذه الفلسفات التي تفضي بصاحبها إلى الكفر والإلحاد والشرك بالله، وما جاء الإسلام إلا لمحاربة مثل هذه العقائد الفاسدة، ونشر التوحيد الخالص لله وحده دون سواه.

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ١٢).

(٢) المرجع نفسه (ص ٦٢).

(٣) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق، (ص ٤٦)، و انظر: صراع بين السنة والرافضة، علي محمد الصلابي، (٢١٧/١)، مكتبة الصحابة، ٢٠٠١م.

المطلب الثاني

موقف علماء غربي إفريقية من استدلال الصوفية بالقرآن

من الركائز الهامة التي بنى عليها الصوفية منهجهم في الاستدلال على المسائل العقدية والتعبدية والسلوكية، اتباع طريقة التأويل، أو ما يسمى عندهم بالتفسير الإشاري، ذلك المنهج المعتمد على صرف النصوص الشرعية عن مرادها الشرعي إلى مراد بعيد الاحتمال، اعتماداً على الخواطر والوساوس والرؤى والخيالات، حتى طوّعوا الآيات القرآنية وفق ما تمليه أذواقهم ورغباتهم، زاعمين أن للقرآن ظاهراً وباطناً، والظاهر عندهم للعُوَّام، وهم أهل الشريعة، والباطن للخواص، وهم أهل الحقيقة والعارفين، حتى ظهر ما يسمى عندهم بمصطلح الحقيقة والشريعة، حيث فرقوا بينهما حتى أصبح تكأة للتأويل والتفسير الإشاري عندهم، وذلك للتخلص التدريجي من أحكام الشريعة.

وقد ترتب على أقوالهم ودعاويهم في التفريق بين الحقيقة والشريعة، وزعمهم بتلقي علومهم بدون واسطة، أن فسروا القرآن الكريم تفسيراً إشارياً، عمدوا فيه إلى تأويل الآيات القرآنية عن معناها الحقيقي الذي جاءت به الشريعة، حتى أصبح ذلك منهجاً خاصاً عندهم للاستدلال على صحة عقائدهم وأفكارهم، ومستنداً لها؛ وقد قال النبي ﷺ : «**من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

وقد طفحت كتب الصوفية المتداولة في غربي إفريقية بهذا النوع من التأويل الفاسد للقرآن، من خلال هذا المنهج الذي ارتضوه في الاستدلال.

وفيما يلي يسوق الباحث بعض النماذج من الآيات القرآنية التي شطحوا في تفسيرها، مع بيان جهود علماء غربي إفريقية في تفنيدها، والرد على أصحابها، قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: «فهاك نماذج من تأويلات المتصوفة المبتدعة لكلام الله تعالى على حسب هواهم، لعلك تضحك معي في قولهم: (**وَٱلتِّينِ**): أي أبوبكر، (**وَٱلزَّيْتُونِ**): أي عمر، (**وَطُورِ سِينِينَ**): أي عثمان،﴿ **وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ** ﴾[2]: أي علي بن أبي طالب.

---

(١) سنن الترمذي (٤/٢٦٨)، رقم (٢٩٥٠)؛ وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٢) سورة التين، آيات: ١ــ٣.

ثم قال: وقالوا في قوله تعالى: (كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ) ، أي أبوبكر، (فَـَٔازَرَهُۥ) أي عمر، (فَٱسۡتَغۡلَظَ) أي عثمان،﴿ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[1] أي علي بن أبي طالب.

وقالوا:﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[2]، أي: القلب .

وقالوا:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً ﴾[3]، أي النفس.

وقالت التجانية:﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[4]، أي الفرقة التجانية.

وقالت:﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[5]، أي انياس[6] والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين »[7].

ويمضي الصوفية في غيهم وغلوهم وتعسفهم في تأويل آيات القرآن حسب هواهم، فقد قالت أنصار الفيضة التجانية في معنى قوله تعالى:﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[8]، أي مدينة "الكولخ"، مسقط رأس زعيمهم الشيخ إبراهيم انياس في السنغال بغربي إفريقية [9].

وهكذا يستدل متصوفة غربي إفريقية بالآيات القرآنية، ذلك الاستدلال القائم على التأويل والتفسير الإشاري، الذي ارتضوه منهجاً خاصاً لهم، أضفوا عليه هالة من التقديس والإجلال حتى آل بهم الأمر إلى عقد أبواب كاملة في مصنفاتهم، كما فعل صاحب "لطائف المنن"، بل صنفوا كتباً بكاملها لأجل هذا النوع من التفسير، مثل كتاب: "حقائق التفسير" للسلمي، إلى غير ذلك حتى بلغ الأمر ببعض غلاتهم أن جعلوا كل كلام في الوجود من نفس كلام الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٢) سورة النازعات، آية:١٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٦٧.

(٤) سورة الواقعة، آية: ٢٩.

(٥) سورة يس، آيات: ١ـ٣.

(٦) نسبة إلى زعيمهم في الضلال والتيه، الشيخ إبراهيم انياس شيخ مشايخ التجانية في غربي إفريقية.

(٧) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٨٣ـ٨٤).

(٨) سورة التوبة، آية: ١٠١.

(٩) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٨٣).

وقد استنكر علماء غربي إفريقية ما أقدم عليه الصوفية من تعسف وتخبط في تأويل آيات القرآن الكريم، تأويلاً أخرجها عن مقصودها الشرعي، التي جاءت به الشريعة، وبينوا فساد منهج استدلال الصوفية عن طريق التأويل الفاسد، أو ما أسموه بالتفسير الإشاري.

يقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله: « وعبارات المتصوفة وتأويلاتهم للقرآن الكريم التي تخالف الظاهر من النصوص ليس بتفسير، ولا يعتمد عليها إلا جاهل مغرور ... إلى أن قال: وهكذا تلاعبت هذه الفرقة بالآيات القرآنية القطعية ... عصمنا الله من ذلك»[1].

ويرى الشيخ غومي رحمه الله ضلال المبتدعة في مسألة التأويل، ويشير رحمه الله إلى أن الصوفية ومن في حكمهم من الفرق الضالة، والأحزاب المنحرفة، اتخذت من التأويل الفاسد متكأً لتبرير الأصول التي أصلتها واعتقدها، واخترعوا لأجل ذلك قوانين بشرية، جعلوها الحكم في فهم الدين، والفيصل في معرفة الحق من الباطل، فمتى ظهرت مسألة، رجعوا إلى عقولهم وخواطرهم وأذواقهم، وطلبوا الدين من قبلها، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيارهم، فإن استقام قبلوه، وإلا حرفوه بالتأويلات والإشارات البعيدة، والمعاني المستقبحة، فحادوا عن الحق المبين، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة وآثار السلف تحت أقدامهم، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل[2].

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٩).

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٧).

المطلب الثالث

موقف علماء غربي إفريقية من استدلال الصوفية بالأحاديث الموضوعة

السنة النبوية ـــ كما تقدم ـــ هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى، ومكانتها في الإسلام عالية ورفيعة، فهي الشارحة والموضحة لآيات الأحكام في القرآن الكريم. وقد أدخل على سنة النبي ﷺ أحاديث ضعيفة، وفيها الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على الرسول ﷺ، فهي لا يستدل بها، ولا تقوم بها الحجة.

وللصوفية في غربي إفريقية منهج خاص في الاستدلال بالسنة، ذلك أنهم أخذوا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، منهجاً خاصاً للاستدلال بها على صحة أقوالهم وأفعالهم، وعباداتهم وسلوكهم وأخلاقهم، وبلغ الأمر بهم أن ردوا أو أوَّلوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة، زعماً منهم بأنها لا تتناسب وهواهم، وتوجهات أئمتهم، و بنوا على ذلك قاعدتهم الاستدلالية.

فمثلاً نجدهم يستدلون على جواز بعض العادات والتقاليد المخالفة للشريعة الإسلامية، مثل عادات خلع النعال، أو الانبطاح، أو السجود أمام الأكابر والملوك، إضافة إلى ما ابتدعوه من بدع وممارسات مخالفة للسنة؛ بالحديث المكذوب على رسول الله ﷺ، وغير معروف عند أهل الفن مطلقاً، كقولهم: «**عادة أهل البلد كالسنة**»[1]، وذلك استناداً إلى ما أخذ به بعض الفقهاء في المواضع التي لا نص فيها، وهو نابع من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قوله:«**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**»[2].

ومن الأحاديث الصحيحة التي فهمها بعض المتصوفة في غربي إفريقية على خلاف مرادها في الشرع، أو قاموا بتأويلها وفق هواهم، قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**[3]...»، وعليه فقد أوَّلوا سجودهم وركوعهم وانبطاحهم لغير الله، بأنهم لا يقصدون به التقديس والعبادة، وإنما يقصدون التواضع والاحترام فقط[4].

---

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦٢).

(٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي، المرجع السابق (ص ٨٩).

(٣) تقدم تخريجه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر: الإسلام وتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦١).

قلتُ: إن من فعل ما يسميه الشرع عبادة كان فعله عبادة، لأن العبرة بتسمية الشرع لا بتسميته هو، ولأن العبرة في التسمية الشرعية بالفعل، لا بتسمية العامل، كمن حلف بغير الله فقد أشرك، بتسمية النبي ﷺ ذلك منه شركاً، في قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[1]، وإن لم يسم الحالف فعله ذلك شركاً.

ومنهج استدلالهم في العبادات لا يبتعد كثيراً عن ذلك، فقد وضعوا أحاديث استدلوا بها على جواز صيام النصف من شعبان، وكذلك ما يسمى عندهم بصلاة الرغائب ... إلخ[2].

وهكذا يستدل الصوفية بالأحاديث الضعيفة والموضوعة على صحة أقوالهم وأفعالهم، وإذا استدلوا بالأحاديث الصحيحة فهم يزعمون أنها لا تفيد اليقين، ولذلك يلجئون إلى تأويلها التأويل الذي يخرجها عن مرادها الشرعي.

ولهذا فقد حث علماء غربي إفريقية على التمسك بالسنة الصحيحة قولاً وعملاً، وعملوا على تطهيرها من دنس المفترين عليها، وشددوا على ذلك، ودحضوا المزاعم والأقاويل الكاذبة، وبينوا الأحاديث الصحيحة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وردوها على أصحابها، وبينوا فضل علم الحديث وأهله. ووقفوا في وجه المبتدعة الصوفية الذين دأبوا على وضع الأحاديث التي تتناسب وعقائدهم ومذاهبهم الفاسدة، وفنَّدوا أقوالهم بالحجة الساطعة، النابعة من هدي الكتاب والسنة. كما شددوا إنكارهم على من يتحدث أو يتمسك بتلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة من مشايخ الصوفية وأتباعهم، وقد دحض الشيخ غومي رحمه الله مجموعة من مزاعم الصوفية في جواز صلاة الرغائب، واستدلالهم مما رووه من أحاديث[3]، وبين أن جميع الأحاديث المروية في فضل هذه الصلوات كذب وباطل لا تصح، وفي ذلك يقول: «وأما ما يفعله بعض المسلمين في

---

(١) سنن الترمذي (٤/٩٣)، رقم (١٥٣٥)؛ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٢) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي،(١/٧٤)، مصطفى البابي الحلبي، د.ت، والإسلام وتقاليد الجاهلية، المرجع السابق (ص ١٦١ــ١٦٣).

(٣) كما فعل مع الشيخ آدم عبد الله الألوري الذي ادعى جواز مثل هذه الصلاة، واستدل على ذلك بمجموعة من الأحاديث الضعيفة في كتابه "الإسلام وتقاليد الجاهلية"، المرجع السابق (ص ١٥٣ــ١٥٤).

ديارنا من صلاة مخصوصة في شهر رجب فلم تصح، وكذلك الأحاديث المروية في فضل صلاة أول ليلة من شهر رجب، كلها كذب وباطل لا تصح، وهذه الصلاة بدعة مذمومة عند جمهور العلماء... إلى أن قال: وقد وصف ابن قدامة المقدسي من يقدم على الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة بالزندقة، والمروق من الدين، وحذر من العمل بها، فقال: "أما الأحاديث الموضوعة التي وضعها الزنادقة، وغلاة الصوفية منهم، ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها، فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها سواء، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم[1]"»[2].

ثم قال: « ويقول إسماعيل التيمي رحمه الله في ذلك: "لأن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع ألوفاً من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها، وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يهجن بهذه الدعاوى الكاذبة صحاح آثار رسول الله ﷺ الصادقة، فيخطئ جهَّال الناس بهذه الدعوة، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله ﷺ بحجة أَوْهَى منها، ولا أشد استحالة، فصاحب هذه الدعوة يستحق أن يسف في فيه الرماد، وينفى من بلاد الإسلام ... إلى أن قال: أيجعل حكم من أفنى عمره في طلب آثار النبي ﷺ شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ ... كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه، ثم نراه يرد ما هو أوضح من الصبح من سنن رسول الله ﷺ وأشهر من الشمس، برأي دخيل، واستحسان ذميم، وظن فاسد، ونظر مشوب بالهوى...؟!"»[3].

---

(١) انظر: ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، (ص ٤٧ـ٤٨)، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٨م.

(٢) الإسلام والتقاليد الجاهلية، المرجع السابق، (ص ٥٦ـ٥٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي،(٢/٢٤٩ـ٢٥٠)، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ.

المطلب الرابع

موقف علماء غربي إفريقية من غلو الصوفية في الرسول ﷺ والأولياء

فقد ورد في النصوص الثابتة، أن مبدأ الشرك كان في قوم نوح عليه السلام، بسبب غلوهم في ودٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسراً، حتى عبدوا صورهم وتماثيلهم، وهذه الأصنام هي التي انتقلت إلى مشركي العرب من هذه الأمة. ومن الأصنام المشهورة عند العرب في الجاهلية "اللات"، وقد قيل إنه رجل كان يلتُّ[1] السويق[2] للحجاج، فلما مات، عكفوا على قبره فعبدوه، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه[3].

وقد حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه، حين قال: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[4]، والتمثيل هنا بحال النصارى، فيه إشارة إلى أن الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الشرك، فإن النصارى غلوا في عيسى بن مريم حتى جعلوه هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فوقعوا بذلك في الشرك والكفر، كما قال تعالى:﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ** ﴾[5]، وقوله:﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ** ﴾[6].

وكذلك غلَّت الصوفية في رسول الله ﷺ، حتى أضفوا عليه من صفات الربوبية والألوهية، ووصفوه بما لا يستحقه إلا الله، فنسبوا إليه علم الغيب، والتصرف في الكون، والنفع والضر.. إلخ، ولجئوا إليه في قضاء الحوائج، وكشف الكربات، ودخول الجنان، والنجاة من النار، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل تعدَّوه وغلوا في حُبِّ غيره من الأولياء، أو ممن يظنون فيهم الصلاح والتقوى وكثرة العبادة، فصاروا يعبدونهم من دون الله، ويستغيثون بهم، ويدعونهم رغباً ورهباً، وينسبون إليهم الغيب، والتصرف، والنفع والضر، وضمان دخول الجنة، يقول بعض جهالهم: «إن مشايخنا يضمنون لنا دخول الجنة، وهم شفعاؤنا عند الله،وهم يعلمون الغيب، وما في الأرحام،

---

(١) ولته يلته أي دقه وبله بالماء، وخلطه بسمن أو غيره، انظر: المعجم الوسيط، المرجع السابق (ص ٨١٤).

(٢) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة و الشعير. انظر: المعجم الوسيط، المرجع نفسه (ص ٤٦٥).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٨٤٩/٤).

(٤) صحيح البخاري (١٢٧١/٣)، رقم (٦٤٤٢).

(٥) سورة المائدة، آية: ١٧.

(٦) سورة المائدة، آية: ٧٣.

حتى إنهم يحضرون عند تصوير الجنين في بطن أمه، فيكون كما أرادوه ذكراً أو أنثى، أما الغيث والمطر فهو أسهل شيء عندهم وفي أيديهم ... فانظر يا أخي ـــ رحمك الله ـــ ماذا بقي لله الواحد القهار ؟!»[1].

قال الشيخ فوزان الفوزان: «... ومن الناس من يزعم أنه يحب أولياء الله، لكنه يفسر ذلك بأن يتخذهم أرباباً من دون الله، بمعنى: أنه يتقرب إلى قبورهم وأضرحتهم، بالذبائح والنذور والطواف بها، والتمسح بها، ويقول: "أنا أحب أولياء الله! هذا من محبة أولياء الله!".

ونقول له: كذبتَ، هذه عين معاداة أولياء الله، وبغض أولياء الله، لأن أولياء الله لا يرضون بذلك، ومن رضي بذلك أو دعا الناس إليه، فهو من أعداءَ الله، وليس من أولياء الله؟!.

أما أولياء الله فإنهم يبرؤون من ذلك، كما قال تعالى:﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[2]، وقوله:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[3]»[4].

ولو استطرد الباحث في ذكر أخبار غلاة الصوفية في غـربي إفريقيـة، وتجـاوزاتهم في مشايخهم، لأتت ذلك على سطور هذه الدراسة وصفحاتها، ولكن حسبنا منها الإشارة.

وقد وقف علماء غربي إفريقية من هذه العقائد الشركية الضالة، موقف المنكر المتشدد، وبينوا بالحجج والبراهين الساطعة معنى الولاية، ومن هو الولي الحق عند الله؟، وماذا يجب على المسلم نحوه؟، ثم ردوا على أباطيل الصوفية وخزعبلاتهم في هذه المسألة.

يقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله ملخصاً معنى الولاية: «الولاية في اللغة لها معان عدة، غير أن المذكور في قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[5]، ليس لها معنى إلا الإيمان والتقوى، كما بين الله تعالى، فتصحيح العقيدة، والتصديق برسول الله ﷺ، والاستقامة على الشريعة ظاهراً وباطناً هو الولاية،

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٩٨).

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٦.

(٣) سورة سبأ، آيات: ٤٠ـــ٤١.

(٤) محاضرات في العقيدة والدعوة، المرجع السابق (١/ ٢٦٣).

(٥) سورة يونس، آية: ٦٣.

وقد ورد عن الإمام الشافعي ﷺ، أنه قال: "العلماء العاملون هم أولياء الله، فإن لم يكن العلماء العاملون أولياء الله، فليس لله ولي".

أما الولاية بين العباد، فمعناها: التناصر والتعاون بما يملكون من أسباب النصر والإعانة حسبما جرى به العادة، وذلك ممدوح في الحق والخير، مذموم في الباطل والشر، ممكن في الدنيا بين الأبرار والفجار ...»[١].

وقال في موضع آخر: «إن أولياء الله الذين شرفهم الله تعالى بإضافته إليه، هم من جمع إلى صحة العقيدة، والقيام بالفرائض، والوقوف عند الحدود، والتزوُّد بالنوافل، وهذا معنى وصفهم في نفس الآية[٢]، بالإيمان والتقوى، ووصفهم في غيرها بالإيمان مع الإسلام، أو مع الاستقامة، أو مع العمل الصالح، أو ما في معنى ذلك ... إلى قوله: إن الولاية تقوم على ثلاث قواعد، هي: الإيمان الصحيح، والعمل الخالص لله، وموافقة سنة النبي ﷺ؛ فمن ظهرت عليه هذه الأوصاف الثلاثة، وتحققت فيه، فهو الولي الشرعي ...»[٣].

ويقول الشيخ غومي رحمه الله في تعريفه للولاية الحقيقية: «فالحاصل أن من نطق بكلمة الشهادة، ولم يبد منه شيء مما يناقضها فهو مسلم، يعامل معاملة المسلمين فيما بينهم من الولايات، ومن آمن بكل ما جاء به الرسول ﷺ في قلبه، فهو مؤمن إذ لا سبيل لنا إلى معرفة ذلك فهو سر فيما بين العبد وربه،ويتفاوت في أهله بقدر تصديقهم وعملهم، ومن غلب تصديقه شهوته وغضبه حتى صارت تحركاته كلها لله، يخاف الله ويرجوه، فهو الولي الذي قال الله تعالى في حقه:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤]»[٥].

وقال في موضع آخر: «إن أولياء الله هم الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وهم الذين تتنزل عليهم الملائكة بالبشرى،ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ذلك لأنهم عملوا في هذه الدار ما هو الواجب المفروض، ولم يقصروا في عمل الصالحات، فلا حزن يوم توفى كل نفس ما عملت

---

(١) رسالة الداعي إلى السنة، الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ١١).

(٢) لعله يريد قوله تعالى: (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ...) يونس (آيات: ٦٢ـــ٦٣).

(٣) رسالة الداعي إلى السنة، الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ١١ـــ١٢).

(٤) سورة يونس، آية: ٦٢.

(٥) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٦٦).

ولا خوف، وهؤلاء قد لقوا من الجزاء ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،ولم يظلمهم ربهم،وما ربك بظلام للعبيد، فكيف يخافون؟ وعلامَّ يحزنون؟! وهم الذين آمنوا بالله إيماناً صحيحاً وكانوا يتقون،وقد قالوا: ربنا الله عن علم، واعتقاد صادق،واستقاموا كما أمروا،وتولوه وحده، ولم يتولوا غيره من الطواغيت، فهؤلاء هم عباد الله الصالحون،وأولياؤه المتقون »[1].

ويقول ثالثاً مبيناً حقيقة الولي عند المؤمنين: «فالولي عندهم هو من آمن بالله وحده، واتبع أوامره، واجتنب نواهيه، وأخلص له في جميع أعماله، وراقبه في سره وعلانيته، وقد أعد الله له في الدنيا رفعة وكرامة،وفي الآخرة درجة عالية ومنزلة سامية؛ وهو مصداق قوله تعالى:﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[2]، وهذه الولاية التي اختص الله بها نفسه، هي النصرة المطلقة، والرعاية التامة، والمعونة والحفظ، جعلها الله لقوم مخصوصين من عباده المؤمنين، سماهم أولياء، ونسبهم إلى نفسه»[3].

ويقول الشيخ عبد الصمد رحمه الله، منتقداً الشيخ أحمد التجاني في اعتقاده الفاسد في الأولياء، وكما ورد في جواهر المعاني[4]: « ونسأله ما مراده بالأولياء؟ إن كان يريد أولياء الشيطان، فلا كلام لنا في ذلك، وأما إن كان يريد أولياء الرحمن، فنقول: أنَّى لهم ذلك، فأكابر أولياء الله هم أنبياء ورسل الله، فكل مؤمن تقي من آدم إلى النفخ في الصور، وحقيقة تقوى المرء، لا يعلمه إلا الله، قال تعالى:﴿ **فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ** ﴾[5]، وقال:﴿ **وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾[6]، ولا يعلم أحد عدد أولياء الله إلا الله، وعلم ما يكون بكل أحد بعينه في الآخرة توقيفي، فلا يجوز الإخبار به إلا ما ورد خبره عن الشارع، قال تعالى:﴿ **وَمَن**

(١) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٦٦).

(٢) سورة يونس، آية: ٦٢.

(٣) رسالة الداعي إلى السنة، الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٣٥).

(٤) انظر: (١٥/٢).

(٥) سورة النجم،آية: ٣٢.

(٦) سورة الجاثية، آية: ١٩.

يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[1]، وقال:﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا** ﴾[2]؛ فالإيمان والعمل الصالح، إذا كانا مقبولين عند الله فهما، وإلا فلا. فمن أين علمت يا شيخ أحمد التجاني أن أعمالكم مقبولة، حتى يكون لك ولأتباعك هذا المقام المزعوم الذي لا يدانيه أحد غير من تبعك، ولم يقم عليها دليل لا من الكتاب، ولا من السنة ؟!»[3].

ويقول الشيخ غومي رحمه الله في السياق نفسه: «ومن البدع المذمومة التي تؤدي إلى الكفر: تزكية النفس، وتعيين أشخاص على مراتب دينية، بقولهم: القطب، أو الغوث، يقصدون به الشخص المعين عندهم، وينسبون إليه التصرفات الكونية، ويحذرون عن مخالفته، ولو خالف هو الشريعة الغراء المطهرة، ويقولون: إنه يعرف علم الباطن، ويعمل به، ويسلب إيمان من شاء، ويثبت إيمان من أحب، ويعلم الغيب، فهذه الدعاوى كلها باطلة وكاذبة من عمل الدجالين في الدين الإسلامي، ودخيلة فيه، وصلت إليه من رهبان النصارى، وأحبار اليهود. فمن اعتقد أن شخصاً من الناس يستطيع أن يثبت إيمان شخص أو يسلبه أو يعلم غيباً، أو يتصرف في الكون، فهو كافر بالكتاب والسنة وإجماع الأمة المحمدية، قال تعالى:﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ** ﴾[5]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"لن ينجي أحد منكم عمله"**، قال رجل: ولا إياك يا رسول الله؟ قال: **"ولا إياي إلا أن يتغمدني الله برحمة، ولكن سددوا[6]"**.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٣–٢٤).

(٤) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.

(٦) صحيح البخاري (٢٣٧٣/٥)، رقم (٦١٠٢)؛ وصحيح مسلم (١٥٧/١٧)، رقم (٧٠٤٨).

المطلب الخامس

موقف علماء غربي إفريقية من عقيدة الصوفية في الدُّعاء

إن من أخطر الانحرافات العقدية التي وقع فيها المجتمع الإسلامي في غربي إفريقية نتيجة لافتراءات علماء السوء من الطرقية وغيرهم، الدعاء والاستعانة والاستغاثة بغير الله تعالى من الأحياء والأموات، وطلبهم منهم ما لا يقدر عليه أحد إلا الله، من قضاء الحاجات،وتفريج الكربات. فهذا الشيخ عبد الصمد رحمه الله يقول محذراً عن اتباع أنصار الفيضة التجانية في غانا، وتجاوزاتهم في شيوخهم بالدعاء والاستغاثة بهم، ما نصه: «... ومنها أنها ـــ أي هذه الفرقة ـــ تعلق صورة شيخهم على صدورهم رجالهم ونساؤهم في ذلك سواء؛ ترى المرأة المسلمة المتزوجة متبرجة معلقة صورة شيخهم بين ثدييها، راقصة بين الرجال الأجانب، رافعة صوتها تنادي: "تعالوا نشرب الفيضة، تعالوا نشرب الفيضة"، وأشنع من هذا كله وأفظع، أنهم يعلقون صورة شيخهم في زواياهم، وقبلة مساجدهم ... حتى إنك لا تجد من ينتسب للتجانية ـــ أنصار الفيضة ـــ في مدينة كوماسي[1] أياً كان إلا وفي بيته أو مصلاه صورة شيخهم: إبراهيم انياس السنغالي، زاعماً أنهم يستمدون منه الأرزاق، والنفع والضر، سواء في هذا عالمهم وجاهلهم، ذكورهم وإناثهم»[2].

ومن شبهات الطرقيين في غربي إفريقية في هذا الباب، أنهم ينكرون تسمية الدعاء والاستغاثة عبادة مطلقاً، وهذا من جهلهم بمدلولات الألفاظ، وإطلاقات الكتاب والسنة.

قال الشيخ غومي رحمه الله رداً على هذه الشبهة: «إن تسمية الدعاء عبادة ثابتة لغة وشرعاً بأكثر من دليل، منها حديث أنس ﷺ عند الترمذي مرفوعاً : "**الدعاء مخ العبادة**[3]"، وهذه لأن العبادة هي الخضوع والتذلل لمن بيده الخلق، والتصرف، والعطاء، والمنع، والنفع والضر ...»[4].

---

(١) عاصمة جمهورية غانا الحالية.

(٢) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٤٣ـــ٤٤).

(٣) سنن الترمذي(٥/٤٢٥)،رقم(٣٣٧١)؛وقال الترمذي:هذا حديث غريب من هذا الوجه،لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٦٧).

ويقول في تفسيره للآية الكريمة:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[1]: «ولا يزال الذكر الحكيم يسمي العبادة دعاء، ويعبر به عنها، ذلك لأنه عبادة، فعبر عن هذا النوع ببعض أفراده، وإنما اختير هذا الفرد ليعبر به عن النوع، لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها، فإن العابد يظهر ذلك أمام عزِّ المعبود، وفقره أمام غناه، وعجزه أمام قدرته، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه،ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه، فالدعاء هو المظهر الدال على ذلك كله، ولهذا كان مخ العبادة.

كما ورد التنبيه على هذا في السنة المطهرة، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«**الدعاء هو العبادة**»[2]، ثم قرأ:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[3].

ثم قال في تفسير قوله تعالى:﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ ﴾[4] أي عبادتكم[5]. .فإنكار الصوفية لهذا المعنى لا يغير من الحقائق الشرعية شيئاً.

ويترتب على ما تقدم، أن من توجه بدعائه لغير الله فقد عبده، واتخذه إلهاً، وكان من جملة المشركين.

قال الشيخ عبد الصمد رحمه الله: «أما اتخاذهم إياه آلهة، فلأنهم يصرفون له خالص عبادتهم، فإذا مسهم الضر في البر أو البحر، لا يدعون لكشف ضرهم إلا شيخهم،ولا يتوكلون في تفريج الكربات إلا عليه، ويحبونهم أكثر من حبهم لله تعالى»[6].

ويقول الشيخ غومي رحمه الله: « وقد ثبت في الشرع أن الدعاء عبادة، وعليه فمن دعا شيئاً من دون الله فقد عبده، ولو كان هو لا يسمى دعاءه عبادة، لأن العبرة بتسمية الشرع واعتباره، لا بتسمية المكلف واعتباره ... ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فالداعي عابد، والمدعو معبود، والمعبود إله، فمن دعا شيئاً، فقد اتخذه إلهاً، لأنه فعل له ما لا يفعل إلا للإله، فهو وإن لم يسمه إلهاً بقوله، فقد سماه بفعله.

---

(١) سورة الفرقان،آية: ٦٨.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة الفرقان، آية:٧٧.

(٥) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٣٨).

(٦) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ١١).

ألا ترى إلى أهل الكتاب، لما اتبعوا أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم، وهما لا يكونان إلا من الرب الحق، قال الله فيهم:﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾[1]، وإن كانوا لا يسموهم أرباباً، فحكم عليهم بفعلهم،ولم يعتبر منهم عدم التسمية لهم أرباباً بألسنتهم[2]، فكذلك يقال: فيمن دعا شيئاً من دون الله، أنه اتخذه إلهاً نظراً لفعله وهو دعاؤه، ولا عبرة لعدم تسميته له إلهاً بلسانه...»[3].

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رده على سؤال ورد إليه من اليمن، وقد جاء فيه: «... فمن أنواع العبادة: الدعاء،وهو الطلب بياء النداء، لأنه ينادى به القريب والبعيد، وقد يستعمل ــ أيضاً ــ في الاستغاثة، أو بأحد أخواتها من حروف النداء... فأمر الله تعالى عباده أن يدعوه، ولا يدعو غيره، فقال:﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[4]، وقال في النهي:﴿ **وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا** ﴾[5]، و"أحداً" تصدق على كل من دُعي به غير الله، فإذا تقرر ذلك فنحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ، كما قال تعالى:﴿ **وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ** ﴾[6]، وقال:﴿ **فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ**

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣١.

(٢) وقد أورد الترمذي في سننه عن عدي بن حاتم ﷺ، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال ﷺ: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة البراءة (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ...) الآية، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»، سنن الترمذي (٥/٢٥٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين، ليس بمعروف في الحديث. وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢٩٣).

(٣) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ١٤ــ١٥).

(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٥) سورة الجن، آية: ١٨.

(٦) سورة الأحقاف، آيات: ٥ــ٦.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2][3].

وهكذا فمن تأمل آيات الذكر الحكيم، لم يشك أبداً أن الذي وقع فيه أكثر المسلمين في غربي إفريقية هو الذي نعاه القرآن الكريم على مشركي العرب، الذين بعث فيهم النبي ﷺ محذراً عليهم هذا الشرك الأكبر.

ولهذا قال الشيخ غومي رحمه الله واصفاً حال المجتمع الإسلامي في غربي إفريقية، ومبيناً واجب الدعاة والمصلحين تجاههم: «... فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين النيجيريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال، فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الأرزاق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، ونحو ذلك مما يسألون، ويذهبون إلى الأضرحة في السنغال ومالي وغانا وغيرها، فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرونهم، تراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه وهدوء، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم، فأعمالهم هذه من دعائهم، وتوجههم، واستغاثتهم، وتضرعهم كلها عبادة لأولئك المقبورين، وإن لم يعتقدوها عبادة، إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم ... إلى أن قال: فيا حسرتنا على أنفسنا، كيف لبسنا دين الله لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال المبين ... فليحذر المسلمون من أن يتوجهوا بشيء من دعائهم لغير الله، وليحذِّروا غيرهم منه، ولينشروا هذه الحقائق بين إخوانهم المسلمين بما استطاعوا، عسى أن ينتبه الغافل، ويتعلم الجاهل، ويقلع الضالون المضلون عن ضلالتهم ولو بالتدريج، وبذلك نكون قد أدينا أمانة العلم، وقمنا بفريضة النصح للأمة، وخدمنا الإسلام والمسلمين»[4].

هذا ما استطعنا جمعه من ردود علماء غربي إفريقية على مظاهر الانحراف العقدي الناشئ عن المبتدعة بعامة، وعن الصوفية على وجه الخصوص؛ وهي مواقف متوافقة مع ما عليه أئمة أهل السنة والجماعة.

وفيما يلي يتناول الحديث عن أهم الوسائل والأساليب الممكنة، التي استخدمها هؤلاء العلماء في تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع والانحرافات بشتى أنواعها في المنطقة، وذلك في الفصل التالي.

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٣.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٦.

(٣) جريدة الشهاب الجزائرية، مجلد (٤/٢٨٢ـ٢٨٣)، ١٤١٤هـ.

(٤) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٤٩).

الفصل الثاني
وسائل علماء غربي إفريقية وأساليبهم في تقرير مسائل العقيدة

المبحث الأول: وسائل علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني: أساليب علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الأول

وسائل علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة

مفهوم الوسيلة لغة واصطلاحاً:

الوسيلة لغة: من (وسل) فلان إلى الله بالعمل الصالح (يسل) وسلاً أي رغب وتقرب[١]. والوسيلة: القربة. والواسل: الراغب إلى الله. وتوسل إليه بكذا أي تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه[٢]. والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: وسائل. قال تعالى:﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾[٣]، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[٤].

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: «الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود» [٥].

وفي النهاية: الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به؛ وجمعها: وسائل [٦].

والوسيلة في الأصل: هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به [٧]... وهكذا.

معنى الوسيلة في الاصطلاح:

من هذا المعنى اللغوي لكلمة (الوسيلة)، فإنه يمكن استخلاص التعريف الاصطلاحي الآتي لوسائل الدعوة، بأنها: هي ما يستعين به الداعية على تبليغ رسالة الإسلام، من أمور مادية أو معنوية [٨]. وأهم الوسائل التي استخدمها علماء غربي إفريقية في الدعوة لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة، تتلخص في المطالب التالية.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، المرجع السابق (١٠٢٣/٢).

(٢) انظر: لسان العرب، المرجع السابق (٩٢٧/٢).

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٥٣/٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٥٣/٢).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المعروف بابن الأثير،(١٨٥/٥)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

(٧) انظر: التعريفات للجرجاني، المرجع السابق (ص ٢٥٢).

(٨) انظر: الأديان والفرق المعاصرة المنتسبة إلى الإسلام في ساحل العاج، عبد الله بامبا،(ص ٢٧٠)، رسالة الماجستير غير منشورة، ١٤٢٤هـ.

المطلب الأول

نشر العلوم الشرعية

لقد بدأ التعليم العربي الإسلامي في غربي إفريقية مع بداية انتشار الإسلام فيها، وذلك منذ القرن الرابع عشر الميلادي معاصراً لامتداد الممالك الإسلامية التي قامت في المنطقة، وقد وجده العلماء والدعاة فرصة سانحة فيما بعد، تمكنوا من خلالها من نشر العلوم والمبادئ الإسلامية النبيلة، إذ كان الرجل لا يكاد يعتنق الإسلام حتى يسارع إلى تعلم شيء من آي كتاب الله الكريم ما يؤدي به الفرائض الخمسة، كما يأتي في كل هيئة من هيئات الصلاة من آذان وإقامة وتكبير وتهليل وتسميع وتشهد وأدعية مرافقة لشعائر الصلاة ونحوها، بألفاظ عربية فصيحة لا تصلح بسواها. مما جعل بعضهم يتطلعون إلى تعلم اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، ليتم لهم فهم معاني القرآن والسنة، اللذين هما عماد الدين الإسلامي، ومصدره الفياض.

وعندما استقر الإسلام وانتشر في ربوع المنطقة، لم يغفل العلماء والدعاة هذه الوسيلة الفعَّالة في تقرير العقيدة، وتقويم السلوك، وعلاج الاعوجاج الناتج عن بعض الانحرافات العقدية والبدع التي طغت على حياة الناس، وشوَّهت ممارساتهم التعبدية والأخلاقية والسلوكية ونحوها، سواء عبر دروسهم اليومية مع الطلاب في بيوتهم ومدارسهم، أو عبر الخطب الأسبوعية على المنابر، أو المحاضرات العامة التي كانوا يلقونها في المناسبات الدينية وغيرها. ومما يدل على أهمية نشر العلم الشرعي للمدعوين، أن أول ما نزل من القرآن الكريم، كان آمرًا بالقراءة والتعلم، وذلك في قوله تعالى:﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾(1) فشجع ذلك على التعليم وجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين. وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب الزيادة منه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾(2)، وكان من دعائه ﷺ أيضاً: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً ...** »(3).

---

(١) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

(٣) سنن الترمذي (٥/٥٧٨)، رقم (٣٥٩٩)؛ و قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في الصحيح: "صحيح دون قوله: (والحمد لله ...)". انظر: (٣/١٨٦):

وكان أبرز من استخدم هذه الوسيلة من علماء غربي إفريقية الأماجد على نطاق واسع، هم: الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ آدم عبد الله الألوري، والشيخ أبوبكر غومي، والشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار وغيرهم ممن أفنوا أعمارهم في التعليم والتثقيف والدعوة، فكانت لهم دروس في التفسير والفقه واللغة والبلاغة والشعر على مدار العام، وكانت مجالسهم العلمية تعج بأفواج من طلبة العلم الوافدين من جميع أنحاء إفريقية، لينهلوا من علومهم، ونبل أخلاقهم العالية، ثم يعودون إلى أقوامهم معلمين ومبشرين ومنذرين. وقد بقيت مآثر هؤلاء العلماء الطيبة، حيث حمل تلاميذهم ـ من بعدهم ـ عبء الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، بعد أن تسلحوا بسلاح العلم الشرعي الصحيح.

المطلب الثاني

التأليف والترجمة

أولاً: التأليف ودوره في تقرير مسائل العقيدة:

إن كثرة المؤلفين أو قلتهم، من أهم معايير النضوج الفكري والثقافي والمعرفي لدى المجتمعات الإنسانية، وإذا تأملنا هذا الواقع في علماء غربي إفريقية قديماً، نجد أن التأليف لم يكن من أولويات مهامهم، إذ كانت جلّ علومهم ومعارفهم مدفونة في أذهانهم[1]، وبالتالي كانت أكثر هذه العلوم والمعارف القيمة تختفي نهائياً فور موت هذا العالم أو ذاك[2]؛ مما أدى إلى قلة الإنتاج العلمي والثقافي والمعرفي في هذه المجتمعات، وفقدان كثير من مآثر هؤلاء العلماء الأبرار، وجهودهم في نشر العقيدة الإسلامية وتقريرها.

ولكن الوضع لم يستمر على ذلك طويلاً، إذ قام مَن جاءوا بعدهم ـــ من أبنائهم وتلاميذهم ـــ بحمل مسؤولياتهم في الدعوة إلى الله، وانتهجوا منهج السلف رحمهم الله بالجهاد بالقلم واللسان للوقوف سداً منيعاً، وسهماً مسموماً في نحور أولئك المفسدين من الكفرة، وأرباب الطرق الضالة من الصوفية وغيرهم. فكان منهج تأليف الكتب، وترجمة ما يحتاج إليها الناس في فهم حقيقة الدين، من أعظم وسائلهم في هذه المرحلة[3]، لبيان العقيدة الصحيحة، والرد على أهل الأهواء، بهدف بيان ضلالاتهم وخرافاتهم للناس، وتحذيراً من الوقوع في شراكها وحبائلها.

---

(١) وقد قيل قديماً: إن هذا التأليف إنما جاء عفوياً، إذ كانت الأفارقة يعتمدون على الذاكرة والتطبيق، فكانوا أصحاب حفظ ورواية تنقل شفهياً، أكثر من اعتمادهم على الكتابة والتأليف. مما أدى في النهاية إلى إخفاء كثير من العلوم والمعارف الإنسانية القيمة. انظر: حركة النقل والترجمة حتى العصر العباسي، كمال عمران وآخرين، (ص ١٤٥)، المؤسسة الوطنية للترجمة والدراسات، تونس، ١٩٨٩م.

(٢) قال في ذلك أحد حكماء غرب إفريقية، وهو بروفسور أحمد أمباتبا: «عندما يموت كبير سن في إفريقية، فكأنما مكتبة علمية عامرة ـــ بكل محتوياتها ـــ قد احترقت إلى الأبد». انظر: نص حديثه في موقع منتدى باجه للتربية والثقافة: www.montadabaja.com

(٣) وذلك عندما توسعت رقعة الدولة الإسلامية، وازداد عدد الجامعات و المعاهد، وأصبحت اللغة العربية لغة الدولة بما في ذلك تغليبها واستخدامها، بل التوكيد عليها في الدواوين وفي المكاتبات وفي شؤون الحياة كلها.

فمن ناحية تأليف الكتب: لم يألُ هؤلاء العلماء جهداً في الرد على المبتدعة، وعلى رأسهم المتصوفة ومن شايعهم، وعلى دعاويهم الباطلة. فكانت الردود الواردة في مؤلفاتهم ورسائلهم وفتاواهم نابعة من تعاليم هذا الدين العظيم، الذي لا مجال فيه للبدع والأهواء، ومتسمة بالاعتدال والتوازن والوسطية، وكان مستندهم في ذلك كله الكتاب والسنة، وأقوال السلف رحمهم الله، فأصبح تطبيقهم لهذا المنهج أثره الواضح في مجتمعات مسلمي غربي إفريقية على امتداد مساحتها. فقد عُرف أهل السنة والجماعة، وارتفع شأنهم ونشاطهم الدعوي، في حين قمع شأن أهل الزيغ والأهواء، وسُفه أحلامهم.

ويحسن للباحث أن يقدم نماذج لبعض هذه المؤلفات التي كان لها صدى طيباً في الأوساط الدعوية في غربي إفريقية ولا تزال، وقد أثرت تأثيراً مباشراً في تحويل كثير من مسلمي المنطقة، من مسار البدع والزلل، إلى مسار التزام العقيدة الصحيحة اعتقاداً وعملاً، وهي كالتالي:

١ ـــ كتاب "**بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية**"، تأليف: الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله.

يقع هذا الكتاب في تسع وثلاثين صفحة، وهو في الأصل مخطوط، وقد قام بطبعه على هيئته الحالية، الشيخ إسحاق ماي لتافي، من ولاية "سوكوتو" بشمال نيجيريا.

تناول هذا الكتاب ـــ كما يظهر من عنوانه ـــ أهم البدع القولية والفعلية التي أحدثها الناس في دين الإسلام في نيجيريا وما حولها، ويحاول الرد عليها، وبيان حكم الإسلام فيها: إما تحريماً، أو كراهة، ويمكن إجمال أهم ما ورد في هذا الكتاب من البدع في النقاط التالية:

أ ـــ البدع المتعلقة بالعادات والتقاليد:

ذكر الشيخ عثمان رحمه الله مجموعة من البدع المتعلقة بعادات الناس وتقاليدهم، مثل: ما تفعله بعض النفساء بعد الولادة، حيث تبقى أربعين يوماً بلا طهارة ولا غسل ولا صلاة حتى وإن انقطع عنها الدم، فقال: هي بدعة محرمة إجماعاً. كما عرض لهذه العادة البدعية معللاً حرمتها ومبيناً تفصيل ما يصح في هذه الحالة.

كما أشار إلى بدعية ما يفعله بعض المسلمين أثناء غسل الجنابة، أو الوضوء من كثرة صبِّ الماء على العضو المغسول فوق المطلوب تجاوزاً، فقال: هي بدعة محرمة إجماعاً، وكذا غسل أعضاء الوضوء بزيادة على الحدِّ الشرعي، بدعة مكروهة، وبين أن التيمم من غير ضرورة شرعية مع وجود الماء، محرم إجماعاً كذلك.

ب ــ البدع المتعلقة بالصلاة:

يشير الشيخ عثمان رحمه الله إلى أن الحرمة تكمن في خروجها عن وقتها المعلوم والمحدد شرعاً بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾(١)، وكذا الصلاة قبل دخول الوقت، فهي بالقطع محرمة إجماعاً وبدعة، لأنها تُعدُّ تشريعاً جديداً فوق تشريع الله، إذ التشريع والتوقيت من الله، فمن بدل ذلك بتوقيت يراه حسناً فقد شرع وابتدع.

ومن البدع كذلك في باب الصلاة: الصلاة في أول خميس من شهر رجب، وصلاة وداع رمضان، وصلاة يوم عاشوراء، وصلاة الوالدين، وصلاة الأسبوع، وغيرها مما هو سائد في تلك المجتمعات الإسلامية في السودان الغربي ... إلى أن قال: ومن البدع المكروهَة أيضاً: وضع الرجل المسبحة في عنقه كما تفعل النساء، بحيث يتخذها شعاراً لاكتساب سمعة، قال: فهي بدعة وضلالة لا أساس لها من الدين.

جـــ ــ أما البدع المتعلقة بالمساجد:

فقد انتقد الشيخ عثمان رحمه الله ما يفعله بعض المسلمين في غربي إفريقية من إقامة البيع والشراء في المساجد، فبين بأن هذا بدعة محرمة، ذلك لأن المساجد لم تبن لهذا الغرض، وكذلك الخصام في المساجد بدعة، والسؤال فيها بدعة محرمة، وكذلك الأكل الكثير فيها بدعة مكروهة، وحلق الشعر فيها بدعة محرمة، والخياطة فيها بدعة مكروهة ... إلى أن قال: إن المساجد إنما بنيت لإقامة الصلاة، والذكر، وتلاوة القرآن، ولم تبن لشيء مما ذكر أعلاه، فعُدَ ذلك من البدع في الدين. وما يقع فيها بين الناس من عصبيات في الدين، فقال: هي بدعة محرمة إجماعاً، لكونه يوقع الناس في شبهات الجدال، وأن مرد ذلك إلى إفساد العقائد، والأخلاق. ثم أشار رحمه الله إلى تلك البدع التي تقع في صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وبدعة في الجنائز، والمقابر، والزكاة، والصوم، والبيوع، والميراث ... إلخ(٢).

وهكذا نجد الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله قد وضع اليد على الجرح الذي تعاني منه تلك المجتمعات المسلمة في غربي إفريقية، حيث انتقد بشدة تلك الممارسات الخاطئة التي يقوم بها بعض المسلمين إما عن حسن نية، أو جهل، أو عن اعتقاد خاطئ ورثه عن أسلافه، وهي مما تخالف أصول العقيدة الصحيحة. وقد عالج هذا الكتاب تلك الأخطاء، وهذه الانحرافات العقدية وغيرها حتى لا يكون للمنحرفين عنها حجة بعد علم.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٢) انظر: بيان البدع الشيطانية، الشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ٦ ــ ١١).

٢ ــ كتاب "**رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة**"، تأليف: الشيخ عبد الصمد ابن حبيب الله المختار رحمه الله، بعد توبته ورجوعه من الطريقة التجانية المبتدعة، إلى مذهب أهل السنة والجماعة، إثر تأثره الكبيرً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وكذا مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من السلف رحمهم الله جميعاً.

يقع هذا الكتاب في ثمانية وثمانين صفحة، وهو مطبوع منذ سنة (١٩٧٨م)، وهو من منشورات دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي كشف كثيراً من الأسرار المتعلقة بممارسات الصوفية التجانية المبتدعة في غربي إفريقية، كما يُعد من الوسائل المفيدة التي أتاحت الفرصة لدعاة أهل السنة والجماعة للتعامل مع أصحاب الفكر الضال من المتصوفة الباطنية وغيرهم.

بدأ الشيخ عبد الصمد رحمه الله حديثه في هذا الكتاب، بشرح مفصل عن مبادئ العقيدة الإسلامية، فبين أنواع التوحيد الثلاثة، وتحدث عن العبودية وحقيقتها، وأنها هي أشرف المقامات التي اتصف بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، ثم تكلم عن معنى العبادة، وأنها لا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة لوجه الله، وموافقة للكتاب والسنة الصحيحة، ثم بين معنى النبوة، ومعنى الشهادتين والمراد بتحقيقهما، وأوضح كذلك معنى الولاية الحقة على ضوء الكتاب والسنة.

ثم شرع بالرد اللاذع على تلكم الممارسات الصوفية التجانية المبتدعة التي تاب منها بعد أن خدمها حوالي ثلاثين سنة، كما ردّ على مزاعم الشيخ أحمد التجاني في تلقيه الورد عن النبي ﷺ يقظة لا مناماً، مستدلاً في ذلك كله على الكتاب والسنة، وأقوال السلف رحمهم الله.

كما انتقد الشيخ عبد الصمد رحمه الله زعم التجاني بأن المرة الواحدة من "**صلاة الفاتح لما أغلق**" تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن الكريم، مستدلاً بقوله تعـالى:﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[١]، ثم أردف بعد ذلك ببيان زيف هذا الزعم، مورداً ما أثر في ذلك عن النبي ﷺ من الصلاة المتفق على صحة نصها ونسبتها، والتي علّم النبي ﷺ أصحابه بالصلاة عليه بها، وأمرنا كذلك بالصلاة عليه ﷺ بها.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

وفنَّد الشيخ رحمه الله افتخار أحمد التجاني بنفسه وبأتباعه، بأنهم هم الفائزون برحمة الله وجنته، وبين أنه لا ينبغي لأحد أن يعمل على تزكية نفسه، ويعلن فوزه بالجنة دون غيره، فالله تعالى هو أعلم بالمتقين الفائزين، كما قال تعالى:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[1].

وأوضح الشيخ عبد الصمد رحمه الله ما تشكله جماعة أنصار الفيضة التجانية من خطورة بالغة في إفساد عقائد المسلمين في غربي إفريقية، وبين أنها فرقة متفرعة عن التجانية التي يتزعمها الشيخ إبراهيم انياس السنغالي، الذي اخترع عقيدة "التربية" لأنصاره، وهي عقيدة تدعو إلى الاعتقاد بوحدة الوجود، وفصَّل القول لبيان زيف هذه العقيدة، وضلال أتباعها، حيث يتدرج المريد فيها حتى يصل إلى الاعتقاد بألوهية كل كائن على وجه هذه الأرض؛ إضافة إلى أمور كثيرة مبتدعة يمارسها هؤلاء بعيداً عن الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ.

ثم بين الشيخ عبد الصمد رحمه الله أسباب انحراف هؤلاء عن الجادة السوية، بسبب تأثرهم الشديد بالباطنيين الذين يدّعون لظاهر القرآن والسنة بواطن، تجري من الظواهر مجرى اللُّب من القشرة، وأنها بصورتها توهم العوَّام صوراً جلية، وهي عند العقلاء رمز وإشارات إلى حقائق خفيت، وأن من تقاعد عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها، كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع، وأن من ارتقى إلى علم البواطن، انحط عنه تلك التكاليف الشرعية، واستراح من أعبائه، مستدلين في ذلك ـــ جهلاً ـــ بقوله:﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[2].

ثم تعرض الشيخ عبد الصمد رحمه الله، لبيان نواقض الإسلام كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مبيناً زيف أصول اعتقاد المبتدعة، ومناهجهم الاستدلالية فيما ذهبوا إليه، من تأويل للنصوص الشرعية، وتوظيفها فيما يخدم هواهم، واعتقاداتهم الباطنة.

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

وهكذا فإن هذا الكتاب "رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة" قد ردَّ على كثير من ضلالات المبتدعة من الصوفية وغيرهم ممن تمسكوا بآراء أئمتهم في الضلال، وهجروا الكتاب والسنة، فكان تأليف مثل هذا الكتاب نبراساً أضاء الدرب أمام كل من يروم الحق، ويريد اتباعه.

٣ ـــ كتاب "**العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة**"، تأليف الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله.

يقع هذا الكتاب في ثمانين صفحة، وهو مطبوع، من دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، سنة (١٩٧٢م)، بيروت، لبنان. ويتميز هذا الكتاب بتجانس الموضوع، وكفاية المصادر والشواهد وتنوعها من قرآن وحديث ومصادر علمية أخرى.

ففي إطار الموضوع العام، يُعد هذا الكتاب في الأوساط الإسلامية في غربي إفريقية نقداً لاذعاً لما عليه مشايخ الطرق الصوفية المختلفة. وكان الشيخ غومي رحمه الله يستهدف بهذا الكتاب في أول الأمر طبقة المشايخ والأقطاب، لاعتقاده بأنه إذا تمكن من إقناع هؤلاء ببطلان ما هم عليه من معتقدات وطقوس مبتدعة، سهل حينئذ عليه مخاطبة الأتباع والعامة.

استهل الشيخ رحمه الله كلامه في هذا الكتاب، ببيان المبادئ الأساسية للعقيدة الصحيحة، فبين معنى الشهادتين، وكيفية العمل بمقتضاهما، والمفاهيم الصحيحة لمعنى النبوة والولاية بعيداً عن مفهوم الصوفية لهما، وشرح معنى البدعة وأنواعها، وحذر بالابتعاد عنها أو الوقوع في حبالها.

انتقد مشايخ الصوفية وبخاصة مشايخ طريقتي التجانية والقادرية المنتشرتين في غربي إفريقية، وردّ على بدعهم وطقوسهم، مثل الاجتماع للذكر الجماعي، وأنكر عليهم هجرانهم للسنن الصحيحة والمأثورة عن النبي ﷺ في الدعاء، والصلاة عليه ﷺ، وغلوهم المفرط في الاعتماد على "**صلاة الفاتح لما أغلق**"، التي اخترعوها، ورتبوا لها فضائل وأجور خيالية، ومثلها الصلاة المسماة بـــ "**جوهرة الكمال**"، وما فيها من ألفاظ منكرة، وأساليب ركيكة، وخلط في المعنى.

وتعرض الشيخ غومي رحمه الله لمناقشة ما يقوم به بعض المنتسبين للعلم، وبخاصة الذين انتدبوا أنفسهم لتفسير كتاب الله بدون علم ولا أهلية كافية، وأغلب هؤلاء قصاصون يعتمدون على الإسرائيليات والغرائب بين الصحيح من المروي، وبين السقيم الباطل منه. ثم أشار إلى بعض

الأمثلة من الأخطاء الفادحة التي تتكرر، وتنقل قصصها للعامة على أنها من الكتاب والسنة، مثل: قصة هاروت وماروت [1]، وقصة سليمان مع أبيه داود عليهما السلام [2]، والتي احتوت على تنقيص في مقام النبوة والرسالة، وعدم إدراك للصفات الأساسية للملائكة، وانحراف عن حقيقة التوحيد.

وكان هذا الانحراف في تفسير كتاب الله تعالى من الأسباب الرئيسة التي دفعت الشيخ غومي رحمه الله إلى تأليف كتابه في التفسير، والمسمى بـ "**رد الأذهان على معاني القرآن الكريم**" الذي جرده من القصص الخيالية، ونهج فيه نهج تفسير الجلالين حتى لا يستغربه الناس كثيراً لشدة تعلقهم بالجلالين حتى اليوم.

وخلاصة القول: هو أن هذا الكتاب "**العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة**"، قد أسهم بشكل كبير في تجلية عقائد أهل السنة والجماعة، وكشف عوار العقائد الباطلة التي يتمسك بها أقطاب الصوفية، ويضلون بها الناس بغير علم. وكان منهجه في هذا الكتاب القيم منهجاً واضحاً، بحيث لا يذكر جملة إلا وأتبعها بالدليل الواضح من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح رحمهم الله، إضافة إلى صبره وتواضعه الجم في مناقشة آراء خصومه، وتفنيدها بما يتناسب مع المقام. وكان من آثار ذلك الطيبة، عودة كثير من المسلمين من تلك الطرق الصوفية المبتدعة ــ بعد ما تبين لهم الحق ــ إلى مذهب أهل السنة والجماعة؛ ولا يزال هذا الكتاب في متناول أيدي طلبة العلم من أبناء غربي إفريقية وغيرهم يتداولونه بينهم، ويقرؤونه في نواديهم ومدارسهم ومساجدهم، ويناقشون المسائل الواردة فيه، ويبينونها للعامة من المسلمين حتى يسلموا من الوقوع في براثن البدع التي تجرهم إلى الضلال المبين. فجزى الله علماء غربي إفريقية عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) حيث تروي بعض تلك القصص بأن هذين الملكين قد عصيا الله تعالى، وشربا الخمر، ثم زنيا بامرأة مومسة بعد أن قتلوا زوجها، مما كان سبباً في إبعادهما من زمرة الملائكة المقربين.

(٢) والتي تقول بأن سليمان عليه السلام كان يتوق إلى امرأة جميلة، فسلبها منه أبوه ليتزوجها... إلى غير ذلك من الإسرائيليات التي تحكى بهذا الصدد.

ثانياً: الترجمة ودورها في تقرير مسائل العقيدة:

فقد أسهمت بعض المؤسسات العلمية في غربي إفريقية، بترجمة عدد من الكتب الدينية المهمَّة، إلى عدد من اللغات المحلية البارزة، أهمها: لغة الهوسا، والفلاتا[1]، وذلك إلى جانب أفراد من العلماء كان لهم ـــ أيضاً ـــ دور حيوي في هذا المجال. فقد قدم غير واحد من العلماء والدعاة في غربي إفريقية عملاً جليلاً بالقيام بترجمة بعض الكتب المشهورة، سواء تلك التي تدرس في المجالس العلمية، أو في الدروس العامة، ونقلها إلى اللغات المحلية لتعميم الفائدة، وتقريب فهم الدين إلى المسلمين بلغات أقوامهم، وفيما يلي عرض مختصر لمضمون أبرز هذه الكتب المترجمة:

أ ـــ كتاب "**سَوْقُ الأمة إلى اتباع السنة**": تأليف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله: وقد جمع الشيخ عثمان رحمه الله في هذا الكتاب، الأحاديث والآثار الواردة في الحثّ على الاهتمام بالسنة، والتمسك بما كان عليه هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام، سواء في الاعتقادات، أوفي العبادات، أو المعاملات أو الأخلاق أو نحوها.

وقد قام بترجمة هذا الكتاب من العربية إلى لغة الهوسا أحد أبناء غربي إفريقية، وهو الشيخ بخاري إمام من ولاية "سكوتو" بشمال نيجيريا، سنة (١٩٨٥م).

ب ـــ كتاب "**صفة صلاة النبي ﷺ**": للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب المتداولة بين الدعاة السلفيين في غربي إفريقية، وقد قام عدد غير قليل بتدريسه سواء في المدارس الإسلامية الأهلية، أو في مجالس حلقات القرآن، وذلك لبيان الكيفيات الصحيحة للصلاة المكتوبة كما صلاها النبي ﷺ، إضافة إلى الأذكار المأثورة عنه ﷺ عقب الصلوات الخمس، بعيداً عن الممارسات، وطقوس الصوفية المبتدعة.

فقام بترجمة هذا الكتاب، الشيخ إبراهيم أبوبكر تُوفا إلى لغة الهوسا، وطبع في مدينة "كانو" بشمال نيجيريا، سنة (١٩٩٥م)[2].

---

(١) من أكثر اللغات المحلية استخداماً في غربي إفريقية، إضافة إلى لغة مادنغو، والسوننكي، وغيرها.

(٢) انظر: تقديم المترجم للكتاب (ص ١ ـــ ٢).

ج ـ كتاب "**الأربعين النووية**":

هذا الجزء من أحاديث النبي ﷺ، يُعدّ من أكثر ما اعتنى به العلماء وطلبة العلم بغربي إفريقية، فقد كان التلاميذ يتلقون ترجمته من مشايخهم في مجالس العلم، باللغات واللهجات المحلية المشهورة[1]. كما أنه يُعدّ أول جزء حديثي يتم ترجمته أكثر من مرة، من قبل العلماء ودعاة غربي إفريقية؛ حيث كانت أولى ترجماته من قبل مجموعة من علماء نيجيريين إلى لغة الهوسا سنة (١٩٥٩م)، وقد طبعت هذه الترجمة، في شركة شمال نيجيريا للطباعة والنشر.

ثم قام الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله، في بدايات انطلاق الدعوة السلفية في غربي إفريقية، بترجمته للمرة الثانية، كجزء من أنشطته العلمية والدعوية، و بطلب من وكالة الإقليم الشمالي للشؤون الدينية والأدبية.

ثم قام بترجمة هذا الكتاب للمرة الثالثة إلى لغة الهوسا، الداعية المعروف، فضيلة الشيخ شعيب عمر من دولة "غانا"، وهو من أوائل الخريجين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبعت هذه الترجمة من قبل وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وهي الطبعة المشهورة حالياً، والمتداولة في أيدي العلماء والدعاة، وطلبة العلم على نطاق واسع في غربي إفريقية.

---

(١) مثل: مادنغو، والفلاتا، والهوسا، واليوروبا، وموسي، والولوف، وسونيكي، وغيرها.

ثالثاً: حكمة علماء غربي إفريقية في تناول القضايا العقدية الحساسة أثناء الترجمة:

من خلال تتبع الباحث للأساليب التي انبرى بها هؤلاء العلماء المترجمون لهذه الكتب، اتضح له أن بعض هذه الكتب المترجمة، قد اتسمت بتعليقات هامة ومفيدة، أظهرت توجه هؤلاء المترجمين، وحكمتهم في تناول بعض القضايا الدينية الحساسة، وخلفياتهم العقدية المتزنة التي تهدف ـــ في الغالب ـــ إلى بيان السنة، ومحاربة البدع. فكان لهذه التعليقات الوجيزة، والملاحظات المفيدة أثرها الطيب في تعديل سلوك كثير من المسلمين نحو التمسك بالسنة، وهجران البدع والخرافات التي تروّج لها أرباب التصوف من جهة، وعلى اطلاع القارئ على بعض تلك الجهود الكبيرة التي بذلها مترجمو هذه الكتب في تقرير العقيدة، والذب عنها من جهة أخرى، وقد اتسم منهجهم في ذلك، بالوسطية والاعتدال والتوازن.

ومن أمثلة ذلك: تعليقات الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله، على ترجمته لمتن الأربعين النووية: فقد انتهج الشيخ غومي رحمه الله في ترجمته لهذا الكتاب القيم، منهجاً مغايراً لما كان معروفاً لدى علماء المنطقة، حيث جعل الكتاب في عمودين متوازيين، فوضع النص العربي في العمود الأيمن، والترجمة الهوسية[1] في العمود الأيسر، موازية تماماً للنص الأصلي للحديث.

وقد وصفت هذه الترجمة من قبل بعض المختصين بالدقة، والجودة، وسلامة اللغة، وجزالة العبارة، وسهولة الأسلوب، لا يشوبه غموض، ولا تعقيد في المعنى.

كما أضاف رحمه الله إلى ترجمته لمعاني "متن الأربعين النووية" تعليقات مهمَّة، برز فيها أسباب دعوته إلى التمسك بالسنة، ومحاربته للبدع، والأعراف والتقاليد المخالفة لروح الإسلام. فكانت معالجته لتلك القضايا الحساسة من خلال تلك التعليقات، تتسم بنوع كبير من الموضوعية، واللباقة، والحكمة في الطرح والمناقشة. إذ لم تزل الدعوة السلفية وقتئذ في مراحلها الأولى، وبالتالي فإن التصريح بكل شيء قد يؤدي إلى نتائج عكسية، تضر بمسار الدعوة، وقد تقضي عليها في مهدها تماماً لا سمح الله، كما أنه يمكن أن تسبب للشيخ نفسه إشكالات كبيرة، قد تقف عائقاً أمام تحقيق أهدافه الدعوية والإصلاحية. فجاءت هذه التعليقات فيها من الحكمة، والإرشادات اللطيفة ما يُشَمّ منه غرضه، دون أن يثير حفيظة أيِّ أحد من الناس، ولنضرب لذلك مثلاً:

أ ـــ ذكر الشيخ رحمه الله في تعليقه على الحديث رقم (٢) من الكتاب المذكور، وهو حديث جبريل المشهور في سؤاله النبي ﷺ، عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال: «يستنبط من هذا الحديث أمور كثيرة، منها:

---

(١) أي الترجمة بلغة "الهوسا" التي يتحدث بها مئات القبائل في غربي إفريقية ووسطها.

أولاً : أن نظافة الأبدان والملابس أمر مطلوب شرعاً، كما تدل عليه هيئة هذا الرجل الغريب.

ثانياً : أن الإسلام إنما يتعلم عن طريق سؤال أهل العلم والفقه في الدين.

ثالثاً : أنه لا ينبغي الغلو أو التطرف في تعظيم شخص بعينه.

رابعاً: أن الطرق الصوفية ليست من ضروريات الدين.

خامساً: أن الإسلام والإيمان والإحسان حقائق مختلفة، تكمل بعضها بعضاً.

سادساً: أنه لا ينبغي لعالم إذا سئل عن أمر من أمور الدين، وهو لا يدري أن يكذب أو يكابر على السائل في الجواب.

سابعاً: أنه ينبغي للعالم أن يوجه تلاميذه وينبههم إلى ما ينبغي لهم سؤاله لفائدته، ويشجعهم عليه.

ثامناً : أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إلا ما يوحى إليه من ربه تبارك وتعالى.

تاسعاً: معرفة كمال خلق صحابة رسول الله ﷺ، وحرصهم، وصبرهم، وذكائهم.

عاشراً: معرفة أن الملائكة قد يظهرون في صورة غير صورهم الحقيقية ...»[1] وهكذا انتهى تعليقه رحمه الله.

قلتُ: إن مما يلاحظ في هذه التعليقات المفيدة، هو أن الشيخ رحمه الله، قد أشار إلى عدد من الأمور الخطيرة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي الإفريقي، كاعتقاد بعضهم أن ترك نظافة البدن، والتقشف في المأكل والمشرب و الملبس والمسكن من متطلبات الولاية في الدين، فيقضي أحدهم حياته لا يغتسل، ولا ينظف ملابسه، ظناً منه ـــ جهلاً ـــ أن ذلك من شروط استكمال الولاية فيحظى بها.

كما تعرض الشيخ رحمه الله في تعليقه على الطرق الصوفية التي كانت في أوج نشاطها في ذلك الوقت، وكانت إشارته إليها مشوبة بالحذر والتحفظ حتى لا يثير الأحقاد والضغائن ضده، فاكتفى فقط بقوله: "ليس من ضروريات الدين"، وهذا تلميح وجيه منه إلى ترك هذه الطرق، والاكتفاء بما جاء في حديث جبريل عليه السلام لمن يريد الحصول على ولاية الله، التي تنبني على مقدار ما يقوم به العبد من طاعة الله تعالى، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه؛ وبالتالي فليس هناك من ضرورة إلى ابتداع دين لم يأذن به الله.

---

(١) متن الأربعين النووية (ص ٩ ـــ ١٠)، هامش (١) ترجمة الهوسية، لاغوس، نيجيريا.

كما وجه الشيخ رحمه الله إلى ضرورة تعليم الناس أمور دينهم، وأن الدين لا يفهم إلا بالتعلم، وأن من طرق التعلم سؤال أهل العلم، إذ كان جل اهتمام الطرقية في تلك المجتمعات الاكتفاء بشحن عقول الأتباع بقصص وحكايات خرافية، عن كرامات الأولياء والمشايخ، حتى أصبحت كل طريقة تنافس نظيراتها في تمجيد من تنتسب إليه، وتفضيله على غيره، مما كان سبباً في ارتفاع نسبة الأمية الدينية بين شريحة واسعة من المسلمين. كما حذر الشيخ رحمه الله العلماء والدعاة من مغبة القول على الله بغير علم ... إلى غير ذلك مما يلمحه القارئ، من خلال سطور تلك التعليقات المليئة بالفوائد الكبيرة.

ب ــ تعليق الشيخ غومي رحمه الله على الحديث رقم (٧)، وهو قوله ﷺ: «"**الدين النصيحة**"، قلنا لمن ؟ قال: "**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**"»[(١)].

علق الشيخ رحمه الله قائلاً: «النصيحة: هي فعل ما ينبغي فعله، النصيحة لله هي الإيمان بوجود الله وصفاته كما يليق به سبحانه وتعالى، والنصيحة لكتب الله: هي الإيمان بها، وأن ما فيها إنما هو وحي من الله، والنصيحة للرسول ﷺ هو التصديق بأنه رسول من عند الله، وتوقيره، وتوقير آل بيته الطاهرين، واتباع سنته ظاهراً وباطناً، والنصيحة للأئمة: هو احترامهم كما يليق بمنزلتهم ما دام أن ذلك في حدود الشرع المطهر، ولا يجوز الانحناء ولا الركوع ولا السجود في التحية لأحد كائناً من كان، لأن فعل ذلك ليس من النصيحة في شيء، والنصيحة لعامة المسلمين: هي إعانتهم على ما فيه خيرهم، مثل: تعليمهم، وإرشادهم بطريقة مفيدة وباحترام ...»[(٢)].

قلتُ: إن المتأمل في كلام الشيخ غومي رحمه الله، يجد أنه يشير إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة على العقيدة، وقد سكت عنها العلماء والدعاة في أماكن عديدة في غربي إفريقية، بل شجعها بعضهم واعتبرها عادة محترمة، وحقاً لكل كبير على صغير، وهي ظاهرة الانحناء أو الركوع أو السجود عند التحية كما تقدم، فجاءت تلميحاته لهذه الظاهرة القبيحة، وتنبيهه على أن ذلك ليس من النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وبين أن الاحترام والتحية لا بد أن يكون في حدود ما أقر به الشرع، وليس ما اختلقه أفراد من الناس، بغية استعباد الناس وإذلالهم.

ج ــ كما علق الشيخ رحمه الله على الحديث رقم (٤)، وهو حديث عائشة (رضي الله عنها)، مرفوعاً: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**[(٣)]"، فقد ورد تعليق الشيخ

---

(١) صحيح مسلم (١٩٤/٢)، رقم (١٩٤).

(٢) متن الأربعين النووية (١٢)، الترجمة الهوسية، المرجع السابق (٢).

(٣) تقدم تخريجه.

رحمة الله عليه، قائلاً: إن هذا الحديث يعلمنا حقيقة ما يسمى بالبدعة،وهو أن يحدث المرء شيئاً في الدين لم يكن معروفاً، لا في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد صحابته الكرام، وأنه مهما يكن علم عالم من العلماء، فليس من شأنه أن يزيد أو ينقص شيئاً في دين الله، ولو زاد شيئاً لم تقبل منه هذه الزيادة، ثم أورد أبياتاً يرتجزها، ويحذر فيها من مغبة اتباع أهل البدع، أو الاستماع إلى أقوالهم، خشية أن يلبسوا على المسلمين دينهم، ومن تلك الأبيات:

فلا تصحب سوى السني ديناً * لتحمد ما نصحتك في المآل

وجانب كل مبتدع تـــــراه * فما أن عندهم غير المـــحال

ودع آراء أهلَ الزيغ رأســاً * ولا تغررك حذلقة الرذائل[1].

وهذا لا يمنع أن يستعمل شيء يعود على الإسلام والمسلمين بالخير والنفع، كالبث الإذاعي والتلفزيوني للبرامج الدينية المختلفة من تلاوة للقرآن، وتعليم للسنة والعقيدة، وترجمة الكتب الشرعية المفيدة إلى لغات أجنبية غير عربية، لتعمَّ الفائدة على عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويقفوا على حقيقة دينهم[2].

وهكذا سار الشيخ غومي رحمه الله في تعليقاته لأحاديث هذا الكتاب، مشيراً إلى تلك الأمراض العقدية والاجتماعية الخطيرة التي تعاني منها المجتمعات المسلمة في غربي إفريقية، وقدم رحمه الله العلاج المناسب لتلك الأسقام المهلكة، والمتمثل في ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، ومنهج السلف، وذلك بأسلوب مفعم بالهدوء والحكمة؛ وقد سار على المنهج نفسه معظم العلماء والدعاة ممن جاءوا بعده، وتصدوا للترجمة بتعليقاتهم السديدة التي أسهمت بشكل كبير في توعية الناس بأهمية التمسك بالسنة، والبعد عن كل ما يلوِّث العقيدة، من بدع وخرافات وأباطيل، ما أنزل الله بها من سلطان.

(١) انظر: الترجمة الهوسية، المرجع السابق (ص٢ـــ٣)، وقد روي مثل هذا البيت عن أبي طاهر السلفي رحمه الله، سير أعـــلام النبلاء، المرجع السابق (٢١/٣٤).

(٢) انظر: متن الأربعين النووية، المرجع السابق (ص ١١ـــ١٢).

المطلب الثالث

الإعـــــلام في خدمة الدعوة

يطلق لفظ الإعلام ويراد به: عملية تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، بهدف تكوين رأي، أو موقف صائب في واقعة من الوقائع، أو حادثة من الحوادث، أو مشكلة من المشكلات(١).

أما الإعلام الإسلامي، فهو تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي، المستمدة من الكتاب والسنة، بصورة مباشرة أو غير مبَاشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب، يعي الحقائق الدينية، ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته(٢).

والمسؤولية الإعلامية في الإسلام عبادة كلف الله بها جميع المسلمين، وهذه المسؤولية لا تقل أهمية عن سائر العبادات، فقد حث الله تعالى على الدعوة والتذكير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإنذار بسوء العاقبة لمن يتوانى عن ذلك، أو يقعد عن أداء واجبه الدعوي والإصلاحي، كما قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل الذين تكاسلوا عن أداء هذه الفريضة العظيمة على لسان أنبيائهم ورسلهم عليهم السلام:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾(٣)، وقد ميز الله تعالى هذه الأمة عن سائر الأمم لقيامها بمهمَّة الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٤).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكمن في قيام كل مسلم بأداء مهمته الإعلامية التي تتمثل في الدعوة إلى الله، وقد أثنى الله تعالى على مَنْ يقومون بهذه الشعيرة العظيمة، فقال:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(٥).

---

(١) انظر: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د.محيي الدين عبد الحليم، (ص ١٤٧)، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٠هـ.

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ١٤٨).

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة فصلت، آية: ٣٣.

ولهذا فقد وضع ثلة من علماء غربي إفريقية الوسيلة الإعلامية نصب أعينهم، لنشر العقيدة الصحيحة وتقريرها، ومحاربة البدع السائدة في المجتمع، والتحذير من الوقوع فيها. ويأتي على رأس هؤلاء العلماء والدعاة، الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله، الذي وضع اللبنة الأولى لهذه المحاولة الإعلامية الناجحة على مستوى الغرب الإفريقي، وأول من صدع لأول مرة بالدعوة السلفية في إذاعة رسمية تديرها الحكومة المركزية، وهي إذاعة مدينة "كادونا" بشمال نيجيريا، ليتحدى بذلك مشايخ الصوفية ومريديهم الذين كانوا في أوج نفوذهم آنذاك في المنطقة.

ثم حذا حذوه بعد ذلك علماء ودعاة في بقية مناطق غربي إفريقية، حتى أضحت للعلماء والدعاة برامج إذاعية وتلفزيونية أسبوعية تبث عبرها البرامج -الدينية والتوعوية والدعوية لعموم المسلمين، حيث يشرحون خلالها الأفكار الإسلامية الخالصة إلى جمهور المستمعين والمشاهدين، إما باللغات المحلية السائدة[1]، أو باللغات الفرنسية أو الإنجليزية.

وقد اشتهر في هذه الآونة الأخيرة، ومن خلال هذه البرامج الإذاعية والتلفزيونية كوكبة من الدعاة المعروفين على مستوى المنطقة: أمثال الشيخ أبوبكر فوفانا، والشيخ جغيبا سيسي، والشيخ محمد الأمين كابا من ساحل العاج، والشيخ إسحاق نوامة من غانا، والشيخ حبيب كان من مالي، والشيخ الدكتور محمد لوح، والشيخ إبراهيم سيسي من السنغال، وغيرهم كثير من أبناء غربي إفريقية، الذين لديهم قدرات إلقائية فائقة في عرضهم للعقيدة الإسلامية الصافية، بأسلوب مقنع وجذاب، لدرجة أن بعض الجمهور من غير المسلمين، كان يطلب إعادة بعض اللقاءات، بغية الاستفادة، ومحاولة فهم العقيدة الإسلامية التي غابت حقيقتها بسبب دعاة الضلال والتيه، ثم يعلنون اعتناقهم للإسلام بعد إقناعهم بحقيقتها، ومناسبتها للفطرة التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[2]. ويمكن تفعيل دور هؤلاء العلماء والدعاة في هذين الجهازين المهمين، بقليل من العون المادي، والتبادل الإعلامي بينهم وبين بقية مراكز الإعلام في العالم الإسلامي.

هذه هي أهم الوسائل التي أخذ بها علماء غربي إفريقية ـــ ولا يزالون ـــ في تقرير العقيدة، وتطهيرها من شوائب الشرك والوثنية والأهواء والبدع، وكانوا مثالاً حياً يحتذى في المجاهدة، والصبر على أذى الخصوم والأعداء بشتى صوره وأشكاله، نصرة للدين، وإعلاء لكلمة "لا إله إلا الله، محمد رسول الله".

---

(١) مثل: الهوسا، والفلاتا، والماندنغو وغيرها.

(٢) سورة الروم، آية:٣٠.

المبحث الثاني
أساليب علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة

مفهوم الأسلوب لغة واصطلاحاً:

الأسلوب لغة: بضم الهمزة هو الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أخذ فلان في أساليب القول: أي أفانين منه [(١)]. والأسلوب هو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا أي طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته [(٢)].

ومعنى الأسلوب في الاصطلاح:

فقد تعددت أقوال العلماء في المعنى الاصطلاحي للأسلوب، ويمكن إجمال وجهات نظرهم في التالي:

الأسلوب هو: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم وطبيعتهم، وما يجب لكل مقام من المقال[(٣)].

والأسلوب الحسن في الدعوة: هو أن يكون حديث الداعية ملائماً لأفهام المدعوين ومداركهم، لتصبح الفكرة واضحة، والكلمة فصيحة، والعبارة متناسقة، والتركيب قوياً، ويكون هناك انسجام بين اللغة والمعنى، مما يحدث أثراً عظيماً في النفس [(٤)].

وأبرز الأساليب التي استخدمها علماء غربي إفريقية ــ ولا يزالون ــ في تقرير مسائل العقيدة، ودعوة الناس إلى الإسلام، تتلخص في:

١ ــ الدعوة بالكلمة الطيبة.

٢ ــ الترغيب والترهيب.

٣ ــ القدوة العملية الحسنة. ويمكن عرض كلاً منها مفصلاً في المطالب التالية.

---

(١) انظر: المصباح المنير، المرجع السابق (١/٢٤٨)، والقاموس المحيط، المرجع السابق (١/٨٦).

(٢) انظر: لسان العرب، المرجع السابق (٢/١٧٨)، والمعجم الوسيط، المرجع السابق (١/٤٤٠).

(٣) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، د. أحمد بن محمد أبا بطين،(ص ٥٢٣)، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١١هـ.

(٤) انظر: مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن،(ص ١١٨)، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

المطلب الأول

الدعـــــــوة بالكلمة الطيبة

لقد شنّ علماء غربي إفريقية حملة واسعة على المبتدعة الصوفية، التي رأوا أنها تشكل خطراً جسيماً على عقيدة المسلمين بأساليب ووسائل، منها الوعظ والإرشاد، واستغلال الخطب المنبرية، والتحاور معهم ومناقشتهم؛ وذلك دفعاً لشرورهم ومفاسدهم، وتحذيراً لمن أراد الاقتداء بهم، أو اتباعهم في غيِّهم وضلالهم. وقد جاء تفصيل ذلك عند تتبع الباحث لجهودهم في هذا المجال، على النحو التالي:

أ ــ الوعظ :

يلحظ أن الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب، سواء بالاستمالة والترغيب، أم بالزجر والترهيب، وتطلق الموعظة على القول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماحها، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية [1]. وتكون الموعظة أقوى تأثيراً في نفوس السامعين عندما تصدر من قلب صادق، وتصاغ بعبارات بليغة، تجمع بين القوة والوضوح، وهذه الأمور العظيمة متوفرة في كلام علماء غربي إفريقية الذين انتهجوا في دعوتهم أسلوب الوعظ والإرشاد، مستندين في ذلك كله إلى قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2]، ذلك لأن الموعظة الحسنة هي التي تدخل القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب و التوبيخ [3].

فبالموعظة والنصائح تصح النفوس، وتسلم القلوب من المخاطر، وترجع عن غيها إلى رشدها عن الطريق العوجاء إلى الصراط المستقيم، وبالوعظ والتذكير تتهذب النفوس، وتتنبه

---

(١) انظر: هداية المرشدين على طريق الوعظ والخطابة، المرجع السابق (ص ٧١).

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب،(٤/٢٢٠٢)، ط٧، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م.

العقول من غفلتها، وتستيقظ من رقدها، وتستنير البصائر بنور الطاعة، بعد أن أظلمتها المعصية؛ قال بعض الحكماء: «الموعظة موقظة للقلوب من سِنة الغفلة، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة، ومحيية لها من موت الجهالة، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة»[1].

وكان أبرز من استخدم هذا الأسلوب على مستوى المنطقة، هو: الشيخ عبد الصمد ابن حبيب الله المختار رحمه الله، سواء عن طريق الاتصال الفردي، أو الاتصال الجماهيري في المحافل والمناسبات الدينية المختلفة، أو عقب الصلوات في المساجد، لتصحيح العقائد، وإزالة كثير من البدع والشركيات، فنجح في ذلك أيما نجاح، وإن كان قد لقي في سبيل ذلك ــ في غالب الأحيان ــ ما لقيه من أذى وسخرية أرباب الطرق الذين كانوا يصفونه بالجهل والنفاق. ولا تزال هناك مجموعة متنوعة من أشرطة مواعظه، ومحاضراته الإرشادية في أيدي محبيه وتلاميذه المنتشرين في المنطقة، يستفيد منها المسلمون، ويستمعون إلى تلك المواعظ البليغة متى وأينما شاؤوا.

ومن مواعظه البليغة في مجال الغيبيات، ما قاله رداً على سؤال أحد محبيه في ذات الله عز وجل، فقال: « ... التفكر في آيات الله وعجائب قدرته مأمور به، دون التفكر في ذات الله وماهية ربوبيته. وقد وردت عدة آيات كريمات في كتاب الله تحض على السير في الأرض للنظر والاعتبار في أحوال الأمم السالفة، وكيف بدأ الله الخلق؟، والنظر والتفكر بمظاهر ودلائل قدرة الله تعالى المتمثلة في عجائب ومعجزات مخلوقاته، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[2]، وقوله تعـــالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]،وقوله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4]، ثم قال: وقد ورد أن

---

(١) هداية المرشدين ...، المرجع السابق (ص ٧٣).

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٤) سورة آل عمران، آيات: ١٩٠ــ١٩١.

النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية الأخيرة، قال: "**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**[1]"، ولم ترد آية واحدة تأمر بالتفكر في ذات الله وماهيته، فذات الله تعالى خارجة عن حدِّ العقل فلا يدرك العقل حقيقتها، وليس في طاقة المخلوق إدراك حقيقة الخالق، فتلخص أن التفكر في ذات الله وماهيته غير مأمور به على الإطلاق، لأن الشارع الحكيم لا يأمر الإنسان إلا بما يسعه فعله، كما قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[2]، وفي الأثر: "**تفكروا في مخلوقات الله، ولا تتفكروا في ماهية ذاته**[3]"، فالتفكر في ماهية ذات الله، هو الذي أوقع المتفلسفين، وبعض غلاة المتصوفة في العقائد الفاسدة، حتى ذهبوا إلى الإلحاد والاتحاد والحلول، فجاء الإسلام فسدَّ ذريعة هذه العقائد الفاسدة، بالآيات البينات، والدلائل الواضحات، فلا يغتر المسلم بالتأويلات الباطلة، والأقاويل الكاذبة، فإن مدار الإسلام: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فعليك بهما، تنجُ من شرِّ المشركين ...»[4].

ب ــ الخطـــــــب:

الخطبة لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب والأساليب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق: الإقناع بما يسوقه من حجج وبراهين؛ والإمتاع بحسن اختيار الكلمات، وجميل العبارات، وملائم الإشارة،والدقة في اختيار الموضوع[5].

ولقد كان لعلماء غربي إفريقية النصيب الأوفر، والحظ الأكبر في جانب الخطابة. وكان معظم الخطب تلقى ــ عادة ــ في الجمع والمناسبات الدينية الأخرى[6] عن طريق القراءة العادية من الكتب المؤلفة في ذلك، مثل: كتاب: "خطب ابن نباتة"، و"الحكمة البالغة"، و"المواعظ البليغة"

---

(١) وذلك في الحديث الطويل الذي رواه عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء، وفيه: « ... **فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكِ وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية كلها**». صحيح ابن حبان (٣٨٦/٢)، رقم (٦٢٠).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٥٨١/١).

(٤) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٤٥ــ٤٦).

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، المرجع السابق (١٦٩/١).

(٦) كصلاة العيدين ونحوهما.

... إلخ. والخطب بهذا الأسلوب الجاف، كانت قليلة التأثير في جانب الفهم والاستفادة، نظراً لقلة فهم الناس باللغة العربية، ثم لبعد موضوعات هذه الخطب عن مراعاة مقتضى حال المدعوين في الواقع المعاش.

لذا ما إن بدأ العلماء والدعاة السلفيون دعوتهم، وتمكنوا ــ بعون من الله ــ من إنشاء مساجد خاصة بهم ــ خوف الاصطدام مع مشايخ الصوفية الذين استولوا على كافة مساجد المنطقة، على أساس أنهم هم أصحاب العلم والدين زوراً وبهتاناً ــ وما إن تم ذلك، بدأ هؤلاء العلماء الأخيار ــ الذين كانوا على دراية تامة بما يدعون الناس إليه، من إخلاص العبادة لله، ونبذ ما هم عليه من البدع والخرافات الموروثة عن الآباء والأجداد ــ بتفسير معاني الخطب المنبرية إلى أهم اللغات الدارجة، والمنتشرة في المنطقة، مثل: الهوسا، والفلاتا، والجولا، والماندي ... إلخ، إضافة إلى جعل هذه الخطب دروساً توجيهية وواقعية من خلال اختيار الموضوعات المتصلة بأحوال الناس العقدية والاجتماعية والأخلاقية ونحوها.

وأبرز من مثَّل هذا التوجه من دعاة غربي إفريقية، هو الشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار رحمه الله، وذلك عندما كثر أتباعه، فقد اتخذ لنفسه مسجداً، وبدأت الجموع المؤمنة تتدفق إليه، لسماع خطبه وتوجيهاته السديدة. فكان لهذا الأسلوب الجديد صدى كبيراً في الأوساط الدعوية على مستوى المنطقة، وذات أثر فعال في ازدياد عدد الحاضرين إلى تلك المساجد، للتزوُّد بما ينفعهم في دينهم ودنياهم. لأن المسلمين عندما يأتون إلى صلاة الجمعة متنافسين على التبكير والصف الأول، كان يهمهم بالدرجة الأولى القرب من الإمام، وفهم فحوى الخطبة، بقدر ما كان يهمهم نيل الأجر والثواب الجزيل اللذين يختص بهما يوم الجمعة[1]، وعندما يصغي المسلم إلى الخطبة وهو يفهم دقائق معانيها وجليلها، فينعكس ذلك على سلوكه العام، فيعود من صلاة الجمعة وهو ممتلئ إيماناً ويقيناً بعظمة هذا الدين، وقيمه العليا؛ بعد أن أخذ مناعة قوية يعصمه من الزلل طوال أيام الأسبوع، ويردعه من الانخراط في كل ما يغضب الرحمن ولا يرضيه.

---

(١) كما روي عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة، يستمعون الذكر»**. صحيح البخاري (١/٣٠١)، رقم (٨٤١).

جـ ــ الحوار والمناقشة:

إن أسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب النبوية الرشيدة في تصحيح كثير من الأخطاء العقدية، والأفكار الخبيثة التي يحملها بعض الناس تجاه الإسلام، وخاصة إذا كان المخطئ ممن عنده شبهة في مسألة من المسائل، فيستفاد من خلال الجلوس والمناقشة معه، لمعرفة منشأ المشكلة، فيجاب عن تلك الشبهات بأدلة نقلية وعقلية مناسبة، لعل الله يُنوِّر بصيرته، ويفتح قلبه، ويهديه إلى اتباع الحق والصواب[1].

وقد استخدم علماء غربي إفريقية هذا الأسلوب كثيراً، ويأتي على رأسهم في ذلك الشيخ محمود أبوبكر غومي رحمه الله في حواراته ومناقشاته مع مشايخ الطرق الصوفية المختلفة. وقد نفع الله تعالى به من أراد الله أن يهديه من هؤلاء المبتدعة الضالة، إلا أن بعضهم لم يزده ذلك إلا عناداً وإعراضاً عن الحق. ولا يزال بعض العلماء ودعاة المنطقة يستعملون هذا الأسلوب مع من انحرف عن الحق، بغية الأخذ بأيديهم إلى الصواب بالأدلة المناسبة.

(١) ولنا في ذلك مع رسول الله ﷺ أسوة عملية حسنة، عندما جاء إليه شاب يسترضيه في الزنا، فقال له النبي ﷺ: «أتحبه لأمك؟ لابنتك؟ لأختك؟ لعمتك؟ لخالتك؟ فيقول: لا. فيقول له النبي ﷺ: "وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، وبناتهم، وأخواتهم، وعماتهم، وخالاتهم"، ثم يضع يده على صدره، قائلاً: "**اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصِّن فرجه**"»، فلم يكن هذا الفتى يلتفت إلى شيء من ذلك أبداً. مسند الإمام أحمد (٥/٢٥٦)، رقم (٢١٧٠٨)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧١). فانظر يا أخي الداعية، كيف استطاع نبي الرحمة ﷺ بهذا الأسلوب الرفيع، أن يزيل هذه الفكرة الخبيثة عن ذهن هذا الفتى وعقله، ويعدِّل اعوجاجه، ويأخذ بيده إلى الحق والصواب.

المطلب الثاني

الترغيب و الترهيب

أولاً: الترغيب في العمل الصالح والحث عليه:

الترغيب في اللغة: من رغب، يرغب. والرغبة هي إرادة الشيء، يقال: رغبت في الشيء إذا أردته [1]، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝** ﴾[2]، ويقال: رغب عن الشيء أي زهد فيه ولم يرده، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ** ﴾[3]. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «والمعنى يزهد فيها، وينأى نفسه عنها، أي عن الملة وهي الدين والشرع، وهم اليهود والنصارى؛ رغبوا عن ملة إبراهيم واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله تعالى» [4].

والترغيب في الاصطلاح: هو كل ما يُشوِّق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق، والثبات عليه[5]. وأما الترغيب في العبادة و العمل الصالح، فيكون بذكر الخير والسلامة من الشر المترتب على فعلها، الحاصل على العامل في الدنيا والآخرة، كما ورد في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، مما يكون من شأنه حث العامل على العمل الصالح، والتشمير فيه.

والترغيب في الدعوة إلى العبادات، أصل ثابت في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله تعالى مرغباً في العمل الصالح، وحاثاً عليه، ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[6]، فقد اجتمع فيه الترغيب بحصول النفع، ودفع الضر في الدنيا والآخرة[7].

وما روته أم حبيبة (رضي الله عنها)، عن رسول الله ﷺ قوله: « **من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حرمه الله على النار**»[8].

---

(١) انظر: المصباح المنير، المرجع السابق (١/٢٣١) مادة (رغب).

(٢) سورة الشرح، آية: ٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٠.

(٤) تفسير القرطبي، المرجع السابق (٢/١٣٠).

(٥) انظر: أصول الدعوة الإسلامية، عبد الكريم زيدان،(ص ٤٢٣)، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٧) انظر: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، المرجع السابق (ص ١٧٦ـــ١٧٧).

(٨) سنن الترمذي (٢/٢٩٣)، رقم (٤٢٧)؛ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد روي من غير هذا الوجه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٣٥)، رقم (١١٥٣).

وبما أن الترغيب هو إخبار بأمور غيبية، فإنه لا بد للداعية أن يعتمد فيها على الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومما ورد عن علماء غربي إفريقية في مجال الترغيب على العمل الصالح والحث عليه، ما يلي:

١ ــ الترغيب في وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والعمل للآخرة:

لقد رغّب علماء غربي إفريقية الناس في التزام الكتاب والسنة، واتباع نهج السلف الصالح رحمهم الله، مع لزوم تقوى الله تعالى في السر والعلن، والإيمان به وحده لا شريك له، لأن ذلك كفيل لنيل رضا الله تعالى ورحمته في الدنيا، وجزيل ثوابه ورحمته في الآخرة. فكانوا يختارون الآيات والأحاديث المناسبة التي تحرك قلوب المدعوين، وتشحذ هممهم على فعل الخير، وترغبهم فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب، والنيل برضاه تعالى وجنته التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر قط، إن هم آمنوا بالله حق الإيمان، واتبعوا منهجه القويم، واقتفوا آثار رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام في ذلك كله.

وممن انتهجوا هذا الأسلوب، واستفادوا منه كثيراً في دعوتهم إلى الله تعالى، وأعطت نتائج طيبة، من علماء غربي إفريقية: الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ آدم عبد الله الألوري، والشيخ أبوبكر غومي، والشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار، حيث كانوا ــ جميعاً ــ يختارون النصوص الثابتة الدالة على الترغيب في العمل للآخرة، والإعراض عن الدنيا الفانية، سواء من القرآن الكريم، أو من السنة الصحيحة، ثم يقومون بشرحها، وبيان الحقائق الموجودة فيها، بأصوات مؤثرة، تقشعر منها القلوب والجلود، فتجد الناس يستمعون إليهم بهدوء وسكينة ووقار، تذرف دموعهم على محياهم من خشية الله.

ومن أمثال آيات الترغيب التي كانوا يردّدونها على مسامع المدعوين، كما أوردها الشيخ محمد بللو في كتابه: "إنفاق الميسور"؛ قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ

مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[1]، وقوله:﴿ **لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ** ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الجنة ونعيمها، وما أعده الله تعالى لعباده الموحِّدين، وأوليائه المتقين الأبرار .

ومن أمثال الأحاديث التي كانوا يروونها لترغيب الناس في فضل الآخرة على الدنيا، ما رواه أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة** ـــ قال أبو اليمان: يعني العود ـــ **ورشحهم المسك**» [3].

ومن الأحاديث التي كانوا يروونها في حث الناس على التمسك بما ورد في الكتاب والسنة، ونبذ البدع وخرافات الآباء والأجداد، الحديث الذي رواه العرباض بن سارية ﷺ، فقال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا. فقال: "**أوصيكم بتقوى الله،والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً،وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليكم** بسنتي وسنة **الخلفاء** الراشدين المهديين، **عضوا عليها بالنواجذ**"»[4].

أما قوله ﷺ: «عضوا عليها بالنواجذ» أي اجتهدوا على التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف، واحرصوا عليها كل الحرص وألزموها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خشية إفلاته، أو ذهابه منه[5].

---

(١) سورة آل عمران، آيتان: ١٤ــ١٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٨.

(٣) صحيح البخاري (٣/١٢١)، رقم (٣٠٨١)؛ وصحيح مسلم (١٧/١٦٩)، رقم (٧٠٧٩).

(٤) سنن الترمذي (٥/١٣)، رقم (٢٦٧٦). وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(٥) انظر: المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، يوسف القرضاوي،(١/١٥)، دار الوفا، المنصورة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢ ــ الترغيب في إخلاص العبادة لله وحده:

فإلى جانب الحث على التمسك بنهج الكتاب و السنة، واتباع السلف رحمهم الله، رغَّب علماء غربي إفريقية الناس إلى إخلاص العبادة لله تعالى، لما في ذلك من تحقيق لتقواه والإيمان به، وأنه عندما يتحقق التقوى والاستقامة على أمر الله، والإيمان به، والانقياد لأوامره، فإنه سرعان ما تحصل السعادة والبركات العاجلة في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، كما يحصل لصاحبه الأمن والطمأنينة، والتمكين والاستخلاف، والنصر المبين في الدنيا، لقوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[١]، وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وهكذا كان التنويع في أسلوب الترغيب يتوافق مع فطرة الإنسان، فكما أن الإنسان يرغب في النعيم الآجل، فهو أيضاً يرغب في النعيم العاجل، وكما أنه يرغب في حصول النفع، فهو أيضاً يرغب في دفع الضر [٣].

---

(١) سورة النور،آية: ٥٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) انظر: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، المرجع السابق (ص ١٧٨).

ثانياً: الترهيب من التهاون في العمل الصالح:

الترهيب في اللغة: من رهب أي خاف [1]، والرهبة هي طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب: راهب، لأنه يديم الخوف. والترهيب: هو التخويف والتفزيع والتوعد، من حصول مضرة، أو الحرمان من منفعة دنيوية وأخروية، عاجلة أم آجلة. واسترهبه: استخوفه [2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴾ [3]، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «أي أدخلوا الرهبة والخوف في قلوبهم إدخالاً شديداً ...» [4].

وأما الترهيب في الاصطلاح: هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق،أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[5]؛ قال الإمام القرطبي رحمه الله: «والمعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان ...» [6].

والترهيب أسلوب دعوي يتجاوب مع فطرة الإنسان، من حيث نفورها من الشر، ورغبتها في السلامة من الضر العاجل والآجل، وذلك بتهديدها وتخويفها من حصول ذلك، لتبتعد عن كل ما يكون سبباً في حصول الشر، أو الحرمان من الخير.

ومما ورد عن علماء غربي إفريقية من الترهيب والتهديد بخطورة الانحراف عن جادة الحق و الصواب، ومن مغبة التهاون في العمل الصالح، ما يلي:

---

(١) انظر: لسان العرب، المرجع السابق (١/٤٣٦).

(٢) انظر: المصباح المنير، المرجع السابق (١/٢٤١).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١١٦.

(٤) فتح القدير للشوكاني، المرجع السابق (٢/٣٣٨).

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٦) تفسير القرطبي، المرجع السابق (١١/٢٩٤).

١ ـــ الترهيب من مغبة اتباع هوى النفس:

لقد استخدم علماء غربي إفريقية أسلوب الترهيب، في تحذير الناس وتخويفهم من مغبة اتباع هوى النفس، أو البعد عن نهج الكتاب والسنة، وذلك لأن الابتعاد عنهما، والإعراض عن توجيهاتهما، يترتب عليه خسارة كبرى للعبد في الدنيا قبل الآخرة، كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[(١)].

فالإنسان الذي يعبد ربه عز وجل، فإما أن يعبده على بصيرة لما جاء به النبي ﷺ، فيكون بذلك متبعاً للكتاب والسنة، وإما أن يعبده على جهل بحقيقة هذا الدين، فيكون متبعاً لهواه، ومبتدعاً لنفسه طريقاً مخالفاً، فيقع في الانحراف والبدع، يقول الشيخ أبوبكر غومي رحمه الله منتقداً مشايخ الصوفية الذين يصدون الناس عن سماع قول الحق، الذي يرويه الدعاة السلفيون من الكتاب و السنة: «... وهذا مع ما يشترطونه من الشروط التي تنافي الشريعة، من منع زيارة العلماء السنيين السلفيين أهل الله، والتزام ما لا يلزم، وترك الواجبات، والتحذير من تعلم علم التوحيد، والعلوم الشرعية التي هي قوام الدين، وقراءة أوراد غير مفهومة المعنى وغير ذلك، فكلها من البدع المذمومة، وداخلة في قوله تعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[(٢)]، كما أن مثل هؤلاء قد ينطبق عليهم قول الله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[(٤)]،... إلى أن قال: والمقصود بالمؤمنين في آية النساء والله أعلم: الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، وتابعو التابعين، ومن حذا حذوهم بإحسان إلى يوم الدين»[(٥)].

---

(١) سورة طه، آيات: ١٢٤ــ١٢٦.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢١.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٣ــ١٠٦.

(٥) العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، المرجع السابق (ص ٥٥ــ٥٦).

٢ ـــ الترهيب بالموت وما بعده[١]:

ومن الأساليب الناجعة التي استخدمها علماء غربي إفريقية، في دعوة الناس إلى اجتناب البدع، والتزام العقيدة الصحيحة، وقد أتت بنتائج مثمرة، قيامهم بترهيب الناس، وتذكيرهم بالموت الذي يصيب كل حي، وما فيه من سكرات وأهوال، ومن عذاب القبر وضمّه وضيقه ووحشته وظلمته، وما فيه من سؤال الملكين، وتعذيب من انحرف عن الله ورسوله ﷺ، واتبع هواه بغير علم. وكان هؤلاء العلماء ينتهزون ـــ غالباً ـــ مناسبات العزاء حيث يخيِّم الحزن على أهل الميت، وجيرانه وأقربائه وأهل بلدته، فيذكِّرون الناس بأن الموت أو هادم اللذات، واقع على كل نفس لا محالة، لقوله تعالى:﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾[٢]، وأن الناجي عند الله، هو من يتبع منهج الله تعالى، ويتمسك بسنة رسوله ﷺ، وأن من خالف ذلك فهو معرض لا محالة لعذاب الله تعالى أثناء سكرات الموت، وكذلك عندما يدفن في قبره، وحتى قيام الساعة، لقوله تعالى حكاية عن آل فرعون وقومه:﴿ **ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ** ﴾[٣]، إذن فالعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لأن عذاب القبر شامل لكل من اتبع هواه بغير هدى من الله ورسوله ﷺ.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:«وقوله: (**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**)، فإن أرواحهم يعرض على النار صباحاً ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: (**ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**)، أي أشده ألماً، وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة والجماعة على عذاب البرزخ في القبور» [٤].

وأما الأدلة الواردة من السنة على إثبات عذاب القبر، ووقوعه لمن عصى الله ورسوله ﷺ، ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير. أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة. قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟

---

(١) ذلك لأن الناس بطبيعتهم جميعاً يخافون الموت وما بعده.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٤) تفسير ابن كثير، المرجع السابق (٨١/٤).

قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[1]، وفي رواية للنسائي: سمع رسول الله ﷺ صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال: «**يعذبان، وما يعذبان في كبير** ...» الحديث[2].

وهكذا يُعذب العاصي في قبره، لكن كيفية هذا العذاب لا نعلمها[3]، فنؤمن بها ولا نحرفها، ونسند علم حقيقتها إلى خالقها تبارك وتعالى، فكما أننا لا نسمع أصوات المعذبين، فكذلك لا نرى عذابهم. ولو كان يرى هذا العذاب بالعين المجردة، لذهبت الفائدة من ابتلاء العباد بالإيمان به، لأن المدرك بالحواس يتفق العقلاء على تصديقه، أما الغيب فهو الذي يعرف فيه المؤمن من الكافر، فالمؤمن يصدق بكلام الله ورسوله ﷺ، وأما الكافر فلا يؤمن لأنه لا يرى العذاب.

٣ ـ الترهيب من مغبة الوقوع في المعاصي:

فإلى جانب الترهيب من الموت وأهواله وسكراته، وما يصيب العبد في قبره من نعيم أو عذاب، فقد حذّر علماء غربي إفريقية من مغبة الوقوع في المعاصي والموبقات التي توقع الناس في سوء الابتلاء في القبر، والعذاب الأليم يوم القيامة، والتي من أعظمها وأخطرها على الإطلاق، ما يقع فيه بعض الناس من أعمال الشرك، كالسحر والشعوذة، وإتيان العرافين والمنجمين والكهان وغيرهم ممن يدَّعون علم الغيب، أو الاستعانة أو الاستغاثة بمن يُسمون بالأولياء والأقطاب، مع تقديم النذور والقرابين لهم من دون الله، فهذه الأنواع كلها تؤدي بفاعله إلى الظلم العظيم، والكفر الصريح بالله تعالى، وعدم مغفرته له، ومن لم يغفر الله له في الدنيا، فإنه يعذب في قبره وفي يوم القيامة لا محالة، قال تعالى حكاية عن لقمان وابنه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾[5].

وقول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**: قيل وما هن يا رسول الله؟ **قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"**»[6].

---

(١) صحيح البخاري (١/٨٨)، رقم (٢١٥)؛ وصحيح مسلم (٣/١٩١)، (٦٧٥).

(٢) سنن الكبرى للنسائي (١/٦٦٤)، (٣١).

(٣) لأنها أمر غيبي لا يعلمها إلا الله، فلا يجوز الخوض فيها بالأقيسة والآراء، وإنما يتوقف فيها مع النص إثباتاً ونفياً. والآيات في هذه المسالة كثيرة جداً، لا يسعنا إيرادها في هذه العجالة.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٦.

(٦) صحيح البخاري (٣/١٠١٧)، رقم (٢٦١٥)؛ وصحيح مسلم (٢/٢٧٣)، رقم (٢٥٨).

وهكذا فإن الوقوع في البدع والمعاصي قد يؤدي بصاحبه إلى اقتراف الكبائر التي تنعكس عليه بعواقب وخيمة إن لم يتب منها، إذ لا يقبل الله مع الشرك عبادة من صلاة وصيام ولا صدقة، ولا أي نوع من أنواع العبادة التي يتقرب بها إلى الله رجاء نيل رحمته وثوابه، واتقاء غضبه وأليم عذابه.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «... إن البدعة[1] لا يقبل الله معها عبادة من صلاة وصيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجلس صاحبها تنزع منه العصمة، ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها؟ وهو ملعون على لسان صاحب الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً، وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي قبلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقى عليه الذلة، و الغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ، ويخاف عليه أن يكون معدوداً في زمرة الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسوَّد وجهه في الآخرة، ويعذب بنار جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ، وتبرأ منه المسلمون، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة»[2].

ويتلخَّص من هذا، أن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب المهمَّة التي استغلها العلماء في غربي إفريقية أيما استغلال في دعوة الناس إلى نبذ البدع واجتنابها، وإلى حثّهم بضرورة التمسك بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف رحمهم الله، كما رغبوا الناس في تقوى الله، وإخلاص العبادة له في السر والعلن، لما يحصل بذلك من تحقيق سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، وخوَّفوهم كذلك[3] من مغبة التمادي في المعاصي والموبقات التي أساسها الابتداع في دين الله، واتباع خرافات الطرقية وغيرهم، وأن مصير العصاة والمعرضين عن منهج الله ورسوله ﷺ، هو الخزي والهوان في الدنيا، وعذاب في البرزخ، وخلود في النار يوم القيامة.

فرحم الله تعالى علماء غربي إفريقية وفقهاءهم الذين صدعوا بالحق، فأصبح التاريخ شاهداً لهم جميعاً على مآثرهم الجليلة، دفاعاً عن حياض الإسلام وشأنه.

---

(١) لعله يقصد ما يؤدي من ذلك إلى الشرك الأكبر، كتقديس المشايخ، وعبادتهم والتوسل بجاههم، والاستغاثة بهم من دون الله.

(٢) الاعتصام، المرجع السابق (١/١٤١ــ١٤٣).

(٣) عبر اللقاءات والمحاضرات وحلقات العلم وغيرها.

المطلب الثالث

القدوة العملية الحسنة

نقصد بالقدوة العملية الحسنة: ذلك الداعية المثالي الذي يتأسى ويقتدي به الناس في أفعاله وأقواله، وسيرته المتحلية بالصبر، والثبات على الحق، و التمسك به، وقد قيل قديماً: «مقام رجل في ألف رجل، خير من كلام ألف رجل في رجل»[1].

وللقدوة العملية الحسنة أهمية كبرى في حقل الدعوة، وفي تعديل سلوك المدعوين، وتصحيح عقائدهم، ودعوتهم إلى التزام الكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات،لأن الداعية بأخلاقه العالية،وسيرته الحسنة، وسلوكه المثالي، يكون قدوة طيبة، وأسوة حسنة لغيره من المدعوين، ذلك لأن تأثير الأفعال أقوى وأبلغ في نشر القيم والمبادئ، من تأثير الأقوال وحدها.

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة بسيرته العطرة، وأخلاقه العالية للناس جميعاً، فقد كان ﷺ مربياً، ومعلماً، وهادياً، وإماماً، ومجاهداً في سبيل الله، وقائداً في حياته العامة، وزوجاً، وأباً، وجداً، وعائلاً في حياته الخاصة، متحلياً بالمحامد كلها علماً وقولاً وعملاً، مجسداً معاني القرآن الكريم في أفعاله كلها قبل أن ينطق به، ومترجماً لآياته وألفاظه، ومطبقاً أحكامه في معاملاته مع أهله وأصحابه والناس جميعاً. فكان لهذه الأخلاق السامية الأثر الكبير في نفوس أتباعه، وفي مجامع قلوبهم، فاقتدوا به أيما اقتداء في كل صغيرة وكبيرة، سواء ما يتعلق بأمور العقيدة أو العبادة أو المعاملات، وحتى أعمال اليوم والليلة من أكل وشرب ونوم وجلوس ولباس وكلام ونحو ذلك من الأمور العظيمة التي حفلت بها كتب السيرة والشمائل، والتي وصلت بالمجتمع الإسلامي في عهده الميمون إلى قمة السعادة، والسموّ، والطهر، والعفاف، وفق منهج القرآن الكريم[2]. ولقد صدقت الصديقة بنت الصديق (رضي الله عنهما) عندما سألها الصحابي الجليل سعد ابن هشام بن عامر عن خلقه ﷺ؟ فأجابت: أما تقرأ القرآن؟!، قال: بلى. قالت: «**كان خلق النبي ﷺ القرآن**»[3].

وهكذا فالداعية يكسب بامتثاله لما يدعو إليه، أكثر مما يكسبه بأقواله اللبقة، لأن الناس ينظرون إلى الدعاة كنماذج حية لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون

---

(١) مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، (ص ١٦٨)، ط١، دار الوفاء، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب،(١/٤٥)، ط٣، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٣) مسند أحمد (٧/٢٣٤)، رقم (٣٤٧٧٤).

بكلماتهم وخطبهم المثيرة[1]، ولقد حدث ذلك مع رسول الله ﷺ، حين أمر أصحابه بعد صلح الحديبية، أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم[2]؛ قال ابن القيم رحمه الله: «... فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: **"قوموا فانحروا ثم احلقوا، فو الله ما قام منهم رجل واحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد. قام فدخل على أمِّ سلمة (رضي الله عنها)، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله: أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فقام ﷺ فخرج، فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا"»**[3].

وهكذا فالقدوة العملية الحسنة، من أنجح الأساليب للتوجيه، والاتصال بالناس، ومن ثمَّ وجب على الداعية أن يكون قدوة طيبة لغيره في الالتزام بالسنة، والابتعاد عن البدعة مهما صغر، إذا ما أراد لنفسه النجاح في الإصلاح الذي ينادي به، لأن الداعية الناجح حينما يكون مهتدياً في نفسه، مخبتاً لله، طائعاً له، متجنباً نواهيه، ملتزماً بأوامره، فإن ذلك ـــ بلا ريب ـــ دليل واضح على إيمانه العميق، وثقته بما يدعو الناس إليه، لكونه أول الملتزمين به، وهذا من أقوى الأساليب في إقناع المدعوين، وشحذ هممهم نحو الامتثال والتآسي.

وقد برز تأثير استخدام علماء غربي إفريقية، لهذا الأسلوب الرباني الرفيع في توعية الناس، وإرشادهم إلى الخير، والعقيدة السامية، من خلال الأمور التالية:

١ ـــ محاربة الاعتقادات الموروثة بالقدوة العملية الحسنة:

لقد برز علماء من غربي إفريقية بنشاطهم الدعوي، وصبرهم على تحمل أذى المدعوين بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانوا مثالاً حياً للتفاعل الأخوي، والقدوة العملية الحسنة فيما يدعون الناس إليه، من تصحيح للعقائد، ونبذ للبدع والشبهات، وكانت أفعالهم ومعاملاتهم اليومية مع الناس تصرح بمواقفهم، ونبل أخلاقهم قبل أقوالهم، يدل على ذلك قول أحدهم: «عندما ندعو المسلمين إلى تصحيح إسلامهم، يجب أن نُعلِّمهم بأنهم منا، ونحن منهم، وألا نعد أنفسنا مجتمعاً

---

(١) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل،(ص ٧٤)، ط٢، دار ا لوفا للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد العمار،(ص ٤٦ــ٤٧)، ط٣، دار اشبيليا، الرياض، ٢٠٠٣م.

(٣) صحيح البخاري (٩٧٤/٢)، رقم (٢٥٨١)؛ وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، المرجع السابق (٢٩٥/٣).

منفصلاً عن باقي المسلمين بحال من الأحوال، لأن ذلك يجعلنا منعزلين عنهم، و الواجب أن نكون أرأف بهم، نشعر بما يشعرون به، ممتثلين كل ما ندعوهم إليه، فهم حقل الدعوة الذي نبذر فيه بذور دعوتنا الإصلاحية»[1].

وهذا القول لا ريب صحيح، إذ إن هناك فرقاً واضحاً بين دعوة الكافر للإسلام، وبين دعوة المسلمين لتصحيح عقائدهم، فالكافر يكفيه حق الدعوة والبلاغ، أما المسلم فله حق الأخوة مهما كانت درجة خطئه وانحرافه، لأن من حقوق الأخوة في الإسلام، حسن الظن بالمسلم، وعدم وصفه بالكفر والضلال، فيكون ذلك سبباً لرفضه عن قبول الحق، أو تماديه في الباطل.

وممن قدم أروع الأمثلة للقدوة العملية الحسنة من دعاة غربي إفريقية المعاصرين، الداعية المعروف الشيخ أبي بكر مولي رحمه الله[2]، الذي استطاع أن يذيب كثيراً من جليد العقائد الموروثة، ويقرر العقيدة الصحيحة في المجتمع الغرب الإفريقي؛ إذ كان هناك اعتقاد سائد، مفاده: أن الرجل المولوي لا يجوز له الزواج بالمرأة المولوية بأي حال من الأحوال، لما يتوقع من وراء ذلك من استنزال نقمة الأسلاف على القبيلة بالمصائب، والأمراض والكوارث، وعلى الزوجين بالفقر والعقم، وعدم السعادة والبركة في حياتهما الزوجية.

وقد حاول الشيخ رحمه الله محاربة هذا الاعتقاد الفاسد الذي شبَّ عليه الولدان، وشاب عليه الكبار، وبين لهم أن هذا من خرافات الآباء والأجداد، والتي لا تمت إلى دين الإسلام بأدنى صلة، وبالتالي يجب أن تزال وتمحى، لكن الناس اعتبروه مجنوناً يريد هلاك نفسه بمخالفته لسنن الأسلاف. ولما عجز الشيخ رحمه الله عن إقناع أهل قبيلته بترك هذه العقيدة المنحرفة، وتزويج البنات لمن هو كفؤ لها من أفراد القبيلة. انتهج أسلوب القدوة العملية الحسنة، وقام بتزويج إحدى بناته (المولوية)، لتلميذه (المولوي)، فقدر الله تبارك وتعالى لهذين الزوجين أن يعيشا حياتهما في أتم السعادة والبركة والنَّماء، وقد رزقهما الله ستة أبناء: خمسة من الذكور، وبنتاً واحدة. فكان هذا العمل من هذا الداعية المثالي قدوة صالحة لأفراد هذه القبيلة، حيث أيقنوا على بطلان هذه العقيدة

---

(١) من خلال حديث الباحث مع الشيخ الداعية أبوبكر فوفانا، الرئيس الأعلى لمجلس الأئمة والدعاة بساحل العاج.

(٢) هو الشيخ أبوبكر بن عبد الله مولي، ولد في سكودي بشمال دولة توجو الحالية، كان من أبرز الدعاة السلفيين في الخمسينات، كان معروفاً بالصرامة والجد، وقول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تنقل كثيراً في أرجاء غربي إفريقية، كان من أبرز أعماله الدعوية، قيامه بكسر الصنم الكبير (منجلبو) في مدينة "سكودي" بغانا، وقتل الثعبان العظيم الذي كان يحرس هذا الصنم، واستشهد سنة (١٩٦٢م) على أيدي قوات الاحتلال الفرنسي في سجن المدينة نفسها. انظر: الأخبار الأولى في التعريف بالشيخ أبي بكر مولي (ص ٦)، مخطوط.

التي كانت سبباً في حرمانهم ما أحل الله لهم منذ عقود طويلة، فأقبلوا جميعاً يحذون حذو الشيخ رحمه الله، وينتهجون نهجه بيسر وطمأنينة[1]. وهذا من رحمة الله بنا، أنه لم يتركنا دون قدوة نقتدي بها، فالعلماء ــ علماء أهل السنة والجماعة ــ هم الذين يرجع إليهم في فهمهم، وفي رأيهم، وفي كلامهم، لأنهم علموا من الشرع، وعلموا من قواعده الكلية، ومن ضوابطه المرعية ما يعصم من البدع، وما يعصم من الشرك والانفلات.

٢ ــ تأثير القدوة العملية الحسنة في مجال التربية والتعليم:

ولما كانت التربية والتعليم من أهم النشاطات التي تؤدي إلى تغيير المجتمع من الداخل بهدوء وحكمة، فإن أصل عملية هذا التغيير يكمن في تنشئة الأجيال المسلمة على المبادئ الصحيحة، والقيم النبيلة، حيث يمثل هؤلاء اللبنة الأساسية في مجتمعاتهم، لذا فقد أدرك علماء غربي إفريقية أن الواجب يحتم عليهم أن يصبغوا هذا المجال الخصب بالصبغة الإسلامية، وأن يقدموا القدوة العملية الحسنة فيه، لتكون ذلك كفيلة في تمكين العقيدة الصحيحة في نفوس هؤلاء الأجيال، وإبعادهم عن طريق الغواية والتيه[2].

لذا كان واجباً عليهم أن يتخذوا من منهج رسول الله ﷺ في التربية والتعليم قدوة يتمكنون من خلالها، من إعداد جيل من التلاميذ، لهم مكانتهم وأثرهم في مجال الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة، ولين الجانب؛ فكان هؤلاء الدعاة خير قدوة لتلاميذهم، سواء فيما يقدمونه لهم من علم نافع، أو ما يدعونهم إليه من الالتزام بالكتاب والسنة، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، والبعيدة عن البدع وخرافات الأسلاف.

ومن أهم مَن امتثل هذا الأسلوب في غربي إفريقية، هو الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، الذي ضرب أروع الأمثلة للداعية والمعلم والأب والمربي، والقدوة الحسنة لتلاميذه وأتباعه سواء في مجال الحكم والسياسة، أو في مجال التربية والتعليم، أو في مجال الدعوة والإرشاد، ممتثلاً لما يصدر

---

(١) ولا يخفى ما في التعليم بالقدوة العملية الحسنة من أثر طيب، وتعليم دقيق وشامل، وترسيخ للعلم الثابت. انظر: صفات الداعية، المرجع السابق (ص ٩٨).

(٢) ذلك أن التربية بالقدوة هي التربية الأكثر تأثيراً في الصغار، ومن هنا فإن رؤية الصغار للآباء والأمهات وهم يقومون بدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، تجعلهم يتطلعون إلى تقليدهم ومساعدتهم في تلك الخدمات الخيرة التي يقدمونها، وشيء مفيد أن يتحدث الأهل أيضاً عن جهاد النبي ﷺ وصحابته الكرام في ترسيخ هذه العقيدة الربانية في المجتمع العربي المكي، وما عانوا في سبيل ذلك من المصائب والمحن، حتى يشعر الأطفال بأن العقيدة المنبثقة من الكتاب والسنة هي الأصل في حياة الإنسان.

من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من التعاليم النيِّرة، مكتفياً بآثار من سلف من دعاة الخير من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، مما جعله قدوة صالحة يحتذى لمن اقتبس من علمه وصبره وجهاده وبذله في سبيل الله، يقول عنه الشيخ أحمد عمر عبيد(١): « ولقد عُرف الشيخ عثمان بن فودي بالتقوى والصلاح، مع غزارة في العلم والمعرفة، والتأني في الحكم مع العزم الحاسم، المتوكل على الله، مما جعله قدوة حسنة تهفو إليه أفئدة تلاميذه وأتباعه»(٢).

ويقول عنه الأستاذ بابكر حسن ماري(٣): «كان الشيخ عثمان رحمه الله يتأدب بأدب الداعية الجم الذي ترتاح له النفس، وتنجذب إليه القلوب، ومن ثمَّ تتفاعل معه، وتسير في دربه ونهجه، فالداعية قدوة حسنة في المقام الأول، لهذا كان الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، إذا وصل إلى مجلسه حيا الجميع ببشاشة نادرة، ووجه طليق، وتكلم بأحسن الكلام، ثم إنه كان صبوراً لا يتضجر ولا يحقد، ولا يغضب إلا عندما تنتهك حرمات الله، ولا يبدي التعب أو الملل أمام الناس مهما كانت الظروف والأحوال»(٤).

كما برز من علماء غربي إفريقية أيضاً في المجال نفسه، الشيخ آدم عبد الله الألوري، والشيخ أبوبكر محمود غومي، والشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار وغيرهم كثير ممن ضربوا لنا أروع الأمثلة للقدوة العملية الحسنة في إصلاح الأوضاع الدينية، وفي مجال التربية والتعليم والدعوة، فتخرج على أيديهم كوكبة من أبناء غربي إفريقية، وصفوا بالصفوة المختارة، والجماعة المتميزة، اقتبسوا من معين علم هؤلاء الأخيار، وحذوا حذوهم في نبل أخلاقهم، وجهادهم في الإصلاح، وصبرهم على تحمل أذى الخصوم، وحملوا لواء الدعوة لنشر العلم الشرعي الصحيح المقتبس من الكتاب والسنة، والقائم على بيان العقيدة الصحيحة، وإقامة السنن، ونبذ البدع، وقد توزعوا وانتشروا ــ بعد تخرجهم ــ في أنحاء غربي إفريقية، يدعون الناس إلى الخير والهدى، ولا تزال آثار تلك الدعوة المباركة تؤتي أكلها غضة طرية، وفي كل حين بإذن ربها.

---

(١) هو الدكتور أحمد بن عمر عبيد يشغل حالياً منصب رئيس إدارة المناهج والتدريب بالجامعة الإفريقية العالمية بالخرطوم.

(٢) ضمن بحوث الندوة العالمية عن جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله (ص ١٠٤).

(٣) يعمل محاضراً بالجامعة الإفريقية العالمية بالخرطوم، ضمن بحوث الندوة العالمية عن جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله (ص ١٠٦).

(٤) ضمن بحوث الندوة العالمية عن جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله (ص ١٢٤).

٣ ــ تأثير القدوة العملية الحسنة في الأسرة والمجتمع:

إن الأسرة هي أساس كيان المجتمع، لأن من مجموعها يتكون المجتمع، فهي بالنسبة له كالخلية لبدن الإنسان، ويترتب على ذلك أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع كله، ولهذا اعتنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة، وجعلها من أهم المؤسسات إنتاجاً في حياة المسلمين عامة، وفي مناهج الدعوة الإسلامية بصفة خاصة، ويعود سبب ذلك إلى الدور العظيم الذي يناط بهذه الأسرة في تنشئة أفرادها، ليكونوا رجالاً صالحين منتجين مؤثرين في المجتمع.

ونظراً لأهمية القدوة الصالحة في مجال الأسرة والمجتمع، رأينا من علماء غربي إفريقية مَن جسد القدوة الحسنة في نبذ الابتداع، وتصحيح الأوضاع العقدية المنحرفة في حياته الدعوية، بدءاً من بيته وبين أسرته من حيث التزامه بالكتاب والسنة، وغرس مفاهيم العقيدة الصحيحة في أفراد أسرته، وقيامه بالواجبات الدينية، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، مما جعله خير قدوة، وأقوى تأثير في توجيهه، ورعايته لأفراد أســــــرته، تحقيقاً لقوله تعالى عن نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[1]، وقوله تعالى عن لقمان وهو يرشد ابنه إلى الخير بعد أن التزم به هو أولاً: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2].

ولما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله،**

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٥.

(٢) سورة لقمان، آيات: ١٧ــ١٩.

ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته»[1].

وقد برزت ثلة من دعاة غربي إفريقية ممن مثلوا أروع الأمثلة في هذا المجال، أمثال: الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ آدم عبد الله الألوري، والشيخ أبوبكر غومي،والشيخ عبد الصمد بن حبيب الله المختار كما تقدم في ترجمتهم رحمهم الله، فخرَّجوا للمجتمع الإسلامي الغرب الإفريقي، أناساً علماء وفقهاء، صالحين ومصلحين من أبنائهم وبناهم، تمسكوا بالسنة، وحملوا لواء الدعوة إلى تصحيح عقائد الناس؛ مما أدى إلى تنامي العقيدة الإسلامية، وتمكينها في المنطقة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) صحيح البخاري (٢/٨٤٨)، رقم (٢٤١٦)؛ وصحيح مسلم (١٢/٤١٧)، رقم (٤٧٠١).

الفصل الثالث

الجماعات الدعوية في غربي إفريقية وجهودهم في تقرير مسائل العقيدة

تمهيد:

المبحث الأول: جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وجهودها في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني: حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية وجهودها في تقرير مسائل العقيدة.

تمهيد

يلحظ أن الدعوات السلفية الإصلاحية في غربي إفريقية، قد عاشت في بدايات القرن العشرين فترة ركود نسبي، نتيجة تغلب القوات الاستعمارية، ومضايقاتها المتواصلة لكل ما هو إسلامي من جهة، والسيطرة الروحية الكاملة للطرق الصوفية المختلفة من جهة أخرى. وقد عملت الإدارة الاستعمارية الغربية على دراسة أوضاع أرباب الطرق المختلفة: الدينية والثقافية والاجتماعية وغيرها، فسعت إلى احتوائها، وضمها إلى صفوفها، لمحاربة كل فكرة أو جماعة تنادي بالعودة إلى الإسلام الصحيح. فأصبحت الساحة ــ بعد تضييق الخناق على دعاة الإصلاح ــ خالية تماماً لأصحاب هذه الطرق، وأصبح لكل فرد من المسلمين شيخ وطريقة، مما أضفى على صلة المريد بشيخه بعداً عقدياً وسلوكياً خاصاً، يقوم على تقديس المشايخ، وطاعتهم طاعة عمياء مطلقة.

وعلى الرغم من محاولات الإدارة الاستعمارية التنصيرية، إضافة إلى السيطرة الروحية الصوفية في المنطقة، في تضييق الخناق على رموز الدعوة السلفية في المنطقة، فقد استطاعت بعض الحركات الإصلاحية الدعوية، أن تشق طريقها لتحقيق أهدافها السامية، والمتمثلة في تحرير العباد من عبادة المشايخ والأولياء، إلى عبادة ربِّ العالمين.

وكان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التي قامت في شبه الجزيرة العربية، أثرها الطيب في المناداة إلى صفاء الدين، وتصحيح العقائد مما علق بها من الشوائب والشبهات. فانتقل صدى هذه الدعوة المباركة إلى بلاد غربي إفريقية، عن طريق الحجاج والمعتمرين، مما أعطت قوة دفع ــ فيما بعد ــ لتلك الدعوة الإصلاحية المباركة، التي قادها المجدد الإسلامي الإفريقي الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، وقد ساهمت هذه الدعوة الطيبة، في تنمية الفكر الديني السلفي لدى كثير من مسلمي الغرب الإفريقي.

ثم ظهرت بوادر الاتجاه الإصلاحي في السنغال، في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، وتحديداً سنة (١٩٢٩م)، حيث تم توزيع عدد من المنشورات باللغتين: العربية والفرنسية، تحارب علناً ما تقوم به مشايخ الطرق، من تزييف للحقائق الدينية المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن ــ مع الأسف ــ سرعان ما تمت مصادرتها من قبل الإدارة الاستعمارية التي كانت تعمل يداً بيد مع أولئك المشايخ لضرب الإسلام السلفي.

من هنا شعر بعض الدعاة أنهم بحاجة ماسة إلى قوة تساند أعمالهم الدعوية، وتحميها من محاولات الطمس والاحتواء، فلا الزعامات الصوفية هي التي تخاطر بتربية فلول من أهل السنة، لتنقلب عليها بعد حين، وتسفه أحلامها، وتنزع عنها جلابيب القداسة، بل وترمي بعقائدها وطقوسها عرض الحائط[1]. ولا السلطة السياسية هي التي ترعى أعمالها، وتعطيها الشرعية، لما ترى فيها من التطرف والرجعية، التي لا تتماشى مع المشروع الحضاري العلماني القائم على الظلم والاستبداد.

لذا وجد علماء غربي إفريقية الحاجة الماسة إلى إنشاء الجمعيات، والمؤسسات الدعوية تنهض بواجبات الدعوة التي تنوء بحملها الأفراد، فأنشئت جمعيات ومؤسسات كثيرة ومختلفة، لا تزال بعضها تؤدي دورها في نشر العقيدة، ومحاربة البدع والخرافات، والوقوف أمام المدِّ التغريبي الهائج، كما أصبح بعضها مع مرور الأيام في طيِّ النسيان والخفاء.

وفيما يلي من المباحث، يعرض الباحث لنموذجين من أهم الجماعات الدعوية في غربي إفريقية وجهودهما في مجال تقرير مسائل العقيدة، والذب عنها؛ وهما: جماعة "إزالة البدع وإقامة السنة بنيجيريا"، و"حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية بالسنغال".

---

(١) حسب زعم بعض زعمائهم الضالين المضلين.

المبحث الأول

جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وجهودها في تقرير مسائل العقيدة

المطلب الأول

نبذة عن تاريخ الجماعة

لقد ولدت فكرة تأسيس هذه الجماعة على أثر فشل خطة اغتيال الشيخ أبي بكر غومي رحمه الله، أثناء أدائه لفريضة الحج سنة (١٩٧٦م) بمكة المكرمة، وذلك بتدبير وتحريض من غلاة الصوفية الذين خططوا وتآمروا باستئجار شابين مدربين لتنفيذ الخطة الخبيثة، إلا أنها باءت بالفشل ــ بتوفيق الله تعالى وعنايته ــ ففرّ الشابان إلى بريطانيا و لم يتم القبض عليهما؛ فعاد الشيخ غومي رحمه الله إلى موطنه بعد أدائه لمناسك الحج سالماً غانماً معافاً.

وعلى خلفية هذا الحادث المؤلم الذي وصل صداه ــ عبر الحجاج ــ إلى بعض أقطار العالم الإسلامي في ذلك الوقت، اكتشف بعض الشباب الذين كانوا يحرَّضون من قبل المتصوفة على إيذاء الشيخ أو اغتياله[١]، اكتشفوا أن الهدف الأساسي من هذه العداوة الشديدة ضد الشيخ غومي وأنصاره هو الحسد، ومحاولة التخلص من الشيخ ودعوته الإصلاحية. وكان من بين هؤلاء الشبان شاب ذكي متحمس وشجاع، يدعى: (بلال سراج)، وكان ينتمي إلى الجماعة التجانية في مدينة "كادونا"، فخرج ينتقد علناً زعماء الطرق الصوفية المختلفة الذين كانوا ينصبون العداء للشيخ غومي رحمه الله، محتجاً بأنه لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله إيماناً جازماً، أن يتجرأ على إيصال ضرر لأخيه المسلم، ناهيك عن قتله أو تصفيته جسدياً لمجرد اختلاف في الرأي أو الانتماء. وأعلن توبته ورجوعه من الطريقة التجانية إلى مذهب أهل السنة الذي يدعو إليه الشيخ غومي رحمه الله، فانقلب بذلك على المشايخ، وبدأ حركة مناوئة ضدهم[٢]، يلقي محاضرات عامة في المدن والولايات، ينتقد فيها ما ينوون القيام به ضدَّ الشيخ غومي رحمه الله، مما أدى في النهاية إلى تكوين حركة دينية جديدة، تهدف إلى جمع كلمة المسلمين على السواء، وتدعو إلى الإسلام الحق الذي جاء به الكتاب والسنة. وكان جلٌ أنصاره والمستمعين لمحاضراته وتوجيهاته من الشباب

---

(١) وقد تأثروا بما لحق بالشيخ غومي رحمه الله من ظلم وعداوة مستحكمة من قبل رجالات الطرق المختلفة.

(٢) بعد اطلاعه على عدد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وبعد إقناعه على أن مذهب أهل السنة والجماعة هو النهج الإسلامي الصحيح المنبثق من الكتاب والسنة كما تقدم.

الذين نالوا قسطاً من الثقافة الإسلامية وغيرها، لذا سرعان ما أدركوا مضامين دعوته، والحقائق التي تستند إليها.

اجتمع هؤلاء الشباب، وكان من بينهم بعض تلاميذ الشيخ غومي رحمه الله، ثم أرسلوا وفداً إلى الشيخ بقيادة الشيخ (بلال سراج)، لإفادته بأن شباب السنة في نيجيريا ينوون إنشاء جماعة سنية دعوية، باسم: "جماعة إزالة البدعة"، فرحب بهم الشيخ رحمه الله، وبارك هذه الفكرة، وشدد عليهم بإخلاص النيات لله عز وجل، ثم قال رحمه الله: «... إن الجماعة الدعوية وسيلة عظيمة للدعوة إلى الله تعالى، فهي من باب التعاون على البر والتقوى، ولا شك أن الدعوة إلى الله، ونشر دينه، وإعلاء كلمته هو أعظم البر والتقوى، فإذا قامت الجماعة الدعوية على الكتاب و السنة، والنصح لكل مسلم، وأن تقول الحق، لا تخاف في الله لومة لائم، ونظمت صفوفها، ووحدت كلمتها، وجعلت جهادها نصراً للدين، وإعلاء لكلمته في الأرض، أعزها الله تعالى ونصرها، كما قال تعالى:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]، وحصل لها الأمن والتمكين والرفعة بإذن الله في الأرض، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[2]. ثم طلب منهم إضافة كلمة: "وإقامة السنة"، لبيان الهدف الذي تسعى الجماعة إلى تحقيقه بتوفيق الله، وبذلك أصبح اسم الجماعة: "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة". وقد عقد أول مؤتمر لها سنة (١٩٧٨/٢/٨م) في مدينة "جوس" عاصمة ولاية "بلاتوه"، وأنشئت اللجان التي تتولى مهام الجماعة، كما تم اختيار مدينة "جوس" مركزاً رئيساً للجماعة.

وبهذا تكون "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" في نيجيريا وما حولها امتداداً لدعوة الشيخ أبي بكر محمود غومي رحمه الله، وثمرة جهوده الإصلاحية المباركة[3]، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٢) سورة النور، آية: ٥٥.

(٣) انظر: عن أعمال الشيخ أبي بكر غومي (ص ٨١ــ٨٢) باللغة الهوسا، وانظر: موقفي: السيرة الذاتية للشيخ أبي بكر غومي (ص ١٤٢ــ١٤٥)، مخطوط.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

المطلب الثاني

مبادئ وأهداف جماعة إزالة البدع وإقامة السنة

انطلقت "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" في أنشطتها الدعوية المختلفة، لتقرير العقيدة الصحيحة، والرد على الطرقية المبتدعة؛ واضعة نصب عينيها، مجموعة من المبادئ السامية التي تعتمد عليها الجماعة ـــ بعد الله تعالى ـــ في تحقيق أهدافها العليا، والتي تتكون في:

١) العمل على نشر التعاليم الإسلامية الأصيلة،كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة.

٢) البراءة من كل شخص يدَّعي تلقي الوحي من الله بعد وفاة النبي ﷺ، أو أن النبي ﷺ أخفى شيئاً مما أرسل به، ليعطيه شخصاً آخر يأتي بعد موته ﷺ بقرون، أو أن يأمره النبي ﷺ بأوامر ونواه بعد وفاته ﷺ، مما لم يرد في سنته ﷺ المأثورة.

٣) إحياء روح الشعور بواجب الدعوة التي أوجبها الله على كل فرد مسلم.

٤) الإيمان بأن الله تعالى قد أكمل الدين، كما أخبرنا به في كتابه، و سنة رسوله ﷺ ... إلى غير ذلك مما تضمنه القانون الأساسي للجماعة[١].

وقد فصل قادة الجماعة الحاليين القول في تلك النقاط الأربعة الأساسية، بصورة أكثر وضوحاً وتبياناً، وذلك على النحو التالي:

أ ـــ الاعتقاد بأن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة. أما السلف فهم الأئمة المجتهدون الذين خدموا الإسلام وأهله، وهم بمنزلة المعلمين والمبلغين، نحبهم ونجلهم ونعظمهم، ونداقع عنهم ونتبع منهجهم، ثم نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه.

ب ـــ الاعتقاد بأن صفات الله تعالى هي كما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ثم نكف عن الجدل في ذلك، ونسكت عما سكت عنه السلف، ونتكلم فيما تكلموا فيه، لنا فيهم أسوة حسنة.

ج ـــ الاعتقاد بإفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستعانة واستغاثة، ثم مقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك صريحاً أو تأويلاً إلى غير الله.

---

(١) عن أعمال الشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ١٥٣ـــ١٥٤).

د ــ الاعتقاد بأن الإيمان هو التصديق الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح، وكل نقص في العمل مع التمكن منه والقدرة عليه، هو نقص في الإيمان بقدره، وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق وآداب وسلوك... إلخ.

هـ ــ الاعتقاد بأن البدعة في الشريعة هي كل جديد في العبادات على غير مثال سابق من سنة رسول الله ﷺ، سواء أكان ذلك في أصله أو في طريقة أدائه.

و ــ التفاني في حبِّ رسول الله ﷺ بالتمسك جهد المستطاع بكل ما أمر، ونتجنب كل ما نهى عنه، والإكثار من الصلاة والسلام عليه كما أمر الله تعالى بذلك.

ز ــ الاعتقاد بأن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، كما ورد في الحديث الصحيح، وأن الله تعالى يشفع من يشاء في عباده لمن ارتضى، وأنه ﷺ صاحب الشفاعة الكبرى،وأنه صاحب المقام المحمود، والجاه العظيم يوم القيامة.

ح ــ الاعتقاد بأن الدين الإسلامي جماع الخير كله في الدين والدنيا، يريد من أهله وأتباعه أن يكونوا أقوياء محسنين في أعمالهم حتى يتم لهم التمكين في الأرض.

ط ــ الاعتقاد بأن الإسلام دين ودولة، وعبادة وحكم، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

ونقرأ القرآن للذكر والتدبر، كما قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[1]، ونعترف أن استنباط الأحكام منه، يكون من اختصاص أهل العلم والفقه فيه... وهكذا[2].

---

(١) سورة القمر، آية: ١٧.

(٢) انظر: عن أعمال الشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ٨٠ــ٨١)، و الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن جابر، (ص ١٩٩ــ٢٠٠)، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٨هـ.

المطلب الثالث

جهود جماعة إزالة البدع وإقامة السنة في تقرير مسائل العقيدة

على الرغم من الظروف والتحديات الخطيرة التي اكتنفت نشاطات الجماعة في مراحلها الأولى، إلا أنها استطاعت ـــ بعون الله ـــ أن ترسيَ دعائم نشاطاتها وبرامجها الدعوية، ففتحت لها فروع ومكاتب في المدن والقرى والأرياف، وبخاصة في الولايات الشمالية المسلمة، حيث اعتنت الجماعة بإنشاء المدارس الإسلامية النموذجية للبنين والبنات، وأقبلت الفتاة المسلمة على التعليم الإسلامي بشغف، ملتزمة بالحجاب الشرعي الذي أوجبه الله عليها. وقد حاول بعض مشايخ الصوفية المتطرفين، محاربة هذا التوجه الجديد في تعليم المرأة المسلمة، كما حارب أسلافهم الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، عندما خصص جزءاً من دروسه ولقاءاته العلمية للنساء المسلمات، فبعث بعضهم إليه برسائل، ينكرون عليه هذا الفعل، لأن المرأة ـــ حسب زعمهم ـــ ما خُلقت إلا للبيت والمزرعة فقط، وأن هذا العمل سوف يفتح أمامها آفاقاً في المستقبل لمنافسة الرجال في باب العلم والسيطرة.

وكان ردُّ الشيخ رحمه الله على تلك الترهات الباطلة بالحكمة والموعظة الحسنة، المتمثلة في الأبيات التالية التي وضعها أخوه عبد الله بن فودي، بتوجيه منه بذلك، فلنستمع إليه، يقول:

يأيها الذي قد جاء يرشـــــدنا * سمعاً لما قلت فاسمـــع ما قلنا
نصحت جهدك لكن ليست تعذرنا * وقلت ســـبحان هذا كان بهتاناً
إن الشياطين إن جاءوا لمجلســـنا * هم يبثون ســـوء القول طغياناً
لسنا نخالط بالنســـوان كيف وذا * كنا نحذر لكن قلت ســـلمنا
إن كان ذاك ولكن لا أســـلم أن * يتركن بالجهل هملاً كان إحســـاناً
إذ ارتكاب أخف الضـــر قد حتما * يكفر الجهل إن ذا كان عصـــياناً
هذي البلاد وجدنا قومها غرقـــوا * في الجهل تمنعهم أن يفقهوا الدينا
قد قيل تحدث للأقـــوم أقضية * بقدر ما أحـــدثوا خذ ذاك ميزاناً[1]

والجدير بالذكر أن الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله وفي أثناء تدريسه للنساء، لم يكن يقابلهن مباشرة وجهاً لوجه، وإنما كان يأمرهن بالجلوس بالسكينة والوقار والحشمة وراء الحائل

(١) هذه الأبيات وإن كانت تخالف الوزن الصحيح للشعر العربي الفصيح، فإنها تلفت نظر القارئ إلى ما كان يتمتع به هـــؤلاء العلماء الأفارقة من حب للغة العربية وأهلها. انظر: تزيين الورقات للشيخ عبد الله بن فودي، المرجع السابق (ص ٢٧).

الذي يقسم القاعة بينهن وبين الرجال[1]، وحتى وإن حصل أنه انفرد بهن بالوعظ والإرشاد، فكان يخاطبهن من وراء حائل أو حجاب[2].

وكانت نتيجة هذه الجهود المباركة من قبل أعضاء الجماعة، إعداد مجموعة من الفتيات المسلمات إعداداً جيداً في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت مجموعة منهن معلمات يُدَرِّسْنَّ أخواتهن في المدارس والمعاهد الخاصة في مناطق نيجيريا المختلفة، وبخاصة في المنطقة الشمالية ذات أغلبية مسلمة؛ كما افتتحت الجماعة عدداً من المراكز الثقافية الخاصة بالنساء.

وتقوم الجماعة بتنظيم رحلات الحج سنوياً إلى الأراضي المقدسة بأسعار معقولة تكون في الغالب على مستوى كثير من مسلمي ذوي الدخل المحدود، وتقيم مخيماً دعوياً وتوعوياً لمن يتم تسجيلهم لديها سواء من أعضاء الجماعة أو غيرهم قبل الرحلة بشهور، وذلك ببرامج هادفة عن الحج ومناسكه، كما فعله الرسول ﷺ وصحابته الكرام. كما تقوم برعاية هؤلاء الحجاج أثناء وجودهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى يؤدوا مناسكهم في يسر وسهولة. وقد نالت الجماعة على أثر تفانيها في تلك الخدمات المميزة، سمعة طيبة في الأوساط الإسلامية، إضافة إلى شهادات شكر وتقدير سواء من الأفراد المشاركين في تلك الرحلات، أو من حكومة الولايات المختلفة في نيجيريا وما حولها، مما أدى إلى زيادة عدد المنتسبين إلى الجماعة.

وبهذا استطاعت الجماعة أن تثبت قدمها على الساحة الدعوية بشكل راسخ ومتين، وأن تصلح كثيراً مما أفسده أصحاب الطرق، فقد توسع مدارك الناس في أمور الدين، وصار اعتمادهم على الكتاب والسنة في جميع أمورهم أكثر فأكثر، وعلموا أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. كما نجحت الجماعة ــ أيضاً ــ في تشجيع الشباب والشابات على طلب العلم الشرعي الصحيح المستنبط من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعمل على توسيع دائرته في المراكز والمؤسسات التابعة لها.

---

(١) كما هي الحال في معظم المجتمعات الإسلامية في غربي إفريقية.

(٢) انظر: دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا، عبد الحافظ أحمد،(ص ١٠٥)، لاغوس، نيجيريا، د.ت.

المطلب الرابع

أهم إنجازات جماعة إزالة البدع وإقامة السنة في مجال تقرير العقيدة

لقد تمكنت جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في غربي إفريقية، من تحقيق إنجازات كبيرة في مجال تصحيح العقيدة، ونبذ البدع والخرافات التي تروّج لها مشايخ الطرق، وأثمرت نتائج طيبة في مجالات عدة، نستعرض بعضها في النقاط التالية:

١) استطاعت أن تبين للناس أسس العقيدة الصحيحة المنبثقة من الكتاب والسنة، وحثهم على إقرارها، والإيمان بها، والعمل بمقتضاها.

٢) توجيه شباب الأمة إلى التزام العقيدة الصحيحة اعتقاداً وقولاً وعملاً.

٣) محاربة الأمية بكافة أشكالها عن طريق: أ ــ فتح فصول دراسية في جميع فروع الجماعة ومراكزها. ب ــ فتح باب التعليم على مصراعيه للفتاة المسلمة على نطاق واسع. ج ــ إقامة المساجد والمدارس ومكاتب لتحفيظ القرآن الكريم لتنشئة أبناء المسلمين على العقيدة الصحيحة. د ــ إصدار الرسائل والفتاوى في الموضوعات التي تهم جميع المسلمين، مع بيان رأي السلف. هـ ــ تيسير رحلات الحج والعمرة تيسيراً منظماً وتحت إشراف الجماعة ومن خلالها.

٤) أقامت الجماعة عدداً من المحاضرات والندوات، ودعت إلى عدد من المؤتمرات الإسلامية في فترات مختلفة، كما تقوم الجماعة بتوعية الأمة وتذكيرهم في المناسبات الدينية المختلفة والأعياد، ونشر الفضيلة بينهم.

٥) أسست عدداً من المدارس الإسلامية النموذجية (للبنين والبنات)، والتي ساهمت بدورها في نشر التعليم الإسلامي الصحيح، القائم على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله [1].

---

(١) انظر: مجلة الحج (ص ٨٧ــ٨٩)، ع (٤٩)، م (١١)، جمادى الأولى (١٤١٥هــ)، نوفمبر (١٩٩٤م).

المبحث الثاني
حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية وجهودها في تقرير مسائل العقيدة

المطلب الأول
نبذة عن تاريخ الحركة

بدأت فكرة تأسيس هذه الجماعة في بداية الأربعينات، بعد عودة الشيخ الحاج محمود ابن عمر باه[1] رحمه الله (ت:١٩٧٨م) من الحجاز، وبنائه لمدارس تحمل اسم "مدارس الفلاح[2]"، وذلك وفاء للعهد، وتيمناً لمدارس الفلاح التي كان يدرس فيها بمكة المكرمة، وتربيته لتلاميذه على الكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح رحمهم الله، ولما بلغ هذا العمل ما بلغ من التقدم والازدهار، حيث حظيت المدرسة بسمعة طيبة في الأوساط الشعبية الإسلامية، وبدأت أعمالها تتوسع، إذ وجدت لها فروع في عدد من مناطق السنغال ومالي وموريتانيا؛ رأى الشيخ رحمه الله أن يؤسس جمعية إصلاحية يعمل من خلالها، هي المعروفة اليوم باسم "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية" سنة (١٩٤١/١٩٤٢م)، والتي يوجد مقرها الرئيس، ومسجدها الكبير في منطقة "كلوبان"، أحد أحياء "داكار" الشعبية.

وبهذا يتصل تاريخ الحركة اتصالاً وثيقاً بحياة هذا الشيخ الجليل رحمه الله، فهو المؤسس الأول للحركة، والداعية الفذّ الذي نظم المبادئ والأسس التي قامت عليها هذه الحركة.

وقد تطور اسم الحركة من "مدارس الفلاح" في البداية إلى "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية"، ثم تطوَّر بعد ذلك لتضاف إليها كلمة "السلفية" سنة (١٩٨٩م) ــ على أثر اتصال

---

(١) ولد الشيخ محمود بن عمر باه رحمه الله في مدينة جول (Joul) في جنوب موريتانيا سنة (١٩٠٦م)، وبعد حفظه للقرآن الكريم على يد الشيخ عبد الرحمن التركزي رحمه الله. وفي سنة (١٩٢٨م) غادر السنغال بقصد الحج، ولما وصل إلى الحجاز، التحق بمدرسة الفلاح حتى حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الصولتية، وكان إلى جانب دراسته في تلك المدرسة، يلازم الدروس الشرعية في الحرم المكي، ثم في الحرم المدني. وبعد مرور أربع سنوات، وتحديدا في سنة (١٩٤٠م) تخرج في المدرسة الصولتية، ليعود إلى موطنه، داعيا ومعلماً، حيث افتتح مدرسة الفلاح سنة (١٩٤١م). انظر: قراءات إفريقية، (ص ١٦ــ١٧)، عدد (٣)، ذي الحجة سنة (١٤٢٩هـ).

(٢) وذلك بهدف نشر العلم والثقافة الإسلامية في جميع أنحاء غربي إفريقية، في مرحلة دقيقة من تاريخ البلاد في ظل الاستعمار الذي كان يراقب بقلق شديد مساعي الشيخ بإنشاء المدارس الإسلامية الحرة في السنغال وموريتانيا ومالي وغيرها. انظر: مجلة قراءات إفريقية، (ص ٢٣)، عدد (٣)، ذي الحجة سنة (١٤٢٩هـ).

بينها، وبين جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية، التي تقوم بمدِّها بمساعدات جوهرية، مكَّنتها من فتح عشرات مراكز إسلامية في أنحاء السنغال وما حولها ــ لتصبح مع الاسم الجديد"**حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية**"، وذلك ليطابق الاسم المبادئ والأسس والأهداف التي رسمتها لنفسها، وتسعى إلى تحقيقها بحكمة وتؤدَّة.

وتعدُّ الحركة ــ حالياً ــ في غربي إفريقية من أنشط الجماعات الإسلامية الدعوية على الإطلاق، وأكثرها تمسكاً بالكتاب والسنة، واتباعاً لمنهج السلف الصالح رحمهم الله اعتقاداً وقولاً وعملاً ودعوة [1].

ويجدر بالذكر أنه قد تعاقب على رئاسة الحركة منذ تأسيسها إلى يومنا هذا، عشرة أشخاص، وهم على الترتيب:

١	الشيخ الحاج محمود باه المؤسس الأول رحمه الله	(١٩٣٩ [2]ــ ١٩٥٦م) [3]
٢	الشيخ منيـــر لي	(١٩٥٦ ــ ١٩٥٨م)
٣	الشيخ الحسن ديمبا صو	(١٩٥٨ ــ ١٩٦٠م)
٤	الشيخ سعد سامبا نيان	(١٩٦٠ ــ ١٩٦١م)
٥	الحاج ديمبا انغيدو	(١٩٦١ ــ ١٩٦٢م)
٦	الحاج مالك باه	(١٩٦٢ ــ ١٩٦٣م)
٧	الحاج مالك حماد سي	(١٩٦٣ ــ ١٩٦٥م)
٨	الحاج ديمبا هادي انجاي	(١٩٦٥ ــ ١٩٦٦م)
٩	الحاج شيخ انجاي	(١٩٦٦ ــ ١٩٩١م)
١٠	الشيخ عبد الله ماريغا	(١٩٩١ ــ إلى يومنا هذا) [4]

(١) يدل على ذلك تلك الجهود الكبيرة التي بذلها ولا تزال على صعيدي الدعوة، ونشر التعليم الإسلامي الصحيح بين أجيـــال غربي إفريقية الصاعدة. انظر: مجلة الأمة القطرية، ع (٧٣ــ٧٤) (ص ٧٤)، سنة (١٤٠٦هــ).

(٢) لعل هذا تاريخ بداية فكرة إنشاء الحركة الرسمية، أما تاريخ البداية الحقيقية، فهو كما ذكرنا سنة (١٩٤٢م)، بعد رجـــوع الشيخ من الحجاز.

(٣) من بنود الحركة أن الرئاسة سنوية، ويمكن إعادة انتخاب الرئيس المنتهية ولايته، أو تستند لأي شخص آخر.

(٤) انظر: مذكرة عن تاريخ الحركة (ص ٢)، والصفحات الملحقة بها (ص ٢ــ٣).

المطلب الثاني

مبادئ وأهداف حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية

يمكن التعرف على أهداف ومبادئ الحركة منذ إنشائها حتى اليوم، بالنظر إلى القانون الأساسي للحركة، والذي لخصها مؤسس الحركة الشيخ محمود باه في قصيدة طويلة، نظمها أثناء هجرته من "فوتا" بالسنغال إلى مدينة "كاي" بدولة مالي سنة (١٩٤٥م)، بعد تكالب مشايخ الصوفية عليه، ومحاولاتهم الخثيثة لإسكات صوته، ووأد مسيرة دعوته في مهدها، وقد جاء في مستهل هذه القصيدة الطويلة، ما نصه:

فباسم الله مجريها ومرســـى * سفينتها على بحر تســـــير

تسير على الهداية والرشاد * على رغم البغيض ومن يغير

نقود القوم الظمأى ثم نورد * هم القرآن يا ماء النمـــــير

ونخص بيضة الإسلام ليرضى * إله العالمين له النصـــــير

إلى أن قال رحمه الله تعالى:

وما نقموا علينا يا خليلـــي * سوى تعليم ما يرضي البصير

ونحن مع النبي وصاحـــبيه * وبعلمه الله العليم القديـــــر (١)

فهذه القصيدة تبين بجلاء مبادئ الحركة المتمثلة في:

أ ــ الاعتماد على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله في دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، بعيداً عن البدع والشوائب.

ب ــ الإيمان الجازم بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

---

(١) هذه الأبيات خليط بين اللغة العربية الفصيحة وأسلوب وضع الأبيات باللهجات الإفريقية، ولهذا جاءت مخالفة للوزن العربي الصحيح.

أما أهداف الحركة حسب لائحتها الأساسية، فهي:

١) دعوة المسلمين إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة من خلال إعلاء كلمة الله، والتمسك بالكتاب والسنة، وفهم الدين على منهج السلف، وتطهير المجتمع الإسلامي الغرب الإفريقي من كل الشوائب البدعية والشركية.

٢) العمل لإيجاد مجتمع إسلامي مثالي، كما كان في عهد السلف رحمهم الله.

٣) الاهتمام بالشباب المسلم،وإبعاده عن الأعمال المنافية للقيم والأخلاق النبيلة.

٤) محاربة الجهل والأمية الدينية بشتى أنواعها.

٥) توثيق روابط الأخوة والتضامن بين الجماعة، والجمعيات الإسلامية الأخرى.

٦) التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية ـــ سواء داخلياً أو خارجياً ـــ على إحياء التراث الإسلامي الأصيل.

٧) تنشئة الشباب المسلم تنشئة دينية وثقافية واجتماعية وأخلاقيـــة، ليكونـــوا أعـــضاء صالحين، وقادة منتجين مؤثرين في المجتمع[1].

---

(١) انظر: الحاج محمود باه رائد الثقافة العربية في غربي إفريقية (٢ـــ٤)، إعداد: أبوبكر خالد باه، مخطوط.

المطلب الثالث

جهود حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية في تقرير مسائل العقيدة

بعد أن تأسست الحركة في السنغال على يد الشيخ محمود بن عمر باه رحمه الله بعد عودته من أرض الحجاز، حيث وجد أن الأوضاع الدينية والاجتماعية والثقافية في هذا البلد تشوبها كثير من البدع والخرافات، فلم يعجبه ذلك، نظراً لما كان يحمله في جعبته من العلم الشرعي الصحيح، القائم على الكتاب و السنة، فبدأ يدعو الناس إلى التمسك بالسنة، ونبذ البدع وخرافات مشايخ الطرق، إلا أنه لقي من المضايقات الكثيرة سواء من الإدارة الاستعمارية الغاشمة، أو من بعض زعماء الطرق الصوفية الذين كانوا يناصبونه العداء، ويؤلبون ضده العامة؛ فلجأ إلى التعليم عبر مجالس العلم، ثم فكر بعد ذلك في تكوين حركة علمية ودعوية، تضم مجموعة من طلبة العلم، وبعض المهتمين بأمر الدعوة السلفية، للانطلاق بمهمة التصحيح والدعوة إلى الكتاب والسنة، بغية إنقاذ الشعب الإفريقي المسلم من التيه والضياع الذي خيَّم على حياته الدينية منذ عقود.

وما أن قام رجال الحركة بنشر مبادئها الصافية، وقيمها العليا، التي تتناسب مع الفطرة السليمة بعيداً عن تعقيدات أصحاب الطرق، حتى انتشرت دعوتها انتشار النار في الهشيم، وأصبح لها عشرات فروع داخل السنغال وحدها، إلى جانب فروعها في مالي، وغامبيا، وساحل العاج، وموريتانيا، وبوركينا فاسو، وغينيا، وغانا، ونيجيريا، وكامرون، وغابون وغيرها، إضافة إلى من أخذ يتعاطف معها ويدعم برامجها وأنشطتها التعليمية والتربوية مادياً ومعنوياً في كثير من البلاد الإسلامية، مثل المغرب، وليبيا، وبعض دول الخليج العربية، ذلك لأن هذه الحركة هي أول جماعة إسلامية منظمة، تطرح بوضوح في السنغال وما جاورها فكرة العودة إلى الينبوع الصافي الأساسي للإسلام ــ الكتاب والسنة ــ وإلى الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة، كما طبقها رسول الله ﷺ، واقتدى بها أصحابه الكرام، والسلف الصالح رحمهم الله. وهي في سبيل ذلك ترتبط بالناس في كل مكان لإفهامهم الإسلام الصحيح، وبيان جوهر العقيدة الإسلامية، وقد كان لهذا العمل ــ بفضل الله تعالى ــ أثر كبير في المجتمع الإسلامي الغربي الإفريقي بعامة[1].

ولما كان التعليم من المنطلقات الأساسية في نشر الوعي الديني الصحيح، وتجلية العقائد من البدع، وانحسار آثارها، كانت مهمة الحركة أن ركزت أهم جهودها باللجوء إلى تنظيم حلقات تعليمية تربوية؛ فكان أول حلقة نظمته الحركة بزعامة الشيخ محمود بن عمر باه رحمه الله،

---

(١) انظر: مجلة قراءات إفريقية، (ص ٢٢)، عدد (٣)، ذي الحجة (١٤٢٩هـ).

حلقة "جول" سنة (١٩٤١م)[١]، ثم تطورت تلك الحلقات في أواخر الأربعينات، لتكوّن لها الفروع في المدن والقرى الواقعة على ضفة نهر السنغال في فوتا جالون، وبخاصة في مدينتي "دُوغنا"، و"باكيل".

ولما اطمأن الشيخ رحمه الله بنبوغ عدد غير قليل من طلابه في العلوم الشرعية، وزعهم في عدد من مناطق السنغال، ليقوموا بمهمة تدريس العلوم الشرعية لأهالي هذه المناطق والدعوة إلى مذهب السلف رحمهم الله، ثم انتقل مع مجموعة منهم إلى مدينة "كاي" بجمهورية مالي، حيث أسس مدرسة نموذجية مستقرة سنة (١٩٤٣م)[٢]، وبهذا يكون الحاج محمود بن عمر باه رحمه الله، رائد مؤسسي المدارس الإسلامية النموذجية في غربي إفريقية. وكانت مدرسته آنذاك تضم أشتاتاً من الطلبة، وفدوا من جميع أنحاء غربي إفريقية، وبخاصة: من مالي، والسنغال، وموريتانيا، وغينيا، وغامبيا، ونيجيريا، وسيراليون، وساحل العاج وغيرها، للتزود من معين علمه الغزير، والقائم على نشر تعاليم الكتاب والسنة. وعندما اجتمع لديه هذا العدد الكبير من الطلبة، اختار الشيخ رحمه الله تسعة عشر من المتميزين منهم للابتعاث إلى جامعة الأزهر بالقاهرة تحت سرية تامة، خوفاً من سلطات الاحتلال التي كانت تضايقه كثيراً بسبب نشاطاته الدعوية، وذلك سنة (١٩٥١م)، ليواصلوا دراستهم فيها، إيماناً منه منذ ذلك الوقت، بأن العلم وحده هو الكفيل ــ بعد الله ــ بدحض أباطيل المبتدعة، إلا أن معظم هؤلاء الطلبة لم يتمكنوا من إتمام الدراسة بالأزهر الشريف، إذ أرغم الشيخ رحمه الله على عودة هؤلاء إلى ذويهم في أوطانهم فوراً، بسبب دسائس بعض زعماء الطرق[٣]، والعلماء التقليديين[٤]، الذين فتنوا أولياء أمور الطلبة،

---

(١) انظر: الثقافة العربية الإسلامية في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ٥٠٦).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٥٠٧).

(٣) وبدافع من الإدارة الاستعمارية الغاشمة، حيث أطلقوا ادعاءات كاذبة بأن الشيخ رحمه الله، إنما جمع هؤلاء الأولاد وباعهم في الخارج عبيداً، وذلك حسب أسلوب التفكير الاستعماري النابع من تاريخه المظلم في إفريقية، وتم احتجاز الشيخ رحمه الله رهينة حتى يعود الشباب، وأخيراً تمكن الشيخ رحمه الله من إقناعهم بإطلاق سراحه، وإتاحة الفرصة له للسفر إلى القاهرة لاستحضارهم، وبالفعل غادر الشيخ رحمه الله إلى القاهرة، وعاد بصحبة مجموعة طيبة من الشباب، هم الذين يقومون حالياً بالدور الأساسي في مجال نشر الوعي الإسلامي الصحيح، وتعليم اللغة والثقافة الإسلامية في السنغال و ما جاورها. انظر: مجلة المجتمع الكويتية (عدد ١٥، ص ٧٤، ١٤١٤هـ).

(٤) الذين يسعون للحفاظ على مناصبهم الاجتماعية، من إمامة، ورئاسة لحفلات القران والعزاء والعقيقة التي تدر عليهم أموالاً طائلة، كمقابل لتلك الخدمات الاجتماعية التي لا تنفك عنها المجتمعات الإسلامية بغربي إفريقية. انظر: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، المرجع السابق (ص ٢٦).

وشحنوا عقولهم بأن الشيخ إنما أرسل هؤلاء ليباعوا في أسواق النخاسة في مصر وما حولها[1]. ولم يجد الشيخ عمر باه رحمه الله للدفاع عن نفسه، وتفنيد مزاعم الخصوم، سوى أبيات جادت بها قريحته، يرتجزها قائلاً، وقلبه يعتصر ألماً وحسرة:

يا عام شعث فخذ ذا الشعر معتبطاً * من الفلاح وأبناء لها غـــــرر

قمنا مع المجد والإيثار ونســـــتبق * للنصر والنشر والمولى لنا وزر

لأمة المصطفى المختار من مضـــر * علم الشريعة في الآفاق ينتشر

إلى أن قال رحمه الله تعالى:

محمود قد باع من أبنائنا نفـــــر * ملء الدنانير ملء الكف ينهمر

وحاش لله ما هذا بشـــــــيمته * يا فاسق القوم يا غدار يا غُدر[2].

وعلى الرغم من عدم سماح الإدارة الاستعمارية آنذاك بإنشاء المدارس الإسلامية العربية، إلا أن حركة الفلاح، قد تمكنت بزعامة الحاج محمود باه رحمه الله من القيام بالحركة العلمية والتربوية في مدينة "داكار"، وأنحاء مختلفة من السنغال بمؤازرة بعض الزعماء القبليين، مثل الشيخ إبراهيم جوب، رئيس قبيلة "ليبو" التقليدية، وكان منصبه هذا رسمياً معترفاً به لدى الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وكانت لهذا الزعيم كلمة مسموعة، واحترام متبادل مع السلطات الفرنسية المحتلة؛ وقد سمح الشيخ إبراهيم جوب للحاج محمود باه وحركته بأن تنشر دعوته في مدينة "داكار" وما حولها تحت حمايته، ومن هنا صدع الحاج محمود باه رحمه الله، وأفراد حركته بالدعوة إلى تصحيح العقائد، ونبذ البدع، وخرافات مشايخ الطرق بالحكمة والموعظة الحسنة[3]. وقام بزيارات متعددة لعدد من مختلف بلدان غربي إفريقية، يلقي المحاضرات، ويفتح المدارس، وقد افتتح حوالي سبعة وسبعين مدرسة نموذجية، وبنى ــ بمساعدة أهل الخير من الداخل والخارج ــ حوالي تسعة وثمانين مسجداً. ثم عين عدداً من طلابه أئمة ودعاة في هذه المساجد.

---

(١) انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ١٥١)، مجلة الأمة القطرية، (ص ٧٥)، ع (٧٢)، سنة (١٤٠٦هـ).

(٢) هذه الأبيات وإن كانت تخالف الوزن للشعر العربي الفصيح، فإن المراد يفهم منها. انظر: عمر باه رائد الثقافة العربية والإسلامية في الغرب الإفريقي، المرجع السابق (ص ٥١٠).

(٣) انظر: مذكرة عن تاريخ حركة الفلاح السلفية في السنغال، أعدها لجنة التعليم والدعوة والثقافة لحركة الفلاح بالسنغال، (ص ٢)، (مخطوط).

وبهذا استطاعت الحركة أن تثبت قدمها، وأن تبث نفوذها في غربي إفريقية وما حولها، ثم عاد إلى مدينة "كاي" في جمهورية مالي[1].

وهكذا انتشرت مدارس الفلاح ودعوته السلفية في السنغال، ثم شملت معظم أجزاء غربي إفريقية، وإفريقية الوسطى وما حولها، فكان لها بذلك فضل السبق في تعليم اللغة العربية، والتربية الإسلامية في إفريقية جنوب الصحراء، بنظام مدرسي نموذجي مبرمج[2]، يقول عن ذلك أحد الباحثين[3]: «إنه توجد مدارس الفلاح في كل من: ليبريا، ومالي، وغينيا، والكامرون، وغابون، وزائير[4]، والكونغو، ومالي، وساحل العاج وغيرها»[5].

وعندما اطمأن الحاج محمود باه رحمه الله بنجاحه في توطيد دعائم الحركة، وبناء أفرادها، ونشر مبادئها السامية عبر مدارسها في جميع أنحاء غربي إفريقية وما حولها، وأنها قد أصبحت لها قدم راسخة على الساحة الدعوية والتربوية في المنطقة[6]، تخلى عن رئاسة الحركة طواعية، ليترك زمام الأمور لطلابه الذين تم إعدادهم تحت رعايته الخاصة حتى أصبحوا محل ثقته واطمئنانه، وذلك ليخفف عن نفسه تلك الضغوط الشديدة التي كانت تمارس ضده من قبل الإدارة الاستعمارية، إضافة إلى مختلف الظروف التي كانت تحيط به، بحيث كان قد تقدم به العمر، مما دفعه في النهاية إلى الهجرة إلى موريتانيا المجاورة، التي كان لها الحظ الأوفر من جهوده الدعوية والتربوية، وخبرة حركته المباركة في مجال التعليم، وتأسيس المدارس النموذجية، والدعوة إلى تطهير العقيدة مما علق بها من براثن الشرك، وخرافات أرباب الطرق[7]، يقول عنه الباحث محمد انجاي: «كان من خيار السلفيين الأوائل في السنغال وما حولها، وكان قد طرح مشكلة البدع والخرافات التي تعكر صفاء العقيدة الإسلامية ...»[8].

---

(١) انظر: الحاج محمود باه، رائد الثقافة العربية والإسلامية في غربي إفريقية، المرجع السابق (ص ١١).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص ٥٠٥).

(٣) وهو الدكتور علي يعقوب، محاضر في الجامعة الإسلامية بالنيجر.

(٤) زائير: هي التي تسمى حاليا بـ "الكونغو الديمقراطية".

(٥) مجلة قراءات إفريقية، (ص ١٦)، عدد (٣)، ذي الحجة (١٤٢٩هـ)، وانظر: أضواء حول التعليم العربي في السنغال، النقابة الوطنية لمدرسي اللغة العربية في السنغال،(ص ٣١)، مطبوع بالحاسب الآلي.

(٦) حيث نبتت هذه المدارس وأينعت ونمت وأثمرت ثماراً طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها في جميع أنحاء إفريقية.

(٧) انظر: مجلة الأمة القطرية (ص ٧٤)، ع (٧٢)، سنة (١٤٠٦هـ).

(٨) أضواء حول التعليم العربي في السنغال، المرجع السابق (ص ٣٢).

وبعد ذهاب الشيخ رحمه الله إلى موريتانيا، واصل طلابه الذي بقوا وراءه في السنغال مسيرة الحركة بجد ونشاط وحماس[1]، فركزوا جلَّ عنايتهم نحو نشر التعليم الإسلامي الصحيح، سواء في المدارس التابعة للحركة، أو في الحلقات المسائية في المساجد والجوامع التي تم تعيينهم فيها، وإلقاء الدروس والمحاضرات في التجمعات والمناسبات، يُبيِّنون فيها للناس أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة المنبثقة من الكتاب والسنة، فبدأ الناس يدعمونهم مادياً ومعنوياً، ويلتفون حولهم، فازدادت رغبة الناس في طلب العلم، وأنشئت جمعيات لتعليم اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، مما دعا إلى تشكيل هيئة تدعى "هيئة مدرسي اللغة العربية بالسنغال"، وكان أبرز أعضاء هذه الهيئة من مسؤولي حركة الفلاح، أمثال: الشيخ جعفر لي مدير مدرسة الفلاح بمدينة "كولخ"، والشيخ الحسن ديمبا صو، والشيخ يوسف ديم، والشيخ موسى محمد باه وغيرهم كثير. وقد نجحت هذه الهيئة في توطيد علاقتها مع بعض المؤسسات التعليمية والدعوية في عدد من الدول العربية والإسلامية، أبرزها: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومعاهد وجامعات في المملكة المغربية وغيرها.

---

(١) وكان أبرز طلابه في هذه المرحلة الشيخ أبي بكر باه، الكاتب الموريتاني المعروف، ومن مؤلفاته: صور من كفاح المسلمين في إفريقية الغربية. انظر: مجلة قراءات إفريقية، (ص ٢٣)، عدد (٣)، ذي الحجة سنة (١٤٢٩هـ).

المطلب الرابع

أهم إنجازات حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية في مجال تقرير العقيدة

يمكن القول بأن حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية في السنغال وما جاورها، قد تمكنت من تحقيق بعض الأهداف التي اختطتها لنفسها، وتتمثل في:

١) إنشاء أكثر من (٢٠) عشرين مركزاً إسلامياً يضم مراحل تعليم ابتدائي، ومتوسط، وثانوي وغيرها في مدينة داكار العاصمة.

٢) بناء أكثر من (٧٧) سبعة وسبعين مدرسة نموذجية إسلامية موزَّعة على كافة مناطق السنغال وما جاورها.

٣) بناء أكثر من (١٠٠) مئة مسجد في جميع أنحاء السنغال، وأكبرها جامع النور الذي شُيِّد في حي "كلوبان"، بمدينة "داكار"، وبجوار هذا الجامع الكبير تقع مدرسة نموذجية كبيرة تضم مراحل ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية، يدرس فيها أكثر من (١٠٠٠) ألف طالب وطالبة.

٤) إنشاء (٤) أربع مستوصفات، وقاعة كبرى مجهزة للمحاضرات، والاجتماعات العامة بمقر الحركة بحي "كلوبان" في داكار، يقدمون لها جرعات ونصائح للتمسك بالعقيدة الصحيحة، والبعد عن كل ما يضادها.

٥) قيام أعضاء مجلس الشباب التابعة أثناء العطل الصيفية بتنظيم المخيمات، والقوافل الدعوية إلى مختلف مناطق غربي إفريقية، كما أن هناك أسابيع ثقافية ودعوية إسلامية ينظمها مجلس شباب الحركة نصف سنوية[1]، ويعدُّ هذا المجلس من أهم تنظيمات الحركة نشاطاً وحيوية.

---

(١) انظر: المسلمون في السنغال، المرجع السابق (ص ١٦٥ـ١٦٦).

الفصل الرابع
وسائل الجماعات الدعوية وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية

المبحث الأول: وسائل جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الثاني: وسائل حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة.

المبحث الأول

وسائل جماعة إزالة البدع وإقامة السنة وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة

لقد أدى تأسيس هذه الجماعة الدعوية لأنصار أهل السنة والجماعة في نيجيريا وما جاورها، تحولاً بالغة الأهمية في مجال الدعوة ونشر العقيدة السلفية، إذ تدفق الشباب الإسلامي للانضمام إلى الجماعة أفراداً وجماعات، لأنهم رأوا فيها ما يتناسب مع روح العصر، ويتوافق مع الفطرة الصريحة، فتبنوا آراءها، وآمنوا بقيمها ومبادئها، وانخرطوا في عضويتها متحمسين، ليبذلوا كل ما من شأنه رفع راية السنة المطهرة خفاقة في سماء غربي إفريقية.

فكانت بذلك أول جماعة إسلامية منظمة تقوم بنفسها، ولا تعتمد على مساندة أحد من العلماء والأمراء والوجهاء التقليديين، لأن أغلب أنصارها من الشباب الذين وجدوها فرصة سانحة لهم ليقوموا بما أوجبه الله عليهم، من التعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى التآلف والتآزر والتكاتف بين المسلمين، حول مفاهيم الكتاب والسنة.

وقد وضعت جماعة "إزالة البدعة وإقامة السنة"، وسائل وأساليب لتحقيق تلك الأهداف السامية التي رسمتها لنفسها، وكما تنص عليها لائحة الجماعة، ومنها:

أولاً: وسائل الجماعة للوصول إلى الأهداف المرسومة:

١) تنظيم المحاضرات العامة في العقيدة، والأخلاق الإسلامية، والآداب الاجتماعية.

٢) تقديم دروس علمية لكافة شرائح المجتمع الإسلامي.

٣) الدعوة لإقامة الندوات في المناسبات الإسلامية المختلفة لتوعية العامة.

٤) طبع الكتب المؤصلة لمنهج السلف، ونشرها بين المسلمين، مع دعوتهم إلى التزام الكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات التي تروِّج لها الصوفية.

٥) فتح وإنشاء المدارس الإسلامية للتعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي.

٦) تسيير رحلات الحج والعمرة تحت إشراف الجماعة، ومن خلالها[1].

---

(١) انظر: أعمال الشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ٩١) بالهوسا.

ثانياً: أسلوب الجماعة للوصول إلى الأهداف المرسومة:

لم يرفع أرباب الطرق المبتدعة من الصوفية في بداية الأمر رأساً للاطلاع على نشاطات هذه الجماعة الدعوية الفتية، ولم يلقوا بالاً ذا أهمية لما يقدمونه من برامج وأنشطة دعوية، إلا عندما رأوا أن الناس قد بدءوا يهتمون بدعوة هؤلاء الشباب، وقد تمكنوا بفضل الله تعالى من استقطاب بعض المتصوفة المعتدلين إلى صفوفهم، حيث لم يلبث أن بدأت تلك الأصوات المعتدلة من داخل زواياهم تعلو وتصرح بانتقاد المشايخ الذين نصبوا أنفسهم أرباباً يُعبدون ويُقدسون من دون الله. إضافة إلى تفنيدهم علناً لتلك الخزعبلات التي يروِّجونها لتضليل العامة.

ومن هنا فطنت الطرقية، بمدى خطورة الموقف التي تشكلها هذه الجماعة، وشعروا بأنها إنما وجدت من أجل سحب البساط من تحت أقدامهم. وعندها بدأ الهجوم، والعنف المنظم ضد الجماعة وأنصارها. وقد زاد من وطأة هذا العنف، ذلك الأسلوب الانفعالي العنيف الذي كان يتسم به أغلب محاضرات ودروس ودعوات الجماعة، إذ كان بعض دعاتهم يتعرضون للمتصوفة المبتدعة بالسَّب واللعن تارة، وبالتفسيق والتضليل، بل وبالتكفير لأشخاص معينين من زعماء أهل التصوف تارة أخرى؛ مجانبين بذلك أسلوب الحكمة واللين، والتدرج في مخاطبة المخالف [1].

وقد أحدث هذا الأسلوب العنيف، ردَّ فعل هجومي متشنج من قبل بعض رجالات التصوف، حيث قابلوا دعوة أفراد الجماعة، بمزيد من الرفض والإنكار[2]، وقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى حدوث احتكاك، ومواجهات مسلحة بين أنصار الجماعة، وأنصار الطرقيين في ساحات المحاضرات العامة. وقد نتج من بعض هذه الاصطدامات العنيفة، إزهاق بعض الأرواح البريئة، أو إتلاف بعض الممتلكات العامة أو الخاصة، كما حصل في مدينة "لافيا" بولاية بلاتوه بنيجيريا، حيث كان الاصطدام على أشدِّها بين الطرفين، مما أدى — في أحيان كثيرة — إلى تدخل رجال الأمن والجيش[3].

وهكذا احتدم الصراع بين الفريقين، نتيجة الخطأ الحاصل من بعض الدعاة المتشددين من أفراد الجماعة، في اتخاذ الأسلوب غير المناسب لمعالجة الأخطاء والبدع، التي قد تكون أخف من تلك الأخطاء التي ارتكبت عن طريق استخدام هذا الأسلوب الخاطئ، ولم تأت بشيء من النتائج

(١) انظر: السيرة الذاتية للشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ١٥٠—١٥١).

(٢) حتى وإن علموا أن ما يدعو إليه شباب أهل السنة والجماعة حق وثابت.

(٣) انظر: السيرة الذاتية للشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ١٥٨—١٥٩).

الإيجابية المرجوة، فقد تمسك الناس ببدعهم، وتثبتوا بها، بل وزادوا عليها زوراً وعدواناً، حيث تناست أرباب هذه الطرق الخلافات التي بينهم[1]، فتكاتفت مع بعضها لمحاربة الدعوة السلفية التي سفه أحلامهم، وأضلّ وكفّر بعض مشايخهم وأوليائهم. كما اختلقت الدعايات المغرضة ضد الجماعة، وضيقوا عليها الخناق بشتى الوسائل لتنفير الناس من السنة وأهلها، ومن ذلك: قيامهم برسم رأس الحمار، وتركيبه فنياً مع صورة كامل الجسد للشخص ما، وكتابة تعليق خطير تحتها، مفاده: أن هذا المسخ هو لرجل وهابي عاقبه الله ــ بعد موته ــ نتيجة سبِّه للأولياء والمشايخ، وانتقاصه من قدرهم ومنزلتهم، وأن هذا سوف يكون مصير كل مسلم ينتهج هذا النهج. ثم طبعوا منها آلاف النسخ توزع مجاناً في المساجد والأسواق وغيرها من أماكن تجمعات الناس. فبدأ بعض ضعاف النفوس يصدقون تلك الترهات، فيسبون أهل السنة جهلاً، وينفرون ذويهم من مغبة اتباع نهجهم.

ولما لم ينفع تلك الحيل كما خُططت لها على مستوى غربي إفريقية، قام أحد مجرميهم وهو: كمال الدين آدم نمعاجي، بتكوين فرقة صوفية سرية مهمتها: قتل أو اغتيال رموز الدعوة السلفية سواء داخل نيجيريا أو خارجها من البلدان المجاورة، وسماها "جند الله"، ولكن هذا الرجل لم يلبث إلا أن وافته المنية، وانتهت حركته وتدبيره عندها، وكفى الله بذلك المؤمنين القتال[2].

ولم تثن هذه المحاولات كلها، شباب الجماعة المتحمسين عن القيام بواجبهم رغم شدة الظروف التي كانت تمر بها، وقد اعتبرها من قبيل الصراع بين الحق والباطل والذي لن يتوقف إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها، مع العلم بأن الحق هو المنتصر مهما طال الدهر، كما قال تعالى:﴿ **كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ** ﴾[3].

(١) إذ كانت المنافسة قائمة على أشدها بين الطريقة التجانية والقادرية، وكل طريقة تحرص على اكتساب أكبر عدد ممكن من الأتباع والمريدين، مما يكون سبباً في زيادة مصدر موارد الطريقة، وتوسيع رقعة نفوذها.

(٢) انظر: السيرة الذاتية للشيخ أبي بكر غومي، المرجع السابق (ص ١٥٩ــ١٦٠).

(٣) سورة الرعد، آية: ١٧.

المبحث الثاني

وسائل حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية وأساليبها في تقرير مسائل العقيدة

لقد وضعت "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية"، وسائل وأساليب لتحقيق تلك الأهداف التي رسمتها لنفسها، كما نصت عليها لائحة الأساسية للحركة، ومن ذلك:

أولاً: وسائل الحركة للوصول إلى الأهداف المرسومة:

١) إقامة المحاضرات والندوات العلمية والثقافية، والرحلات الدعوية، والمخيمات الصيفية وغيرها، لإفهام الناس العقيدة الصحيحة داخل السنغال وخارجها.

٢) تنظيم الحلقات الدراسية حول الكتب السلفية، لإفهام المسلمين المعنى الصحيح للدين.

٣) إنشاء المؤسسات والمراكز الإسلامية والدعوية المتكاملة: مدارس، مساجد، معاهد، قاعات للاجتماعات والمحاضرات، والمكتبات العامة، والنوادي الثقافية وغيرها.

٤) إنشاء مستشفيات ومراكز صحية متكاملة، ومجهزة لعلاج اليتامي، وفقراء المسلمين.

٥) المشاركة في تنفيذ بعض المشروعات الزراعية الاستثمارية لتوفير الموارد، وحفر الآبار ليستفيد الناس منها، وخاصة إذا ما علمنا حاجة الناس الماسة إلى الماء بسبب الجفاف في بعض مناطق غربي إفريقية.

٦) بناء دور للأيتام والمحتاجين، والتكفل بكامل نفقاهم على حساب الحركة.

٧) تأليف الكتب الشرعية، والرسائل والمطويات وطبعها، وتوزيعها مجاناً.

٨) الاستفادة من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية.

٩) القيام بزيارة المرضى في المستشفيات والمستوصفات و غيرها، ودعوهم إلى زيادة الإيمان والصبر والرضا و اليقين.

١٠) القيام بزيارة دورية إلى السجون والإصلاحات لتقديم النصح والتوجيه الديني، والاتصال بالعامة أينما كانوا، وحيثما وجدوا [١].

وتسعى الحركة من وراء ممارسة العمل في هذه المجالات إلى تحقيق هدفين أساسيين، هما: نشر الوعي الإسلامي الصحيح، وإقامة التعليم الديني المنبثق من الكتاب والسنة الصحيحة.

---

(١) انظر: القانون الأساسي لحركة (ص ٢ــ٤)، عن طريق موقع الجماعة على نت؛ ومذكرة تاريخ الحركة (ص ٣ــ٤) على نت.

ثانياً: أسلوب الحركة للوصول إلى الأهداف المرسومة:

فقد رأى أعضاء الحركة أنه لابد من إعادة النظر في أساليب الحركة التي ينتهجها في الدعوة والتوجيه الديني، وبخاصة أسلوب توجيه خطاب تصحيح العقيدة، ونبذ البدع الذي كان يتسم ــ عادة ــ بالمجابهة المباشرة مع المخالفين من أتباع الصوفية[١]، حيث تم تغيير هذا الأسلوب إلى أسلوب آخر جديد يتسم بالرفق واللين، والتخفيف من حدة التوتر والهجوم المباشر[٢]، كما رأوا تطوير المناهج الدراسية وتنظيمها لتتناسب مع الأهداف المرسومة للحركة، وتتواكب مع متطلبات العصر الحديث، مما دفع بعض المثقفين المستعربين، وكبار التجار والموسرين إلى الانضمام للحركة نظراً لتلك التغييرات الجذرية التي أدخلت فيها، وتتوافق مع التوجهات العامة لطبيعة المجتمع الإسلامي الإفريقي، وخاصة ما ينص عليه البند السابع من القانون الأساسي للحركة، وهو: "إن جميع ممتلكات الحركة ليست ملكاً لأحد، بل كلها مسجلة باسم الحركة، ووقف لجميع المسلمين أياً كانوا. ولكل مسلم متمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ حق الانضمام لعضوية الحركة بدون تمييز بسبب الجنس، أو الجنسية، أو العرق، أو اللون[٣]".

وبناء على هذه السياسة الحكيمة، تدفق الناس نحو الانضمام لعضوية الحركة، فازداد عدد أعضائها، وانتشرت فروعها، ومدارسها في جميع أقاليم السنغال وما جاورها، لأنها كانت الحركة الوحيدة التي تمتلك مدارس إسلامية منظمة، وموقوفة على منهج السلف رحمهم الله؛ يقول أحد مسؤولي الحركة عن التعليم: «إن حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية، تولي اهتماماً بالغاً لعملية تنقية العقيدة من الخرافات، وتطهير التاريخ من الأباطيل، وقد اتخذنا للوصول إلى ذلك أسلوبين لا ثالث لهما:

---

(١) حيث كانوا خلال حقبة من الزمن لا يتورعون عن استعمال أسلوب الهجوم العنيف على شيوخ الطرق ومؤسساتهم، وكان هؤلاء يناصبونهم العداء، ويؤلبون السلطات ضدهم، وقد حدث عدة مرات أن حرم أعضاؤها من تنظيم محاضرات عامة سواء في المساجد أو في أماكن تجمعات الناس، ثم طوت الحركة صفحة المجابهة المباشرة مع ممثلي الطرق المختلفة، لتنتهج أسلوباً جديداً يتسم بالتخفيف من حدة الهجوم والتوتر، ويجعل من أولوياته تكوين النشء الإسلامي بالتدريج. انظر: مجلة الأمة القطرية، ع (٧٣) (ص ٧٤)، سنة (١٤٠٦هـ).

(٢) وذلك تحقيقاً لقوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، آية:١٥٩.

(٣) انظر: مجلة الأمة القطرية، ع (٧٣)،(ص ٤)،سنة (١٤٠٦هـ)،(ص ٤)،والبند السابع من القانون الأساسي،المادة (١٦).

الأول: أسلوب التعليم: ذلك أن التعليم ـــ في حد ذاته ـــ ليس هو الهدف، لكنه وسيلة لغرس العقيدة الصحيحة التي نؤمن بها، وندعو إليها في نفوس الأجيال الصاعدة.

الثاني: أسلوب الدعوة: ويتمثل ذلك في إلقاء المحاضرات، وتنظيم الدروس، وما يسمى بمحو الأمية، وهذا النشاط لا يتم في العاصمة داكار وحدها، ولا على المستوى السنغال فقط، وإنما تقوم حركة الفلاح بنشر الدعوة في الدول المجاورة أيضاً، إذ يتم تشكيل وفد من حين لآخر للقيام برحلات وجولات، لنشر الدعوة الإسلامية إلى غامبيا، وموريتانيا، ومالي وغيرها، وقد تستغرق هذه الرحلات أحياناً أسبوعاً، أو أسبوعين على حسب إمكانات الحركة»[1].

كما بدأت الحركة بالاتصال ببعض الشخصيات البارزة من رموز الدعوة السلفية سواء داخل غربي إفريقية أو خارجها، كما اتصلت بالجمعيات والمؤسسات الإسلامية العالمية كجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ووزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهيئة كبار العلماء بالمملكة، وتحديداً بالشيخين الجليلين، سماحة مفتي المملكة سابقاً: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، وسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله رحمة واسعة، فبهذه الاتصالات أكسبت الحركة أنصاراً وسنداً لها داخل البلاد وخارجها في العالم الإسلامي، كما نالت سمعة طيبة في أوساط الأمة الإسلامية في غربي إفريقية بكل أطيافها.

و يُعد من أساليب الحركة في تصحيح العقائد ونبذ البدع أيضاً، ما يقوم به شباب الحركة من الاتصالات بإخوانهم المسلمين أينما كانوا، مثل قيامهم بزيارات تفقدية في المستوصفات والمستشفيات، والسجون، والنوادي الشبابية المختلفة، وذلك لتخفيف آلامهم، وإحياء آمالهم بالحياة، وتوثيق صلاتهم بربهم، وتسليتهم ونصحهم، وذلك طبقاً للبرامج الدعوية المعدة لهذا الغرض.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية (عدد ٥)، (ص ٧٥)، سنة ١٤١٥.

المبحث الثالث

أبرز التحديات الموجهة للحركة في مسيرتها الدعوية والتعليمية

من المعلوم أن غربي إفريقية كمنطقة إسلامية، ذات رصيد ضخم من العدد السكاني المسلم[1]، تقوم ــ بتوفيق الله ــ بدور كبير وهام في نشر العقيدة الإسلامية بشكل عام، تلك القارة المسلمة التي يحاول الاستعمار الغربي إعادة تشكيلها من جديد، واستلاب ثرواتها الطبيعية، وغزو شبابها عقدياً وفكرياً وثقافياً حتى تتم التبعية المطلقة بإبعادهم عن الإسلام ومبادئه.

وهذا الأمر ــ كما هو واضح ــ يشكل تحديات كبيرة أمام العمل الإسلامي في المنطقة بشكل عام، ومن ضمنه نشاط "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية"، إلى جانب التحديات الأخرى التي تطل برأسها شامخاً من داخل المجتمع الإسلامي الغربي الإفريقي نفسه، من عادات وتقاليد اختلطت بالعبادة، وثقافات أجنبية، ورواسب استعمارية، ومن بعض الصور الدينية التي تحمل خرافات وبدعاً؛ إضافة إلى تحديات خارجية تحمل لواءها المنظمات التنصيرية التي تتسلل إلى بلاد العالم الإسلامي تحت عناوين إنسانية، أو صحية، أو مشاريع زراعية، أو مؤسسات تعليمية ... إلخ، مستغلة حالات الفقر والجهل والمرض والعوارض الطبيعية من الجفاف والأوبئة ونحوها، لتحقيق أهدافها في المجتمع الإسلامي.

ونظراً إلى هذه التحديات العديدة، فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه، وهو: هل تمكنت الحركة من تحقيق جميع الأهداف التي رسمتها لنفسها خلال مسيرتها الدعوية والتعليمية؟!

وللإجابة عن هذا السؤال المهم، أقول مستعيناً بالله:

بعد البحث والتتبع والتدقيق في أعمال الحركة، ووجوه أنشطتها المختلفة، اتضح للباحث أن الحركة لم تتمكن ــ كما هو المتوقع ــ من تحقيق كل ما كانت تتمنى أن تحققه منذ إنشائها حتى الآن على أرض الواقع، وإن كانت قد فعلت الكثير، وذلك للأسباب المذكورة أعلاه، إضافة إلى عوامل أخرى داخل الحركة نفسها، وتتلخص في:

---

(١) حيث يصل عدد المسلمين في بعض دول غربي إفريقية إلى أكثر من (٩٠%)، كما هي الحال في كل من: السنغال، وموريتانيا، ومالي، والنيجر، وتشاد وغيرها.

أولاً: فمنذ سنوات عدة مرت، لم تتمكن الحركة من إنشاء مدرسة جديدة، و لم تنشئ أي مركز، على الرغم من الطلبات الكثيرة التي ترد إليها من مناطق مختلفة سواء داخل السنغال أو خارجها، لأنها كانت أساساً تعتمد على دعم المنظمات والمؤسسات الخيرية الخارجية، وعندما خففت أو توقفت بعض تلك المساعدات، لم تجد الحركة وسائل بديلة لجمع المساعدات العينية الكافية داخلياً. وكان بإمكان أعضائها القيام بمبادرات لزرع الثقة وحب البذل والعطاء في قلوب أولئك الذين ينضوون تحت لواء الحركة، وبخاصة الأعضاء البارزين من التجار والموسرين الذين كسبتهم الحركة في صفّها غداة إنشائها وحتى اليوم، أو تشجيع بعض المسلمين من ذوي الدخل المناسب على دفع التبرعات لصالح المشاريع المستقبلية للحركة، مع بيان الأجر والثواب الذي يترتب على من يشارك ولو بفلس أو هللة في مثل هذه المشاريع الدعوية والتعليمية الخيِّرة، والتي تعود نفعها على الفرد والمجتمع والوطن على حد سواء.

ثانياً: حالة الجمود التي تخيم على الحركة منذ سنوات، وذلك بسبب تلك النزاعات الداخلية التي أدت إلى توتر العلاقات بين بعض أعضائها، فشتت جهودهم، وبعثرت آراؤهم في أقاليم البلاد؛ ومن أبرز هذه الخلافات:

الخلاف الواقع بين شباب الحركة (من صغار السن)، وبين شيوخها (من كبار السن)، إذ كُلٌّ يتهم الآخر بالتقصير في أداء المهمة التي وكلت إليه، ويحمِّله نتائج تلك الإخفاقات التي لحقت ببعض البرامج، وما آلت إليه أحوال الحركة من ركود في الأنشطة الدعوية والتعليمية الهادفة، الأمر الذي جعل بعض طلبة العلم الخريجين في الجامعات الإسلامية بالدول العربية والإسلامية، يحجمون فور عودتهم إلى البلاد عن الالتحاق بالحركة، أو الانضمام إليها. وربما كانت تلك النزاعات سبباً لتوقف دعم بعض المحسنين، والمؤسسات الدعوية الخارجية لمشاريع الحركة، والذي نتج عنها تعثر كثير من الأنشطة والبرامج الدعوية، إضافة إلى فقدان الإدارة العامة السيطرة والهيمنة الكاملة على كافة مدارس الحركة ومراكزها الدعوية كما كانت، إذ أصبحت تلك المدارس والمراكز تدار من قبل مديري الفروع فقط، و لم تبق للإدارة العليا أي سلطة عليها سوى تنظيم الاختبارات، وترتيب المناهج الدراسية [1].

(١) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في السنغال وأهم التحديات التي تواجهها، انجوغو امباكي صعب،(ص ٤٥ – ٤٦)، بحث مقدم لنيل درجة دبلوم في الدعوة، كلية الدعوة و أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، وانظر: تقرير عن أحوال الدعوة الإسلامية في السنغال (ص ٦–٧)، أعده الشيخ إبراهيم سيسي مدير معهد الفلاح بمدينة كولخ بالسنغال.

ثالثاً: ومن الأهداف التي لم تتحقق حتى الآن، تأليف الكتب الإسلامية أو الدعوية، إذ لم يصدر للحركة أي كتاب إسلامي منذ إنشائها حتى الآن، كما أنها ـ أي الحركة ـ لم تتوصل إلى إيجاد صحيفة أو مجلة أو دورية ناطقة باسمها، وإن كانت هناك بعض مبادرات طيبة في هذا الصدد من الشيخ بابا محمد لي، يوم أن كان مسؤولاً عن اللجنة الثقافية للحركة[1]، ولكن تلك المبادرات وئدت إثر وفاة صاحب الفكرة سنة (١٩٩٢م)، وذهبت كل الجهود التي بذلت في هذا الإطار أدراج الرياح بسبب إهمال أعضاء الحركة لهذا الجانب المهم في مسيرة الدعوة. مع العلم بأن الحركة لم تكن تنقصها الكوادر المدربة للقيام بهذا العمل خير قيام، إذ كان من أعضائها مَن لهم خبرات طويلة في مجالات الإعلام المختلفة، فلم تظهر للحركة بوادر تصحيحَ العقيدة، ونبذ البدع والانحرافات العقدية والخُلقية في هذه الوسائل الدعوية المهمة، فلا أثر للحركة في الصحافة، ولا في الإذاعة، ولا في التلفزيون أو غيرها، وعندما سئل أحد مسؤولي الحركة في لجنة الدعوة والثقافة عن هذا التقصير غير مبرر؟!

أجاب بأن الحركة لها وسائل أخرى مهمة تستخدمها لسدِّ هذه الفجوة، ألا وهي المنابر، والدروس المسائية، والحلقات القرآنية، والمحاضرات العامة وغيرها، و لكنه ـ في النهاية ـ اعترف بالقصور والإهمال في هذا الجانب، مكتفياً بالقول: « إن أصح الوسائل وأوثقها للتوجيه والثقافة والإرشاد، هي إنشاء المدارس ونشر اللغة العربية التي بواسطتها تفهم كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وتربية النشء على تعاليم هذا الدين الحنيف في السنغال وما جاورها، وهذا فقد حققنا منها الشيء الكثير، ولله الحمد ...»[2].

وقد يكون صادقاً في ذلك بلا شك، بحيث إذا نظرنا إلى إنجازات حركة الفلاح للثقافة والتربية السلفية في هذا الإطار، فإنها تعدُّ بلا منازع، من أكثر الجماعات الإسلامية نشاطاً وتنظيماً، وإنجازاً على صعيدي الدعوي والتعليمي في غربي إفريقية عامة.

---

(١) انظر: مذكرة عن تاريخ حركة الفلاح السلفية، المرجع السابق (ص ٧).

(٢) مجلة الأمة القطرية (ص ٧٦ــ٧٧)، ع (٧٢)، سنة (١٤٠٦هــ).

المبحث الرابع
إشراقات تلوح بالأفق لصالح الحركة

وهناك بوادر الخير تلوح في الأفق لمصلحة الحركة عن طريق محاولة بعض أعضائها المتميزين في العمل، على إعادة المياه إلى مجاريها الطبعية، وذلك بتبنيهم مبدأ النقد الذاتي في أنظمة الحركة، وبإعادة النظر فيها مع تغيير أسلوب العمل لمواجهة التحديات التي تحاك ضد الدعوة السلفية في غربي إفريقية.

على أن الباحث يرى أن أعضاء الحركة لن يستطيعوا تنظيم صفوفهم، ومواجهة تلك التحديات، إلا إذا تمسكوا بتلك الوسائل التي أمر بها الشارع الحكيم، والمتمثل في:

أ ـ ضرورة الرجوع في كل نزاع أو خلاف إلى الله ورسوله ﷺ، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة، لأنهما الميزان السوي لكل نزاع يحدث بين المسلمين تحقيقاً لقول المولى عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[١].

ب ـ بما أن التعليم والتثقيف من أبرز الوسائل المعتمدة لدى الحركة في تسيير أمورها الدعوية، لذا يجب أن تقوم الحركة بمراجعات دورية شاملة للمناهج والمقررات الدراسية، مع إجراء التعديلات اللازمة، نظراً للتطور الحاصل في مجالي التربية والتعليم في الآونة الأخيرة في المنطقة، «لأن المناهج تصبح متخلفة إذا لم يسمح بإدخال التعديلات التي تتطلبها أحوال التلاميذ، وظروفهم، أو التعديلات التي تتطلبها ما يجد من ظروف، وحاجات رئيسة في المجتمع الذي تُدرس فيه»[٢].

ج ـ أنه لا بد لأي حركة أو منظمة أو مؤسسة لكي تضمن الاستمرارية لعطائها وبرامجها بشكل سليم ومنضبط، أن تضع لنفسها شروطاً ومعايير سليمة، تسير على ضوئها في اختيار المسؤولين الأكفاء من ذوي الخبرة والتجربة، تستند إليهم مهام إدارة الحركة، أو المنظمة، أو المؤسسة، لذا فإن محاولة إبعاد العناصر المثقفة والمتعلمة عن رأس أي حركة أو جماعة، من شأنها أن تشل برامج تلك الحركة، ويعرقل مسيرتها نحو تحقيق الأهداف المنشودة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) المناهج أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها، عبد اللطيف فؤاد إبراهيم،(ص ٢ـ٣)، مكتبة مصر، ١٩٩٠م.

د ــ أنه يجب أن يدرك أعضاء الحركة (شباباً كانوا أو شيوخاً)، أن التعاون على البر والتقوى فيما بينهم، هو وحده الكفيل بالنهوض بالحركة نحو آفاق أرحب، وبنجاحهم وتحقيقهم الأهداف المرجوة، وليعلموا ــ جميعاً ــ أنه مهما يكن للشيوخ من فضل سبق في التأسيس والرعاية منذ إنشاء الحركة، حيث بذلوا كثيراً من الجهد، وقدموا تضحيات غالية حتى وصلت الحركة إلى ما وصلت إليه من تلك الإنجازات المشهودة في المجتمع، فمهما يكن من ذلك كله، فإن لشباب الحركة ــ أيضاً ــ فضلاً كبيراً في بقاء الحركة واستمرار نشاطها وبرامجها، لأنهم الساعد الأيمن في جسد الحركة، والعنصر الفعّال والنشط في تسيير أعمال الحركة، وبالتالي فهم جديرون بالاحترام والتأييد والإشراك في كل مناشط الحركة وبرامجها.

فإذا كان للشباب أن يعترفوا للشيوخ فضلهم، وأن يتحلوا بالصبر والثبات معهم لخبراتهم وتجاربهم في الحركة، فكذلك على الشيوخ أيضاً أن يؤتوا الفرص أمام الشباب، ليستخدموا مواهبهم في إحياء روح جديدة في الحركة، و إثراء برامجها وأنشطتها بما يتوافق مع متطلبات العصر الجديد؛ فإذا اجتمعت الخبرة والتجربة إلى مواهب الشباب المتجددة، سار العمل بهدوء، وتحققت الأهداف المنشودة بإذن الله، وقد قيل قديماً في المثل الإفريقي: "بخبرة الشيوخ، ومواهب الشباب، تؤكل الثمر النادر ناضجاً لذيذاً كل حين".

وعلى الرغم من كل هذه التحديات، فإن الحركة لا زالت تؤدي دورها الريادي في السنغال وما حولها من مناطق غربي إفريقية المختلفة، عبر الأنشطة التعليمية والتربوية والاجتماعية الخيرية، في جميع مؤسساتها المتعددة، بهدف دعوة الناس إلى سلوك منهج السلف الصالح في الاعتقاد والعبادة والسلوك والأخلاق، وتوجيههم إلى التمسك بالكتاب والسنة اللذين يهديان إلى تطهير عقيدة المجتمع من أدران الشرك والوثنية.

ومهما يكن من أمر فإن الأمل معقود ــ بعد الله ــ على أعضاء الحركة، وخاصة المثقفين منهم والمتخصصين في شؤون الدعوة والتوعية في المحاولة للمِّ الشَّمل، وإعادة توحيد صف الأمة على كلمة سواء، مع معالجة تلك القضايا ذات الصلة بالخلافات، والترفع عما لا يليق منها، لأنهم جميعاً الدعاة إلى هذه العقيدة ــ أي عقيدة أهل السنة والجماعة ــ والتي أكسبتهم سمعة طيبة في المنطقة، وإلا فسوف تكون النتيجة سلبية، وقد تؤدي إلى الفشل وتسلط العدو، وإلى استهزاء المناوئين المتربصين لدعوتهم، كما في قوله تعالى:﴿ **وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾[1].

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «يقول الله تعالى للمؤمنين أن أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله ﷺ، فيما أمركم به، ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء **[ولا تنازعوا فتفشلوا]** أي لا تختلفوا، فتفترقوا وتختلف قلوبكم، وتضعفوا وتجبنوا **[وتذهب ريكم]** أي قوتكم وبأسكم، ويدخلكم الوهن والخلل»[1].

وهكذا فالائتمار بأمر الله تعالى وطاعته، وذلك باتباع أوامر دينه، وطاعة رسوله ﷺ، باتباع هديه ومنهجه، هما الكفيلان في تكريس الطمأنينة والألفة والوحدة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وكلما مالت بهم رياح الفرقة والاختلاف عن الجادة بنزغات من شيطان الإنس والجن، جاءهم الوصفة الإلهية اللازمة بالعلاج السريع، ليعيدهم إلى ظلّ حبل الله المتين الذي لا انفصام له.

على أنه لا مندوحة من الإشارة إلى أن هناك عشرات من جماعات دعوية أخرى كثيرة في المنطقة، إلا أن الباحث قد اكتفي بذكر هذين النموذجين من تلك الجماعات، لأن القصد هو إعطاء فكرة عامة عن جهود بعض هذه الجماعات الدعوية في تقرير العقيدة الإسلامية، ومحاربة البدع والانحرافات العقدية والفكرية، التي تنخر في جسد الأمة الإسلامية في غربي إفريقية.

وفيما يلي نقدم تقويماً لتلكم الجهود المبذولة في تقرير العقيدة في غربي إفريقية، سواء على مستوى العلماء والدعاة والمصلحين كأفراد، أو على مستوى الجماعات الدعوية كمؤسسات ومنظمات، وذلك على ضوء الكتاب والسنة.

---

(١) تفسير الطبري، المرجع السابق (٦/٢٦١).

الباب الثالث

تقويم الجهود المبذولة لتقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

الفصل الأول: تقويم جهود علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثاني: تقويم جهود الجماعات الدعوية في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية.

الفصل الأول

تقويم جهود علماء غربي إفريقية في تقرير مسائل العقيدة

تمهيد:

المبحث الأول : تقويم جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله.

المبحث الثاني : تقويم جهود الشيخ آدم بن عبد الله الألوري رحمه الله.

تمهيد

يلحظ أن الإنسان وبعد انتهائه من تنفيذ أي عمل، أو أي مشروع، أو بذل أي جهد للوصول إلى هدف ما، فإنه غالباً ما يسأل نفسه عدة أسئلة، تدور حول مدى نجاحه أو فشله في تحقيق الأهداف المنشودة، وكيف تم التغلب على تلك الصعوبات التي واجهته ... إلخ، وتشكّل مثل هذه الأسئلة في مجموعها، إطاراً لعملية مهمَّة، تُعرف بالتقويم.

فالتقويم إذن هو عملية يقوم بها الأفراد أو الجماعات، لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق عمل أو هدف ما من الأهداف. كما يشتمل التقويم على وضع مقترحات للعلاج، والتحسين، والتطوير، وليس تشخيصاً فقط [1].

ووفقاً لهذا المفهوم، فإن تقويم الدعاة، أو العملية الدعوية بصورة خاصة، هو عملية نقوم بها لتحديد مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف التي يتضمنها المنهج الدعوي أو جزء منه، وكذلك نقاط الضعف والقوة، مما يعين في المستقبل على تحقيق الأهداف المرسومة وتطويرها في أحسن صورة، وبأقل جهد ممكن.

ويعدُّ التقويم عملية هامة ليس فقط في مجال الدعوة ومتابعة الدعاة فحسب، وإنما في جميع مجالات الحياة، فطالما ظلَّ الإنسان يقوم بعمل ما، فإن عليه أن يعرف نتيجة هذا العمل، كما أن عليه أن يعرف ما وقع فيه من أخطاء، حتى لا تتكرر مرات ومرات، وبهذا يتوصل الفرد على أداء مناسب، وتكون المحصلة النهائية، الإنتاج في شكل أفضل وأرقى [2].

وعليه فإن تقويم الباحث لجهود العلماء، والجماعات الدعوية في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية، سوف ينطلق من موقف علمي موضوعي محايد، ويركز بالدرجة الأولى على

---

(١) انظر: الأهداف التربوية والتقويم، فؤاد سليمان قلادة، (ص ١٢ــ١٤)، دار المعارف، ١٩٨٢م.

(٢) انظر: التقويم والقياس النفسي والتربوي، أحمد الطيب،(ص ١١ــ١٢)، الكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م؛بتصرف يسير.

الجوانب العقدية عند العلماء، وعلى الأهداف والمبادئ التي وضعتها تلك الجماعات نصب عينيها للانطلاق في العمل الإسلامي، ومدى توافق ذلك كله مع النصوص القطعية الثابتة من الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها رحمهم الله، بعيداً عن أيِّ شعور بالمبالغة والإفراط أو التفريط.

كما يركز تقويمنا في المبحثين التاليين بالنسبة لأفراد العلماء، على المنهج الدعوي للشيخين الجليلين: عثمان بن فودي، وآدم عبد الله الألوري (رحمهما الله)، اللذان كانا ــ كما تقدم ــ أشعري العقيدة[1]، قادري الطريقة، مخالفَين بذلك منهج سلف الأمة في جلِّ أبواب العقيدة الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

(١) وإن كان أشاعرة غربي إفريقية يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة، وأن طريقتهم ومنهجهم في الاستدلال هي نفس طريقة السلف. ولكن بإمعان النظر في منهج الأشاعرة، نعلم زيف هذا الكلام، بل نجد الفرق شاسعاً بينه وبين منهج سلف الأمة رحمهم الله سواء في منهج الاستدلال أو غيرها.

المبحث الأول

تقويم جهود الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في تقريره لبعض مسائل العقيدة

كما تقدم عند الحديث عن عقيدة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في ترجمته، بأنه كان أشعري العقيدة، قادري الطريقة، وهذا يدفعنا بالطبع عند تقويمنا له، إلى تسجيل الملاحظات التالية للدلالة على ما أثبتناه سواء من عباراته في مؤلفاته، أو ما كُتب عنه رحمه الله؛ وقد اتخذ ذلك -بعض العلماء والدعاة السلفيين المعاصرين في المنطقة، مآخذ عليه رحمه الله، وهي:

أ ــ أن كون الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله أشعري العقيدة لا شك فيه، وقد عبر عن ذلك بنفسه، وأكد عليه ابنه الشيخ محمد بللو[1] في كتابه "إنفاق الميسور"، وذلك عندما ذكر ما كان يحدِّث به والده أتباعه من أصول الدين، كقوله: «إن العالم حادث، وصانعه هو الله تعالى، واجب الوجود، قديم لا أول له، مخالف للحوادث، ما هو بجرم ولا صفة للجرم، ولا جهة ولا مكان، بل هو كما كان في الأول قبل العالم، غني عن المحل المخصص، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، قادر بقدرة، مريد بإرادة، عالم بعلم، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مختار في فعله وتركه، والكمال الإلهي كله واجب له، والنقص الذي هو ضد هذا الكمال الإلهي مستحيل عليه ... إلخ »[2].

ب ــ أما كونه قادرياً صوفياً، فيدل على ذلك ما كتبه عن نفسه في رسالة مختصرة سماها: "**ولما بلغتُ ستاً وثلاثين**"، ذكر فيها علامات الجذب الإلهي الذي حصل له، وتحدث عن حيثيات تلقيه للورد الخاص به، فيقول: «لما بلغت ستاً وثلاثين سنة كشف الله الغمة عن بصري، والقرّ عن سمعي، والصخاء عن ذوقي، والطيّ عن يدي، والثبات عن رجلي، و الثقل عن بدني، وكنت أنظر للبعيد كالقريب، فوجدت في خامس أضلعي من جنب الأيمن مكتوباً فيها: الحمد لله

---

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد بن فودي، ولد سنة (١١٩٥هـ)، تربى في كنف والده العلامة بن فودي، تولى الخلافة في الدولة السكتية بعد وفاة والده، وكانت مدة خلافته ٢١ سنة، له عدة مؤلفات، أشهرها: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة، الإنصاف في ذكر مسائل الخلاف، توفي سنة (١٢٥٣هـ)، وعمره ٥٨ سنة. انظر: إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٢١ــ٢٣).

(٢) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ١٠١)، وانظر: إنفاق الميسور، المرجع السابق (ص ٧٤).

رب العالمين عشر مرات، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم عشر مرات، أستغفر الله العظيم عشر مرات، بقلم القدرة، وكنت أتعجب من ذلك ... إلى أن قال: ثم أتاني غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بـ "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ"...»[1].

ج ـ تفسيره لمعنى الإحسان الوارد في بعض آيات الذكر الحكيم، وفي حديث جبريل المشهور، حيث جاء إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان ثم الإحسان فأجابه؛ وقد فسر الشيخ ابن فودي رحمه الله الإحسان بأنه: **التصوف**؛ فيقول: «... أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو التصوف، فهو أن يقتدي كل و احد بما كان النبي ﷺ يفعل فيه، ومن طريق سنته ﷺ، عدم غفلة العبد في كل عبادته حتى كأنه يرى مولاه، لقوله ﷺ كما ورد في صحيح البخاري في جواب ما الإحسان: "**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[2]"، ومن طريق سنته ﷺ: مراقبة الله بفعل الفرائض والنوافل ... إلى أن قال: ومن طريق سنته ﷺ: مراقبة الله بترك المحرمات والمعاصي صغيرها وكبيرها، وترك المكروهات كذلك »[3].

د ـ أما في باب التوسل، فمثله في ذلك مثل كل صوفي يقدس الأولياء والمشايخ، ويدعوهم ويتوسل بجاههم وحرمتهم، ويتضح ذلك جلياً في دعائه الذي يتكرر عقب ذكر كل انحراف من الانحرافات السائدة في المجتمع الذي كان يعيش فيه، وذلك بقوله: «... اللهم وفقنا لاتباع سنة نبيك محمد ﷺ بجاهه عندك»[4].

وله كذلك توسلات وابتهالات كثيرة نظمها في قصائد باللغة الهوسية، يتوسل فيها بالنبي ﷺ، والصحابة، والأولياء، والمشايخ. وقد ترجم له أخوه عبد الله إحدى قصائده إلى اللغة العربية الفصيحة، التي يتوسل فيها بالشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله، ويدعوه ويلجأ إليه؛ وقد نظمها في أربعين بيتاً، نستخلص منها ما يلي:

---

(١)"ولما بلغت"، الشيخ عثمان بن فودي، (ص ١ ـ ٢) مخطوط.

(٢) صحيح البخاري (٢٧/١)، رقم (٥٠)؛ وصحيح مسلم (١٠١/١)، رقم (٩٧).

(٣) إحياء السنة إخماد البدعة، المرجع السابق (٢٣٠ـ٢٣١).

(٤) المرجع نفسه (ص ٢٦).

يا رب عالم باطن كالظـــــــاهر * أجب الذي يدعو بعبد القادر
بركات أحمد في بلاد الله قــــــد * عمت وجمت عند عبد القادر
يا رب يا متفضلاً لعبـــــــــاده * صلني بفضلك عند عبد القادر
إن المســـــيء لدى الأكابر يلتجي * فلجأت عند الشيخ عبد القادر
ما كنت أهلاً إن أجاب أجب لكون * وســـيلتي درجات عبد القادر
عربت ما لأخي وشيــــخي عجمة * متوســـــلين معاً بعبد القادر[1]

قلتُ: إن مقام الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله العلمي، وجهوده في نشر الدعوة الإسلامية، ومحاربة بعض البدع المنتشرة في المجتمع الإسلامي آنذاك في غربي إفريقية، لا يمنعنا من القول بأن النقاط المذكور أعلاه من أهم مآخذ أهل السنة والجماعة عليه قديماً وحديثاً، فقد اشتبه الحق عليه في تلك المسائل وغيرها، وذلك لتأثره الشديد بالعقيدة الأشعرية، وتمسكه بالطريقة القادرية المخالفة، لذا وجب التعليق على بعض تلك الأخطاء، لبيان الحق المستنبط من الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله، وذلك بما يلي:

١ ــ إن كتابه الموسوم بــ "**ولما بلغت ستاً وثلاثين**"، قد شُحن بوابل من البدع والخرافات والضلالات التي لا يمكن صدورها إلا من أصحاب الاتجاهات الباطنية الفاسدة، حيث زعم الشيخ رحمه الله أنه أخذ ورده عن طريق الجذب، والجذب عند الصوفية: حال من أحوال النفس، يغيب فيها عن علم ما يجري من أحوال الخلق، ويتصل فيها بالعالم العلوي، وهو ما يسميه بعضهم بالوجد[2].

٢ ــ وأما زعمه بأنه قد قابل الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله بعد وفاته بقرون، وأن هذا الأخير قد ألبسه الثوب الأخضر مزخرف بلا إله إلا الله ...، وأنه أعطاه أوراداً خاصة به، يتعبد الله بها وينشرها بين الناس، و ... إلخ؛ فحصول مثل هذه الأمور الغريبة لا يشك عاقل في بطلانه، ومخالفته للحق الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، ولأنها من الزيادة في الدين، وقد أكمل

---

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، المرجع السابق (ص ١٠١ــ١٠٢).

(٢) والوجد: هو ما يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروق تلمع، ثم تخمد سريعاً. انظـــر: التعريفـــات للجرجاني، المرجع السابق (ص ٢٥٠)، والمعجم والوسيط، المرجع السابق (١/١١٢)، ودراسات في التصوف، المرجع السابق (ص ١٦٧).

الله تعالى هذا الدين قبل وفاة سيد الخلق ﷺ، بقوله:﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ...﴾[1]، ولا يعتبر هذا أيضاً من باب الكرامة، لأن الكرامة أمر خارق للعادة، لكنه لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة، يقول الشيخ عبد الصمد حبيب الله رحمه الله في رده على من يعتقد مثل هذا الاعتقاد الفاسد، من أتباع الفيضة التجانية في غانا وما حولها:«وقد أجمعت الأمة على أنه لا طريق لتلقي الخبر عن محمد ﷺ أو غيره إلا بالسماع والمشاهدة في حال حياته الدنيوية، أو بواسطة الثقاة الأثبات، بالسند الصحيح المتصل ... إلى أن قال: وأما ما ذكره التجاني من الأخبار ليس له سند أصلاً، وما زعم من السماع كذب بإجماع الأمة، ومن خرق إجماعهم، ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، كما قال: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴾[2]»[3].

والذي يقال في مثل هذا الأمر، إن الشيطان قد يتمثل لبعض عباد الله الصالحين، ويحاول إغواءهم أو إضلالهم بأمور، لكن ذلك يرد بالعلم الشرعي الصحيح، والبصيرة الصائبة في الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والضلال من أهل القبلة، يعتقدون أنهم يرون مَن يعظمونه إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخَيَّل إليه أن الحجرة قد انشقت، وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه، ومنهم من يخَيَّل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد، وهذا وأمثاله أعرف مَن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً، وقد حدثني بما وقع له في ذلك، وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم، وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه وتقواه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علماً قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافاً ظاهراً، ومن عنده علم منها، لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة، ولا مفيداً فائدة في دينه، بل يضله عن بعض ما كان يعرفه، فإن هذا فعل الشياطين، وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً، فالذي خسره من دينه أكثر»[4].

---

(١) سورة المائدة، آية:٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٥.

(٣) رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، المرجع السابق (ص ٢٦ـــ٢٧).

(٤) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢٧/٣٩١ـــ٣٩٣).

٣ ـــ وأما قوله في الشيخ عبد القادر رحمه الله بأنه: "غوث الثقلين" فهذه فرية كبرى، بل هو شرك أكبر، لما في ذلك من اعتقاد بأن هناك من يجوز أن يدعى أو يستغاث به من دون الله، ومعلوم بالضرورة في الدين أن الدعاء والاستغاثة من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها بحال من الأحوال إلا لله وحده لا شريك له، فهي من حقوق الألوهية الخاصة، لا يستحقها غيره تبارك وتعالى أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما لفظ الغوث والغياث، فلا يستحقه إلا الله وحده، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز الاستغاثة بغيره تعالى، لا بملك مقرب، ولا بنبي مرسل»[١]، فضلاً عن غيرهم من البشر.

٤ ـــ أما شرحه لكلمة "الإحسان" بأنه **التصوف**، فلم يفسرها أحد من السلف بهذا المعنى إطلاقاً ـــ فيما نعلم ـــ وإنما فسروه بإتقان العبادة، والخشوع ومراقبة الله تعالى فيها، مع إخلاصها لله تعالى وحده دون سواه.

كما أوضح النبي ﷺ معنى الإحسان في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإسلام والإيمان فأجابه عن كل منهما، وكان جوابه عندما سأله عن الإحسان، أن قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»[٢]، فبين النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه مسلم معنى الإحسان، وهو: أن يفعل العبد ما تعبدَّه الله تعالى به، كأنه واقف بين يدي الله، وذلك يستلزم تمام الخشية، والمحبة، والخوف، والتعظيم، والإنابة إليه سبحانه، كما يستلزم وجوب النصح في العبادة، وبذل الجهد في الإتيان بها، وإتقانها، وإتمامها، وإكمالها على وفق الخطة التي رسمها رسوله ﷺ.

روى الطبراني عن ابن عمر ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله، حدثني بحديث موجز، فقال ﷺ: «**صلِّ صلاة مودِّع، فإنك إن كنت لا تراه، فإنه يراك**»[٣].

ومعنى قوله ﷺ: «**إن كنت لا تراه فإنه يراك**»، أن من لم يقدر على أن يعبد الله كأنه يشاهده، فليعبد الله تعالى ويعلم أن الله مطلّع عليه يراه، ولا يخفى عليه باطنه ولا ظاهره، ولا شيء من أمره، وأنه سبحانه سيجازيه على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ ولاشك أن العاقل إذا تذكر أن الله رقيب عليه أحسن عمله، رغبة فيما عند الله من الثواب للمحسنين، وخوفاً من العقاب الذي أعده للمسيئين.

---

(١) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٤٣٧/١١).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥/٥)، رقم (٥١٩١)؛ وسنن ابن ماجه (٤٩١/٣)، رقم (٦٣)؛ ومسند أحمد (٥٧٣/٦)، رقم (٣٦٩).

وفي حديث حارثة ﷺ الذي يُروى متصلاً إلى النبي ﷺ، أنه قال له: «**يا حارثة، كيف أصبحت؟**»، قال: أصبحت مؤمناً حقاً.

قال: «**انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة**»، قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش الرحمن بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون[1] فيها، قال: «**أبصرت فالزم، عبد نوَّر الله الإيمان في قلبه**»[2].

قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا** ﴾[3]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «"وهو محسن" أي في عمله باتباع ما به أمر، وترك ما عنه نهى»[4].

ويقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث جبريل السابق، الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإحسان؟

قال: «قوله الإحسان هو مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره، فيقال: أحسنتُ كذا إذا أتقنته، وأحسنتُ إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد، لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص محسن بإخلاصه إلى نفسه. وإحسان العبادة: الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه، وهو قوله:" كأنك تراه: أي وهو يراك، والثانية أن يستحضر أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل، وهو قوله: "فإنه يراك". وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: "أن تخشى الله كأنك تراه"، وكذا في حديث أنس.

وقال النووي: معناه إنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه لا لكونك تراه، فهو دائماً يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه، فاستمر على إحسان العبادة وإتقانها فإنه يراك»[5].

---

(١) أي يصرخون فيها من شدة العذاب والألم.

(٢) مصنف عبد الرزاق (١١/١٢٩)، رقم (٢٠١١٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة (٧/٢٢٦)، (٧٢).

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٣/٢٠٢).

(٥) فتح الباري، (١/١٢٠ـ١٢١)، رقم (١٥٧).

ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرحه لمعنى الإحسان: «فمقصود الكلام هو الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع ونحو ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص،احتراماً لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته»(١).

وهكذا نجد أن كل ما تقرر لدى العلماء واللغويين في تفسير كلمة "الإحسان" الواردة في الآيات، وفي حديث جبريل المذكور، يعارض ما ذهب إليه الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، ومن شايعه في ذلك من المتصوفة بزعمهم.

قال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله منتقداً غلاة المتصوفة الذين أوَّلوا الحديث المذكور بغير علم: « وقد أقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم، فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره فإن لم تكن: أي فإن لم تبصر شيئاً وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود، فإنك حينئذ تراه.

وغفل قائل هذا، عن أنه لو كان المراد ما زعم، لكان قوله تراه محذوف الألف، لأنه يصير مجزوماً لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه، إذ لا ضرورة. و لو كان ما ادعاه صحيحاً لكان قول: "فإنه يراك" ضائعاً، لأنه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله في رواية كهمس، فإن لفظها: فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك، وكذلك في رواية سليمان التيمي فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور، وفي رواية أبي فروة: فإن لم تره فإنه يراك، ونحوه في حديث أنس وابن عباس، وكل هذا يبطل التأويل المتقدم ... والله أعلم»(٢).

وأما توسل الداعي بذات الأنبياء أو الأولياء والصالحين أو غيرهم من الناس، يقصد به الدعاء والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويشترط به وجود واسطة بينه وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، فحكم هذا النوع من العبادات أنه شرك أكبر، و ذلك لما يلي:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٥٨)، رقم (٩٩٥١).

(٢) فتح الباري، (١/١٢٠ــ١٢١)، رقم (٦٣٢٢).

أ ـــ أن الله تعالى لم ينزل كتبه، ولم يرسل رسله إلا لإبطال هذا النوع من التوسل، والتحذير منه، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[1].

وقد جعل هذا الداعي هنا ما ليس بسبب سبباً، مع اعتقاده الجازم بأن هذا السبب يستقل بالتأثير فيه دون مشيئة الله تعالى، فكان حاله كحال المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ وكانوا يعتقدون أن أصنامهم تنفع وتضر استقلالاً، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[3].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور ... إلى أن قال: والثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه»[4].

وقد سئل الشيخ صالح بن فوزان الفوزان هذا السؤال: هناك من يقع في التوسل بغير الله، ويطلب المدد من الأولياء والصالحين، رغم أنه يوحِّد الله بالقول، ويصلي ويصوم، وإذا تم تنبيهه على تلك الأخطاء كابر وجادل، وحاول أن يحرِّف معاني بعض آيات القرآن، ويقول: إنني لا أطلب منهم الرزق مباشرة، أو دفع الضر، ولكني أطلب من الله ببركتهم وجاههم وحرمتهم وتقواهم. فهل في هذا فرق بين من يطلبهم مباشرة، أو يطلب الله بواسطتهم، وهل هذا القائل على حق أم لا ؟

أجاب الشيخ حفظه الله: «إن التوسل بالأموات والغائبين أمر محرم ولا يجوز، لأن الميت والغائب لا يقدر أن يعمل شيئاً مما طلب منه، ثم هذا يختلف حكمه باختلاف نوع التوسل، فإن

---

(١) سورة الإسراء، آيات: ٥٦ــ٥٧.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١٧.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ٥.

(٤) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١/١٣٧).

كان توسلاً بالغائب و الميت، ويتقرب إليه بشيء من أنواع العبادة كالذبح له، والنذر له، ودعائه، فهذا شرك أكبر ينقل من الملة، والعياذ بالله؛ لأنه صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله.

أما إن كان التوسل بالغائب والميت بمعنى أنه يدعو الله، ويجعل هذا واسطة، فيقول: اللهم إني أسألك بحق فلان، فهذا بدعة لا يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر، لكنه بدعة محرمة، وهو وسيلة إلى الشرك، وباب إلى الشرك، فلا يجوز التوسل بالأموات والغائبين بهذا المعنى، فإن كان يطلب منهم الحاجة، ويذبح لهم فهذا شرك أكبر، لقوله تعالى:﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ** ﴾[1]»[2].

ب ــ أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى، ويسأل حاجته مقسماً على الله بنبي أو ولي أو ملك أو غيره، أو بحق نبي أو ولي، فيقول مثلاً: اللهم إني أقسمت عليكم بفلان أو بحق فلان عندك أن تقضي حاجتي في كذا وكذا ... إلخ.

قلتُ: إن الإقسام أو الحلف بالمخلوق على الله محرم، وذلك لما يأتي:

١ ــ ما ورد من الأدلة على أن الحلف بالمخلوق شرك، فيكون الإقسام بالمخلوق على الله على سبيل التوسل أشد تحريماً، لما فيه من التقرب إلى الله تعالى بالشرك به.

٢ ــ أنه لا حق ولا جاه لمخلوق على الخالق بمجرد قيامه بالعمل الصالح، أو طاعته له، حتى يقسم به على الله أو يتوسل به إليه[3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ... وكل ما كان واجباً أو مستحباً في العبادات والأدعية فلا بد أن يشرعه النبي ﷺ لأمته، فإذا لم يشرع هذا لأمته لم يكن واجباً ولا مستحباً،ولا يكون قربة وطاعة، ولا سبباً لإجابة الدعاء»[4].

وهكذا فإن الباحث يجد نفسه متردداً ومتحيراً أمام التوفيق بين تلك الجهود الكبيرة التي لا تنكر، والتي بذلها الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في سبيل الدعوة الإسلامية، وجهاده الكبير الذي قاده ضد أعداء التوحيد، ومحاربته لبعض البدع والخرافات المنتشرة في مجتمعه في غربي إفريقية، وبين تلك الأقوال والأفعال التي توقع صاحبها في البدع، والشرك بالله عز وجل. فما المخرج يا تُرى؟!

---

(١) سورة يونس، آية: ١٨.

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة، المرجع السابق (ص ٢/٤٦ـــ٤٧).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥٠٠ـــ٥٠١)، رقم (١٣٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١/٢٨٧).

عند تتبع الباحث لمؤلفات الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، ولما عرف عنه من آثاره العلمية والدعوية، وقيامه لدولة إسلامية في غربي إفريقية، تحكم بشريعة الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ؛ وذلك على غرار الدول والممالك الإسلامية الغابرة، نجد أن المخرج الوحيد هو: أن يُعتذر له، كما يُعتذر لكثير من العلماء والعبَّاد، وبعض الأمراء والسلاطين فيما أحدثوه من اجتهادات، إذ إن بعضاً من مجتهدي السلف والخلف رحمهم الله قد فعلوا ما هو بدعة، و لم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه، أوفي المسألة نصوص لم تبلغهم. وإذا اتقى المرء ربه ما استطاع دخل في عموم قوله تعـالى:﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾[1]، وفي الصحيح أن الله تعالى قال: "**قد فعلتُ**[2]"»[3].

ودليلنا في ذلك كله ما ثبت من اعتذار السلف، لبعض أهل الفضل والصلاح مـن أهـل العلم، لما حصل منهم من أخطاء، يقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ... لكـن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق، وإن وقع في كلام بعضهم ما هو خطأ منكـر، فأصـل الإيمان بالله ورسوله ﷺ إذا كان ثابتاً، غُفر لأحدهم خطأه الذي أخطأه بعد اجتهاده»[4].

ثم أضاف رحمه الله معللاً عدم تأثيم المجتهد، أو تجريمه إذا أخطـأ في مـسائل أصـولية أو فرعية، فقال: «وليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق، ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأموراً أو فَعل محظوراً، وهذا هو قول الفقهاء والأئمة، وهو القول المعروف عن سـلف الأمة، وقول جمهور المسلمين»[5].

على أن هناك معطيات وتأثيرات اجتماعية وبيئية وتربوية ودينية عديدة، تُوطِّـد أحقيـة اعتذارنا ويقويه للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في المسائل والقضايا التي جانب فيها الـصواب، و يدل على ذلك ما يلي:

أولاً: تأثير البيئة الدينية والاجتماعية والعلمية التي نشأ وترعرع فيها الشيخ عثمـان بـن فودي رحمه الله، حيث بدأ تعليمه على يد والده الذي كان أشعرياً قادرياً، وكذلك العلماء الذين

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) صحيح مسلم (٣٢٤/٢)، رقم (٥٥٢١)؛ والترمذي (٢٠٦/٥)، رقم (٥٢١٠)؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١٩٢/١٩ــ١٩٣).

(٤) الصفدية، لابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم،(٢٦٥/١)، ط١، ١٤٠٦هـ، د.ت.

(٥) منهاج السنة النبوية، المرجع السابق (٩٨/٥)، وانظر: مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٢١٣/١٩).

أخذ عنهم العلم بعد ذلك من علماء نيجيريا من البرناويين والهوساويين والفلانيين و غيرهم، كانوا جميعاً من الصوفية القادرية(١).

ثانياً: أننا لو فرضنا ــ جدلاً ــ أن الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله قد جانب الصواب في بعض القضايا العقدية التي تناولها، وارتكب بدعاً في بعض ممارسات العبادة، فمن باب العدل والإنصاف أن نذكر ما له من محاسن، وإظهار ما عليه من ملاحظات، وقبول ما عنده من حق، ورد ما لديه من باطل، والعدل أقرب إلى التقوى، بل هو سبيل الأمة الوسط الذين قال الله تعالى فيهم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)، وكيف لا، وقد كثرت حسناته تجاه الإسلام وأهله؛ فقد حارب الشرك والوثنية التي كانت منتشرة في مجتمعه في عصره، ودعا الناس بأقواله وأفعاله إلى التمسك بالدين الصحيح، المنبثق من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأقام مملكة إسلامية في غربي إفريقية دامت أكثر من قرن تحكم بشريعة الله تعالى... إلخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله، والثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته، وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه، وما يعاقب عليه؛ وما يحمد عليه، وما يذم عليه، وما يحب منه، وما يبغض منه»(٣).

ثالثاً: وربما لعدم وجود علماء أهل السنة والجماعة الحقيقيين الذين يمكن الاعتماد عليهم في شرح حقيقة التوحيد كما ورد في الكتاب و السنة، أو تجرى بينهم وبين الشيخ عثمان

---

(١) انظر: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، المرجع السابق (ص ٩٤).

(٢) سورة المائدة، آية: ٨.

(٣) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (١١/١٦).

رحمه الله مناقشات أو مناظرات حول بعض المسائل الاعتقادية التي أخطأ فيها الشيخ رحمه الله حتى تقوم الحجة، ويتضح الحق. إضافة إلى عدم اتصاله بعلماء أهل السنة من المشرق العربي وبخاصة في بلاد الحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، حيث مهد سلف الأمة وأئمتها في التاريخ الإسلامي.

كما أنه لا ينبغي الحكم على كل من وقع في بدعة ما أنه من أهل الأهواء، اللهم إلا إذا أقرَّ عليها بعد بيان الحق له، ووالى عليها، وعادى عليها، وجعلها منهجاً خاصاً يفارق به جماعة المسلمين؛ «... فعلماء الحديث وأئمة الفقه في الكتاب والسنة، منهم من هو أهل للاجتهاد، يحرص على الشريعة ويسلم لها، إلا أنه قد يتأوَّل بعض نصوصها تأويلاً يخطئ فيه فيعذر في خطئه، لكونه في موار الاجتهاد. ومنهم من ينكر بعض نصوص الشريعة، إما لكونه حديث عهد بالإسلام، وإما لأنه نشأ في أطراف البلاد الإسلامية، فلم يبلغه ما أنكره. ومنهم من يرتكب معصية أو يبتدع بدعة لا يخرج بها عن حظيرة الإسلام، فهو مؤمن مطيع لله بما فيه من طاعة، مسيء بما ارتكب من معصية، وابتدع من البدع، فكان في مشيئة الله إن شاء غفر له ... كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]»[2].

ونحن إذ نتلمس العذر للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، فإننا لا نقول بإقراره على كل ما صدر عنه من البدع والخرافات، ولا بإباحة اتباعه على تلك الأخطاء، وإنما نؤكد بأنه يجب الإنكار عليه فيما يسوِّغ إنكاره مع مراعاة الأدب، والتأني في الحكم، إذ كل ما يؤخذ على الشيخ رحمه الله من أقواله وفتاواه في بعض المسائل التي تناولها، يجب رده إلى الكتاب والسنة، ومنهج السلف رحمهم الله، للوقوف على مدى مناسبته للصواب في ذلك... والله أعلم .

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) مجموع الفتاوى، المرجع السابق (٣٤٩/٣)، وانظر: فتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية، المرجع السابق (ص٢٢٠).

المبحث الثاني
تقويم جهود الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله في تقريره لبعض مسائل العقيدة

إذا تأملنا في مؤلفات الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمه الله، نجد أن هناك عدداً من القضايا والمسائل العقدية، قد خالف فيها نهج أئمة أهل السنة والجماعة، ولعل ذلك ناتج ـــ في نظر الباحث ـــ إلى نشأته الأولى التي بدأت ـــ كما تقدم ـــ على يد والده الذي كان أشعرياً قادرياً، ثم مواصلة تعليمه فيما بعد على يد علماء بلدته الذين كانوا جميعاً ـــ كذلك ـــ على الطريقة القادرية المسيطرة في ذلك الوقت على الساحة العلمية والدعوية في المنطقة، وبخاصة تأثره الشديد بأستاذه وشيخه آدم نمعاجي الكنوي، الذي انتسب إلى الطريقة القادرية على يديه، وقد لازمه فترة طويلة حتى بلغ مستوى متقدماً في الطريقة، يقول عنه عندما سئل:« ... ولقد وجدته بحراً لا ساحل له في مختلف العلوم والفنون، لذا انتظمت في سلك مريديه»[1].

ومع أن الشيخ آدم الألوري رحمه الله قد سافر كثيراً، وعاصر كوكبة من أئمة الدعوة السلفية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت في مختلف بلاد العربية والإسلامية، وبخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وأخذ عنهم كثيراً، إلا أنه ـــ مع الأسف ـــ لم يستفد منهم من الناحية العقدية، كما كان الحال عند غيره من علماء غربي إفريقية[2]، وذلك لتأصل هذه العقيدة الأشعرية في نفسه، وتمسكه الشديد بالطريقة الصوفية القادرية، وتمزجه في عروقه ودمه.

ولهذا نجد الشيخ آدم رحمه الله ـــ ومع ما رزق به من علم جم، وفقه غزير في مختلف فنون العربية والإسلامية[3] ـــ قد جانب الصواب في فهمه لكثير من مسائل توحيد العبادة. ونحن مع تبجيلنا له، وتقديرنا لتلك الجهود الكبيرة التي بذلها في سبيل الدعوة إلى الله، ومحاربة بعض البدع ومظاهر الشرك المنتشرة في المجتمع الإسلامي الغرب الإفريقي في عهده، فإنه لا بد من بيان الحق والصواب في المسائل التي خالف فيها نهج السلف رحمهم الله، إذ كل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم، الصادق المصدوق ﷺ.

وفيما يلي من المطالب، نورد بعضاً من تلك المسائل، ثم نعلق عليها على ضوء الكتاب والسنة، وأقوال السلف رحمهم الله، ومن ذلك:

---

(١) من هنا تعلمت ....، المرجع السابق (ص ١١ـــ١٣).

(٢) أمثال: الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله، الذي استفاد كثيراً من علماء المشرق العربي والإسلامي عند اتصاله بهم، في اتجاهه العقدي والدعوي بشكل عام، وكانت نتيجته تأليفه لكتابه القيم: "العقيدة الإسلامية بموافقة الشريعة".

(٣) يدل على ذلك آثاره وجهوده العلمية المتمثلة في مؤلفاته الكثيرة، التي ذكرنا طرفاً منها في ترجمته.

المطلب الأول

مذهبه في مسألة الاستغاثة بالأموات

لقد ذكر الشيخ آدم الألوري رحمه الله مسألة الاستغاثة كقضية من القضايا التي احتدم فيها الخلاف بين الدعاة السلفيين[1]، والعلماء المحليين[2] في غربي إفريقية، وأبدى اعتقاده وفهمه لها، قائلاً: «وأما الاستغاثة فهي القول بنحو: أغثني يا فلان، فلم يرد نص واحد من الكتاب و السنة في جواز ذلك من الحي إلى الميت، بل الميت هو الذي يستغيث بدعاء الحيِّ لتخفيف -العذاب عنه، وأنا لا أقول: إن المستغيث بغير الله كافر، إذ لم يرد نص صريح بتكفيره، إذا لم يعتقد كفراً، ولا تأثيراً لغير الله ...»[3].

قلتُ: إن هذا القول خطير للغاية، وذلك لما يتضمنه من جواز الدعاء والاستغاثة بغير الله، ومعلوم من الدين ضرورة، أن الدعاء والاستغاثة بالأموات والجن والملائكة والأشجار والأحجار وحتى الأنبياء والمرسلين كلها من الشرك الأكبر، وقد جاءت نصوص تصرح بذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى:﴿ **لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ** ﴾[4].

و لا يشترط في ذلك كون المستغيث يعتقد كفراً أو تأثيراً لغير الله، لأن المشركين الأولين لم يعتقدوا أن أصنامهم تنفعهم بنفسها، بل كانوا يعلمون أنها لا تخلق ولا ترزق، ولا ....، ومع ذلك كانوا يرجون شفاعتها عند الله، ولتقربهم إليه زلفى، كما قال تعالى:﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا**

---

(١) يقصد بهم ــ عادة ــ أبناء المنطقة الذين درسوا في مختلف الجامعات الإسلامية في البلاد العربية و الإسلامية ــ وبخاصة في المملكة العربية السعودية ــ وتخرجوا فيها، ثم عادوا إلى أوطانهم يدعون الناس إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وذلك استناداً لمنطوق الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) يقصد بهم طلبة العلم الذين درسوا على أيدي المشايخ في البلاد، و لم يحالفهم الحظ لمواصلة دراستهم في الخارج. وأكثر هؤلاء لا يزالون جامدين مترمتين على الطريقة القديمة حتى وإن تبين لهم الخطأ فيما هم عليه أحياناً، وذلك تبعاً لهوى النفس.

(٣) توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا، المرجع السابق (ص ١٠٥ــ١٠٦).

(٤) سورة الرعد، آية: ١٤.

مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1]؛ وقولــه:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك، وسفَّه عقولهم، بقوله تعالى:﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ينكر الله تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فلا يعذبهم بذنوبهم، وهذا غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال، ولهذا أخبر الله تعالى أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً، ثم قال:﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي أتخبرون الله أن لكم شفعاء بغير إذنه، والله لا يعلم لنفسه شريكاً، ولا شفيعاً بغير إذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سمواته وأرضه؟ وهذا الكلام حاصله: عدم وجود من هو كذلك أصلاً، وفي هذا من التهكم بالكفار والمشركين ما لا يخفى، ثم نزه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم، فقال:﴿ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تنزيهاً لله وعلواً عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع، وافترائهم عليه الكذب»[4].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) سورة يونس، آية: ١٨.

(٣) سورة يونس، آية: ١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق (٢/٥٤١)، وانظر: فتح القدير، المرجع السابق (٢/٦٢٦)، وتفسير القرطبي، المرجع السابق (٨/٢٩١)، وتفسير الطبري، المرجع السابق (٦/٥٤٢).

المطلب الثاني

رأيه في التوســـل

تناول الشيخ آدم الألوري رحمه الله قضية التوسل ضمن القضايا التي اختلف فيها دعاة أهل السنة والجماعة مع العلماء المحليين، وقد أجاد وفصل القول في أقسام التوسل، سواء المشروع منها والبدعي، مع بيان الأدلة التي استدل بها كل فريق، لكن الغرابة في هذا الأمر هي التوجه الذي ذهب إليه الشيخ آدم الألوري رحمه الله، فيما يتعلق بحديث الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى الغار، فانطبقت عليهم صخرة من الجبل، فسدت عليهم الباب، فتوسلوا جميعاً إلى الله بصالح أعمالهم، فنجوا وخرجوا يمشون [(١)].

وعلى رغم من ورود هذا الحديث في الصحيحين[(٢)]، ودلالته الصريحة على جواز توسل العبد بأعماله الصالحة التي أخلص فيها، وابتغى بها وجه الله عز وجل، نجد لدى الشيخ آدم رحمه الله في هذه المسألة اعتقاداً غريباً، ورأياً مخالفاً لما عليه عموم الأمة، حين يقول بعد ذكره للحديث: «... وليس في الحديث دليل على تصويب الاستعلاء على الله بصالح الأعمال، وترك الافتقار إلى رحمة الله بالاعتماد على العمل، ثم إن في نفسي من قصة أصحاب الغار أشياء ... إلى أن قال: إن الاستدلال بتوسلهم على شرعية التوسل بالأعمال الصالحة، لم يقم على نص صريح في الحديث، والتشريع لا يقوم على دليل ظني، ثم إن أصحاب الغار ليسوا بأنبياء حتى يكون شرعهم شرعاً لنا، وإنما أورد النبي ﷺ قصتهم للعبرة والعظة حسبما كان الحديث عن بني إسرائيل جائزاً، ولم نسمع أن واحداً من الأنبياء الذين مضوا توسلوا بشيء من أعمالهم إلى الله، وإنما كانوا يضرعون إلى الله عند لزوم ذلك في حينه...»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢/٧٩٣)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٥٩)، حيث سألوا الله تعالى بأعمالهم الصالحة، ليجيب دعاءهم ويفرج كربتهم، فإنه سأله هذا ببره العظيم لوالديه، وسأله هذا بعفته العظيمة عن الفاحشة، وسأله هذا بأدائه العظيم للأمانة، لأن هذه الأعمال التي أمر الله بها ورسوله ﷺ، ووعد الجزاء لأصحابها، هي الوسيلة التامة إلى سعادة الـدنيا والآخرة؛ فصار كما حكاه عن المؤمنين، بقوله:﴿ **رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ** ﴾ سورة آل عمران،آية: ١٩٣، وكان ابن مسعود ﷺ يقول في الـسَّحر: «اللهم دعوتني فأجبت، وأمرتني فالتزمت، وهذا سحر فاغفر لي»، انظر: التهجد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا، (١/٨٩)، مكتبة القرآن، ١٩٩٤م.

(٢) صحيح البخاري (٢/٧٧١)، رقم (١٢٥)؛ وصحيح مسلم (١٧/٥٩)، رقم (١٢١١).

(٣) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٩٥ــ٩٦).

قلتُ: إن هناك شيئاً ما قد التبس على فهم الشيخ آدم الألوري رحمه الله في هذه المسألة، إذ إن في هذا الحديث أدلة قاطعة على جواز التوسل بالعمل الصالح، وهو من أنواع التوسل المشروع الذي تحدث عنه العلماء، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه القيم:"قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة[(١)]"، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله عند شرحه للحديث: «وقد استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالى به، لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم...»[(٢)].

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في استدلاله بهذا الحديث على جواز التوسل بالأعمال الصالحة التي عملها الداعي، وأنه من التوسل المشروع: «ورسولنا ﷺ يروي لنا هذه القصة الرائعة التي كانت في بطون الغيب، لا يعلمها إلا الله سبحانه، ليذكرنا بأعمال فاضلة مثالية لأناس فاضلين مثاليين من أتباع الرسل السابقين، لنقتدي بهم، ونتأسى بأعمالهم الصالحة، ونأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة، والعظات البالغة، ولا يقولنَّ قائل: إن هذه الأعمال جرت قبل بعثة النبي ﷺ، فلا تنطبق علينا بناء على ما هو الراجح في علم الأصول أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، لأننا نقول: إن حكاية النبي ﷺ لهذه الحادثة إنما جاءت في سياق المدح والثناء والتعظيم والتبجيل، وهذا إقرار منه ﷺ بذلك، بل هو أكثر من إقرار لما قاموا به من التوسل بأعمالهم الصالحة المذكورة، بل إن هذا ليس إلا شرحاً وتطبيقاً للآيات المتقدمة، وبذلك تتلاقى الشرائع السماوية في تعاليمها وتوجيهاتها، ومقاصدها وغاياتها، ولا غرابة في ذلك فهي تنبع من معين واحدة، وتخرج من مشكاة واحدة، وخاصة فيما يتعلق بحال الناس مع ربهم سبحانه، فهي لا تكاد تختلف إلا في القليل النادر الذي تقتضي حكمة الله تغييره وتبديله...»[(٣)].

---

(١) انظر: (ص ١١٦ــ١١٧)، و(ص ١٣٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٥٩ــ٦٠).

(٣) التوسل وأنواعه وأحكامه، المرجع السابق (ص ٣٧ــ٣٨).

فهذه الأدلة قد استنبطها العلماء من السنة، وهناك أدلة أخرى كثيرة من القرآن تتحدث عن هذا النوع من التوسل المشروع وتثبته، مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]، حيث قدموا ذكر الإيمان قبل الدعاء، وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم، وإنما التبست هذه المسألة على الشيخ آدم الألوري رحمه الله من شدة تشبثه بعقيدته الأشعرية، وبتمسكه بتلك العقائد الصوفية القادرية المشوَّشة التي ينتمي إليها ويعتقدها.

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٠٩.

المطلب الثالث

قولـــه في التصـــــــوف

فقد فسر الشيخ آدم الألوري رحمه الله مقام الإحسان الذي ورد في عدد من آيات الذكر الحكيم، وفي حديث جبريل المشهور حين أتى النبي ﷺ يسأله، بأنه: "التصوف"، فقال:«ولقد حث القرآن على الإحسان كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾[1]، وفي حديث جبريل: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[2]"، وهذا الإحسان هو الذي اصطلح عليه أخيراً بكلمة **التصوف**، فصح أن التصوف له أصل من المعين الإسلامي: من الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح، وإن كان قد تأثر ببعض رواسب الأديان السابقة من الأمم الأخرى، التي دخلت في الإسلام، وحملت إليه بعض آثار معارفها وثقافتها وعقيدها وديانتها، فليس ذلك يجعله كله بدعة وضلالة»[3].

وهكذا نجد الشيخ الألوري رحمه الله يدافع بقوة عن مذهب التصوف، ويحاول استدلال عليه من الكتاب والسنة، ومنهج السلف رحمهم الله، بل ويرفع العتب عن مشايخهم، ويقدم كل الاعتذار لهم على شطحات بعض الغلاة منهم، حين قال: «فلا يجوز لوم طائفة على ما هي عليه من هذه الأشياء، كما لا يجوز حمل كافة الناس على شيء واحد من هذه الأشياء، وكم رأينا من أهل الدنيا مَن يتفانون في حبِّ المال والجاه والنساء إلى حدِّ الهوس والجنون، فكيف نلوم أناساً لأنهم تفانوا في حبِّ الله ورسوله ﷺ ودينه ... إلى أن قال: فلكل منهم[4] مثالب ومناقب، كما للصوفية، ولماذا يلوم بعضنا بعضاً»[5].

ويقول في موضع آخر: «إن القول بأن تخلف المسلمين كان من التصوف يجر إلى تصديق الأعداء الذين قالوا: بأن التدين يجر إلى التخلف ... ومن أراد أن يلوم أحداً على ما أصاب المسلمين من التخلف والرجعية، فعليه أن يأخذ بأسلوب الشمول ... ولا يقتصر على الصوفية»[6].

---

(١) سورة لقمان، آية: ٢٢.

(٢) نقدم تخريجه.

(٣) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٤٨ــ٤٩).

(٤) لعله يقصد بذلك أهل السنة والجماعة وغيرهم ممن ينتقدون عقائد الصوفية المبتدعة.

(٥) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٥٢)

(٦) المرجع نفسه (ص ٥٨).

ويقول في اعتذاره لهم على تلك الشطحات، والأخطاء الكبيرة التي يرتكبونها باسم الدين: «... وإذا صدر من الصوفية المخلصين شيء يخالف ظاهر النص، أو نسب إليهم ذلك فلا يخلو من أمرين لا ثالث لهما:

١ ـــ إما أن يكون ذلك ناشئاً عن خطأ في اجتهاده، حيث إنهم مجتهدون في التقرب إلى الله، وليسوا معصومين من الخطأ.

٢ ـــ وإما أن يكون مدسوساً عليهم من الأعداء، وهم أقل من يدس عليه، وقد دس المبطلون على سيد البشر ﷺ أحاديث كثيرة ...»[١].

قلتُ: إن هذا الكلام غير صحيح، إذ لم يفسر أحد من السلف رحمهم الله ـــ فيما نعلم ـــ كلمة الإحسان الوارد بهذا المعنى بأنه "التصوف"، وإنما ورد تفسيرها في الحديث الذي سأل جبريل رسول الله ﷺ عنها، بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢]، وهكذا تتحقق العبادة بهذا المعنى بإتقانها، ومراقبة الله فيها، وإخلاصها لله، مع تمام الخشوع والخضوع له فيها، وقد تقدم بيان ما يكفي من أقوال العلماء في هذا الأمر، والله أعلم.

وأما قوله بأن التصوف له أصل من الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح رحمهم الله، فلم يقدم دليلاً واحداً يستند عليه في ذلك، وبالتالي فلا داعي لمناقشته، لأنه ظاهر الفساد والبطلان.

---

(١) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٦٦ـــ٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

المطلب الرابع
رأيه في الأدعية والأذكار الصوفية

تناول الشيخ آدم الألوري رحمه الله مسألة الأدعية والأذكار المبتدعة، التي يضعها مشايخ الصوفية زوراً وبهتاناً، وحاول أن يدافع عنها مستدلاً في ذلك على بعض ما ورد في السنة من إقراره ﷺ للصحابة في بعض الأمور، فقال: « لقد جاء في كتب الحديث أن النبي ﷺ أقر بعض الصحابة على أذكار وأدعية من عباراتهم، وكافأ بعضهم على حسن ثنائه على الله تعالى ... إلى أن قال: فبناء على ذلك كله، أجاز العلماء والأولياء وضع الأذكار والأدعية حسب ما ألهمهم الله، وهداهم إليه»[1].

قلتُ: إن هذا الكلام غير دقيق، ولا يُعدُّ دليلاً على جواز وضع الأذكار والأدعية لكل من هبَّ ودبَّ، لأن مجرد إقرار النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم على تلك الأذكار التي قرأوها أو تلفظوا بها في حضرته ﷺ، جعلها من السنة.

فماذا نقول عن تلك الأذكار والأدعية التي اخترعها أقطاب الصوفية وأولياؤهم بعد ذلك، هل هي سنة أيضاً؟!

وقال في موضع آخر متحدثاً عن صيغ الصلاة على النبي ﷺ التي ابتدعها الأولياء والمشايخ: «وقد اتفق جمهور العلماء على أن الصلاة على النبي ﷺ لا تلتزم صيغة واحدة، بل يجوز أن تختلف الصيغ والعبارات»[2].

قلتُ: لو أفادنا الشيخ آدم رحمه الله بمورد هذا الاتفاق بين العلماء لكان أكثر فائدة، إذ المقرر عند أهل السنة والجماعة، أن الصلاة على النبي ﷺ عبادة، والعبادة مبناها على التوقف، فلا يجوز وضع صيغة للصلاة على النبي ﷺ، بعد أن سأله الصحابة رضي الله عنهم، كيف يصلون عليه، فأجابهم وأرشدهم لذلك. كما ورد في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قوله: يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد** »[3]، وهكذا.

---

(١) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٧٧ـــ٧٩).

(٢) المرجع نفسه (ص ٧٩).

(٣) تقدم تخريجه؛ كما أن هناك صيغاً أخرى للصلاة عليه ﷺ، وردت في الصحيحين، يمكن الرجوع إليها لمن أراد التوسع.

المطلب الخامس

رأيه في الفِرق الإسلامية المبتدعة

تحدث الشيخ آدم الألوري رحمه الله عن الفرق الإسلامية، في كتابه:"توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وفي غربي إفريقية" وذلك تحت عنوان: "الفرق الإسلامية مجتهدون"، ثم قال: « الفلاسفة المسلمون، والمعتزلة المتكلمون، والأشاعرة، والسلفيون، كلهم مجتهدون في العقيدة، يثابون إن أصابوا، ويعذرون إن أخطأوا ... إلى أن قال: فالدعوة إلى مذهب السلف في العقيدة لا ينبغي إنكارها، بل تجب إجابة مَن دعا إلى إحيائها، وفي الوقت نفسه لا ينبغي القضاء على المذاهب الاعتقادية الأخرى، فإنها صارت تراثاً ثقافياً وعلمياً وفكرياً للإسلام يجب التزوُّد به، وإذا كان الاكتفاء بالأدلة القرآنية واجباً للمسلم العادي أو الطالب المبتدئ، فليس من الحكمة أن يمنع طلاب العلم العالي(١) من النظر في علم الكلام، والمذاهب الاعتقادية الأخرى في الإسلام»(٢).

قلتُ: إن هذا القول لا يستقيم، وذلك لأن الاكتفاء من الناحية العقدية، يجب أن يكون فقط بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لأنهما الميزان العدل، فما وافقهما من الأقوال والأفعال قُبل، وما خالفهما رُدَّ على صاحبه كائناً من كان، كما أن فيهما الحق المبين الذي يغني طالب العلم من النظر في خزعبلات المتصوفة، وضلالات الفلاسفة والمتكلمين، وغيرهم من أصحاب المذاهب الاعتقادية الأخرى.

ولعل هذا الخطأ ناتج عن قلة بضاعة الشيخ آدم الألوري رحمه الله فيما يتعلق بعقيدة السلف، إضافة إلى تأثره الشديد بعلماء عصره الذين تتلمذ على أيديهم، وكانوا جميعاً أشاعرة، ومن أتباع الطريقة الصوفية القادرية المبتدعة، والله المستعان.

---

(١) لعله يقصد بهم طلاب الدراسات العليا في الجامعات والمراكز البحثية في العالم العربي والإسلامي.

(٢) توجيه الدعوة والدعاة، المرجع السابق (ص ٣١).

الفصل الثاني

تقويم جهود الجماعات الدعوية في تقرير مسائل العقيدة في غربي إفريقية

المبحث الأول: تقويم جهود جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في تقرير مسائل العقيدة

المبحث الثاني: تقويم جهود حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية في تقرير مسائل العقيدة

المبحث الأول

تقويم جهود جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في تقرير مسائل العقيدة

وتقويم الباحث لجهود "جماعة إزالة البدع وإقامة السنة"، ينطلق من دراسة متأنية لكل ما قيل، أو كُتب عنهم، والوقوف على كثير من نشاطاتهم وبرامجهم وجهودهم، وكذلك نشاطات فروعهم داخل نيجيريا وما جاورها من بلدان غربي إفريقية.

إن أهداف ومبادئ جماعة "إزالة البدع وإقامة السنة" في غربي إفريقية، هي أهداف طيبة، ومبادئ سامية، تتفق فيها مع أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة في المنطقة، ولكن وسائل وأساليب الجماعة لتحقيق تلك الأهداف والمبادئ قاصرة ومحدودة، ولا يمكن أن توصل إلى أهداف الجماعة الكبرى إذا بقيت تلك الوسائل والأساليب على قصورها ومحدوديتها. ولنأخذ مثالاً واحداً من أهدافها بتلك الوسائل، هذا الهدف هو ما عبرت عنه المادة رقم (١)، من اللائحة الأساسية للجماعة، وهو: "العمل على نشر التعاليم الإسلامية الأصيلة كما ورد في الكتاب والسنة"، وبعبارة أخرى: " دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، والحكم بشريعة رب العالمين[(١)]".

هذا الهدف وحده، هو الذي من أجله أنزلت الكتب، و أرسل الرسل والأنبياء إلى أقوامهم كافة، فكان كل رسول يقول لقومه:﴿ **يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ** ﴾[(٢)]. وهو الهدف الذي مكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الناس إليه، ويعلم التوحيد والعقيدة؛ وجاهد باقي حياته بالمدينة المنورة لتثبيته والمحافظة عليه، ومن أجله حمل السلاح في بدر، وفي جميع معاركه دفاعاً عن ذلك الهدف السامي، روى عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله** ...» الحديث[(٣)].

ووسائل الجماعة إلى تحقيق هذا الهدف كما تقدم، تتلخص جميعها في مرحلة واحدة من مراحل دعوة الرسول ﷺ، هذه المرحلة هي مرحلة نشر الدعوة بالخطب، والمحاضرات، والدروس.

ومراحل دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام كثيرة، منها مرحلة دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهي المرحلة التي تلي مرحلة النشر والتبليغ، والتي كان يتم فيها البناء النفسي والروحي للأفراد الذين

---

(١) انظر: أعمال الشيخ أبي بكر غومي (ص ٨٣) باللغة الهوسا.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦١، ٨٤، ٩٦.

(٣) تقدم تخريجه.

استجابوا للدعوة، ومثل مرحلة المواجهة (الجهاد) والتي بدأت بالهجرة، ثم إشهار السلاح للدفاع عن الحق. هذه المراحل من دعوة الرسول ﷺ تقف دونها وسائل "جماعة إزالة البدع وإقامة السنة"، ولم تتطرق إليها سياسات الجماعة، ولا نشاطاتهم ولا حركتهم في العمل لتحقيقها كما يلمس ذلك عند قراءة تلك الكتابات عن الجماعة.

هذه الملاحظات على عمل الجماعة، لم أذكرها تشهيراً بها، أو انتقاصاً من حيث الخطة التي رسمتها الجماعة لنفسها، لأن خطة الجماعة وبرامجها توضع على أساس إمكاناتها، والمرحلة التي تعيشها، ولكني ذكرت تلك السلبية، وهي محدودية ميدان عمل الجماعة ووسائلها، بناء على ميزانين:

الأول: مبادئ وأهداف الجماعة التي أعلنتها للناس، وهي مبادئ وأهداف شاملة لأحكام الدين وغير محدودة.

والثاني: هي حركة الرسول ﷺ في دعوته، والتي نحن مطالبون ـــ أفراداً وجماعات ـــ بالتأسي والاقتداء به، وجعله نبراساً في طريقنا كلما أردنا إعادة الناس إلى الإسلام الصحيح وإرشادهم إليه.

وإذا خالفنا الاقتداء بنهجه ﷺ في خطواته ومراحل دعوته، نكون قد جانبنا خط السير الصحيح للدعوة الإسلامية الذي أمرنا الله به، ولا أظن أن أحداً من الإخوة من أعضاء "جماعة إزالة البدع وإقامة السنة" يخالفني في هذين الميزانين.

ولعل هذه المحدودية في الوسائل وأساليب عمل الجماعة، جاءت من جانبين:

الجانب الأول: لأن ميدان عملها محدود ومقيد من قبل الدولة، لا تستطيع أن تتحداها(١). وهذا القيد يفرض على الجماعة بأن تحدد أهدافها وبرامجها ووسائلها بموجبه، وألا تخرج عنه، وهو ما يتعارض ـــ غالباً ـــ مع بدهيات الدعوة الإسلامية.

---

(١) إذ تنص لائحة تصريح رسمي لعمل أكثر الجماعات الدعوية في غربي إفريقية على أن ميدان عملها ينحصر فقط في: تقديم الخدمات الدينية والثقافية، وتقديم المساعدات الاجتماعية فقط، وعلى تحريم الخوض في الأمور السياسية، وعدم المساس بالعقائد الدينية الأخرى، مثل النصرانية، أو اليهودية، أو الوثنية أو نحوها.

لذا يجب على كل مسلم غيور لدينه رفض مثل هذه القيود الظالمة، ومن باب أولى الجماعات الإسلامية الدعوية، لأنها تمثل القدوة لأفراد الأمة الإسلامية الذين يطلب منهم إقامة الجماعة المسلمة القوية، لغرض القيادة و السيطرة، والحكم بما أنزل الله.

الجانب الثاني: هو أن حكومات غربي إفريقية تعتبر مثل هذه الجمعيات محسوبة على وزارة الشؤون الاجتماعية، أي أن "جماعة إزالة البدع وإقامة السنة" مؤسسة شبه حكومية تعمل وتُدار من قبل القطاع الخاص، وأنه من حق وزير الشؤون الاجتماعية أو من ينيبه، إيقاف عمل الجماعة أو شطبه متى شاء؟ وكيف شاء؟! مما يعني أن الجماعة لابد وأن تعطي ولاءها للدولة، حتى وإن كانت ـــ كما هي الحال في جميع دول غربي إفريقية ـــ تحكم بغير ما أنزل الله؛ وهو معنى مرفوض أيضاً في تعاليم الإسلام، إذ لا يجوز لمسلم أن يعطي ولاءه لغير المســـلم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(1)، وقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾(2)، وقوله:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(3).

أما من حيث قيام أعضاء "جماعة إزالة البدع وإقامة السنة" بأعمال مميزة مثل جمع تبرعات لإقامة المساجد، والمدارس لتعليم أبناء المسلمين، إضافة إلى تنظيم المحاضرات و الندوات، وتنظيم القوافل الدعوية ... إلخ، فإن جهود الجماعة في ذلك ـــ كما تقدم ـــ كبيرة وطيبة، نسأل الله تعالى أن يكتب ذلك في سجل حسنات العاملين عليها، وأن يفتح أمامهم آفاقاً أوسع وأكبر للعمل لما فيه خير الإسلام و المسلمين في ديار الغرب الإفريقي، وأن يرشد رجالاتها إلى ما هو أفضل وأكمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٤.

المبحث الثاني

تقويم جهود حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية في تقرير مسائل العقيدة

بعد أن أوجز الباحث الحديث عن أهم ما ينبغي كتابته عن "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية" في غربي إفريقية، نصل إلى تقويم جهود الجماعة على ضوء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، حيث إن دعوة حركة الفلاح، وما امتازت به من مبادئ وأهداف سامية، وما حققتها على صعيدي الدعوي والتعليمي، يجعلنا نخلص إلى التقويم التالي:

أ ــ أن الحركة قد جعلت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلم السلف الصالح مرجعها الأساسي في الدين، مصداقاً لقولـــــه تعالى:﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾[1]، الأمر الذي جعلها تتميز عن غيرها من الجماعات الإسلامية الدعوية الأخرى في غربي إفريقية، ودفعها إلى الأخذ في الاعتبار شمول الإسلام، وإحاطته بكل شؤون الإنسان على هذه الأرض، فلم تجعل من نفسها جماعة تعليمية فقط، أو جماعة إرشادية وعظية فحسب، أو جماعة خيرية فقط، أو جماعة موضعية محدودة المقاصد والغايات، بل جماعة جمعت في دعوتها كل تعاليم الإسلام النيرة، لتنطلق منها نحو تحقيق أهداف الدين السامية على طول المنطقة وعرضها.

ب ــ أنها جماعة متطورة في خطتها العملية والتنفيذية ــ رغم كثرة المعوقات والتحديات التي تحيط بها ــ وهذه الصفة فيها تعني أن الخطوط العريضة للجماعة، تتسع لكل جديد في حركة الناس في كل زمان ومكان. فالدعاة الذين يعيشون في القرى و الأرياف التي فيها حركة العمل الجماعي، فإن خطوط الحركة تساير ذلك الوضع، والدعاة في بلد ما نظامه عكس البلد الأول، فخطوط الحركة تسايره كذلك، الأمر الذي أدى إلى انتشار فروع ومراكز الحركة في كل أنحاء غربي إفريقية، تعمل بجد ونشاط لما فيه خير الإسلام والمسلمين، يقول في ذلك أحد مسؤولي الحركة في السنغال: « إننا نعمل جاهدين على تطوير أعمال الحركة يومياً وبشكل دائم، حتى

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩.

تتناسب مع الوضع القائم في بلداننا الإفريقية، وبالتالي على طريق ترتيب الأولويات التي ينبغي أن تحققها»[1].

ج ـــ أنها حركة يتضح من مبادئها وأهدافها ووسائلها، ارتباط طموحها بطموح الإسلام، فالإسلام جاء للبشرية كافة وهو يطالب الأمة الإسلامية بأن يبلغه إلى كل البشرية، وتكون هي الموجهة لهذه البشرية، وغاية الحركة العليا تعانق ذلك الطموح الإسلامي، والسعي إليه، يقول أحد الدعاة البارزين فيها: « إننا لا نريد من حركتنا سوى أن تكون هي الموجهة للشعوب الإفريقية كافة، وذلك بنشر دعوة الإسلام في ربوعه، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وحده»[2].

د ـــ وعلى الرغم مما اتصفت به حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية من صفات حميدة، فإنها مجموعة من البشر تخضع في خططها وبرامجها واجتهاداتها، لقاعدة القصور البشري، والضعف الإنساني.

ومن خلال المقابلات التي أجراها الباحث ـــ أثناء إعداد هذه الدراسة ـــ مع لفيف من رموز الحركة، سواء داخل السنغال حيث مركز الحركة، أو خارجها[3]، إضافة إلى تصفحه لموقع الحركة على الشبكة العنكبوتية، اتضحت له عدة الملاحظات، والتي يعتبرها بعض الباحثين مآخذ عليها، وهي:

أولاً: التهور في مرحلة المواجهة مع المخالف:

اتخذت الحركة في بداياتها الأولى مع مؤسسها الأول الشيخ محمود بن عمر باه موقفاً متشدداً في التعامل مع المخالف، وبخاصة الطوائف الصوفية المنتشرة في بلاد غربي إفريقية، والمتمثلة في: التجانية والقادرية اللتان كانتا تسيطران على المنطقة، بدعم قوي من السلطات الاستعمارية الفرنسية، من أجل تشويه صورة الإسلام السلفي، وتقويض أركان دعوته.

---

(١) مجلة الأمة القطرية (ص ٧٣)، ع (٧٢)، ذي الحجة سنة (١٤٠٦هـ).

(٢) مجلة المجتمع الكويتية (ص ٧٥)، عدد (١٦)، سنة ١٤٠١هـ؛ و مجلة الأمة القطرية (ص ٧٢ـــ٧٣)، ع (٧٢)، ذي الحجة سنة (١٤٠٦هـ).

(٣) مثل: مالي، وغينيا وغيرها.

وقد اتخذت الحركة هذه المواقف المعادية ضد هؤلاء، قبل أن تجد لنفسها أرضية صلبة يمكن أن تقف عليها للانطلاق في دعوتها المحفوفة بالمخاطر، أو عند المواجهة مع الباطل. لأن هذه المواقف التي انتهجتها الحركة ضد هؤلاء جميعاً، نتجت عنها جبهة معادية ضد الحركة، أحاطت بها متعاونة كلها على ضربها من كل جانب. الشيء الذي دفع الشيخ محمود باه في النهاية إلى الهجرة إلى مدينة "كاي" بجمهورية مالي المجاورة، حيث وُجد له أنصار وأتباع، ثم منها إلى موريتانيا حيث استقر به المقام هناك، حتى مكّن الله لدعوته أن تنتشر منها إلى جميع أصقاء إفريقية ولا تزال.

ويدل على وجوب تحديد الأرض التي تقف عليها الدعوة قبل انطلاقها في الآفاق، أو قبل أن تعلن مواجهتها للفئة المناوئة لها، ما ورد في قوله تعالى عن عبده ورسوله موسى وأخيه هارون، عليهما السلام:﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1].

فالآية الكريمة جاءت في سياق ما قبل المواجهة الفعلية مع الطاغية فرعون وجنوده، تطلب من موسى وأخيه هارون (عليهما السلام)، أن يعينا أرضاً يقيمان عليها بيوتاً ومساجد لمن استجاب لدعوتهما من المؤمنين من قومهما[2].

وفي سيرة النبي ﷺ أكثر من دليل على وجوب تحديد الأرض، قبل الانطلاق بالدعوة، أو المواجهة مع المخالف، من ذلك:

أن طلب النبي ﷺ من الصحابة بالهجرة إلى الحبشة أولاً، ثم ثانياً[3]، دليل على التمييز والبحث عن الأرض التي يمكن أن تقف عليها الدعوة عند المواجهة مع الباطل. وخروجه ﷺ بنفسه إلى الطائف من أبين الأدلة على بحث الدعوة عن الأرض والمكان الذي يمكن أن تتحصن فيه، أو تنطلق منه عند المواجهة. وعرضه ﷺ نفسه على القبائل واشتراطه الحماية، من أكبر الأدلة على وجوب تأمين المكان المناسب الذي ستنحاز إليه الدعوة عند المواجهة مع الخصوم، وأخيراً هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة بعد مقدمات كثيرة، يضيق المكان لذكرها.

---

(١) سورة يونس، آية: ٨٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، المرجع السابق (٨/٣٣٠)، وتفسير الطبري، المرجع السابق (٦/٥٩٥).

(٣) وذلك لما اشتد عليهم أذى كفار قريش.

فهذه المساعي كلها من أجل تأمين هذا المطلب، إذ أُمر كل فرد من جماعة الرسول ﷺ بالكف والصبر على أنواع الأذى، الذي يصدر من الجهات المعادية للدعوة وأفرادها في مكة المكرمة، وهو الأمر الذي لم ينته مفعوله إلا بعد أن حددت الدعوة المكان الذي يمكن أن تضع عليه أقدامها مخافة ضربها من الخلف، أو وأدها في مهدها. ولكن عندما تمكنت الدعوة من تكوين أرضية صلبة، تعتمد عليها بعد الله تعالى، عندها صدر الأمر الإلهي بالمواجهة، والدفاع عن العقيدة، والكيان الإسلامي، كما قال تعالى:﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾[1].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، بألسنتهم وأيديهم، فيشكون إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: "**اصبروا فإني لم أُومر بقتال**" حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية نزلت في القتال»[2].

وقال الإمام الطبري رحمه الله: «وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك وصفح»[3].

كما يؤكد هذا المعنى تلك الأحاديث التي وردت عن السمع والطاعة التي تزخر بها كتب السنة المطهرة، والعبارات المشهورة في مخاطبة تلك القيادة لزعماء وقيادات العصر الذي تبحث فيه مثل: "**أسلم تسلم**[4]" ومثل: "**جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة الله وحده**" [5].

وهذه الأدلة و غيرها كثيرة توجب على كل دعوة إسلامية في خطتها لمواجهة الباطل أن تمتاز عنه جسداً وأرضاً وخطة أولاً، ثم تعلن بعد ذلك مواجهتها، وتصديها لطغيانه ثانياً.

أما أن تبقى في وسط ذلك الباطل، وتعلن معاداته ومحاربته، فهذا عين الخطأ، ومجانبة للصواب، وهذا ما وقعت فيه "حركة الفلاح للثقافة والتربية الإسلامية السلفية" في غربي إفريقية.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٩.

(٢) فتح القدير، المرجع السابق (٣/٦٥٣).

(٣) تفسير الطبري، المرجع السابق (١٢/٦٦).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١/١٦)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٣٩٣).

(٥) وهي الكلمة المشهورة عن ربعي بن عامر ﷺ عندما دخل على رستم في وقعة القادسية، انظر: تاريخ ابن خلدون، المرجع السابق (٢/٥٢٤)، و(٢/٥٦٣).

ثانياً: الثقة العمياء بأولئك التجار الموسرين على حساب العلماء العاملين:

والمأخذ الثاني على أداء الحركة، هو سحبها قيادة الحركة من أيدي العلماء وطلبة العلم، و إعطائها لأولئك التجار الذين لم ينالوا قسطاً من العلم الشرعي الصحيح، مما أدى إلى تخبط أعمال الحركة، وألحق خللاً ظاهراً في جميع برامجها وأنشطتها المختلفة، وقد نتج عن ذلك:

أ ــ إحجام الطلبة الخريجين من جامعات الدول العربية والإسلامية عن الانضمام إلى أنشطة الحركة وبرامجها، مما يعتبر ضرباً قاسياً للحركة ورموزها.

ب ــ توقف بعض المنظمات والمؤسسات الدعوية دعمها للحركة، مما أدى إلى تقلص أنشطة الحركة في إنشاء مدارس ومراكز دعوية جديدة خلال السنوات العشر الأخيرة.

جـ ــ وجود صراع دائم بين الشيوخ وشباب الحركة، حيث ينتقد الأخير الشيوخ بالجمود والتبعية واللامبالاة لمستقبل الحركة، لأن أفكارهم وتصوراتهم أصبحت قديمة، لا تتناسب مع تطورات العصر الحديث.

د ــ فقدان سيطرة الإدارة العامة للحركة على مدارسها ومراكزها الدعوية المنتشرة على طول البلاد وعرضها، إذ أصبح مدير كل فرع مسؤولاً عن الفرع الذي يديره فقط، وليس بينه وبين الإدارة العامة أي علاقة أو تواصل، مما يُحدُّ من خطط الحركة في تنفيذ برامجها على نطاق أوسع.

لكن هناك بريق أمل يلوح بالأفق، إذ بدأ بعض المسؤولين في الإدارة العامة ــ في هذه الآونة الأخيرة ــ يشعرون بخطورة الأمر، فقاموا بترتيب أوراقهم، واتفقوا ــ أخيراً ــ على أن تكون قيادة الحركة مشتركة بين العلماء والتجار، لتلتئم الصفوف، وتتوحد القلوب، فيقدِّم

العلماء والدعاة الخطة الصحيحة للعمل الجماعي الدعوي المنضبط، ويقوم التُّجار ورجال الأعمال بالدعم المادي اللازم لتنفيذ تلك الخطط. وهكذا بدأت المياه تعود إلى مجاريها الطبعية رويداً رويداً[1]؛ ليتحقق بذلك قول الله تبارك وتعالى فيهم:﴿ **وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾[2].

نسأل الله جلّ شأنه أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً، ويجمع قلوبهم وأعمالهم على التقوى، وأن يوفق جميع علماء المسلمين، وجميع دعاة الحق لكل ما يرضيه وينفع عباده، ويجمع كلمتهم على الهدى، ويعيذهم من أسباب الفرقة والاختلاف، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) من خلال حديث الباحث مع الشيخ إبراهيم سيسي، ممثل الحركة بمدينة "كولخ" بجمهورية السنغال.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

الخاتمـــــة

وتتضمن الآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث.

ثانياً: التوصيات والمقترحات.

أولاً: أهم نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد؛

فقد منَّ الله تعالى عليَّ بتوفيقه وتيسيره، فأنجزتُ هذا البحث: "**جهود علماء غربي إفريقية في تقرير العقيدة**"، وهو موضوع شيق، وذو أهمية متصلة بتلك الجهود الجبارة التي بذلها السلف الصالح من هذه الأمة في تقرير العقيدة الإسلامية، وفي الدعوة إلى الله، ونصرة الحق، على امتداد التاريخ الإسلامي المجيد.

وفي ختام هذا البحث، وبعد العمل والجهد المتواضعين، ومن خلال استقراء أدبيات هذا الموضوع، فقد ثبت لي عدة نتائج، أحسب أنها مما يسِمُّهُ بالجدَّة، ويضفي عليه أهمية كبرى سواء من قبل العلماء والدعاة أنفسهم، أو من قبل الباحثين وطلبة العلم من أبناء غربي إفريقية وغيرهم، ومن تلك النتائج:

١ ـ أن غربي إفريقية لم تكن مغلقة ولا مظلمة يوماً من الأيام، بل كانت مفتوحة ومعروفة ومزدهرة، وكانت معها علاقات وصلات اقتصادية، وثقافية، وسياسية، ودينية، واجتماعية مع العالم الخارجي[١]. ونشأت فيها ممالك إسلامية قوية وغنية[٢]، لعبت دوراً مهماً في استقرار اقتصاد وسياسة أوروبا فترة من الزمن[٣]؛ وكل هذا خلاف زعم الاستعمار الغربي الذي يرى أن إفريقية لم تر النور والحضارة الحقيقية إلا بقدومه.

٢ ـ أن العقيدة الإسلامية قد وفدت إلى غربي إفريقية عن طريق الشمال الإفريقي، بطرق سلمية في غالبه على أيدي رجال مؤمنين بما يدعون إليه، يتمتعون بمصداقية ثابتة، وثقة عالية

---

(١) وبخاصة شمال إفريقية وما جاورها من البلدان العربية والأوروبية وغيرها.

(٢) حيث أقام الإسلام في هذه المناطق نظاماً ودستوراً إسلامياً شاملاً للمجتمع الغرب الإفريقي، وكوَّن مجتمعاً دينياً قوياً مترابطاً، تحكم بالشريعة الإسلامية، كما كان في عهد السلف الصالح رحمهم الله.

(٣) مما دفع أوروبا إلى احتلال تلك المناطق، والاستيلاء على ثرواتها وخيرات شعوبها، التي كانت تئن تحت وطأة الجهل والأمية ولا تزال.

بمبادئهم ومثلهم وسلوكياتهم. واشتهرت مدن إسلامية في المنطقة كمراكز إشعاع عقدي وثقافي مُهِمّ[1]، أمَّها العلماء وطلاب العلم على سواء منذ وقت مبكر.

٣ ــ أن مجيء الاستعمار الغربي كان شؤماً على غربي إفريقية لقضائه على الممالك الإسلامية، وسعيه الحثيث إلى إحياء الوثنيات الإفريقية المنقرضة باسم الثقافة، وتطوير جانب السياحة.

٤ ــ وجود بعض العادات والتقاليد العتيقة في غربي إفريقية، لا تتفق مع العقيدة الإسلامية، ورِّثها الأفارقة عن آبائهم وأجدادهم، ونقلوها إلى الإسلام دون تمييز أو غربلة[2]، مما زاد من هوة الانحراف العقدي في المنطقة.

٥ ــ وجود كوكبة من العلماء الأجلاء في غربي إفريقية عظموا جانب الدعوة إلى الله، وجاهدوا بأيديهم، وألسنتهم، وأقلامهم لتقرير العقيدة الصحيحة، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودحض افتراءات المتصوفة، والتشديد على إنكارها، والبعد عنها.

٦ ــ تعظيم علماء غربي إفريقية لكتاب ربهم تبارك وتعالى، واقتفاء سنة نبيهم ﷺ، ومنهج سلف الأمة وأئمتها، وقد جعلوا ذلك منهجاً لهم في تقرير العقائد، والرد على أهل الأهواء والبدع، وعلى رأسهم الطرقية الضالة التي هي بؤرة الانحراف العقدي، والفساد الأخلاقي والسلوكي في المنطقة.

٧ ــ قيام علماء غربي إفريقية بمحاربة أهم ما أثِّرت به أصحاب الطرق الصوفية في عقائد المسلمين، مع بيان الحق في ذلك، بدليله من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة. وقد لقوا في سبيل ذلك أنواع الأذى من السَّب، والشتم، والوشاية، والتهم الباطلة؛ فقابلوا ــ رحمهم الله ــ ذلك كله بالصبر، والاحتساب، والحلم، والرفق في محله، والقوة والشدة في محلها دون ظلم أو تعدٍّ.

---

(١) مثل: تمبكتو، وجني، وغاو، وأدغست، وكومبي صالح، وسيغو، وبوندوكو، وأنيورو وغيرها.

(٢) إما بسبب الجهل، أو لإغراءات الاستعمار المادية والمعنوية، أو بتوجيه من علماء السوء من مشايخ الصوفية وغيرهم.

٨ ــ أن الدعوة الإصلاحية في غربي إفريقية ــ التي قامت على تقرير العقيدة، ونبذ البدع ــ قد نجحت في كسب ثلة من المشايخ الطرقية، وأرباب بعض الحركات الضالة الأخرى، مما ساعدت على ضعف تأثير نشاطات الدعوات المخالفة في المنطقة.

٩ ــ تنوع أساليب ووسائل علماء غربي إفريقية في تقريرهم لمسائل العقيدة، والحث على التمسك بالسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

١٠ ــ أن الجماعات الدعوية في غربي إفريقية، جماعات دينية تعليمية توعوية في غالبها، أسست لإحياء معالم الدين الإسلامي، واللغة العربية، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

١١ ــ أن للجماعات والحركات الدعوية في غربي إفريقية، دوراً بارزاً في نشر الوعي الإسلامي الصحيح بين المسلمين، والعمل على تربية النشء المسلم، و إعداده إعداداً متكاملاً، قادراً على حمل همِّ الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيداً عن الغلو والتطرف.

١٢ ــ أن للإسلام مستقبلاً مشرقاً في غربي إفريقية بإذن الله تعالى[١]، وذلك لانتشاره السريع، ونموِّه المطّرد في ربوع المنطقة، وليتحقق بذلك قول الله عز شأنه: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ** ﴾[٢].

---

(١) رغم الظروف والتحديات الجسيمة، لأن الاستعمار وبعد رحيله، قد ترك وراءه جنوده، وفكره، ومؤسساته التنصيرية التي تعمل ليل نهار لتصارع القيم والمبادئ الإسلامية النبيلة، ولتحل محلها الثقافة والقيم الغربية الفاسدة؛ وهذه المؤسسات ــ كما هو معلوم لدى الجميع ــ تمتلك القدرة والفاعلية على تحقيق ذلك، لكن الله تعالى مؤيد عباده المخلصين، وناصر دينه، وظاهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٣.

ثانياً: التوصيات و المقترحات

من خلال معايشتي لموضوع هذا البحث، اتضحت لي خطورة الانحراف عـن العقيـدة الإسلامية، وأهمية الدعوة إلى الله تعالى، لبيان العقيدة الصحيحة وتقريرها للناس كافة، وقد تضمن الموضوع في مجمله توصيات ومقترحات؛ رغبة في مزيد من البحث، والتوسع في الطرح والتغطية، ومن ذلك:

١ ـــ دعوة كافة العلماء والدعاة وولاة أمور المسلمين في غربي إفريقية وغيرها إلى ضرورة الأخذ بالكتاب والسنة نصاً وروحاً، وتحكيمهما في كل صغيرة وكبيرة، والتحاكم إليهما في كل ما هو محل للنزاع، والرضا بذلك، والانقياد له، مع توضيح كافة طرق الحق الذي بينه الله تعالى للناس، وأرشد إليه سيد الخلق ﷺ، وسار عليه السلف الصالح رحمهم الله.

٢ ـــ استمرار العمل على تبصير مسلمي غربي إفريقية[1]، وتنبيههم إلى تلك التجاوزات الخطيرة التي تمارسها الصوفية في مختلف الشعائر التعبدية، مع محاربة كل مظاهر الشرك والبدع التي تحدث في الموالد، والمشاهد، وحول القبور والأضرحة ونحوها.

٣ ـــ بذل كافة الجهود الممكنة لدعوة عُوّام الصوفية إلى العقيدة الصحيحة، والسعي بجميع الوسائل المتاحة لانتشالهم من بؤرة البدع والخرافات التي أسس مذهبهم عليها، والحيلولة بينهم وبين الالتفاف حول مشايخهم الذين نصبوا أنفسهم آلهة تُعبد من دون الله.

٤ ـــ ضرورة تكثيف دراسة علم التوحيد في المدارس والمعاهد الإسلامية، وغرس العقيدة الصحيحة، والقيم النبيلة في نفوس النشء المسلم، وذلك بتنقيح المناهج الدراسية في مختلف مناطق غربي إفريقية من فكر أهل الأهواء والفتن.

٥ ـــ على العلماء والدعاة في غربي إفريقية التخطيط السليم لمستقبل الإسلام في المنطقة، وأن يبذلوا جهدهم في إصلاح المجتمع وتطهير العقائد، وإزالة الشكوك والشبهات التي ألصقها أعداء الإسلام والمسلمين بدينهم وقادتهم، وأن يضاعفوا جهودهم في إحياء حركة الإصلاح والتجديد على أسس ثابتة من الكتاب والسنة.

---

(١) وذلك بتوسيع دائرة التعليم الديني عن طريق إنشاء حلقات الدروس الليلية، لتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية لمن يرغب في ذلك من الطلاب المسلمين في ا لجامعات العصرية، وأصحاب المهن المختلفة.

٦ ــ إسناد شؤون التربية والتعليم في مدارس غربي إفريقية، وخاصة ما يتعلق بالدين، إلى علماء متخصصين محققين، المشهود لهم بالاستقامة، وصفاء العقيدة، وسلامة المنهج، وإبعاد كل منحرف دجال عن شؤون التعليم، حتى لا ينشأ جيل خرافي تائه، يفسد عقائد الأمة، ويُسهم في هدم كيانها وتراثها الإسلامي الأصيل.

٧ ــ ضرورة بلورة دراسة السنة النبوية، وأحوال السلف الصالح دراسة واعية، إذ ما ظهر أهل الأهواء والبدع في ديار الغرب الإفريقي إلا بسبب الجهل بالسنة الصحيحة، وما نقله الصحابة والتابعون وتابعيهم بإحسان رحمهم الله.

٨ ــ أن مسؤولية العلماء والدعاة تجاه دينهم وأمتهم، تحتم عليهم حث شباب الأمة على الاهتمام بالعلوم العصرية، مثل: التربية، والعلوم التطبيقية، والاقتصاد، والإدارة، والطب، والهندسة وغيرها؛ مع العمل على احترام حرية الفكر والدراسة والتحقيق وصولاً بالصحوة الإسلامية المباركة التي تشهدها المنطقة إلى الغاية المنشودة.

٩ ــ إن الإسلام يدعو إلى الوحدة والاجتماع وتوحيد الصف، لذا يجب على الجماعات والحركات الدعوية في غربي إفريقية، أن تلتزم التعاليم الإسلامية الصحيحة، وأن تهتم بالمسائل العقدية في مناهجها، وإعطائها الأولوية القصوى في برامجها التعليمية والدعوية، وربطها بقضايا الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ونحوها. والعمل على تنسيق الجهود والتعاون فيما بينها، وبين المراكز و المؤسسات الدعوية العاملة في العالم الإسلامي، لمواجهة خطر الصوفية، والتيارات المعادية للإسلام والمسلمين.

١٠ ــ على الجماعات الإسلامية الدعوية في غربي إفريقية إنشاء مجلس أو هيئة لكبار العلماء، للنظر في القضايا الدينية والعقدية المعاصرة والمستجدة بين حين وآخر في ضوء الكتاب والسنة، مع ضرورة الاستفادة من خبرات وتجارب الدول الإسلامية في هذا المجال.

١١ ــ على الجماعات الدعوية والتعليمية في غربي إفريقية، الإفادة من التقنية الحديثة للمعلومات في تطوير برامجها، ومجال نشاطها على صعيدي الداخلي والخارجي، وذلك عن طريق: توسيع دائرة استخدام الحاسب الآلي في ضبط الحسابات، ومتابعة أنشطة وبرامج الفروع، مع إعداد التقارير الدورية بذلك، والتواصل مع أعضاء الجماعة سواء داخل البلد أو خارجها، وذلك بتزويدهم بالأخبار والمعلومات المفيدة عن الأنشطة وبرامج الجماعة عن طريق البريد الالكتروني، وكذلك الاستعانة ببرامج الحاسب الآلي في رسم خطط الجماعة (القصيرة، والمتوسطة، والطويلة المدى)، مع إعداد دراسات الجدوى للمشروعات

والبرامج التي تنوي الجماعة إقامتها أو تنظيمها على المدى القريب أو البعيد، وإعداد موقع للجماعة على الانترنت، للتعريف بأنشطتها وبرامجها المستقبلية، وآخر المعلومات والتقارير عنها، وكيفية التواصل معها، إما: للتبرع، أو الاستفسار، أو التعاون في تنفيذ بعض البرامج الهادفة؛ والعمل على التواصل مع بعض الجمعيات غير الإسلامية (ONG) في المنطقة، للمشاركة معها في تنفيذ بعض البرامج الاجتماعية، أو الإنسانية، أو الثقافية أو غيرها بهدف دعوهم إلى الإسلام والإقبال عليه؛ ولتتمكن من الاقتراب رويداً رويداً من موضع صنع القرار في الدولة التي تنتمي إليها.

١٢ ــ على أبناء غربي إفريقية عامَّة أن يهتموا بتقديم البحوث والدراسات عن مآثر العلماء والدعاة في بلادهم،خاصة فيما يتعلق بالجانب العقدي والدعوي، ونشرها واستخراجها من بطون المخطوطات،وتحقيقها وإبرازها للناس،حتى يتمكن العاملون في مجال الدعوة إلى الله من الاطلاع على تلك الآثار الطيِّبة،والاستفادة منها. و أناشد الجامعات الإسلامية، ومراكز البحوث في العالم العربي والإسلامي على التشجيع والتعاون في هذا الإطار.

١٣ ــ بات من الضروري جداً ــ في ظل هذا التدفق الإعلامي الفضائي الخطير، الذي يلج المنازل بدون استئذان ــ أن تتبنى بعض الدول الإسلامية في المنطقة مثل: ساحل العاج، والسنغال، وموريتانيا، ومالي وغيرها، إنشاء قناة فضائية إسلامية دعوية متخصصة أو مشتركة، تُعنى ببث الوعي الإسلامي الصحيح بين الشعوب الإسلامية في المنطقة، وتحذيرهم من أهل الأهواء والبدع، وأصحاب العقائد الفاسدة؛ وتسند هذه القناة لأناس أكفاء، مشهود لهم بالصلاح، والاستقامة، وصفاء العقيدة. ولا شك أن تحقيق ذلك يحتاج إلى جهود صادقة، ونفوس مؤمنة تريد الله والدار الآخرة.

١٤ ــ نُهيب بالدول العربية والإسلامية، وبخاصة المملكة العربية السعودية ــ حرسها الله ــ أن تستمر في قبول الطلبة من غربي إفريقية، للدراسة في معاهدها وجامعاتها الإسلامية، حيث إن خريجي هذه البلاد المباركة، هم حراس العقيدة الصحيحة ــ بتوفيق الله ــ ومحاربي البدع والخرافات عندما يعودون إلى بلادهم[١].

---

(١) وذلك مصداقاً لقوله جل شأنه:﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٢٢.

١٥ ـــ نُهيب بالمؤسسات العلمية، والمراكز البحثية في الجامعات الإفريقية، إنشاء كرسي بحثي باسم الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله، وذلك تخليداً لجهوده في خدمة الإسلام، ونشر اللغة والثقافة العربية في المنطقة.

١٥ ـــ وأخيراً، أقول لشبابنا في إفريقية: إن إفريقية هي وطننا، وهي أرض المستقبل بإذن الله[1]، ومن واجبنا أن نعمِّرها، ونزينها بالعلم والمعرفة، وأن نؤدي دورنا نحو بنائها الجديد، ونبذل قصارى جهدنا في توفير الأمن والاستقرار والرخاء في المجتمع الإفريقي، والذي يساعدنا على تحقيق ذلك ـــ بمشيئة الله ـــ هو التمسك بالكتاب والسنة، وسلوك النهج السلفي الصحيح.

هذه هي أهم التوصيات والمقترحات التي ارتأى الباحث إليها، و رأى إيرادها، والتذكير بها، لتسهم ـــ بإذن الله ـــ في بلورة جهود العلماء في مجال تقرير العقيدة، و في تقدم الدعوة الإسلامية على نطاق أوسع في غربي إفريقية.

هذا، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم بمنه وجوده وكرمه، أن ينفع بهذا البحث، وأن يقر به أعين الموحِّدين المخلصين، ويفضح به الطرقيين النفعيين، ويهدي به من اغتر بهم من المخدوعين؛ كما أستغفره وأتوب إليه من كل خطأ وزلة، وأسأله جلت قدرته أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه، وإبلاغ رسالته على الوجه الذي يرضيه عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * *

---

(١) وذلك نظراً لما تحتضنها الأراضي الإفريقية من كنوز وثروات طبيعية، وخيرات كثيرة وهبها الله تعالى إياها، ولم تستغل منها حتى الآن إلا جزء يسير جداً. وسوف تكون إفريقية ـــ بإذن الله ـــ قبلة المستثمرين ورجال الأعمال والساسة الاقتصاديين من جميع أنحاء العالم قريباً، ويومَها ستكون قيادة العالم بأيدي الأفارقة، وسيتمتع الإنسان الإفريقي المسلم بخيرات أرضه، ولن يحتاج شبابنا بعد ذلك للهجرة إلى آفاق بعيدة بحثاً عن لقمة العيش كما هي عليه الحال اليوم في بعض مناطقها؛ وذلك تحقيقاً لوعد الله جلّ شأنه لمن استضعفوا في الأرض واستعبدوا وهمشوا ـــ والله لا يخلف الميعاد ـــ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ سورة القصص، آية:٥، ولأن الحياة إنما هي دُولٌ، كما يدل عليه منطوق الآية الكريمة: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٤٠، ولنا في تاريخ الحضارات الإنسانية، وفي الواقع المعاش شواهد كثيرة على ذلك... والله أعلم.

الفهـــارس

١ - فهرس الآيـــــــات

الآيـــــة	الســورة / الآية	الصفحـــة
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	آل عمران / ١١٠	٣٦٠
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	آل عمران / ١٩٠	٣٦٤
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾	آل عمران / ١٤	٣٧٠
﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾	آل عمران / ١٩٨	٣٧٠
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	آل عمران / ١٨٥	٣٧٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾	آل عمران / ١٥٩	٤٠٩
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾	آل عمران / ١٩٣	٤٣٦
﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	النساء /٢٢	٤٧،٤٨
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	النساء / ٦٥	٥٥
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾	النساء / ١٤٠	٥٦،٤٦٠
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾	النساء / ١٦٦	٦٠
﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾	النساء / ٤٦	٧٣
﴿ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾	النساء / ٦٤	١٠٨
﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء / ١١٠	١٠٨
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	النساء / ١١٥	٣٧٣،٤٢٤،١٤٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	النساء / ١١٦	١٤٧،٣١٠،٣١٢،٤٣٢
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	النساء/ ١٦٥	٢٥٨
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	النساء / ١٣	٢٦٤،٣٧٥
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	النساء / ١١٥	٢٦٧
﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾	النساء / ٣٦	٣١١
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	النساء / ١٤٥	٣٠١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	النساء / ١١٦	١٨١

الآيـــــة	السـورة / الآية	الصفحـــة
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	النحل / ٣٦	٢٥٩،٢٨٠،٢٨٧
﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	النحل/١٧	٦١
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾	النحل / ١٠٣	٢٧٣
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	النحل / ٧٣	٢٨٨
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾	النحل / ١١٢	٣٢١
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	النحل / ٨٩	٤٤٧
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾	الإسراء/٥٧	٣٤٤
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾	الإسراء / ١	١٣٠
﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾	الإسراء/٣٥	٢٢
﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾	الإسراء / ١٠٢	٢٧٨
﴿ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	الإسراء / ٢٣	٢٨٢،٢٨٤
﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾	الإسراء / ٢٢	٢٨٢
﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾	الإسراء / ١١	٢٩١
﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	الإسراء / ٨٨	٢٩٨،٣٥٠
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾	الإسراء / ٥٦	٤٢٨
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾	الكهف / ١١٠	١٢٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾	الكهف / ١٠٨	٣٠٠

الآيـــــة	السـورة / الآية	الصفحـــة
﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	القصص / ٧٧	١٩٥
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	القصص / ٥	٤٦٠
﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾	العنكبوت / ٣٨	٢٧٩
﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾	العنكبوت / ٢٠	٣٦٤
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾	الروم / ٣٠	٢٨٥،٣٦١
﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	لقمان / ١١	٢٧٨
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾	لقمان / ١٣	٣١٩،٣٢٠،٣٧٥
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	لقمان / ١٧	٣٨٢
﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾	لقمان / ٢٢	٤٣٩
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	السجدة / ٥	٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	الأحزاب / ٤١	٩٠
﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾	الأحزاب / ٣٥	٩٠
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	الأحزاب / ٢١	١٢٥
﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾	الأحزاب / ٦٩	١٥٤
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	الأحزاب / ٧١	١٧٧
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	سبأ / ٢٢	٣١٢
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾	سبأ / ٤٠	٣٣٥
﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾	فاطر / ١١	٦٠
﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	فاطر / ٣	٦١
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾	فاطر / ٢٨	٢٥٥،٢٦٩
﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾	فاطر / ٤٠	٣٠٩
﴿ يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	يس / ١	٣٢٩

الآيـــــة	السـورة / الآية	الصفحـــة
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	الصافات / ٩٦	٦١
﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾	ص / ٧٥	٦٠
﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	ص / ٥	٢٧٧،٢٨٠
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	ص / ٢٩	٢٩٧
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الزمر / ٩	٢٦٩
﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾	الزمر / ٢٨	٢٧٣
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	الزمر / ٣٨	٢٧٨،٢٨٦،٢٨٢
﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾	الزمر / ٦٥	٢٨٧،٣١٨،٣٢٠
﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	الزمر / ٨	٢٩٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	الزمر / ٣	٣١١،٤٣٥
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	غافر / ٦٠	٣٤٠،٣٤١
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	غافر / ٤٦	٣٧٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	فصلت / ٣٣	٢٤،٢٠٨،٣٦٠
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾	فصلت / ١٥	٦٠
﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	فصلت / ٣٧	١٠٢،٣٠٥
﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	فصلت / ٣	٢٧٤
﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾	فصلت / ٩	٢٩٢
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	الشورى / ١١	١١١،٢٥٤،٢٨٢،٢٨٤،٢٨٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	الشورى / ٥٢	٤٠،١٣٢

الآيـــــــة	الســـورة / الآية	الصفحـــة
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾	الشورى / ٢١	٢٩١،٣٧٣
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	غافر / ٤٦	٣٧٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	فصلت / ٣٣	٢٤،٢٠٨،٣٦٠
﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾	الزخرف / ٥٦	٤٧،٤٨
﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	الزخرف / ٤٥	١٠١
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾	الزخرف / ٢٦	٢٨٠
﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾	الجاثية / ٢٤	٢٧٨
﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	الجاثية / ٢٤	٢٧٨
﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	الجاثية / ١٩	٣٣٧
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾	الأحقاف / ١١٠	١٥٠
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾	الأحقاف / ٤	٢٧٨
﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾	الأحقاف / ٦	٣٣٥،٣٤١
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾	الأحقاف / ٥	٤٢٨
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	محمد / ١٩	٢٥٥
﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾	الفتح / ١٠	٢٨٠
﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾	الفتح / ٢٩	٣٢٩،٣٣٨
إن أكرمكم عندالله	الحجرات/١٣	٣١
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾	ق / ١٦	٦٣
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات / ٥٦	٢٨٦
﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾	الطور / ٣٥	٦١،١١٢
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	النجم / ٨	٦٣،٢٧٨
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾	الأحقاف / ٥	٤٢٨

٢- فهرس الأحـــــاديث

* * * *

فهرس مراجع البحث

أولاً: الكتب المطبوعة:

(أ)	
١ ــ	الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري، ط٢، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.
٢ ــ	أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٨م.
٣ ــ	الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، ط٥، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
٤ ــ	الإبريز، الذي تلقاه أحمد بن المبارك عن عبد العزيز الدباغ، ط١، المطبعة الأزهرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٥ ــ	ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، محمد السيد الجليند، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ.
٦ ــ	إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، حمد بن علي بن محمد ابن عتيق، دار أطلس الخضراء، ٢٠٠٩م.
٧ ــ	الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، بيروت، د.ت.
٨ ــ	اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، حمد بن صادق الجمال، (ص ٢٢٧)، دار عالم الكتب، ١٩٩٤م.
٩ ــ	أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.
١٠ ــ	أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني، أحمد التجاني، جمع وتحقيق: محمد حافظ، ط٥، مطبعة الفجالة الجديدة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
١١ ــ	أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام، محمد بخيت المطيعي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٢ ــ	أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام، محمد بخيت المطيعي، ط٢، طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

١٣ ـــ	أحكام الرقى والتمائم، د.فهد بن ضويان السحيمي، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٤ ـــ	أحكام القرآن، العلامة ابن العربي، طبعة مكتبة عيسى البابي، دمشق، ١٣٧٠هـ/١٩٦٧م.
١٥ ـــ	أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٦ ـــ	إحياء السنة وإخماد البدعة، الشيخ عثمان بن فودي، نشر: الحاج طراغي، كانو، ١٩٨١م.
١٧ ـــ	إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق: أبي عبد الرحمن المكي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٨ ـــ	الأخبار الأولى في التعريف بالشيخ أبي بكر عبد المولى، ألفا جبريل أحمد، ط١، مطبعة المنار، بتونس، د.ت.
١٩ ـــ	أخبار كانوا، مطابع لاغري، نيجيريا، ١٩٧٠م.
٢٠ ـــ	الأدب السنغالي، د. عامر صامبا، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٢١ ـــ	أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف علي بدوي، وحسن السماحي سويدان، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٢ ـــ	الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك و الإلحاد، د. صالح فوزان الفوزان، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ.
٢٣ ـــ	أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤١هـ.
٢٤ ـــ	أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٦هـ.
٢٥ ـــ	الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، الشيخ عبد العزيز السلمان، ٢٠٠٧م.

	الاستشراق: تايخه وأهدافه، أحمد شلبي، (ص ٢١٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
٢٦ ـــ	الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ط٣، الكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٧ ـــ	الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
٢٨ ـــ	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
٢٩ ـــ	أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٣٠ ـــ	الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، للملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، طبعة دار الأمانة، بيروت، ١٣٩١هـ.
٣١ ـــ	أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ط٢، دار ا لوفا للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٦هـ.
٣٢ ـــ	الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، آدم عبد الله الألوري، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٣٣ ـــ	الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبد الله علوان، دار السلام، بيروت، ١٤٠٠هـ.
	الإسلام في إفريقية، د. مدثر عبد الرحيم الطيب، ود. التجاني عبد القادر، دار الفكر، ط١. بيروت،١٤٢٢هـ
٣٤ ـــ	الإسلام في غرب أفريقية، عثمان عبد السّلام الثّقافي، (ص٢)، ط١، مطبعة مدرسة سراج العلوم الإسلامية أوودي بإلورن،١٩٩٣م
٣٥ ـــ	الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م.
٣٦ ـــ	الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، أنور الجندي، دار الاعتصام، د.ت.
٣٧ ـــ	الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، آدم عبد الله الألوري، ط١، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ١٩٥٠م.
٣٨ ـــ	الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩م.
٣٩ ـــ	الإسلام والتقاليد الجاهلية، آدم عبد الله الألوري، ط٢. مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤٠ ــ	الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية، د. محمد سلام زناتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
٤١ ــ	الإسلام والثقافية العربية في إفريقية، حسن أحمد محمود، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٢ ــ	الإسلام والحبشة عبر التاريخ، فتح غيث، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ت.
٤٣ ــ	الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
٤٤ ــ	الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٥ ــ	الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
٤٦ ــ	أصول الدعوة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٤٧ ــ	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين الشنقيطي،مكتبة ابن تيمية،القاهرة، ١٤٠٨هـ.
٤٨ ــ	أضواء على السنغال، محمد بامبا، ط١، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ.
٤٩ ــ	أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، محمد أمان الجامي، المكتب الإسلامي، د.ت.
٥٠ ــ	إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د.صالح بن فوزان الفوزان،ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٥١ ــ	الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي الغرناطي،بتعريف محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت، ١٤٠٥هـ.
٥٢ ــ	الإعلام الأسس و المبادئ، سمير محمد حسين، ط١، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.
٥٣ ــ	الإعلام الإسلامي المرحلة الشفوية، إبراهيم إمام، ط١. ١٩٨٠م.
٥٤ ــ	الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية،د.محيي الدين عبد الحليم،مكتبة الخانجي،مصر، ١٤٠٠هـ.
٥٥ ــ	إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٥٦ ـــ	الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، العباس بين إبراهيم المراكشي، المطبعة الملكية، المغرب، ١٩٧٤م.
٥٧ ـــ	الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط٢. مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥م.
٥٨ ـــ	الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٠هـــ/١٩٨٩م.
٥٩ ـــ	الأعياد وأثرها على المسلمين، سليمان بن سلم السحيمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م.
٦٠ ـــ	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٦١ ـــ	إفريقية القديمة تكتشف من جديد، ترجمة: نبيل بدر وسعد زغلــول، دار القوميــة للطباعة والنشر.
٦٢ ـــ	إفريقية تحت أضواء جديدة، باذل دافدسون، دار الثقافة، ١٩٦١م.
٦٣ ـــ	إفريقية حديث في الطوابع الثقافية الإفريقية، محمد عبد الفتاح إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م.
٦٤ ـــ	أفضل الصلوات على سيد السادات، يوسف النبهاني الشاذلي، ضمن الشمائل المحمدية.
٦٥ ـــ	أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، عبد الودود شلبي، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٩م.
٦٦ ـــ	إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٧٣م.
٦٧ ـــ	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيــق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـــ/١٩٩٠م.
٦٨ ـــ	إلى التصوف يا عباد الله، أبوبكر الجزائري، دار البخاري، القصيم، ١٤٠٤هـــ.
٦٩ ـــ	إلجام العوام عن علم الكلام، لأبي حامد الغزالي، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م.
٧٠ ـــ	إمبراطورية غانا الإسلامية، إبراهيم علي طرخان، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المجلــس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و العلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٣٩٠هـــ.
٧١ ـــ	انتشار الإسلام في القارة الإفريقية،د.حسن إبراهيم حسن،ط٣،مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٤م.

٧٢ ــ	انتشار الإسلام ومناهضة الغرب له، محمد عبد الله النقيرة، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢م.
٧٣ ــ	الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، علي بخيت الزهراني، دار الرسالة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
٧٤ ــ	الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، عبد الكريم الجيلي، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٢٩٣هـ.
٧٥ ــ	الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ضمن رسائل الجزائري الثالثة: ست عشرة رسالة في موضوعات دينية وإصلاحية مختلفة، أبوبكر جابر الجزائري، نشر وتصحيح: مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة، د.ت.
٧٦ ــ	إنفاق الميسور في ذكر تاريخ بلاد التكرور، محمد بلو، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م.
٧٧ ــ	الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق وتقديم: عبد الباقي سرور، ط١، دون ذكر الناشر.
٧٨ ــ	الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف النبهاني، دون ذكر الناشر.
٧٩ ــ	الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أبو الحسن علي بن عبد الله، المعروف بابن أبي زوع، دون ذكر الناشر.
٨٠ ــ	الأهداف التربوية والتقويم، فؤاد سليمان قلادة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
٨١ ــ	أهم الفرق الإسلامية، محمد الظاهر النيفر، ط٢،الشركة التونسية للتوزيع،تونس، ١٤٠٦هـ.
٨٢ ــ	أوطان الإفريقية الآسيوية ومشكلاتها، مادومو بانيكا، لندن، ١٩٥٩م.
٨٣ ــ	أوهام المشيخة في بلاد إفريقية، أحمد بن حمد، قام بجمعه مالم أبوبكر سالو، معهد إفريقية للعلوم والثقافة في أكرا، ١٩٧٢م.
٨٤ ــ	إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد البغدادي، المكتبة الإسلامية، ١٩٥٧م.
٨٥ ــ	إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة الحسني، دون ذكر الناشر.

٨٦ ـــ	الإيمان وآثاره، والشرك ومظاهره، زكريا علي يوسف، ط٢، دون ذكر الناشر.
٨٧ ـــ	الإيمان، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ.
	(ب)
٨٨ ـــ	بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، سمير حسين، ط١. عالم الكتب، القاهرة، د.ت.
٨٩ ـــ	بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، ١٩٨٥م.
٩٠ ـــ	البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٩١ ـــ	بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
٩٢ ـــ	البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٩٣ ـــ	البدع الحولية، عبد الله بن عبد العزيز التويجري، ط١، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٤م.
٩٤ ـــ	البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع وإعداد: حمود بن عبد الله المطر، ط٢، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٩٥ ـــ	البدع والنهي عنها، لابن وضاح أبو عبد الله بن محمد بن يزيع، دار الرائد العربي، ١٩٨٢م.
٩٦ ـــ	البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، عزت علي عبد عطية، دار الكتاب العربي،١٩٨٠م.
٩٧ ـــ	بردة المديح، ويليها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية، شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، طبع ونشر مكتبة الحسيني، القاهرة، د.ت.
٩٨ ـــ	بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان فرنبط، طبعة كريماديس، تطوان، المغرب، ١٣٧٨هـ/١٩٦٨م.
٩٩ ـــ	بغية المستفيد، محمد الشرقي العمري التجاني، ط٢، ١٣٨٠هـ/١٩٥٩م.
١٠٠ ـــ	بيان البدع الشيطانية،الشيخ عثمان بن فودي،نشر: معلم إسحاق غوساو، سوكوتو، نيجيريا.
١٠١ ـــ	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م.
١٠٢ ـــ	بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، تصحيح: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة.

	(ت)
١٠٣ ــ	التأثير الإسلامي في غرب إفريقية، محمد عبد الله السنقيرة، ط١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
١٠٤ ــ	تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة،١٩٨٥م.
١٠٥ ــ	تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب المصري، ١٩٩٩م.
١٠٦ ــ	تاريخ إفريقيا الغربية والإسلامية، د. يحيى بو عزيز، دار هومة، الجزائر.
١٠٧ ــ	تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣م.
١٠٨ ــ	تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٠٩ ــ	تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
١١٠ ــ	تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
١١٢ ــ	تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
١١٣ ــ	تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس واليوم،آدم عبد الله الألوري،مكتبة وهبة،القاهرة، ١٤٠٨هـ.
١١٤ ــ	تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم،آدم عبد الله الألوري،ط٢،مكتبة وهبة،القاهرة، ١٤٠٨هـ.
١١٥ ــ	تاريخ زنغو في غانا وحياة أهلها، دار صادر، بيروت.
١١٦ ــ	تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، مطبعة بردين أنجي (فرنسا)، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
١١٧ ــ	تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.
١١٨ ــ	تاريخ الفتاش، نشر هوداس ودلافوس، مطبعة بردين، باريس، ١٩١٣م.
١١٩ ــ	تاريخ غانا الحديث، زاهر رياض، دار المعرفة، القاهرة، ١٣٨١هـ.
١٢٠ ــ	تاريخ غرب إفريقية، فيج جي دي، ترجمة: يوسف نصر، ط١، دار المعارف،١٩٨٢م.
١٢١ ــ	تأملات الدعوية في السنة النبوية، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٢٢ ــ	التبرك المشروع والتبرك الممنوع،د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.

١٢٣ ــ	التبرك: أنواعه، وأحكامه، د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض.
١٢٤ ــ	التبشير والاستعمار في البلاد العربية،عمر فروخ،ومصطفى الخالدي،بيروت، ١٣٩٠هـ.
١٢٥ ــ	التبصير في أمور الدين، للاسفراييني شهفور بن طاهر، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
١٢٦ ــ	التجانية، د. علي محمد الدخيل الله، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٢٧ ــ	تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ.
١٢٨ ــ	التحف في مذاهب السلف، للشوكاني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ت.
١٢٩ ــ	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ.
١٣٠ ــ	التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، ط٢، مكتبة الحرمين، الرياض، ١٤٠٥هـ.
١٣١ ــ	تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المعروف بابن بطوطة، ط٣، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٣٢ ــ	التدمرية، تحقيق إثبات الأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، حققه: محمد بن عودة، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٣٣ ــ	ترتيب الأعلام على الأعوام، خير الدين الزركلي، دار الأرقم، ١٩٩٠م.
١٣٤ ــ	الترغيب والترهيب، للإمام المنذري، ط٣، دار التراث العربي، ١٣٨٨هـ.
١٣٥ ــ	تزيين الورقات، الشيخ عبد الله بن فودي، مكتبة دادا للنشر والتوزيع، زاريا، نيجيريا.
١٣٦ ــ	تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد ا لمغرب والسودان، تحقيق خليل عساكر وآخرون، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٣٧ ــ	تصحيح الدعاء، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٣٨ ــ	التصوف المنشأ والمصدر، إدارة ترجمان السنة، ط١، لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ/١.
١٣٩ ــ	التصوف بين الحق والخلق، محمد فهر شفقة، ط٢، دار السلفية للنشر والتوزيع، د.ت.
١٤٠ ــ	التصوف في مصر إبان العصر العثماني، د. توفيق الطويل، مطبعة الاعتماد، مصر.

١٤١ ــ	التصوف منشؤه ومصطلحاته، أسعد الحمراني، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٤٢ ــ	التصوف والثورة الروحية في الإسلام، أبو العلاء عفيفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
١٤٣ ــ	التصوف والطرق الصوفية في السنغال، د. خديم محمد إمباكي، السنغال، د.ت.
١٤٤ ــ	تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ضمن كتاب الجامع الفريد، طبع على نفقة محمد بن إبراهيم النعمان.
١٤٥ ــ	التعرف لمذهب أهل التصوف، أبوبكر محمد الكلاباذي، تحقيق: محمود أمين النواوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.
١٤٦ ــ	التعريف بابن خلدون، تحقيق محمد الطنجي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٩٥١م.
١٤٧ ــ	التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ت.
١٤٨ ــ	تفسير السعدي، دار صادر، بيروت.
١٥٠ ــ	التفسير الكبير، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٥١ ــ	تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، شمس الدين السلفي الأفغاني، ط١، دار التصميم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.
١٥٢ ــ	التقويم والقياس النفسي والتربوي، أحمد الطيب، الكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م.
١٥٣ ــ	تلبيس إبليس، لابن الجوزي، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٥٤ ــ	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد الملطي، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٧م.
١٥٥ ــ	تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن علي الكناني، ط١، مكتبة القاهرة، د.ت.
١٥٦ ــ	تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، سلامة العزامي النقشبندي، بدون ذكر الناشر.
١٥٧ ــ	تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، محمد أمين الكردي، تحقيق: محمد علي إدلبي، دار الإيمان، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٥٨ ــ	تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، أبو عبد الله شمس الدين التتائي، ١٩٨٨م.
١٥٩ ــ	التهجد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، ١٩٩٤م.
١٦٠ ــ	تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ.
١٦١ ــ	تهذيب الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، اختصرها وهذبها الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين، ط٢، طبع على نفقة أحد المحسنين.
١٦٢ ــ	تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د. عبد الحليم النجار، نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت.
١٦٣ ــ	توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغربي إفريقية، آدم عبد الله الألوري، مكتبة دار النور، نيجيريا، ١٤٢٧هـ.
١٦٤ ــ	التوحيد، د. صالح فوزان الفوزان، دار طيبة، الرياض، د.ت.
١٦٥ ــ	التوسل وأنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤٢١هـ.
١٦٦ ــ	التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، ط٢، المكتبة المكية، د.ت.
١٦٧ ــ	توضيح الأدلة لمن يروم دليلا على طريق الصوفية، الحاج باب الواعظ، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ.
١٦٨ ــ	توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح عقيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط. ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٦٩ ــ	توطين العناصر الإفريقية الغربية بالسودان، د. شريف محمد شريف، ص ٧، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ١٩٦٢م.
١٧٠ ــ	تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
١٧١ ــ	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
١٦٦ ــ	التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، ط٢، المكتبة المكية، د.ت.

	(ث)
١٧٢ ــ	الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، عمر صالح، ط١، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٧٣ ــ	الثقافة العربية في نيجيريا، د. علي أبوبكر، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ١٣٩٢هـ.
١٧٤ ــ	ثمانون عاماً من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة العربية،إدريس الكتاني، نادي الفكر الإسلامي، ٢٠٠٠م.
	(ج)
١٧٥ ــ	جامع الأصول في أحاديث الرسول، أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٣م.
١٧٦ ــ	جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط/ عيسى البابي الحلبي، د.ت.
١٧٧ ــ	جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٧٨ ــ	الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: محمد أبو الأجفان وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، تونس، ١٤٠٣هـ.
١٧٩ ــ	جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني الشاذلي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ.
١٨٠ ــ	الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
١٨١ ــ	جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، عثمان برايما باري، دار الأمين، ٢٠٠٠م.
١٨٢ ــ	جغرافية إفريقية، فتحي محمد أبو عيانة، ط١، دار المعرفة الجامعية، بيروت.
١٨٣ ــ	الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة،سليم الهلالي،وزياد دبيج،دون ذكر الناشر.
١٨٤ ــ	جمهرة الأولياء وأعلام التصوف، محمود أبو الفيض الحسيني المنوفي، ط١، مطبعة المدني العباسية، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩١٧م.
١٨٥ ــ	جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية، د. محمد بن أحمد علي الجوير، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ.

١٨٦ ــ	جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، علي حرازم بن العربي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ.
	(ح)
١٨٧ ــ	حاشية در المختار، لابن عابدين السيد محمد أمين أفندي، دون ذكر الناشر.
١٨٨ ــ	حاشية السندي بهامش سنن النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
١٨٩ ــ	حاضر العالم الإسلامي، وثروب ستوارد، ترجمة: عجاج نويهص، وتعليق: شكيب أرسلان، ط٤، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٣٧٣م.
١٩٠ ــ	الحجاب، أبو الأعلى المودودي، دار التراث العربي، ١٩٨٨م.
١٩١ ــ	الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ.
١٩٢ ــ	حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي المبروك الدالي، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م.
١٩٣ ــ	حركة المد الإسلامي في غربي إفريقية، عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
١٩٤ ــ	حركة النقل والترجمة حتى العصر العباسي، كمال عمران وآخرين، ، المؤسسة الوطنية للترجمة والدراسات، تونس، ١٩٨٩م.
١٩٥ ــ	حق المساواة أمام القضاء وكفالة حق التقاضي، عبد الغني بسيوني عبد الله، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠١م.
١٩٦ ــ	حقائق ووثائق، دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، الدار السعودية، ١٩٨٩م.
١٩٧ ــ	حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والقوانين المقارنة، قيس عبد الوهاب الجبالي، دار الحامد، ٢٠٠٨م.
١٩٨ ــ	حقيقة التوحيد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.
١٩٩ ــ	حكم الله الواحد الصمد، محمد سلطان المعصومي الخجندلي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥هـ.
٢٠٠ ــ	الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، ١٩٧٩م.
٢٠١ ــ	حلية الأولياء وطبقات الصوفية، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، ٩٨٧م.

٢٠٢ ــ	حلية البشر في تاريخ القرن الثلث عشر،عبد الرزاق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.
٢٠٣ ــ	حوار مع علي المالكي في رد منكراته وضلالاته، عبد الله بن سليمان المنيع، طبعة رئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٠٤ ــ	حول تطبيق الشريعة الإسلامية، محمد قطب، مكتبة السنة، ١٩٩١م.
	(خ)
٢٠٥ ــ	خصائص الموضوعية والأسبوعية في حديث القرآن، عبد العزيز صالح العمار، ٢٠٠٧م.
٢٠٦ ــ	الخطط للمقريزي، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مطابع النيل، القاهرة، ١٣٣١هـ
٢٠٧ ــ	الخلاف حول هذه المسألة: المغني، لابن قدامة المقدسي، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، د.ت.
٢٠٨ ــ	خلاصة الأثر، محمد أمين فضل الله المحبي، مكتبة خياط، د.ت.
	(د)
٢٠٩ ــ	داخل إفريقية، جون جنتز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
٢١٠ ــ	دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٣م.
٢١١ ــ	الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٢١٢ ــ	دراسات إسلامية في غرب إفريقية، د. عز الدين عمر موسى، الجمعية السعودية التاريخية، ١٩٩٩م.
٢١٣ ــ	دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ط١، إدارة ترجمان السنة، لاهور،باكستان، ١٤٠٩هـ.
٢١٤ ــ	الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية، محمد سعد بن عبد الله الرباطابي التجاني، مكتبة القاهرة، د.ت.
٢١٥ ــ	الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: حميد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.
٢١٦ ــ	الدرر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، مكتبة الصحابة الإسلامية العالمية، الكويت. د.ت.
٢١٧ ــ	الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب،محمد خير رمضان يوسف،مطابع الفرزدق، ١٩٨٦م.

٢١٨ ــ	الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام الدولة الفولاني، حسن عيسى عبد الظاهر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.
٢١٩ ــ	الدعوة الإسلامية، محمد أبو زهرة، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
٢٢٠ ــ	الدعوة الإصلاحية، عبد الله بن محمد المطوع، ط٦، دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٨هـ.
٢٢١ ــ	دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، محمد بن علي محمد السكاكر، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٢٣ ــ	الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.
٢٢٤ ــ	الدعوة والدعاء، سعد بن عبد الرحمن الحصين، دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٢٢٥ ــ	دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ، وبهامشه مجموعة الأحزاب والأوراد والأدعية والاستغاثات، محمد بن أبي بكر الجزولي، المكتبة الثقافية، بيروت. د.ت.
٢٢٦ ــ	مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، (ص ٤٢٩)، دار الحضارة الإسلامية، د.ت.
٢٢٧ ــ	دلائل النبوة، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النفائس، ١٩٩١م.
٢٢٨ ــ	دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا، عبد الحافظ أحمد، لاغوس، نيجيريا، د.ت.
٢٢٩ ــ	دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية، أبوبكر محمد عبد الله المعافري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٢٣٠ ــ	دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية، د. عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٢٣١ ــ	دولة مالي الإسلامية، إبراهيم علي طرخان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ.
٢٣٢ ــ	الديانات في إفريقية السوداء، هوبير ديشان، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٣٣ ــ	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

	(ذ)
٢٣٤ ــ	الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، للمقريزي، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، ٢٠٠٩م.
٢٣٥ ــ	ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، (ص ٤٧ــ٤٨)، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٨م.
	(ر)
٢٣٦ ــ	رحلة ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله محمد، الأكاديمية المغربية، ١٩٩٧م.
٢٣٧ ــ	رحلة التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
٢٣٨ ــ	الرد على البكري، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
٢٣٩ ــ	الرد على الجهمية والزنادقة، لأبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عيسى البابي الحلبي.
٢٤٠ ــ	رسالة التوحيد، محمد عبده خير الله، دار إحياء العلوم، ١٩٩٢م.
٢٤١ ــ	رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، عبد اصمد حبيب الله المختار، ط١، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٤٢ ــ	رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، ط١، مركز شؤون الدعوة بالمدينة المنورة، ١٤٠٧هـ.
٢٤٣ ــ	رسائل ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق بن محمد ابن سبعين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٥م.
٢٤٤ ــ	رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبد الله حميد، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
٢٤٥ ــ	الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. علي بن نفيع العلياني، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.
٢٤٦ ــ	رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم، عمر بن سعيد الفوتي التوري، المطبوع بهامش جواهر المعاني، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٢٤٧ ــ	الرهبانية والتصوف في المسيحية والإسلام، محمد عبد الحق الحمد، الناشر:المؤلف، ٢٠٠٤م.
٢٤٨ ــ	روضة التعريف بالحب الشريف،محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب،دار الثقافة، ٢٠٠٤م.

٢٤٩ ــ	روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نبعت فيها من المملكـــات، مــصطفى زغلول السّنوسي، ط١، مطابع الشّرق الأوسط، الرّياض،١٤١١هـــ.
٢٥٠ ــ	رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، د.ت.
٢٥١ ــ	رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبوبكر عبد الله محمـــد المـــالكي، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـــ.
	(ز)
٢٥٢ ــ	زاد المعاد في هدي خير العباد،لابن القيم، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـــ.
٢٥٣ ــ	زونغو وحياة أهلها في غانا، د. محمد تاج الدين محمد نور الدين، ط١، المطبعة العامة للنشر، تيماء، غانا، ١٩٩٤م.
	(س)
٢٥٤ ــ	سبل النجاة في الحب في الله والغض في الله، للنبهاني، الناشر: الجفان والجابي، ١٩٩٢م.
٢٥٥ ــ	السحر بين الحقيقة والخيال، محمد زهير الحريري، دار الإيمان، ١٩٩١م.
٢٥٦ ــ	السحر في الشريعة الإسلامية، محمود قاسم الحمود، دار وائل، ٢٠٠١م.
٢٥٧ ــ	السحر والدين، سلوى علي سليم، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.
٢٥٨ ــ	السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة، إبراهيم كمـــال أدهـــم، دار البـــشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.
٢٥٩ ــ	سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٦٠ ــ	سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني،الكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـــ.
٢٦١ ــ	سعة رحمة الله على العالمين، سيد سعد الدين الغباشي، (ص ٨١٤ـــ٨١٥)، دار م مسلم، ١٩٩٥م.
٢٦٢ ــ	السنغال والثقافة الإسلامية، جورتي سيسي، دار شمس المعرفة للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٦٣ ــ	السنغال، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.
٢٦٤ ــ	سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دون ذكر الناشر.
٢٦٥ ــ	سنن الدارمي، لأبي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: د. مـــصطفى ديب البغا، دار القلم، سوريا، ١٤٠٧هـــ.

٢٦٦ ــ	سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٢٦٧ ــ	سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٨هـ.
٢٦٨ ــ	السنن الكبرى للبيهقي، إعداد يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
٢٦٩ ــ	السنن الكبرى للنسائي، ط٣، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٧٠ ــ	السنن والمبتدعات، محمد عبد السلام الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٧١ ــ	السيد البدوي شيخ وطريقة، سعيد عبد الفتاح عاشور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٢٧٢ ــ	سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٢٧٣ ــ	سيرة ابن إسحاق، أبوبكر محمد بن إسحاق بن يسار، معهد الدراسات والأبحاث، ١٩٧٦م.
٢٧٤ ــ	السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، نشر دار المعرفة، بيروت.
٢٧٥ ــ	السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الفكر، القاهرة، د.ت.
	(ش)
٢٧٦ ــ	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٧٧ ــ	شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، شرح عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، ط٢. مكتبة دار المسير،الرياض،١٤٢٠هـ.
٢٧٨ ــ	شرح أسماء الله الحسنى، سعيد بن علي القحطاني، ط١، ١٤٠٩هـ، دون ذكر الناشر.
٢٧٩ ــ	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٦، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٢٨٠ ــ	شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ.
٢٨١ ــ	شرح السنة، للبغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، ط١، المكتب الإسلامي، ١٩٧١م.
٢٨٢ ــ	شرح الصدور بتحريم رفع القبور، للشوكاني، ضمن كتاب الجامع الفريد، طبع على نفقة محمد ابن إبراهيم النعمان.
٢٨٣ ــ	شرح العقائد النسفية، لنجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٨٤ ــ	شرح العقيدة الطحاوية، ط٤، الكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
٢٨٥ ــ	شرح صحيح مسلم للنووي، إعداد: مجموعة أساتذة، إشراف: علي عبد الحميد بلطه جي، ط١، دار الخير، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٨٦ ــ	الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، د. علي بت إبراهيم النملة (ص ٢٤ــ٢٥)، ط ٢، مؤسسة بيسان، بيروت، ١٤٣١هـ.
٢٨٧ ــ	الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.
٢٨٨ ــ	الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٨٩ ــ	شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكبت العلمية،بيروت، ١٤١٠هـ.
٢٩٠ ــ	شعر ابن الفارض و الحب الإلهي، محمود عبد الخالق، دار المعارف، ١٩٨٤م.
٢٩١ ــ	الشعر والشعراء في السودان، أحمد أبو سعد، دار المعارف، ١٩٥٩م.
٢٩٢ ــ	الشعوب والسلالات الإفريقية، محمد عوض محمد، الدار المصرية، ١٩٦٥م.
٢٩٣ ــ	الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، مطبعة محمد صبيحي وأولاده، مصر.
٢٩٤ ــ	الشيخ آدم عبد الله الألوري: نسبته، وشخصيته، ووصيته، مشهود رمضان جبريل الأميري، ط١، مكتبة الله نور، لاغوس، ١٤٢٥هـ.
	(ص)
٢٩٥ ــ	صبح الأعشى في صناعة الانشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٤هـ.
٢٩٦ ــ	الصحاح، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤١١هـ.
٢٩٧ ــ	صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٩٨ ــ	صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط١، المكتب الإسلامي، ١٩٧٥م.
٢٩٩ ــ	صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، عني به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، عمان، الأردن.
٣٠٠ ــ	صحيح المقال في مسألة شد الرحال، عبد العزيز الربيعان، وفي ذيله: رسالة البحث الأمين في حديث الأربعين، ١٣٩٩هـ.

٣٠١ ـــ	صحيح مسلم. لابن الحجاج النيسابوري. دار إحياء التراث العربي. القاهرة. مصر.
٣٠٢ ـــ	صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٣٠٣ ـــ	صراع بين الحق والباطل، سعد صادق محمد، ط٥، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٨هـ.
٣٠٤ ـــ	صراع بين السنة والرافضة، علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، ٢٠٠١م.
٣٠٥ ـــ	الصراع بين الوثنية والإسلام، عبد الله القصيمي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٢هـ.
٣٠٦ ـــ	صفات الداعية، د. حمد العمار، ط٣، دار اشبيليا، الرياض، ٢٠٠٣م.
٣٠٧ ـــ	صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، محمد ناصر الدين الألباني، ط١٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٠٨ ـــ	صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم وتحصيله، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٢م.
٣٠٩ ـــ	الصفدية، لابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ، د.ت.
٣١٠ ـــ	صفوة البيان في علاج السحر والحسد ومن الجان،محمد محمود عبد الله،دار الشوق، ١٩٩٣م.
٣١١ ـــ	صورة الأرض، لابن حوقل أبو القاسم النصيب، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٣١٢ ـــ	صوفيات مشايخ الطرق الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٤٩م.
٣١٣ ـــ	الصوفية الوجه الآخر، د. جميل غازي، وإعداد: عبد المنعم الجداوي، دون ذكر الناشر.
٣١٥ ـــ	الصوفية معتقدا ومسلكاً، د. صابر طعيمة، ط٢، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٦هـ.
٣١٦ ـــ	الصوفية نشأتها وتطورها،محمد العبدة،وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٦هـ.
	(ط)
٣١٧ ـــ	طبقات الصوفية،أبو عبد الرحمن السلمي،ترتيب أحمد الشرباصي،مطابع الشعب، ١٣٨٠هـ.
٣١٨ ـــ	طبقات الفقهاء، جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم علي الشيرازي، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.
٣١٩ ـــ	الطبقات الكبرى، لابن سعد أبو عبد الله بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت.د.ت.
٣٢٠ ـــ	الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ط١، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧٣هـ.
٣٢١ ـــ	الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، محمد نور بن ضيف الله الجعلي، تحقيق: يوسف فضل حسن، ط٢، دار التأليف للنشر والترجمة، جامعة الخرطوم.

٣٢٢ ــ	طرق المنفعة بأجوبة عن أسئلة أهل الإزالة،محمد الثاني الكافنغي، مطبعة قسا، كانو.
٣٢٣ ــ	طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار ابن الكثير، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٢٤ ــ	الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن جابر، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٨هـ.
	(ظ)
٣٢٥ ــ	ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي، مكتب الأخبار التونسية١٣٤٩هـ.
	(ع)
٣٢٦ ــ	عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، طبعة دار الكتب السلفية، القاهرة، د.ت.
٣٢٧ ــ	العبودية، لابن تيمية، ط١، دار الصالة، الزرقاء، الأردن، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣٢٨ ــ	عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دار العاصمة، ١٤١٥هـ.
٣٢٩ ــ	والعقيدة أولاً لو كنتم تعلمون، د. عبد العزيز القارئ (ص ١٠)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
٣٣٠ ــ	العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل، والإمام ابن تيمية، د. سيد عبد العزيز السيلي، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٤١٣هـ.
٣٣١ ــ	العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، أبوبكر محمود غومي، طبعة دار العربية، بيروت.
٣٣٢ ــ	عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين،د.علي محمد الصلابي،مؤسسة اقرأ،القاهرة، ١٤٢٨هـ.
٣٣٣ ــ	عقيدة المؤمن، أبوبكر جابر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٣٣٤ ــ	عقيدة أهل السنة و الجماعة على ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن مسفر القحطاني، ط١، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.
٣٣٥ ــ	عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد الصالح العثيمين، جامعة الإمام، ١٤٠٤هـ.
٣٣٦ ــ	العقيدة أولاً لو كنتم تعلمون، د. عبد العزيز القارئ، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
٣٣٧ ــ	العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، ط٥، مكتبة الفلاح، د.ت.
٣٣٨ ــ	العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسهير، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

٣٣٩ــ	العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين، الأمين محمد عوض الله، دار المجمع العلمي، ١٩٧٩م.
٣٤٠ــ	علاقة الإثبات والتفويض لصفات رب العالمين،رضا نعسان معطي،الناشر:المؤلف، ١٤٠٢هــ.
٣٤١ــ	علم أصول البدع، علي حسن علي عبد الحميد، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.
٣٤٢ــ	العلم والبحث العلمي، حسين عبد الحميد رشوان، المكتب الجامعي، الإسكندرية.د.ت.
٣٤٣ــ	العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هــ.
٣٤٤ــ	عمدة القاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (١/١٦٥)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٢م.
٣٤٥ــ	العمل الجماعي: محاسنه، وجوانب النقص فيه، د. عبد الوهاب الديلمي، ط١، دار الهجرة، صنعاء، ١٤١١هــ.
٣٤٦ــ	عون المعبود، بشرح سنن أبي داود، لأبي الطيب آبادي، دون ذكر الناشر.
٣٤٧ــ	الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل. شاتليه، ترجمة: محب الدين الخطيب، ومساعد الباقي، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، د.ت.
	(غ)
٣٤٨ــ	غانا أرضا وشعباً ودولة، ماهر صبحي رزق، ط١، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، ليبيا. د.ت.
٣٤٩ــ	غاية الأماني في الرد على النبهاني، لأبي المعالي محمود شكري الآلوسي، المطبعة العربية، لاهور، ١٤٠٣هــ.
٣٥٠ــ	غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ أحمد التجاني، ط٢، دال العلم للملايين، بيروت، د.ت.
٣٥١ــ	الغلو في الدين، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هــ.
٣٥٢ــ	الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢٣هــ.
	(ف)
٣٥٣ــ	فتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية، جمع وترتيب: أبو أنس صلاح الدين محمود السعيد، دار الإيمان، الإسكندرية. د.ت.

٣٥٤ ــ	فتاوى اللجنة الدائمة، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
٣٥٥ ــ	فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المطبعة الحكومية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.
٣٥٦ ــ	فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: بإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، د.ت.
٣٥٧ ــ	فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، أبو عبد الله الطالب محمد الولائي، دار المغرب الإسلامي، ١٩٨١م.
٣٥٨ ــ	الفتاوى والأحكام الشرعية المتعلقة بالطب وأحكام المرضى، علي سليمان الرميخان، دار الوطن، ١٤١٩هـ.
٣٥٩ ــ	فتاوى اللجنة الدائمة، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
٣٦٠ ــ	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٣٦١ ــ	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٣هـ.
٣٦٢ ــ	الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، تحقيق: عثمان يحيى، المطبعة العربية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٣٦٣ ــ	فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري، د. محمد كبير أحمد شودري، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٢هـ.
٣٦٤ ــ	الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع المدني، مصر، د.ت.
٣٦٥ ــ	فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي العواجي، ط٤، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

٣٦٦ ــ	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.
٣٦٧ ــ	الفروق للقرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، دار السلام، ٢٠٠١م.
٣٦٨ ــ	فصوص الحكم لابن عربي بشرح القاشاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ.
٣٦٩ ــ	فضل الصلاة على النبي ﷺ وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما ألف فيها، عبد المحسن بن حمد العباد، ط٢، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ.
٣٧٠ ــ	فضل علم السلف على الخلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
٣٧١ ــ	فقه الدعوة إلى الله، د. علي بعد ا لحليم محمود، دار الوفا ، المنصورة، ١٤١٠هـ.
٣٧٢ ــ	فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبد الحميد البلالي، دار الدعوة، ١٩٨٧م.
٣٧٣ ــ	الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، طبعة سنة ١٩٧٠م.
٣٧٤ ــ	الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الثعالبي، المكتبة العلمية، ١٣٩٦هـ.
٣٧٥ ــ	الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، عبد الرحمن عبد الخالق، طبعة دار السلفية، الكويت، د.ت.
٣٧٦ ــ	الفلسفة الصوفية في الإسلام، د. عبد القادر محمود، دار الفكر العربي، د.ت.
٣٧٧ ــ	في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٧، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣٧٨ ــ	فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، عبد ربه القليوبي، دار القومية العربية، ١٣٨٣هـ.
	(ق)
٣٧٩ ــ	قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، جلال العالم، دار الاعتصام، د.ت.
٣٨٠ ــ	قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
٣٨١ ــ	القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧١هـ.
٣٨٢ ــ	القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي، الكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
٣٨٣ ــ	قصة الحضارة، ول ديوارانت، دار نوبليس، ٢٠٠٨م.

٣٨٤ ــ	قطر الولي على حديث الولي، محمد علي الشوكاني، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٩م.
٣٨٥ ــ	قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، محمد أبو الهدى أفندي، ١٤٠٠هــ.
٣٨٦ ــ	القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى،محمد بن صالح العثيمين،مكتبة الباز، الرياض،١٤١٥هــ.
٣٨٧ ــ	قواعد المنهج السلفي، مفرح بن سليمان القوسي، ٢٠٠٣م.
٣٨٨ ــ	قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، مصطفى البابي الحلبي، د.ت.
٣٨٩ ــ	القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ، إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.د.ت.
٣٩٠ ــ	القيم الحضارية في رسالة خير البشرية، د. محمد بن عبد الله السحيم، ط. كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة، الرياض ١٤٣٢هــ.
٣٩١ ــ	قيام امبراطورية مالي الإسلامية، إبراهيم علي طرخان، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.
٣٩٢ ــ	قيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.
	(ك)
٣٩٣ ــ	كاشف الألباس عن فيض الختم أبي العباس، إبراهيم عبد الله أنياس، ط١، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٢م.
٣٩٤ ــ	الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
٣٩٥ ــ	الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هــ.
٣٩٦ ــ	الكبائر، للذهبي، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، دون ذكر الناشر.
٣٩٧ ــ	الكشاف، للزمخشري، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
٣٩٨ ــ	كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب، أحمد ابن الحاج العياش سكيرج، ١٩٦١م.
٣٩٩ ــ	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هــ.
٤٠٠ ــ	كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
	(ل)
٤٠١ ــ	اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هــ.

٤٠٢ ــ	لسان العرب، لمحمد بن م كرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
٤٠٣ ــ	لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٠٤ ــ	لطائف المنن، عبد الوهاب الشعراني، مطبعة الميمنة مصر، د.ت.
٤٠٥ ــ	لطائف المنن، لابن عطا الله الإسكندري،تحقيق:عبد الحليم محمود،مطبعة حسان، القاهرة.د.ت.
٤٠٦ ــ	لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ شكيب أرسلان، دار البشير، ١٩٨٥م.
٤٠٧ ــ	اللمع في التصوف، لأبي نصر عبد الله السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر ١٣٨٠هـ.
٤٠٨ ــ	لواقع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب الشعراني، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٤٠٩ ــ	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الترية، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
	(م)
٤١٠ ــ	ما دعا إليه دين الله، عبد الصمد بن حبيب الله المختار، الطبعة الوطنية، تيماء، غانا، ١٩٨٢م.
٤١١ ــ	ما لا يسع المسلم جهله، إعداد: د. عبد الله المصلح، ود. صلاح الصاوي، المؤسسة الإسلامية في أمريكا، ١٤١٦هـ.
٤١٢ ــ	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط٢، دار الكتاب العربي،١٩٩١م.
٤١٣ ــ	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، ط١، دار الوطن، الرياض.
٤١٤ ــ	متن الأربعين النووية، ترجمة الهوسية، لاغوس، نيجيريا.د.ت.
٤١٥ ــ	مجتمعنا المعاصر، أسباب ضعفه ووسائل علاجه، عبد الله بن سليمان المشوخي، مكتبة المنار، ١٩٨٧م.
٤١٦ ــ	مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة،د.ناصر عبد الكريم العقل،دار الوطن،١٤١١هـ.
٤١٧ ــ	مجمل اعتقاد أئمة السلف، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
٤١٨ ــ	مجموعة التوحيد، لابن تيمية، دار اليقين، ١٩٩٣م.
٤١٩ ــ	مجموع الرسائل والمسائل النجدية، لابن تيمية، جمع وترتيب: سليمان سحمان، ط١، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٥هـ.

٤٢٠ ـــ	مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد، ط١، دار العربية، بيوت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.
٤٢١ ـــ	مجموعة الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات، محمد عبد المعطي، مكتبة النصر، القاهرة، د.ت.
٤٢٢ ـــ	مجموعة رسائل في التوحيد و الإيمان، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، ١٤١٣هـ.
٤٢٣ ـــ	محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
٤٢٤ ـــ	محاضرات في العقيدة والدعوة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، طبع تحت إشراف إدارة بحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤٢٥ ـــ	المحجة في سير الدلجة لابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن أحمد، دار البشائر، ١٩٨٨م.
٤٢٦ ـــ	مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، دار الفكر، د.ت.
٤٢٧ ـــ	المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمد الصواف، دار الاعتصام، القاهرة.
٤٢٨ ـــ	مدارج السالكين، لابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٤٢٩ ـــ	المدخل إلى وسائل الإعلام، عبد العزيز شرف،دار الكتاب المصري،القاهرة، ١٤٠٠هـ.
٤٣٠ ـــ	المدخل لابن الحاج، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
٤٣١ ـــ	مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٣٢ ـــ	المرابطون تاريخهم السياسي، محمد عبد الهادي شعيرة، مكتبة القاهرة، ١٩٦٩م.
٤٣٣ ـــ	مرآة الإخوان، محمد الثاني الكافنغي، ط١، مكتبة الدعوة، كانو، د.ت.
٤٣٤ ـــ	المرأة المسلمة المعاصرة، د. أحمد بن محمد أبا بطين، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١١هـ.
٤٣٥ ـــ	المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ط٦، الكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤٣٦ ـــ	المرأة في الشريعة الإسلامية، قيس عبد الوهاب الجبالي، دار الحامد، ٢٠٠٨م.
٤٣٧ ـــ	مراحل الحياة في الفترة المظلمة، محمد رؤوف الشيخلي، مطبعة البصرة، ١٩٧٢م.
٤٣٨ ـــ	المسألة القومية بين الجاهلية والإسلام، عبد المؤمن أملاجه يوسف، ط١، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

٤٣٩ ــ	المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية، د. علي بن إبراهيم النملة، ص ٣٦، دار بيسان، لبنان، ١٤٣١هـ.
٤٤٠ ــ	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى فضل الله العمري، تحقيق: مصطفى أبو صيف أحمد، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٤٤١ ــ	المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٤٤٢ ــ	المسلمون في السنغال، عبد القادر سيلا، كتاب الأمة، ط١، دولة قطر، ١٩٨٥م.
٤٤٣ ــ	المسلمون في عالم اليوم، د. عبد الرحمن زكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
٤٤٤ ــ	المسلمون في غينيا، محمد عبد القادر أحمد، ١٩٨٦م.
٤٤٥ ــ	المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار صادر، بيروت، د.ت.
٤٤٦ ــ	مشارق الأنوار على أصحاب الأذكار،أبو الفضل عياض بن موسى المالكي،وزارة الشؤون الإسلامية،١٩٨٢م.
٤٤٧ ــ	مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٤هـ.
٤٤٨ ــ	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، دار الفكر، د. ت.
٤٤٩ ــ	مصرع التصوف، للعلامة برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت/١٤٠٠هـ.
٤٥٠ ــ	مصنف ابن أبي شيبة، حيدر آباد، بعنياة عزيز بك.د.ت.
٤٥١ ــ	مصنف عبد الرزاق، أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٥٢ ــ	مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ.
٤٥٣ ــ	مظاهر الغلو عند الصوفية، محمد بن ناصر الشثري، الناشر: المؤلف، ٢٠٠٣م.
٤٥٤ ــ	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد،حافظ بن أحمد حكمي، المطبعة السلفية، الروضة، د.ت.

٤٥٥ ــ	معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، مكتبة الخانجي، ١٩٩١م.
٤٥٦ ــ	معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين البغوي، ط١، دار طيبة،الرياض، ١٤٠٩هــ.
٤٥٧ ــ	معالم الدعوة في قصص القرآن،د. عبد الوهاب الديلمي،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٠٨هــ.
٤٥٨ ــ	معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، د.ت.
٤٥٩ ــ	المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد بن عبد الله المعتق، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٥هــ.
٤٦٠ ــ	معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٩م.
٤٦١ ــ	معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٦٢ ــ	المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، ط١، مكتبة المعارف للنــشر، الرياض، ١٤١٥هــ.
٤٦٣ ــ	معجــم البلــدان، يــاقوت الحمــوي أبــو عبــد الله، دار صــادر، بــيروت، ١٣٧٥هــ/١٩٥٥م.
٤٦٤ ــ	المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد الــسلفي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٣٩٨هــ/١٩٧٧م.
٤٦٥ ــ	معجم المصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت، د.ت.
٤٦٦ ــ	معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر كحالــة، دار إحيــاء التــراث العــربي، بيروت.د.ت.
٤٦٧ ــ	المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٢، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، د.ت.
٤٦٨ ــ	معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء الكتب الدينية، القاهرة، ١٣٩٨هــ/١٩٤٨م.
٤٦٩ ــ	المغرب العربي الكبير، شوقي عطا الله الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩م.
٤٧٠ ــ	المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، ١٩٩٣م.
٤٧١ ــ	المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بــن محمــد البكري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
٤٧٢ ــ	المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليدن، ١٨٩٤م.

٤٧٣ ــ	المغني، لابن قدامة المقدسي، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، د.ت.
٤٧٤ــ	مفاتيح الغيب في القرآن الكريم، عبد المعز خطاب، مطبعة القاهرة الحديثة، ١٩٨٠م.
٤٧٥ ــ	مفاهيم يجب أن تصحح، محمد علوي المالكي الحسيني، ط١، دار الإنسان، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٤٧٦ ــ	المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط٢، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٤٧٧ ــ	المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٦هـ.
٤٧٨ ــ	مقالات الإسلاميين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: أمير علي مهنا وآخرون، ط٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٧٩ ــ	مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، د.ت.
٤٨٠ ــ	مقدمة في أصول الفقه، القاضي أبو الحسن البغدادي، تحقيق: د. مصطفى مخزوم، ط١، دار المعلمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٤٨١ ــ	الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: هلموت رتير، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٨٢ ــ	الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.
٤٨٣ ــ	مملكة سنغي الإسلامية، جميلة محمد التكتيك، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، ١٩٩٨م.
٤٨٤ ــ	مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا،الهادي المبروك الدالي، دار الملتقى للنشر،١٩٩٣م.
٤٨٥ ــ	من أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لشمس الدين أبو عبد الله المقدسي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المغرب، ١٩٨٠م.
٤٨٦ ــ	من هنا نشأت وهكذا تعلمت حتى تخرجت، آدم عبد الله الألوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، لاغوس، ١٤١١هـ.
٤٨٧ ــ	المناهج أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها، عبد اللطيف فؤاد إبراهيم، مكتبة مصر، ١٩٩٠م.

٤٨٨ ــ	مناهج البحث العلمي عند العرب، جلال محمد عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢م.
٤٨٩ ــ	مناهج البحث العلمي: أسسه وأساليبه، د. عمار لوحوشي، مكتبة النمار، الأردن.
٤٩٠ ــ	منهج التربية الإسلامية وأساليب تطويرها، سعدون الساموك، دار المناهد، ٢٠٠٣م.
٤٩١ ــ	مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، ط١، دار الوفاء، ١٤٠٧هـ.
٤٩٢ ــ	المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، يوسف القرضاوي، دار الوفا، المنصورة، ١٤١٤هـ.
٤٩٣ ــ	منتهى الخارق الجاني في رد زلات التجاني، محمد الخضر الشنقيطي، جمع وتعليق: الشيخ إبراهيم القطان، ط١، دار البشير، عمان، ١٤٠٥هـ.
٤٩٤ ــ	المنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة، محمد الثاني الكافنغي، ط١، مطبعة المشهد الحسيني.
٤٩٥ ــ	المنحة المحمدية في بيان العتاقة الشرعية من البدعة، محمد أحمد عبد السلام، مطبعة السعادة.
٤٩٦ ــ	منهاج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، طبعة سنة، ١٩٧٧م، دون ذكر الناشر.
٤٩٧ ــ	منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.
٤٩٨ ــ	المنهاج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، ط١، دار العاصمة، ١٤١٥هـ.
٤٩٩ ــ	منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.
٥٠٠ ــ	منهج الإمام مالك رحمه الله في إثبات العقيدة، سعود بن عبد العزيز الدعجان، ط١، دار الآثار، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
٥٠١ ــ	منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٣، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٥٠٢ ــ	منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منها في العصر الحاضر، د. سليمان بن قاسم العيد، ط١، دار الوطن، ١٤٢٢هـ.
٥٠٣ ــ	الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: إبراهيم رمضان، بشرح عبد الله دراز، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٥٠٤ ــ	موجز تاريخ نيجيريا، آدم عبد الله الألوري، مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٥هـ.
٥٠٥ ــ	المورد في عمل المولد، للفاكهاني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٧هـ.
٥٠٦ ــ	موسوعة ويكيبيديا الحرة على موقعها في الشبكة العنكبوتية (نت)
٥٠٧ ــ	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

٥٠٨ ــ	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٥٠٩ ــ	موطأ الإمام مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
٥١٠ ــ	موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، (١/٤٠ــ٤١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٥م.
٥١١ ــ	موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى، د. يوسف القرضاوي، ط٥، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤م.
٥١٢ ــ	ميزاب الرحمة الربانية بالطريقة التجانية، عبيدة بن محمد الشنقيطي التجاني، ملتزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، د.ت.
٥١٣ ــ	ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: علي محمد البخاري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
٥١٤ ــ	الميسر في أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم محمد سلقيني، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ.
	(ن)
٥١٥ ــ	نبذة في الدعاء، حسين العوايشة، المكتبة الإسلامية، ١٩٩٠م.
٥١٦ ــ	النبوات، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
٥١٧ ــ	النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
٥١٨ ــ	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن عبد العزيز الشريف المعروف بالإدريسي، ليدن، ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.
٥١٩ ــ	نسيم الصبا في أخبار علماء يوروبا، آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة، ١٩٨٣م.
٥٢٠ ــ	نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، لليافعي، تحقيق: إبراهيم عطوه، ط١، مكتبة مصطفى البابي والحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
٥٢١ ــ	نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية، لابن تيمية، تقديم وتخريج وتعليق: مشهور حسن سليمان، دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ.
٥٢٢ ــ	نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،أبو العباس أحمد المقري،دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
٥٢٣ ــ	النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المعروف بابن الأثير، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٥٢٤ ــ	نور الألباب، الشيخ عثمان بن فودي، مطبعة حمدان في زاريا، نيجيريا، د.ت.
٥٢٥ ــ	نيجيريا عملاق إفريقيا التائه، د. سامي منصور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥٢٦ ـ	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، لإمام محمد علي الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، بمصر، د.ت.
	(هـ)
٥٢٧ ـ	هداية المرشدين على طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط٥، مكتبة دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٧١هـ.
٥٢٨ ـ	هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ط٥، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٣هـ.
	(و)
٥٢٩ ـ	واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
٥٣٠ ـ	وجوب لزوم الجماعة وترك التفريق، جمال أحمد بادي، دار الوطن للنشر، ١٤١٦هـ.
٥٣١ ـ	الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثر، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية،الرياض، ١٤٢٢هـ.
٥٣٢ ـ	الوجيز في منهج السلف، عبد القادر الأرناؤوط، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١١هـ.
٥٣٣ ـ	وسائل الاتصال نشاطها وتطورها، خليل بات، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.
٥٣٤ ـ	وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، محمد موفق الغلاييني، دار المنارة، جدة، ١٤٠٥هـ.
٥٣٥ ـ	وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد با كريم با عبد الله، دار الراية، ١٤١٥هـ.
٥٣٦ ـ	وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ترجمة محمد صبي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٤٠٤هـ.
٥٣٧ ـ	الوصية الكبرى، لابن تيمية، دار إيلاف الدولية، ١٩٩٧م.
٥٣٨ ـ	وفاء الوفاء بأخبار المصطفى للسمهودي، دار صادر، بيروت.
٥٢٩ ـ	واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
	(ي)
٥٣٩ ـ	اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، مطبعة عبد الحميد أحمد، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

ثانياً:	**الرسائل الجامعية والبحوث** :
٥٤٠ ــ	الاستعمار والتعليم في نيجيريا، صالح أكنوي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي، عقد في جامعة سوكوتو، بنيجيريا سنة ١٤٠٨هـ، بعنوان: "أثر الاستعمار في التربية الإسلامية وتقاليدها".
٥٤١ ــ	أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته الإسلامية، ضمن بحوث المجلد الرابع من أعمال المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، والمنعقد بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٦م.
٥٤٢ ــ	أضواء حول التعليم العربي في السنغال، النقابة الوطنية لمدرسي اللغة العربية في السنغال، مطبوع بالحاسب الآلي.
٥٤٣ ــ	التعليم الإسلامي في إفريقية: الواقع والمأمول في السنغال، د. خديم محمد امباكي، مكتبة طوبى، السنغال، ١٤١٩هـ.
٥٤٤ ــ	التعليم الإسلامي في إفريقية الواقع والمأمول في السنغال، د. خديم محمد سعيد أمباكي، مطبوع بالحاسب الآلي، وموضوع بمكتبة طوبى، بالسنغال، ١٤١٩هـ.
٥٤٥ــ	التعليم الإسلامي في السنغال، د. محمد أحمد لوح، مطبوع بالحاسب الآلي.
٥٤٦ ــ	تقرير عن أحوال الدعوة الإسلامية في السنغال، الشيخ إبراهيم سيسي مدير معهد الفلاح بمدينة الكولخ بالسنغال (مخطوط).
٥٤٧ــ	توحيد الألوهية لدى مسلمي نيجيريا، عبد رفيع أديسا بلو، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.
٥٤٨ ــ	الجماعة الإسلامية في سطور، رسائل صدرت عن الجماعات الإسلامية في الهند.
٥٤٩ــ	الحاج عمر محمود باه رائد الثقافة العربية في غرب إفريقية، أبوبكر خالد باه (مخطوط).
٥٥٠ ــ	دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا، عبد الحفيظ أحمد، رسالة الماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.
٥٥١ ــ	حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقية في القرن التاسع عشر الميلادي، أحمد محمد كاني، ضمن البحوث المقدمة في الندوة العالمية التي عقدها جامعة إفريقية العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة بالخرطوم، جمادى الآخرة، ١٤١٦هـ.
٥٥٢ ــ	الدعوة الإسلامية المعاصرة في السنغال وأهم التحديات التي تواجهها، انجوغو امباكي صعب، بحث مقدم لنيل درجة دبلوم في الدعوة، كلية الدعوة و أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ.

٥٥٣ ــ	السلفية وأعلامها في موريتانيا، الشيخ الطيب عمر الحسين، رسالة الماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
٥٥٤ ــ	السنغال من منظور إسلامي جغرافي، شيخ أمباكي جاي، مطبوع بالحاسب الآلي.
٥٥٥ ــ	سيرة عثمان بن فودي، عبد اللطيف سعيد، ضمن البحوث المقدمة إلى الندوة العلمية التي عقدها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، في جمادى الآخرة، سنة ١٤١٦هـ.
٥٥٦ ــ	شبهات المبتدعة في توحيد العبادة، عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، رسالة الدكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ.
٥٥٧ ــ	الشيخ إبراهيم انياس السنغالي: حياته، وآراؤه،وتعاليمه،وكتاب كاشف الإلباس، وتحقيق السر الأكبر، دراسة وتعليقا: محمد طاهر ميغري، جامعة بايرو بمدينة كانو، بنيجيريا، ط١، دار العربية للطباعة والنشر، لاغوس، ١٤٢٥هـ.
٥٥٨ ــ	الشيخ آدم عبد الله الألوري: نسبته، وشخصيته، ووصيته، مشهود رمضان جبريل الأميري،ط١، مكتبة الله نور، لاغوس ١٤٢٥هـ.
٥٥٩ ــ	الشيخ أبوبكر غومي: حياته،ومساهمته في حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، محمد كبير موسى، بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس بجامعة بايرو، كانو، نيجيريا.
٥٦٠ ــ	الفرق الإسلامية الكبرى في نيجيريا، محيي الدين مديلي، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
٥٦١ ــ	قضايا السنة النبوية والاهتمام بها في لغة الهوسا، مخطوط.
٥٦٢ ــ	القانون الأساسي لحركة عن طريق موقع الجماعة على نت.
٥٦٣ ــ	مذكرة عن حياة الشيخ محمود باه، أعدها لجنة التعليم والدعوة والثقافة لحركة الفلاح بالسنغال (مخطوط).
٥٦٤ ــ	مذكرة عن تاريخ حركة الفلاح السلفية في السنغال، أعدها لجنة التعليم والدعوة والثقافة لحركة الفلاح بالسنغال (مخطوط).
٥٦٥ ــ	مشكلات تعليم اللغة العربية في المدارس العربية الأهلية بالسنغال، شيخ صعب، رسالة دكتوراه، عير منشورة، لجامعة إفريقية العالمية بالخرطوم، السودان، ١٤٢١هـ.
٥٦٦ ــ	مكانة الشيخ عثمان بن فودي بين رجال الفكر والدعوة والدولة في الإسلام، د. حسن مكي أحمد (ضمن سلسلة بحوث الندوة).

٥٦٧ ــ	مكونات الفكر السياسي عند الشيخ عثمان بن فودي، د. بهيجة الشاذلي، (ضمن بحوث الندوة العالمية للشباب الإسلامي).
٥٦٨ ــ	"منهج مقترح لنشر الإسلام في إفريقية"، سيد محمد الشنقيطي، (مخطوط).
٥٦٩ ــ	موقفي: السيرة الذاتية للشيخ أبي بكر غومي (مخطوط).
٥٧٠ ــ	وحدة الوجود عند الصوفية: حقيقتها، وآثارها، أحمد عبد العزيز القصير، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٥٧١ ــ	وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية، خضر عبد اللطيف سوندك، رسالة الماجستير، غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.د.ت.
٥٧٢ ــ	"ولما بلغت"، الشيخ عثمان بن فودي (مخطوط).
ثالثاً:	**الدوريات:**
٥٧٣ ــ	جريدة الشهاب الجزائرية، مجلد ٢، ١٤١٤هـ.
٥٧٤ ــ	جريدة المسائية السعودية، عدد (٣٩٦٥)، رمضان، سنة ١٤١٥هـ.
٥٧٥ ــ	جريدة الوزير التونسية، عدد (٢٤٩)، السنة التاسعة، مايو ١٩٢٨م.
٥٧٦ ــ	جريدة عكاظ السعودية، عدد (٧٥٥٩)، رجب، ١٤٠٧هـ.
٥٧٧ ــ	جريدة عكاظ السعودية، عدد (٩٣٤٩)، شعبان، سنة ١٤١٢هـ.
٥٧٨ ــ	جريدة لسان الشعب الجزائرية، عدد (١٢١)، ربيع الثاني، ١٣٤٢هـ.
٥٧٨ ــ	رسالة الخليج العربي، عدد (٩)، السنة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٥٧٩ ــ	صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد (٧، و٨)، سنة ١٩٥٨ــ١٩٦٠م.
٥٨٠ ــ	مجلة الأزهر، مجلد (٦)، السنة الثالثة، ١٤١١هـ.
٥٨١ ــ	مجلة الأمة القطرية، عدد (٧٤)، ذي الحجة سنة ١٤٠٦هـ.
٥٨٢ ــ	مجلة البشرى، عدد (٤٠)، سنة ١٤١٢هـ.
٥٨٣ ــ	المجلة التاريخية المصرية، عدد (١٤)، سنة ١٩٦٧م.
٥٨٤ ــ	مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد (٥٩)، سنة ١٥، ١٤١٤هـ.
٥٨٥ ــ	مجلة الحج، عدد (٤٩)، جمادى الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٨٦ ــ	مجلة الفيصل، عدد (٢٨٠٤)، شوال، ١٤٢٠هـ.
٥٨٧ ــ	مجلة الكوثر، عدد (٦١)، رمضان ــ شوال، ١٤١٥هـ.
٥٨٨ ــ	مجلة المجتمع الكويتية، عدد (١٠)، شعبان، ١٤٠٥هـ.
٥٨٩ ــ	مجلة المجتمع الكويتية، عدد (١٥)، ربيع الأول، ١٤٢٠هـ.
٥٩٠ ــ	مجلة المنار، عدد (٢٣)، مجلد (١)، ربيع الثاني، ١٣١٦هـ.
٥٩١ ــ	مجلة الوعي الكويتية، عدد (٤٨٧٤)، سنة ٢٠٠٦م.
٥٩٢ ــ	مجلة دعوة الحق المغربية، عدد ٢٨٣ جمادى الآخرة، سنة ١٤٠٩هـ.
٥٩٣ ــ	مجلة قراءات إفريقية، عدد (١)، رمضان سنة ١٤٢٥هـ.
٥٩٤ ــ	مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عدد (٢٠)، سنة ١٩٦٦م.
٥٩٥ ــ	مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد (٧)، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
رابعاً:	**المواقــــع الالكترونية**:
٥٩٦ ــ	مواقع الجمعيات و الحركات الإسلامية في غربي إفريقية.
٥٩٧ ــ	موقع إسلام أون لاين.
٥٩٨ ــ	موقع منتدى باجه للتربية والثقافة.
٥٩٩ ــ	موقع حركة الفلاح للتربية والثقافة الإسلامية.
خامساً:	**المراجــــــع الأجنبية**:
٦٠٠ ــ	Les Africans: The history and description of Africa, vol.1, London,1600.
٦٠١ ــ	N. Levtezion: A seventieth country critical by ibn muktar, article study of tarik fattach.
٦٠٢ ــ	Meek : The Northern tribes of Nigeria, 2v. London.
٦٠٤ ــ	De la chapelle: Equisse d'une histoire du sahara occidental, paris, 1930.
٦٠٥ ــ	Hogben: The Muhammadan and Emirate, of nodevia, London, 1930

Anta Diop: Afrique Noire pre-coloniale. P.69 et av. Bolone, Paris, France	ـ٦٠٦
Trimingham: J. S. The history of Islam in west Africa.	ـ٦٠٧
Mahverey, E. et I down, H. O. The peoples Denegambia, London.	ـ٦٠٨
Palmer R. Islam in western Sudan The west coast of Africa, Islam today. 44, London,1936.	ـ٦٠٩
The Kano chronicles in palmer: Sudanese memoire, v3. London.	ـ٦٠١٠
Histores de Cote d'Ivoire, Edition Larouse,Paris, France.	ـ٦١١
Ercelich,J.c. Essai sur les causes et methode de l'Islamisatiom de l'Afrique de l'ouest.	ـ٦١٢
Bleden christianty and the negro races; Ed. London	ـ٦١٣
Gouilly. A. l'islam dans L'Afrique Occidentale francaises, Paris, Okafor.	ـ٦١٤
History of west Africa, London 1924.	ـ٦١٥
Le Chatelier, A. L' Islam dans L'Afrique Occidentale, Paris, 1899.	ـ٦١٦
Trimingham, J. S. The phase of Islam expansion and Culture zone in Africa.	ـ٦١٧
Trimingham, J. S. The influence of Islam upon Africa, London, 1968.	ـ٦١٨
Mohammedanism in Africa, December 1887.	ـ٦١٩
Auberry: Islam to day. London, 1980.	ـ٦٢٠

* * * *

٣ ـ فهرس الموضوعـــــات

* * * *